

چورچ ر. ر. مارتن

أغنية الجليد والنار

الكتاب الرابع

**وليمة للغربان**

الجزء الأول

الكتاب: وليمة للغربان I (الكتاب الرَّابِع من أَعْيَنَةِ الجَلِيدِ والنَّارِ) / رواية

المؤلف: چورچ ر. ر. مارتن

ترجمة: هشام فهمي

عدد الصفحات: 464 صفحة

الترقيم الدولي: 978-614-472-054-7

الطبعة الأولى: 2019

هذه ترجمة مرخصة لكتاب:

*A Feast for Crows by George R. R. Martin*

*All rights reserved*

*Copyright © 2005 by George R. R. Martin*


*Maps by James Sinclair*

*Heraldic Crests by Virginia Norey*

*Published by Agreement with the author and the author's agent The Lotts Agency Ltd.*

جميع حقوق النسخة العربية محفوظة لدار التنوير ©

الناشر

دار التنوير للطباعة والنشر 

لبنان: بيروت - بئر حسن - بناية قاسم فارس (سارة بنما) - الطابق السفلي

هاتف: 009611843340

بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com

مصر: القاهرة - 2 شارع السرايا الكبرى (فؤاد سراج الدين سابقا) - جاردن سيتي

هاتف: 002022795557

بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com

تونس: 24، نهج سعيد أبو بكر - 1001 تونس

هاتف وفاكس: 0021670315690

بريد إلكتروني: tunis@dar - altanweer.com

موقع إلكتروني: www.dar - altanweer.com

چورچ ر. ر. مارتن

أغنية الجليد والنار

الكتاب الرابع

# وليمة للغربان

الجزء الأول

ترجمة: هشام فهمي

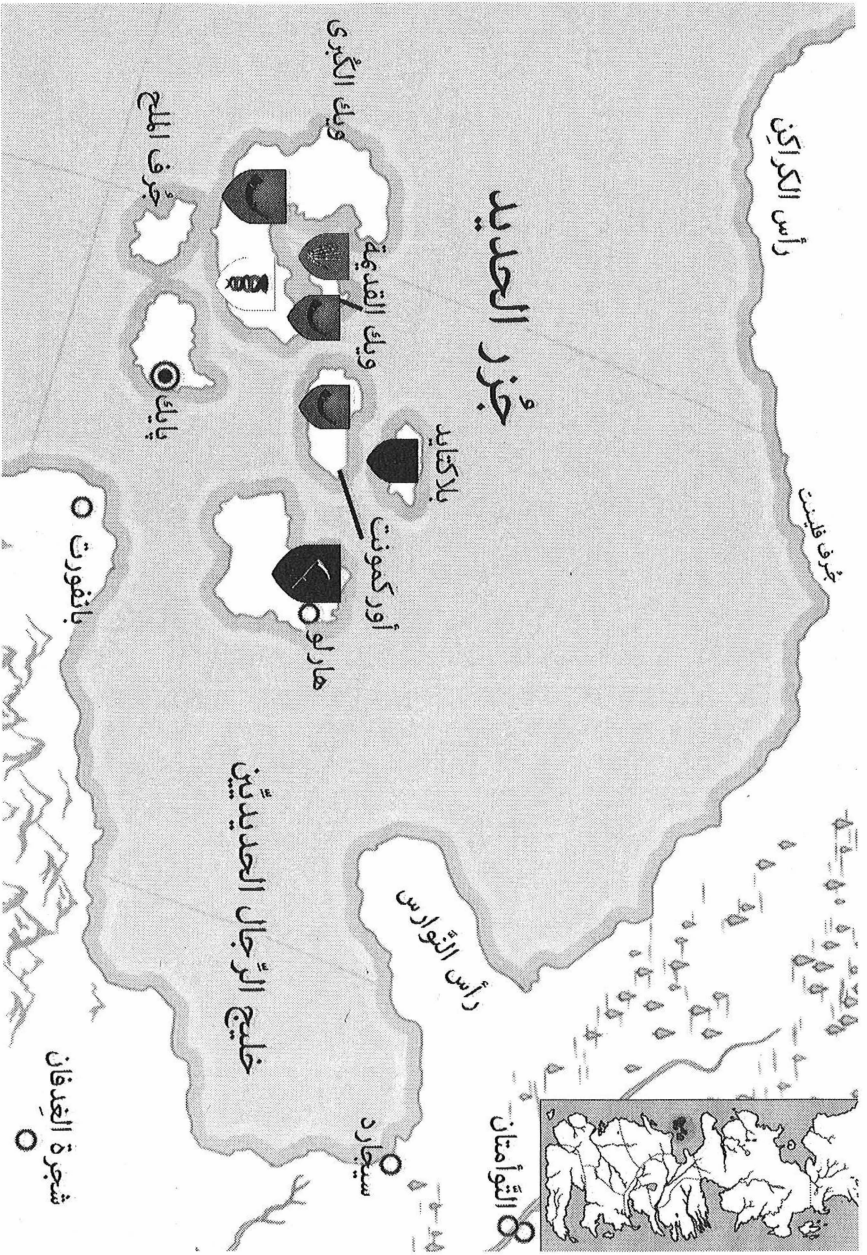




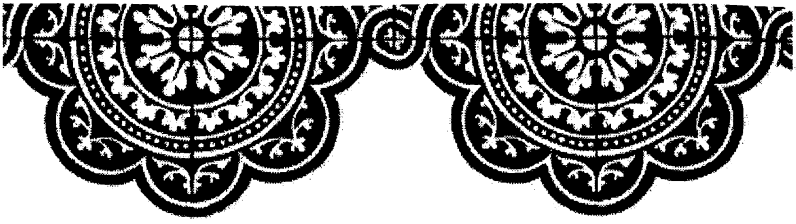
إلى ستيقن بوشيه  
ساحر الويندوز وتنين الدوس  
الذي لولاه لكُتبت هذه الرواية بأقلام الشمع











## تمهيد

- «التنانين»، قالها مولاندر واختطفَ تَفَاحَةً ذابِلَةً من على الأرض وراح يتقاذفها بين يديه.

قال أليراس أبو الهول مستحثاً إياه: «ارمِ التُّفَاحَةَ»، والتقطَ سهماً من جعبته وسحبَه على وتر قوسه.

قال روون: «كم أودُّ أن أرى تَنِينًا، أودُّ هذا حقًا». الصَّبي الممتلئ أصغرهم سنًا، وما زال يفصله عامان كاملان عن بلوغ مبلغ الرِّجال. فكَرَّ پايت مبدلاً جلسته على الدَّكَّة بتملُّل: وكم أودُّ أن أنام بينما تُطَوِّقني روزي بذراعيها. بحلول الغد ستكون الفتاة قد أصبحت له. سأخذها بعيداً عن (البلدة القديمة)، أعبُرُ بها (البحر الضيق) إلى واحدة من المُدن الحرَّة. هناك لا يوجد ما يسترات، لا أحد يتهمه.

تناهت إلى مسامعه ضحكات إما الآتية من نافذة مغلقة المصراعين بالأعلى، ممتزجة بالصَّوت الأعمق للرَّجل الذي تستضيفه. إنها أكبر العاملات سنًا في (الرَّيشة والدَّورق)، في الأربعين من العُمُر على الأقل، وإن كانت لا تزال تتمتع بنوع معيّن من حُسن ممثلاث الجسد. أمّا روزي فابنتها، فتاة في الخامسة عشرة أزهرت لتوها، وقد قضت إما أن بكارة روزي ستُكلَّف مَنْ يفضُّها تَنِينًا ذهبيًا كاملاً. كان پايت قد ادَّخر تسعة أيائل فضيَّة ومِلء جَرَّة من النُجوم والبُنسات النُّحاسيَّة، وعلى الرغم من هذا لا يزال بعيداً كلَّ البُعد عن المبلغ المطلوب، وفرصة أن يجعل بيضة تَنِينٍ حقيقي تفقس أفضل من فرصة ادِّخاره ما يكفي من مالٍ لتَنِينٍ ذهبي.

قال آرمن المُعاون لروون: «وُلِدَت متأخراً للغاية على رؤية التنانين يا

فتى». يضع آرمن حول عنقه شريطاً جلدياً علّق منه حلقاتٍ من القصدير والصّفيح والرّصاص والنّحاس، ويبدو أنه - كأغلب المُعاونين - يعتقد أن ما على أكتاف المبتدئين ثمار لفت لا رؤوس. «آخر تئين مات في عهد الملك إجون الثالث».

ردّ مولاندر بإصرارٍ: «آخر تئين في (وستروس) فقط». عادَ أيراس يستحّته قائلاً: «ارم التّفاحة». الشّاب وسيم الطّلعة، صديقهم أبو الهول الذي صارَ محطّ شغف جميع العاملات في المكان، وحتى روزي تمسّ ذراعه أحياناً عندما تُقدّم له النيّذ، فيضطرُّ پايت إلى الضّغط على أسنانه والتّظاهر بأنه لم يرَ.

قال آرمن بعناد: «آخر تئين في (وستروس) كان آخر تئين، هذا معلوم للجميع».

كرّر أيراس: «التّفاحة، ما لم تكن تنوي أن تأكلها». قال مولاندر: «هاك»، وجرّ قدمه المعوجّة ووثب وثبةً قصيرةً، ثم دارَ وألقى التّفاحة بزواويةٍ مستقيمة في الضّباب العالق فوق (نهر البتع)<sup>(1)</sup>. لولا التّشوه في قدمه لكان قد أصبح فارساً كأبيه، ففي ذراعيه الغليظتين وكتفيه العريضتين من القوّة ما يكفّل له هذا. هكذا حلّقت التّفاحة مبتعدةً بسرّعة... ولكن ليس بسرّعة السّهم الذي انطلق وراءها صافراً في الهواء، قناته طولها ياردة كاملة من الخشب الذّهبي المزوّد بالرّيش القرمزي. لم يرَ پايت السّهم يُصيب التّفاحة، لكنه سمعَ صدى الارتطام الخافت يتردّد عبر النّهر، يتبعه صوت سقوط الثّمرة في الماء.

صفرّ مولاندر، وقال: «قورّتها، جميل!». لكن ليس بنصف جمال روزي. يحبُّ پايت لون البُنْدُق في عينيها ويحبُّ ثدييها النَّابتين، والطّريقة التي تتسم بها كلّما رآته، ويحبُّ الغمّازتين في وجتيها. أحياناً تمشي حافيةً وهي تدور على الزّبائن، لتشعرَ بلمس العُشب تحت قدميها، وهذا أيضًا يحبُّه پايت، تمامًا كما يحبُّ رائحتها النّظيفة المُنعشة وشعرها الذي يتلوّكب وراء أذنيها، بل ويحبُّ أصابع قدميها. ذات ليلةٍ استدعه

(1) البتع هو نيّذ العسل. (المترجم).

يُدلِّك هاتين القدمين ويُداعِبهما، وسيُؤلِّف لها حكايةً طريفةً عن كلِّ إصبعٍ ليجعلها تضحك بلا انقطاع.

لعلَّ الأصلح له أن يبقى على هذا الجانب من (البحر الضيِّق). يُمكنه أن يبتاع حمامًا بالنقود التي أدخرها، ويتبادل هو وروزي ركوبه بينما يجولان في أنحاء (وستروس). ربما لا يراه إيبروز جديرًا بوضع حلقة فضيَّة في سلسلته، لكن پايت يعرف كيف يُجَبِّر العظام المكسورة ويُعلِّق العلق<sup>(1)</sup> للمصابين بالحُمى. سيمتنُّ العامَّة لمساعدته، وإذا تعلَّم أن يقصَّ الشعر ويحلق اللِّحى فمن الممكن أن يصير حلاقًا كذلك. قال لنفسه: يكفيني هذا ما دامت معي روزي. من الدُّنيا كلُّها لا يُريد إلاَّ روزي.

على أن الأمر لم يكن هكذا دائمًا. في السَّابق كان حُلْمه أن يُصبح مياستر في قلعة، في خدمة لورد سخي يُكرِّمه لحكمته ويهب له حصانًا أبيض مطهَّمًا عرفانًا بخدمته. كان ليمتطيه بسُمُوَّ ونبُل، وبيتسم للعوام من أعلى حين يمرُّ بهم على الطَّرِيق...

ذات ليلةٍ في قاعة (الرَّيشة والدُّورق) العامَّة، بعد أن شربَ دورقه الثَّاني من خمر التَّفاح القويَّة للغاية، قال پايت متبجِّحًا إنه لن يظلَّ مبتدئًا إلى الأبد، فردَّ ليو الكسول: «صحيح تمامًا، ستكون مبتدئًا سابقًا يرمى الخنازير».

أفرغَ ثُمالة الشَّراب في جوفه. كانت شُرْفة الخان المضاعة بالمشاعل جزيرةً من الضَّوء في بحرٍ من الضُّباب هذا الصُّباح، وفي اتِّجاه مصبِّ النَّهر تسبح منارة (البرج العالي) البعيدة في رطوبة اللَّيل كقمرٍ برتقاليٍّ مبهم، لكن الضَّوء لم يفلح في رفع معنوياته إلاَّ قليلًا.

كان يُفترَض أن يأتي الخيميائي. هل المسألة كلُّها دُعاة قاسية أم أن شيئًا جرى للرَّجل؟ لن تكون المرَّة الأولى التي يعبس فيها الحظُّ في وجه پايت، فقد حدث أن عدَّ نفسه محظوظًا من قبل عند اختياره لمساعدة المياستر الرَّئيس والجريث العجوز على العناية بالغدِّفان، دون أن يتصوَّر أنه سرعان ما

---

(1) العَلَقَات كائنات طفيليَّة تُشبه الدِّيدان وتمتصُّ الدَّماء، وبدأ استخدامها قبل ألفي عام بغرض تطهير الجسد من الدَّم الفاسد بعمليةٍ كانت تُعرف بتعليق العلق، بالإضافة إلى الحفاظ على الدَّم من التَّجلُّط في أثناء الجراحة. (المترجم).

سِيكَلْفَ أَيضًا بِاحْضَارِ وَجِبَاتِ الرَّجُلِ وَكُنْسِ مَسْكِنِهِ وَإِلْبَاسِهِ ثِيَابَهُ كُلَّ صَبَاحٍ. يَقُولُ الْجَمِيعُ إِنْ وَالْجَرِيْفُ نَسِيَ عَنْ حِرْفَةِ الْغِدْفَانِ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَعَلَّمُهُ مَعْظَمُ الْمَايَسْتِرَاتِ فِي حَيَاتِهِمْ كُلِّهَا، فَقَدَّرَ پَايْتُ أَنْ حَلَقَةً مِنَ الْحَدِيدِ الْأَسْوَدِ هِيَ أَقْلُ مَا يَأْمَلُهُ، فَقَطَّ لِيَكْتَشِفَ أَنَّ وَالْجَرِيْفُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْنَحَهُ إِيَّاهَا، لِأَنَّ الْعَجُوزَ مَا زَالَ مَايَسْتِرَ رَئِيسًا عَلَى سَبِيلِ الْمَجَامَلَةِ لَا أَكْثَرَ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ كَانَ مَايَسْتِرَ عَظِيمًا فِي الْمَاضِي، فَالآنَ يُوَارِي رِداؤُهُ ثِيَابًا دَاخِلِيَّةً مَتَسَخَةً أَكْثَرَ الْوَقْتِ، وَقَبْلَ نِصْفِ عَامٍ وَجَدَهُ عِدَدٌ مِنَ الْمُعَاوِنِينَ يَبْكِي فِي الْمَكْتَبَةِ وَقَدْ عَجَزَ عَنِ الْعَثُورِ عَلَى طَرِيقِ الْعُودَةِ إِلَى مَسْكِنِهِ. حَالِيًّا يَجْلِسُ الْمَايَسْتِرُ جُورْمُونِ تَحْتَ الْقِنَاعِ الْحَدِيدِ بَدَلًا مِنْ وَالْجَرِيْفِ، جُورْمُونِ نَفْسَهُ الَّذِي سَبَقَ أَنْ أَتَاهُمْ بِاِلسَّرْقَةِ. عَلَى شَجَرَةِ التَّفَاحِ الْمُجَاوِرَةِ لِلْمَاءِ بَدَأَ عِنْدَلِيبُ يُعْنِي، صَوْتَهُ الْجَمِيلِ رَاحَةً مُسْتَحَبَّةً مِنْ صَرِيخِ الْغِدْفَانِ الْخَشِنِ وَنَعِيقِهَا الْمَتَّصِلِ بَعْدَ أَنْ ظَلَّ پَايْتُ يَعْتَنِي بِهَا طَبِيلَةَ الْيَوْمِ. تَعْرِفُ الْغِدْفَانُ الْبَيْضَاءُ اسْمَهُ وَيَمْتَمُّ بِبَعْضِهَا بِهِ لِبَعْضِ كَلِمًا وَقَعَتْ أَعْيُنُهَا عَلَيْهِ، فَتُرَدُّ «بَايْتُ، پَايْتُ، پَايْتُ» إِلَى أَنْ تَنْتَابَهُ الرَّغْبَةُ فِي الصُّرَاخِ. تِلْكَ الطُّيُورُ الْبَيْضَاءُ الْكَبِيرَةُ مَفْخَرَةُ الْمَايَسْتِرِ الرَّئِيسِ وَالْجَرِيْفِ، وَيُرِيدُهَا أَنْ تَأْكُلَهُ عِنْدَمَا يَمُوتُ، وَإِنْ كَانَ پَايْتُ يَظُنُّ أَنَّهَا تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهُ أَيضًا. رُبَّمَا تَكُونُ خَمْرُ التَّفَاحِ الْقَوِيَّةُ لِلْغَايَةِ السَّبَبُ - وَلَمْ يَكُنْ پَايْتُ قَدْ أَتَى لِيشْرِبَ، غَيْرَ أَنَّ أَلِيرَاسَ دَعَاهُمْ إِلَى الشَّرَابِ احْتِفَالًا بِحُصُولِهِ عَلَى حَلَقَتِهِ النُّحَاسِيَّةِ، وَالشُّعُورَ بِالذَّنْبِ أَصَابَ پَايْتُ بِالظَّمْأِ - وَلَكِنْ بَدَأَ لَهُ كَأَنَّ الْعِنْدَلِيبَ يُرَدِّدُ بِصَوْتِ رَاجِفٍ: «الذَّهَبُ مَقَابِلَ الْحَدِيدِ، الذَّهَبُ مَقَابِلَ الْحَدِيدِ، الذَّهَبُ مَقَابِلَ الْحَدِيدِ»، وَهُوَ الْعَجِيبُ نَوْعًا، لِأَنَّ هَذَا مَا قَالَهُ الْغَرِيبُ لَيْلَةَ رَثَبَتْ رُوزِي لِقَاءِ هُمَا. حِينَهَا سَأَلَهُ پَايْتُ: «مَنْ أَنْتَ؟»، فَأَجَابَ الرَّجُلُ: «خِيمِيَايَ، أَسْتَطِيعُ تَحْوِيلَ الْحَدِيدِ إِلَى ذَهَبٍ»، ثُمَّ ظَهَرَتْ قِطْعَةُ الْعُمْلَةِ فِي يَدِهِ، تَتَرَاقَصُ عَلَى مَفَاصِلِ أَصَابِعِهِ وَيَلْمَعُ ذَهَبُهَا الْأَصْفَرُ الْخَالِصُ فِي ضَوْءِ الشُّمُوعِ، عَلَى أَحَدِ وَجْهَيْهَا تَتَيْنُ ذُو ثَلَاثَةِ رُؤُوسٍ، وَعَلَى الْآخَرِ رَأْسُ مَلِكٍ مَيِّتٍ مَا. تَذَكَّرَ پَايْتُ مَا قَالَهُ الرَّجُلُ: الذَّهَبُ مَقَابِلَ الْحَدِيدِ، لَنْ تَجِدَ صَفْقَةً أَفْضَلَ. هَلْ تُرِيدُهَا؟ هَلْ تُحِبُّهَا؟ قَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِي دَعَا نَفْسَهُ بِالْخِيمِيَايَ: «لَسْتُ لَصًّا، إِنِّي مَبْتَدِئٌ فِي (الْقَلْعَةِ)»، فَحَنَى الْخِيمِيَايَ رَأْسَهُ مَجِيبًا: «إِذَا غَيَّرْتُ رَأْيَكَ، سَأَعُودُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنَ الْآنَ وَمَعِيَ تَتِينِي».

ومرّت ثلاثة أيام، وعادَ پايت إلى (الرّيشة والدّورق) وهو غير واثقٍ بعدُ إن كان لصّاً حقّاً أم لا، لكن بدلاً من الخيميائي وجدَ مولاندر وأرمن وأبا الهول وفي أعقابهم روون، ولو لم ينضمّ إليهم لأثارَ شكوكهم.

(الرّيشة والدّورق) مفتوح دائماً. طيلة ستمئة عام وهو قائم على جزيرته في (نهر البتبع)، دون أن تنغلق أبوابه في وجه الرّبائن قطّ، ومع أن المبنى الخشبي يميل نحو الجنوب كما يميل المبتدئون فوق دوارق الشّراب أحياناً، فإن پايت يتوقّع أن يظلّ الخان قائماً ستمئة عام أخرى، يبيع النّبذ والمزّر<sup>(1)</sup> وخمر التّفاح القويّة للغاية للملاحى النّهر والبحر، والحدّادين والمطربين، والرّهبان والأمرء، ومبتدئي (القلعة) ومعاونيها.

أعلنَ مولاندر بصوتٍ أعلى من اللازم: «(البلدة القديمة) ليست العالم». إنه ابن فارس، وسكران الآن لأقصى درجة، فمنذ أتوه بخبر مقتل أبيه في معركة (النّهر الأسود) وهو يسكر كلّ ليلة تقريباً. لقد مسّتهم حرب الملوك الخمسة جميعاً على الرغم من كونهم آمنين وراء أسوار (البلدة القديمة) بعيداً عن القتال... وإن كان المايستر الرّئيس بنيدكت يصرُّ على أن الحرب لم تكن بين خمسة ملوكٍ حقّاً، بما أن رنلي باراثيون مات قبل أن يُتوجّ بالون جرايچوي نفسه. واصلَ مولاندر: «كان أبي يقول دوماً إن العالم أكبر من قلعة أيّ لورد. لا بدّ أن التّنانين أقلّ ما يُمكن أن يجده المرء في (كارث) و(أشاي) و(بي تي). حكايات البحّارة تلك...».

قاطعَه أرمن: «... ليست أكثر من حكايات بحّارة. إنهم بحّارة يا عزيزي مولاندر. اذهب إلى أرصفة الميناء وأراهنُ أنك ستجد بحّارة يحكون لك عن عرائس البحر اللاتي ضاجعوهن، أو كيف قضوا عامًا في بطن سمكة».

قال مولاندر وهو يبحث بقدمه في العُشب عن المزيد من التّفاح: «وكيف تعلم أنهم لم يفعلوا؟ عليك أن تدخُل بطن السّمكة بنفسك لتجزم بأن هذا لم يحدث. حكاية من بحّارٍ واحد، نعم، من الممكن أن تسخر منها، لكن حين يحكي بحّارة من أربع سفنٍ مختلفة الحكاية نفسها بأربع لغاتٍ مختلفة...».

ردّ أرمن بإصرار: «الحكايات ليست واحدة. تنانين في (أشاي)، تنانين في

(1) اليزر نوع من البيرة يستغرق فترة أقصر حتى يختمر، ومذاقه غير مُر. (المترجم).

(كأثر)، تنانين في (ميرين)، تنانين مع الدوئراكي، تنانين تُحرَّر العبيد... كلُّ حكايةٍ تختلف عن الأخرى».

- «في التفاصيل فقط»، قال مولاندر الذي يزداد عنادًا عندما يشرب، وهو متصلَّب الرَّأي أصلاً حتى وهو مفيق. «الجميع يحكون عن التَّنَّانين، ومملكةٍ شابةٍ جميلة».

التَّين الوحيد الذي يُبالي به بايت مصنوع من الذهب الأصفر. تساءلَ عمَّا جرى للخميامي. اليوم الثالث، قال إنه سيكون هنا. خاطبَ أليراس مولاندر قائلاً: «ثُمَّ تَفَاحَة أُخرى قُربَ قدمك، وما زالَ معي سهمان في جَعْبتي».

قال مولاندر: «سُحِقًا لَجَعْبَتِكَ»، ثم التقطَ ثمرةً أسقطتها الرِّيح من الشَّجرة، وأضافَ متذمِّرًا: «فيها ديدان»، لكنه رماها رغم ذلك، وأصابَ السَّهم التُّفَاحَة إذ بدأت تَسْقُطُ وشطرها نصفين، هبطَ أحدهما على سطح بُرج ثم هوى إلى سطح أدنى وارتدَّ وأخطأَ آرمن بقدم واحد، فقال لهم المُعاوَنُ: «إذا قطعت دودةٌ نصفين تُصبحُ هناك دودتان».

رَدَّ أليراس بواحدةٍ من ابتساماته النَّاعمة: «ليت الأمر كان كذلك مع التُّفَاح، فما كان أحدٌ ليجوع أبدًا». دائمًا يبتسم أبو الهول كما لو أنه مطلع على دعايةٍ سرِّيَّةٍ ما، وقد منحه هذا مظهرًا خبيثًا يتماشى جيِّدًا مع ذقنه البارز ومقدِّمة شعره المدبَّبة وخُصلاته الفاحمة الكثيفة المشدَّبة بعناية.

سوف يُصبحُ أليراس مایستر ذات يوم. لقد جاء (القلعة) منذ عام واحد فقط، لكنه كوَّن ثلاث حلقاتٍ من سلسلته بالفعل. صحيحٌ أن حلقات آرمن أكثر، إلا أنه استغرقَ عامًا كاملًا حتى استحقَّ كلاً منها، ومع ذلك سوف يُصبح مایستر أيضًا. روون ومولاندر ما زالا مبتدئين عاريي العنق، لكن روون صغير جدًّا، ومولاندر يُؤثر الشُّرب على القراءة.

أمَّا بايت...

إنه في (القلعة) منذ خمسة أعوام، جاءها وهو في الثالثة عشرة من العُمر لا أكثر، لكن عنقه لا يزال عاريًا كما كان يوم وصلَ من أراضي الغرب. مرَّتين اعتقدَ نفسه مستعدًّا؛ الأولى مثلَ فيها أمام المایستر الرَّئيس فايلين ليُدلِّل على معرفته بالأجرام السَّماويَّة، وبدلًا من هذا تعلم كيف حصل فايلين على لقب

«الخَل» ، ثم استغرق الأمر بايت عامين ليستجمع شجاعته من جديد ويُحاول ثانية. تلك المرّة قدّم نفسه إلى المايستر الرّئيس إيبروز العجوز العطوف، الشّهير برقّة نبرته وخفّة يديه، غير أن زفّرات إيبروز كانت بوسيلةٍ ما مؤلّمةً ككلمات فايلين الشّائكة.

وعدهم أليراس قائلاً: «تفّاحة أخيرة وسأخبركم بظنوني بتلك التّانين». دمدم مولاندر: «وما الذي تعرفه وأجهله أنا؟»، ولمح تفّاحةً على فرع فوثب وقطفها ورمّاها، فسحب أليراس وتر قوسه إلى أذنه وهو يدور برشاقه متابعاً هدفه المحلّق، وأطلق سهمه لحظة أن بدأت التفّاحة تسقط.

قال روون: «دائمًا تُخطئ الرّمية الأخيرة». وسقطت الثّمرة في النّهر دون أن يمسه السّهم.

قال روون: «أرأيت؟».

أجاب أليراس: «إذا أصبتها جميعًا ستكفّ عن التّحسّن»، وأرخى وتر قوسه الطّويل ودسّه بخفّة في قرابه الجلدي. القوس منحوت من القلب الذّهبي، ذلك الخشب النّادر الممتاز الذي يأتي من (جُزر الصّيف)، وقد جرّب بايت أن يسحب الوتر عليه مرّةً وفشل. قال بايت لنفسه متأملًا: أبو الهول يبدو هزيلًا، لكن ثمّة قوّة في هاتين الذّراعين النّحيلتين، فيما جلس أليراس وساقاه على جانبي الدّكّة ومدّ يده إلى كأس نبيذه معلنًا بلهجته الدورنيّة المتشدّقة: «التّنين له ثلاثة رؤوس».

تساءل روون: «أهذه أحجية؟ دائمًا ما يكون كلام آباء الهول ملغزًا في الحكايات».

رشف أليراس من النّبذ مجيبًا: «ليست أحجية». كانت بقيّتهم تعبٌ من خمر التّفّاح القويّة للغاية التي يشتهر بها (الرّيشة والدّورق)، لكنه يُفضّل الخمور المحلّلة الغربية من بلاد أمّه، وحتى في (البلدة القديمة) لا تُباع تلك الخمور بثمانٍ رخيص.

كان ليو الكسول هو من لُقّب أليراس بأبي الهول. أبو الهول كائن هجين؛ وجهه وجه إنسان وجسمه جسم أسد وله جناحا صقر، وأليراس مثله، فأبوه دورني وأمّه امرأة سوداء البشرة من (جُزر الصّيف)، أمّا بشرته هو فداكنة كخشب السّاج، وكتمثاليّ أبي الهول وأمّ الهول المنحوتين من الرّخام

الأخضر ويقفان على جانبي بؤابة (القلعة) الرئيسة، لأيراس عينان من الجزع الأخضر.

قال آرمن المُعاون بحزم: «ليست هناك تنانين بثلاثة رؤوس إلا على الثُروس والرَّيات. إنه رمز لا أكثر، ثم إن آل تارجارين ماتوا جميعاً». ردَّ أيراس: «ليس جميعهم. الملك الشَّحاذ كانت له أخت». قال روون: «حسبتهم هشموا رأسه على جدار».

قال أيراس: «لا. إجون ابن الأمير ريجار الصَّغير هو من هشم رجال الأسد لانستر الشُّجعان رأسه على جدار. إننا نتكلَّم عن أخت ريجار التي وُلدت في (دراجونستون) قبل سقوطها، تلك المسمَّاة دنيرس».

قال مولاندر: «وليدة العاصفة، تذكَّرتها الآن»، ورفع دورقه عاليًا ليدور ما تبقى فيه من خمر التُّفاح، وصاح: «نخبها!»، ثم جرَّع وضرب المائدة بالدُّورق الخالي وتجشَّأ، قبل أن يمسح فمه بظَّهر يده ويسأل: «أين روزي؟ ملكتنا الشرعيَّة تستحقُّ دوراً آخر من الشَّراب، أليس كذلك؟».

لاح الانزعاج على آرمن المُعاون وهو يقول: «اخفض صوتك أيها الأحق. لا يجدر بك أن تمزح مجرد مزاح بشأن تلك الأشياء، فلست تدري من يتنصَّت. العنكبوت له آذان في كلِّ مكان».

- «آه، لا تَبَل في سراويلك يا آرمن. كنتُ أقرحُ شراباً لا ثورة».

سمع پايت قهقهةً، ثم نادى صوت خبيث ناعم من ورائه قائلاً: «لطالما عرفتُ أنك خائن أيها الضَّفدع النَطَّاط». كان ليو الكسول واقفاً بتراخ عند قدم الجسر الخشبي القديم، يرتدي الساتان المخطَّط بالأخضر والذهبي تحت حرملة<sup>(1)</sup> من الحرير الأسود، يُثبَّتْها إلى كتفه مشبك على شكل وردة من اليشب، وقد بدا من البقع على صدره أن التبيذ الذي شربه كان أحمر قانيًا، بينما سقطت خُصلة من شعره الذهبي الشَّاحب على إحدى عينيه.

اشتعل مولاندر غضباً لمرآه، وقال: «تباً لهذا، ارحل، ليس مرحباً بك هنا»، فوضع أيراس يده على ذراعه ليهدِّثه، في حين عبس آرمن قائلاً: «ليو، سيدي، حسبتك ستظلُّ محتجِّزاً في (القلعة)».

(1) الحرملة رداء قصير واسع يُحيط بالعنق ومفتوح من الأمام. (المترجم).



قاطعَه ليو: «... ثلاثة أيام أخرى»، وهزَّ كتفيه مضيقاً: «پيرستان يقول إن العالم عُمره أربعون ألف عام، ومولوس يقول إنها خمسمئة ألف، فما قيمة ثلاثة أيام؟»، وعلى الرغم من وجود دسنة من الموائد الخالية في الشُّرفة، فقد جلسَ ليو إلى مائدتهم مردفاً: «ادعني إلى كأس من نبيذ (الكرمة) الذهبي أيها الضُّفدع النُّطاط ولن أخبر أبي بأمر نخبك. الحظ لم يُحالفني في لعب البلاطات في (الترد المربع) وبددتُ أيلي الفضي الأخير على العشاء. خنزير رضيع في صلصة البرقوق، محشو بالكستناء والكمأة البيضاء. الإنسان يحتاج إلى الطعام. وماذا أكلتم أنتم يا أولاد؟».

غمغمَ مولاندر وقد بدا مستاءً من الإجابة: «أكلنا ضأنًا، تقاسمنا فخذ ضأنٍ مسلوقة».

قال ليو: «أنا واثق بأنها كانت مشبعة»، والتفتَ مخاطبًا أليراس: «المفترض أن يكون ابن لورد مثلك سخياً يا أبا الهول. بلغني أنك فزت بحلقتك النحاسية. سأشربُ نخب هذا».

ابتسمَ أليراس مجيباً: «لستُ أدعو إلا الأصدقاء إلى الشَّراب، ثم إنني لستُ ابن لورد كما أخبرتك. أمِّي كانت تاجرةً».

قال ليو وفي عينيه البندقيتين لمعة النبيذ والنَّقمة: «أمك كانت قردهً من (جُزر الصَّيف). الدورنيون يُضاجعون أيَّ شيءٍ له فتحة بين ساقيه. لا أقصدُ إساءةً. ربما تكون نبياً كحبةٍ من الجوز، لكنك تستحمُّ على الأقل، على عكس فتى الخنازير المبقَّع هذا»، ولوَّح بيده نحو پايت.

فكَّر پايت: إذا ضربته في فمه بدورقي فيمكنني أن أكسر نصف أسنانه. پايت المبقَّع فتى الخنازير هو بطل ألفٍ من القصص البذيئة، صعلوك أبله طيب القلب استطاعَ دومًا أن يتغلب على السادة السَّمان والفُرسان المتغطرسين والسِّبوتونات المبهرجين الذين يُزعجونهم، وبشكلٍ ما يتضح أن غبائه نوع من الدَّهاء غير المألوف، ودائمًا تنتهي به الحكايات جالسًا على مقعد لورد عالٍ أو في الفُراش مع ابنة أحد الفُرسان. لكنها مجرد قصص، ففي عالم الواقع لا يُحالف التوفيق صبية الخنازير. أحيانًا يُفكَّر پايت أن أمه كانت تكرهه بالتأكيد ما دامت قد أطلقت عليه هذا الاسم.

قال أليراس وقد غابت ابتسامته: «ستعتذر».

- «حقًا؟ وكيف أعتذرُ وحَلقي بهذا الجفاف؟» .  
قال أليراس: «إنك تجلب العار على عائلتك مع كلِّ كلمةٍ تقولها، وتجلب العار على (القلعة) بكونك واحدًا منا» .

- «أعرفُ، فادعُني إلى القليل من النَّبيذِ إذن كي أُغْرِق عاري» .  
قال مولاندر: «أريدُ أن أقتلع لسانك من جذوره» .  
رَدَّ ليو: «حقًا؟ وكيف أحكي لكم عن التَّنانينِ إذن؟»، وعادَ يهزُّ كتفيه متابعًا: «الهلجين على حق، ابنة الملك المجنون حيَّة ومعهما ثلاثة تنانين» .  
رَدَّ روون مندهشًا: «ثلاثة؟» .

رَبَّت ليو على يده مجيبًا: «أكثر من اثنين وأقلُّ من أربعة. لو كنتُ مكانك لما حاولتُ الحصول على حلقتي الذهبية بعدُ» .  
قال مولاندر منذرًا: «دعه وشأنه» .

- «يا لشهامتك أيها الضَّفدع النَّطَّاط. كما تشاء. كلُّ رجل من كلِّ سفينةٍ أبَحَرَت على مسافة مئة فرسخ من (كَارث) يتحدَّث عن تلك التَّنانين، وستجد بعضهم يقول إنه رآها بنفسه. المُشعوذ يميل إلى تصديقهم» .  
زَمَّ آرمن شفثيه استنكارًا، وقال: «ماروين معتل العقل. المايستر الرَّئيس بيرستان أول من سيقول لك هذا» .

قال روون: «هذا ما يقوله المايستر الرَّئيس ريام أيضًا» .  
تثاءبَ ليو، وقال: «البحر مبتل والشمس دافئة ومعرض الوحوش يكره الدَّرَواس<sup>(1)</sup>» .

فكَّرَ پايت: لديه اسم ساخر لكلِّ أحد، لكنه لا يستطيع أن يُنكر أن ماروين يبدو أقرب إلى درواس من مايستر بالفعل. كأنه يُريد أن يعضِّك. ليس المُشعوذ كبقية المايسترات، ويقول النَّاس إنه يُرافق العاهرات والسَّحرة الجوالين، ويكلمُ الإيبينزيين المُشعرين وأهل (جُزر الصَّيف) ذوي البشرة السَّوداء كالقار بلُعتهم، ويُقدِّم القرابين لآلهة غريبة في معابد البحَّارة الصَّغيرة عند أرصفة المرفأ، وهناك من يتكلَّمون عن رؤيته في الأنحاء الكريهة من المدينة،

(1) الدَّرَواس كلب قبيح الشَّكل شديد الضَّخامة يُستخدم في الصَّيد والحراسة. (المترجم).

في حلبات الجردان<sup>(1)</sup> والمواخير السوداء، يُسامر الممثّلين والمُطربين والمرتزة، بل والمتسوّلين أيضًا. ثم إن هناك من يتهاَمسون قائلين إنه قتل رجلاً ذات مرّة بقبضته العاريتين.

حينما رجع ماروين إلى (البلدة القديمة)، بعد أن أمضى ثمانية أعوام في الشّرق يرسم خرائط الأراضي البعيدة ويبحث عن كُتب مفقودة ويدرس مع الدّجالين وأسري الظّلال، لقبه فايلين الخَل بماروين المُشعوذ، وسرعان ما انتشر اللقب في جميع أنحاء المدينة، وهو ما أثار ضيق فايلين لأقصى درجة. في مرّة قال المايستر الرّئيس ريام لبايت على سبيل النّصيحة: «دع الصّلوات والتّعاويد للرّهبان والسّبتونات، وكّرّس عقلك لتعلّم الحقائق التي يستطيع أن يثق بها الإنسان»، لكن خاتم ريام وصولجانه وقناعه من الذهب الأصفر، وسلسلته تخلو من حلقة من الفولاذ الثّاليري.

لآرمن أنف طويل رفيع مدبّب، مناسب تمامًا للنّظرة التي رمقَ بها ليو الكسول من فوقه وهو يقول: «المايستر الرّئيس ماروين يعتقد بالعديد من الأشياء الغريبة، لكنه لا يملك دليلًا على وجود التّنّانين أكثر من مولاندر. مزيد من قصص البحّارة لا أكثر».

قال ليو: «أنت مخطئ. ثمة شمعة زُجاجيّة متّقدة في مسكن المُشعوذ». ران الصّمّت على الشّرفة المضّاءة بالمشاعل، ثم تنهّد آرمن وهزّ رأسه، وبدأ مولاندر يضحك، وتفرّس أبو الهول في وجه ليو بعينه السوداءوين الواسعتين، وبدت الحجرة على روون.

يعرف بايت بأمر الشّموع الزّجاجيّة، وإن لم يرَ واحدةً مشتعلّة من قبل قطّ. إنها السّر الأكثر انفضاحًا في (القلعة)، ويُقال إنها جلبت إلى (البلدة القديمة) من (فاليريا) قبل ألف عام من هلاكها. كان بايت قد سمع بوجود أربع منها، إحداها خضراء والبقية سوداء، وكلّها طويلة ملتوية.

سأل روون: «ما تلك الشّموع الزّجاجيّة؟». تنحنح آرمن المُعاون، وأجاب: «في اللّيلة السّابقة لحلف كلّ مُعاون

---

(1) حلبة الجردان منطقة مغلقة توضع فيها الجردان لتقتلها الكلاب، وكان هذا النشاط يُمارس في أوروبا حتى منعه البرلمان البريطاني في منتصف القرن التّاسع عشر. (المترجم).

اليمين، عليه أن يسهر في القبو، وغير مسموح له أن يأخذ معه فانوسًا أو مشعلًا أو مصباحًا أو فتيلًا مكسوفًا بالشَّمع... فقط شَمعة من الرُّجاج البركاني. هكذا يجب أن يقضي الليل في الظلام ما لم يستطع أن يُشعل تلك الشَمعة. بعضهم يُحاول، الحمقى والعنيدون، أولئك الذين درسوا الغوامض العليا إياها، وكثيرًا ما يجرحون أصابعهم، لأن حواف الشَمعة حادَّة كالموسى حسب ما يُقال، ثم يكون عليهم أن ينتظروا بزوغ الفجر بأيدٍ دامية وهم يُفكِّرون في فشلهم. الحكماء يخلدون إلى النوم ببساطة، أو يقضون الليل في الصَّلَاة، لكن هناك دائمًا من يُصرون على التجربة كلَّ عام.

قال بايت الذي سمع القصص نفسها: «نعم، لكن ما الفائدة من شمعة لا تُلقي ضوءًا؟!».

جاوبه آرمن: «إنه درس، آخر درس يجب أن نتعلَّمه قبل أن نضع سلسلة المايسترات. المفترض أن تُمثِّل الشَمعة الرُّجاجية الحقيقة والمعرفة، وهما شيان نادران وجميلان وهشان، وهي مصنوعة على شكل شمعة كي تُدكِّرنا بأن على المايستر أن يُلقي الضوء أينما خدَم، وحادَّة كي تُدكِّرنا بأن المعرفة من شأنها أن تكون خطيرة. قد تُصيب الحكمة أصحابها بالغرور، لكن على المايستر أن يبقى متواضعًا دومًا، وهذا ما تُدكِّرنا الشَمعة الرُّجاجية به أيضًا، فحتى بعد أن يحلف اليمين ويضع سلسلته ويبدأ خدمته، سيُفكِّر المايستر في سهرته تلك ويتدكَّر أن شيئًا لم يكن في وسعه لإشعال الشَمعة... بعض الأشياء ليس ممكنًا حتى في وجود المعرفة».

انفجر ليو الكسول في الضحك، وقال: «تعني أنه ليس ممكنًا لك. لقد رأيت الشَمعة مشتعلة بعيني هاتين».

ردَّ آرمن: «رأيت شمعة ما مشتعلة بلا شك، من الشَّمع الأسود ربما».

- «أعرف ما رأيت. الضوء كان غريبًا وساطعًا، أكثر سطوعًا من ضوء أي شمعة من شمع العسل أو الشَّحم، وألقى ظلالًا غريبةً دون أن يتذبذب اللهب إطلاقًا، حتى عندما هبَّ تيار الهواء من الباب المفتوح ورائي».

عقد آرمن ذراعيه على صدره قائلاً: «الرُّجاج البركاني لا يشتعل».

قال بايت وقد بدت له المعلومة مهمَّةً بشكلٍ ما: «رُجاج التين، العامَّة يُسمونه رُجاج التين».

عَلَّقَ أَلِيرَاسُ أَبُو الْهُوْلِ مَتَأَمَّلًا: «صَحِيحٌ، وَإِذَا عَادَتِ التَّنَّانِينُ إِلَى الْعَالَمِ حَقًّا...».

قال ليو: «التَّنَّانِينُ وَأَشْيَاءُ الْعَن. الْخِرَافُ الرَّمَادِيَّةُ أَغْلَقَتْ أَعْيُنَهَا، لَكِنْ الدَّرَوَاسُ يَرَى الْحَقِيقَةَ. الْقَوَى الْقَدِيمَةُ تَسْتَيْقِظُ مِنْ سُبَاتِهَا وَالظَّلَالُ تَتَحَرَّكُ، وَقَرِيبًا سَيَبْدَأُ عَصْرُ مِنَ الْعَجَائِبِ وَالرُّعْبِ، عَصْرٌ لِلْأَلِهَةِ وَالْأَبْطَالِ»، وَتَمَطَّى رَاسِمًا عَلَى شَفْتَيْهِ ابْتِسَامَتَهُ الْكَسُولِ، وَأَضَافَ: «أَعْتَقِدُ أَنَّ الْأَمْرَ يَسْتَحِقُّ دَوْرًا مِنَ الشَّرَابِ».

قال آرمن: «شربنا بما فيه الكفاية. سرعان ما سيطلع الصُّبْحُ عَلَيْنَا، وَالْمَايَسْتِرُ الرَّئِيسُ إِيْبِرُوزُ سَيَتَحَدَّثُ الْيَوْمَ عَنْ خَوَاصِّ الْبُولِ وَعَلَى مَنْ يَرْغَبُ فِي حَلْقَةٍ مِنَ الْفَضَّةِ أَلَّا يَفُوتَ حَدِيثَهُ».

رَدَّ لِيُو: «حَاشَا لِي أَنْ أَعْطَلَّكُمْ عَنْ تَذْوُقِ الْبُولِ، أَمَّا أَنَا فَأَفْضَلُ مَذَاقِ نَبِيذِ (الْكَرْمَةِ) الذَّهَبِيِّ».

قال مولاندر: «إِذَا كَانَ الْخِيَارُ بَيْنَ الْبُولِ وَبَيْنِكَ، فَإِنِّي أَخْتَارُ الْبُولَ»، وَدَفَعَ مَقْعَدَهُ عَنِ الْمَائِدَةِ مَخَاطَبًا رَوُونَ: «هِيَ بِنَا».

التَقَطَ أَبُو الْهُوْلِ قِرَابَ قَوْسِهِ قَائِلًا: «أَنَا أَيْضًا سَأَحْلُدُ إِلَى النَّوْمِ. أَتَوَقَّعُ أَنْ أَحْلُمَ بِالتَّنَّانِينِ وَالشُّمُوعِ الزُّجَاجِيَّةِ».

تَسَاءَلَ لِيُو: «كُلُّكُمْ رَاحِلُونَ؟»، وَهَزَّ كَتْفَيْهِ مَرْدَفًا: «لِيَكُنْ، رَوْزِي سَتَبْقَى. رُبَّمَا أَوْقَطُ قِطْعَةَ الْحَلْوَى الصَّغِيرَةِ وَأَجْعَلُ مِنْهَا امْرَأَةً».

رَأَى أَلِيرَاسُ النَّظْرَةَ عَلَى وَجْهِ پَايْتِ، فَقَالَ لَهُ: «إِذَا كَانَ لَا يَمْلِكُ قِطْعَةً نُحَاسِيَّةً لِكَاسٍ مِنَ النَّبِيذِ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ مَعَهُ تَنْبِيْنًا لِلْفَتَاةِ».

قال مولاندر: «نعم، ثم إن الأمر يتطلب رجلاً كي يجعل منها امرأة. تعال معنا يا پايت. والجريفة العجوز سيستيقظ حين تُشرق الشمس، وسيحتاج إلى مساعدتك في الذهاب إلى المرحاض».

هذا إذا تذكَّر من أنا اليوم. لا يجد المايستر الرَّئِيسُ والجريفة صعوبةً في التَّمْيِيزِ بَيْنَ عُذَافٍ وَآخَرَ، لَكِنَّهُ لَا يَمْلِكُ الْمَهَارَةَ نَفْسَهَا مَعَ الْبَشَرِ، وَفِي بَعْضِ الْأَيَّامِ يَحْسَبُ پَايْتُ شَخْصًا آخَرَ اسْمُهُ كَرَسَن. قَالَ لِأَصْدِقَائِهِ: «لَيْسَ بَعْدُ، سَابَقِي قَلِيلًا». الْفَجْرُ لَمْ يَطْلُعْ بَعْدُ، لَيْسَ تَمَامًا، وَرُبَّمَا يَكُونُ الْخِيمِيَائِيُّ مَا زَالَ قَادِمًا، وَإِذَا جَاءَ فَپَايْتُ يَنْوِي أَنْ يَجِدَهُ هُنَا.

قال آرمن: «كما تُريد»، ووجدَ أليراس بايت بنظرةٍ طويلة، ثم علّق قوسه على كتفه النَّحيلة وتبعَ الآخرين نحو الجسر. كان مولاندر سكران لدرجةٍ جعلته يضطرُّ إلى المشي مستنداً إلى كتف روون كي لا يقع. ليست (القلعة) بعيدةً بسرعة طيران الغُداف، لكن لا أحد منهم غُداف، و(البلدة القديمة) متاهة فعليّة، ملأى بالمنعطفات والأرقة المتقاطعة والشوارع الضيقة الملتوية. سمعَ بايت آرمن يقول إذ ابتلعَ ضباب النَّهر أربعتهم: «احذروا، اللَّيلة كانت رطبة وستجدون حجارة الشوارع زلقة».

لمَّا رحلوا تطلَّع ليو إلى بايت بنظرةٍ فظةٍ عبر المائدة، وقال: «مخزن، أبو الهول هجرني بفضته كلها وتركني لبايت المبقع فتى الخنازير»، وعادَ يتمطى متثائبًا، وسأل: «كيف حال حلوتنا روزي يا تُرى؟».

أجابَ بايت باقتضاب: «إنها نائمة».

قال ليو بابتسامةٍ عريضة: «عارية بلا شك. أتحسب أنها تستحقُّ تنبئًا كاملاً بحق؟ أظنُّ أن عليّ أن أعرف الإجابة بنفسي ذات يوم»، وحين لم يتكلَّم بايت الأَعقل من أن يردَّ، تابعَ ليو الذي لم يحتجَ إلى رد: «أتوقَّع بمجرد أن ألج الفتاة سينهار سَعرها بحيث يقدر عليه صبية الخنازير أنفسهم. يجدرُ بك أن تشكرني».

فكَّر بايت: يجدرُ بي أن أفتلك، وإن لم يكن سكران لدرجة أن يُبدد حياته، فليو ممزَّن على السَّلاح، ومعروف بأنه مميت حقًا حين يُقاتل بسيف مُبارزي البرافو والخنجر، وحتى إذا استطاعَ بايت بوسيلةٍ ما أن يقتله، فمعنى هذا أن يفقد رأسه بالتَّبعية. ليو اسمان في حين أن لبايت اسم واحد، واسمه الثاني تايرل. السير مورين تايرل قائد حرس المدينة في (البلدة القديمة) هو أبو ليو، ومايس تايرل سيّد (هايجاردن) وحاكم الجنوب ابن عمّه، ناهيك بأن شيخ (البلدة القديمة) اللورد لايتون سيّد (البرج العالي) -الذي تضمُّ ألقابه العديدة لقب «حامي القلعة»- من حملة راية عائلة تايرل والمُقسمين لها على الولاة.

قال بايت لنفسه: لا عليك، إنه يقول ما يقوله ليجرحني لا أكثر.

كان الضُّباب قد بدأ ينقشع في الشُّرق، فأدركَ بايت أنه الفجر. الفجرُ طلَّع والخيميائي لم يأت. لم يدرِ إن كان عليه أن يضحك أم يبكي. هل سأظلُّ لصًا إذا وضعتُ كلَّ شيءٍ في مكانه ولم يدرِ أحدٌ؟ سؤال آخر بلا إجابة عنده، كالأسئلة التي طرحها عليه إيروز وفايلين من قبل.

عندما دفع نفسه عن المائدة ونهض، صعدت خمر التَّفَاحِ القويَّة للغاية إلى رأسه دُفْعَةً واحدةً، واضطَّرَّ إلى وضع يده على المائدة ليَقِفَ ثابتًا، ثم إنه قال على سبيل الوداع: «دَعْ روزي وشأنها، دَعها وشأنها وإلَّا ربما أقتلك». نَقَرَ ليو تايرل خصلة الشعر عن عينه بإصبعه، وقال: «لا أبارزُ صبية الخنازير. ارحل».

دارَ پايت وقطع الشُّرفة، وتعالَّت دَقَّاتُ كعبيه على ألواح الجسر الخشبي القديم البالية، ولدى بلوغه الضَّفَّة الأخرى كانت سماء الشَّرْق قد بدأت تصطبغ بلونٍ وردي. قال لنفسه: العالم فسيح. إذا اشتريتُ حمارًا فما زال يُمكنني أن أجول في طرقات (الممالك السَّبع) ومسالكها، أعلِّقُ العلقَّ للعامة وأفلي شُعرهم من القمل. يُمكنني أن ألتحق بطاقم سفينة ما وأعمل مُجذِّفًا، أبحرُ إلى (كارث) عن طريق (بوآبات اليَسْب) وأرى تلك التَّنَّين اللِّعينة بنفسي. لا يوجد ما يدعوني إلى العودة إلى والجريف العجوز والغدغان. ولكن بشكل ما قاده خطاه إلى طريق (القلعة).

حين نفذَ أولَ خيوط ضوء الشَّمس من السُّحب إلى الشَّرْق بدأت أجراس الصَّبَّاح تدقُّ في (سِبت البحَّارة) عند الميناء، وبعد لحظةٍ انضمت إليها أجراس (سِبت اللورد)، ثم (المقامات السَّبعة) من حدائقها عبر النَّهر، وأخيرًا (السِّبت النُّجمي) الذي كان مقرَّ السِّبتون الأعلى طيلة ألف عام قبل أن يرسو إجون في (كينجز لاندنج). معًا صنعت الأجراس موسيقى جليَّة حقًا. وإن لم تكن بعدوبة صوت عندليبٍ واحدٍ صغير.

ترامى إلى مسامعه الإنشاد أيضًا بصوتٍ أدنى من رنين الأجراس. في كلِّ صباح مع أول ضوءٍ يجتمع الرُّهبان الحُمْر للتَّرحيب بالشَّمس خارج معبدهم المتواضع المجاور لأرصفتة الميناء. فالليل مظلمٌ ومفعمٌ بالأهوال. لقد سمعهم يهتفون بتلك الكلمات مئة مرَّة، يسألون إلههم راهلور أن يُقدِّمهم من الظلمات. يكتفي پايت بالآلهة السَّبعة، لكنه سمع أن ستانيس باراثيون يتعبَّد عند النَّار اللَّيْلِيَّة الآن، بل ووضع قلب راهلور النَّاري على راياته بدلًا من الوعل المتوجِّج. فكَّر پايت: إذا ارتقى العرش الحديدي سيكون علينا جميعًا أن نتعلَّم كلمات أشودة الرُّهبان الحُمْر، لكنه لا يعتقد أن شيئًا كهذا محتمل، فقد حطَّم تايوين لانستر ستانيس وراهلور في معركة (النَّهر الأسود)، وقريبًا

سِيْجِهْزَ عَلَيْهِمَا وَيُعَلِّقُ رَأْسَ الْمَدْعِي بَاراثِيونَ فَوْقَ بَوَابَاتِ (كِينْجَزَ لَانْدِنْجَ).  
 إِذْ زَالَ ضَبَابُ الصُّبْحِ بَدَأَتْ (الْبَلَدَةُ الْقَدِيمَةُ) تَسْتَرْدُّ شَكْلَهَا مِنْ حَوْلِهَا،  
 تَبْرُزُ كَكِيَانٍ شَبْحِيٍّ مِنْ عَتَمَةٍ مَا قَبْلَ الْفَجْرِ. لَمْ يَرِ پَايَتِ (كِينْجَزَ لَانْدِنْجَ)  
 قَطًّا، لَكِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهَا مَدِينَةٌ أُبْنِيَتْهَا مِنَ الْحِصْرِ وَالْأَغْصَانِ الْمَجْدُولَةِ، امْتِدَادِ  
 مِنَ الشُّوَارِعِ الطَّيْنِيَّةِ وَالسَّقُوفِ الْقَشِّ وَالْبُيُوتِ الْخَشْبِيَّةِ. أَمَّا (الْبَلَدَةُ الْقَدِيمَةُ)  
 فَمَبْنِيَّةٌ بِالْحِجَارَةِ، وَشُورَاعُهَا كُلُّهَا مَعْبَدَةٌ بِحِجْرِ الْإِسْكَافِيِّ، بَلْ وَأَحْقَرُ أَزْقَتِهَا  
 كَذَلِكَ. لَا تَبْدُو الْمَدِينَةُ أَجْمَلُ أَبَدًا مِمَّا تَبْدُو عِنْدَ بَزْوِغِ الْفَجْرِ، فَعَرَبَ النَّهْرُ  
 تَصَطَّفُ دُورَ الرَّابِطَاتِ الْمَخْتَلِفَةِ عَلَى الصُّفَّةِ كَالْقَصُورِ، وَفِي اتِّجَاهِ الْمَنْبَعِ  
 تَرْتَفِعُ قِبَابٌ وَأَبْرَاجٌ (الْقَلْعَةُ) عَلَى الصُّفَّتَيْنِ، تَرْبِطُ بَيْنَهَا الْجُسُورُ الْحَجْرِيَّةُ  
 الْمَتْخِمَةُ بِالْقَاعَاتِ وَالْمَنَازِلِ، وَفِي اتِّجَاهِ الْمَصْبِ، أَسْفَلَ أُسُورِ (السِّيْتِ  
 الْحَجْرِيِّ) الرُّخَامِ السَّوْدَاءِ وَنَوَافِذِ الْمَقْنَطَرَةِ، تَحْتَشِدُ إِيْوَانَاتُ الْمَتَدَيِّنِ  
 كَأَطْفَالٍ مَجْتَمِعِينَ عِنْدَ قَدَمِي أَرْمَلَةٍ عَجُوزٍ مِنَ الْأَعْيَانِ.

ووراء كل هذا، حيث يتسع (نهر البتع) ويمتزج بـ(النهر الهامس)، يرتفع  
 (البرج العالي) وتتقد نار منارته في ضوء الفجر، ومن مكانه فوق جروف  
 (جزيرة المعركة) يقطع ظل المدينة كالسيف. من ولدوا ونشأوا في (البلدة  
 القديمة) يعرفون ساعات النهار عن طريق هذا الظل، ويزعّم بعضهم أنك  
 تستطيع أن ترى (الجدار) نفسه إذا وقفت على القمة. ربما لهذا السبب لم  
 ينزل اللورد لايتون من أعلى منذ أكثر من عقدٍ من الزمن، مفضلاً أن يحكم  
 مدينته من بين السحاب.

قعقت عربية جزاً مارةً بإيأت في طريق النهر وفي مؤخرتها خمسة خنازير  
 صغيرة تصرخ مذعورة، وقد تحاشاها إيأت في الوقت المناسب فتفادى أن  
 تتناثر عليه الفضلات التي أفرعتها امرأة من نافذة بالأعلى. ففكر: حين أصبح  
 مايستر في قلعة سأمطبي حصاناً، ثم إنه تعثر في حجرٍ وتساءل من يحاول أن  
 يخدع. لا سلسلة له، لا مقعد إلى مائدة عالية عند أحد اللوردات، لا حصان  
 أبيض طويلاً يركبه. سيُمضي أيامه في الإصغاء إلى نعيب الغدبان وتنظيف  
 ثياب المايستر الرئيس والجريث الداخليّة من بقع الغائط.

كان جاثياً على ركبته يحاول مسح ردائه من الطين حين سمع صوتاً يقول:  
 «طاب صباحك يا إيأت».



وكان الخيميائي واقفًا فوقه.

نهضَ پايت قائلاً: «اليوم الثالث... قلت إنك ستكون في (الرّيشة والدّورق)».

- «كنتَ مع أصدقائك، ولم أرغب في التّطهُّل على صُحبتكم». يرتدي الخيميائي معطف مُسافرين مزوّدًا بقلنسوة، بني اللّون ويخلو من أيّ علاماتٍ مميّزة، وقد بدأت الشّمس المشرقة تطلّ من فوق سقوف المباني وراء كتفه جاعلةً إبصار الوجه تحت القلنسوة صعبًا. «هل قرّرت ماذا تكون؟».

أيجب أن يجعلني أقولها؟ «أظنُّ أنني لص».

- «هذا ما حسبته».

أصعب ما في الأمر كان أن يركع على يديه ورُكبتيه ليسحب الصُّندوق المنيع من تحت فراش المايستر الرّئيس والجريّف، وعلى الرغم من أن الصُّندوق قويٌّ ومدعمٌ بالحديد، فقفله مكسور، وكان المايستر جورمون قد شكَّ في أن پايت قد كسره، لكن ذلك غير صحيح، فقد كسرَ والجريّف القفل بنفسه بعد أن فقدَ مفتاحه.

في الدّاخل وجدَ پايت كيسًا من الأياثل الفضيّة، وخُصلةً من الشّعر الأصفر مربوطةً بشريط، وصورةٌ منمنمةٌ مرسومةٌ لامرأةٍ تُشبه والجريّف (بما في ذلك الشّارب)، بالإضافة إلى قفّاز فارس مصنوع من الفولاذ المقعّر لتسهيل حركة اليد. يزعمُ والجريّف أن القفّاز كان ملكًا لأمير، ولكن يبدو أنه نسي أيُّ أميرٍ هو، ولمّا رجَّ پايت القفّاز سقطَ منه المفتاح على الأرض.

يذكرُ أنه فكّر لحظتها: إذا أخذته فأنا لص. المفتاح قديم وثقيل، مصنوع من الحديد الأسود، ويُفترضُ أنه يفتح كلّ باب في (القلعة). لا أحدٌ إلّا رؤساء المايسترات يحمل مفاتيح كهذه، ويحتفظ الآخرون بمفاتيحهم معهم طوال الوقت أو يخفونها في مكانٍ آمن، لكن لو أخفى والجريّف مفتاحه لما رآه أحدٌ ثانيةً أبدًا. اختطفَ پايت المفتاح، وكان قد قطعَ نصف الطّريق إلى الباب قبل أن يعود أدراجه ويأخذ الفضةَ أيضًا. اللّصُّ لصٌّ سواء أسرقَ القليل أم الكثير.

سمعَ أحد الغدّافان البيضاء يُناديه: «پايت، پايت، پايت!».

سألَ الخيميائي: «هل معك تبنّي؟».

- «إذا كان معك ما أطلبه».

قال پايت الذي لا ينوي أن ينخدع: «أعطني إياه، أريد أن أراه».  
- «طريق النَّهر ليس المكان المناسب. تعال».

لم يجد وقتًا لِيُفَكِّرَ، لِيَزِنَ خياراته. كان الخيميائي يتعد، وعلى پايت أن يتبعه أو يفقد روزي والتنين في آنٍ واحدٍ إلى الأبد. هكذا تبعه، وإذ مشيا دَسَّ يده في كُمِّه متحسِّسًا المفتاح الموضوع بأمانٍ في الجيب الخفي الذي خاطه هناك. ثياب المايسترات مليئة بالجيوب، وهو يعرف هذا منذ كان صبيًّا صغيرًا.

اضطرَّ إلى الهروغ كي يلحق بخطوات الخيميائي الواسعة. قطعاً زُقاقًا ودارا حول منعطفٍ وعبرا (سوق اللُّصوص) القديمة وسارا بطول (عطفة الزبَّالين)، وأخيرًا دخل الرَّجل زُقاقًا آخر أكثر ضيقًا من الأول، فقال پايت: «ابتعدنا بما يكفي. لا أحد في الجوار. سنُجري المبادلة هنا».

- «كما ترغب».

- «أريدُ تنيني».

- «بالتأكيد». وظهرت العُملَة، وراح الخيميائي يُنقلها على مفاصل أصابعه مثلما فعل حين أجرت روزي اللقاء بينهما، والتمع التنين في ضوء الصَّباح ملقيًا وهجًا ذهبيًّا على أصابع الخيميائي.  
التقطه پايت من يد الرَّجل ليحسَّ بدفء الذهب على راحته، ثم إنه رفعه إلى فمه وعصَّ عليه كما رأى النَّاس يفعلون، مع أن الحقيقة أنه لا يعرف مذاق الذهب، لكنه لم يُرد أن يبدو كالحمقى.

تساءل الخيميائي بنبرة مهذَّبة: «المفتاح؟».

جعل شيء ما پايت يتردَّد ويسأل: «هل تُريد كتابًا ما؟». يُقال إن بعض المخطوطات الفاليريَّة القديمة في الخزائن المغلقة هي آخر النُّسخ الموجودة في العالم.

- «ما أريده ليس من شأنك».

- «لا». انتهى الأمر. اذهب، اجر إلى (الرَيْشة والدُّورق) وأيقظ روزي بقُبلةٍ وقُلِّ لها إنها لك. هكذا فكَّر پايت، وعلى الرغم من هذا لم يتحرَّك وقال: «أرني وجهك».

قال الخيميائي: «كما ترغب»، وأنزل قلنسوته.

مجرّد رجل ووجهه مجرّد وجه، وجه رجل شاب، تقليدي، لحيته خفيفة للغاية ووجنتاه ممتلئتان، وعلى اليمينى ندبة باهتة، وأنفه معقوف وشعره الأسود الكثيف يتجمّع بشدّة حول أذنيه، ليس وجهًا مألوفًا لبايت الذي قال: «لستُ أعرفك».

- «ولا أنا أعرفك».

- «من أنت؟».

- «غريب، لا أحد حقًا».

- «أوه». كان الكلام قد نفذ من بايت، فأخرج المفتاح ووضعَه في كَفّ الغريب شاعرًا بالدُّوار يكاد يكتنف رأسه. قال لنفسه مذكرًا: روزي، ثم قال للرجل: «انتهينا إذن».

كان قد قطع نصف الزُّقاق حين أحسَّ بحجارة الرّصف تتحرّك تحت قدميه، ففكّر: الحجارة مبتلّة وزلّقة، لكن الأمر لم يكن كذلك. كان قلبه يدقُّ بعُنْفٍ في صدره، وقال شاعرًا بقدميه تستحيلان إلى ماء: «ماذا يحدث؟ لستُ أفهم».

قال صوت بحُزن: «ولن تفهم أبدًا».

مسرعةً، ارتفعت حجارة الشارع لتُقبّله، وحاولَ بايت أن يصيح طالبًا النجدة، إلا أن صوته تخلّى عنه أيضًا. وآخِر ما فكّر فيه كان روزي.



## النبي

كان النبي يُغرق عددًا من الرجال في (ويك الكبيرى) حين أتوه بنأ موت الملك.

في هذا الصباح البارد الكئيب تلون البحر مثل السماء بدرجة قاتمة من الرمادي، وكان أول ثلاثة رجالٍ قد قدّموا حياتهم للإله الغريق بلا خوف، لكن رابعهم ضعيف الإيمان، وقد بدأ يُقاوم بينما راحت رثناه تصرّحان طالبتين الهواء. واقفًا وسط الأمواج المتكسّرة المرتفعة حتى خصره، أطبق آرون على كتفي الصّبي العاري وعادّ يدفع رأسه تحت الماء وهو يُحاول انتزاع بضعة أنفاس، وقال له: «تشجّع. من البحر جئنا وإلى البحر نعود. افتح فمك وانهل من بركة الإله، املا رثتيك بالماء كي تموت وتولد من جديد. لن تُجديك المقاومة نفعًا».

إمّا أن الصّبي لم يسمعه ورأسه تحت الأمواج، وإمّا أن إيمانه تخلّى عنه بالكامل، إذ بدأ يركل ويتلوّى بضراوةٍ أرغمت آرون على طلب المساعدة، فأقبل أربعة من رجاله الغرقى خائضين ليقبضوا على المأفون ويثبتوه تحت الماء، وبصوتٍ عميق كالبحر نفسه صلى الراهب قائلًا: «إلهنا الذي غرق من أجلنا، اجعل خادمك إيموند يُولد ثانيةً من البحر كما وُلدت. باركه بالملح، باركه بالحجر، باركه بالفولاذ».

أخيرًا انتهى الأمر؛ كفت فقايع الهواء عن الخروج من فم الصّبي، وغادرت القوّة كلّها أطرافه، وطفًا إيموند على وجهه في مياه البحر الضّحلة، جسده شاحب بارد ساكن.

عندئذٍ انتبه ذو الشّعر الرّطب إلى وجود ثلاثة خيالة انضمّوا إلى رجاله

الغرقى على حصى الشاطئ. تعرّف آرون ابن سهار، العجوز ذا الوجه الطويل النحيف والعينين الدّامعتين، الذي يُعدُّ صوته الرَّاجف قانونًا في هذه المنطقه من (ويك الكُبرى)، وقد اصطحبه ابنه ستيفاريون وشاب آخر يرتدي معطفًا مبطنًا بالفرو الأحمر القاني، يُبَنِّه إلى كتفه مشبك منمَّق عليه رمز عائلة جودبراذر، البوق الحربي بلونيه الذهبى والأسود. أدرك الرَّاهب مَنْ يكون بمجرد النَّظر، وقال لنفسه: أحد أبناء جورولد. ثلاثة أبناء أنجبتهم زوجة جودبراذر في سنٍّ متأخرة بعد دستة من الفتيات، ويُقال إن لا أحد يستطيع التَّمييز بين الإخوة الثلاثة، فلم يتكرَّم آرون ذو الشَّعر الرُّطب بمجرد المحاولة. سواء أكان هذا جرايدون أم جورموند أم جران، فليس لدى الرَّاهب وقت له. زمجرَ بأمرٍ مقتضب، فقبضَ رجاله الغرقى على ذراعي الصَّبي الميت وساقيه ليحملوه فوق منسوب المياه، وتبعهم الرَّاهب عاريًا إلا من خرقه من جلد الفقمت تَسْتُرُ عورته. ببشرة مقشعرة يَقْطُرُ منها الماء عادَ إلى اليابسة خاطيًا فوق الرَّمال الباردة المبتلة والحصى الذي جلاه البحر، وناولَه أحد رجاله الغرقى ثوبًا من الخيش المبرقش بدرجات الأخضر والأزرق والرَّمادي، ألوان البحر والإله الغريق. ارتدى آرون الثوب وحلَّ خُصلات شَعْره، ذلك الشَّعر الأسود المبتل الذي لم تمسَّه شفرة منذ لفظه البحر، لينسدل علي كتفيه كمعطفٍ خفيف رَثٍ ويتجاوزَ خصره، وقد حبك آرون جدائل من الطَّحالب البحرية في ثناياه وفي لحيته المتشابكة الطليقة.

كوّن رجاله الغرقى حلقةً حول الصَّبي الميت وشرعوا في الصَّلَاة، وتولَّى نورچن تحريك ذراعيه بينما ركعَ روس فوقه منفرج السَّاقين وأخذَ يضغط على صدره، لكن الجميع أفسحوا الطَّريق لآرون، الذي دَسَّ أصابعه بين شفَتَي الصَّبي الباردتين وفتحهما، ثم أعطى إِموند قُبلة الحياة مرَّةً ثم أخرى ثم أخرى، إلى أن تدفق البحر من فمه، وبدأ الصَّبي يَسْعَلُ وَيَصُوقُ، وانفتحت عيناه المليئتان بالخوف.

واحد آخر يعود. يقولون إنها أمارة على مُحابة الإله الغريق، فكلُّ راهبٍ سواه يفقد رجلاً بين الحين والآخر، حتى تارل الغارق ثلاثاً الذي رآه النَّاسُ ذات يوم رجلاً تقيًّا للغاية، لدرجة أنه اختيرَ لأن يُتَّوَجَّ ملكًا بنفسه... الكل باستثناء ذِي الشَّعر الرُّطب الذي رأى أبهاء الإله المائيَّة رأي العين وعادَ

ليحكى عنها. قال للصَّبي الذي يَبْصُقُ الماء وهو يُرَبِّتُ على ظَهْرِهِ العاري: «انهض. لقد أُغْرِقْتَ وأُعدتْ إلينا. ما ماتَ لا يُمكن أن يموت أبداً».

غمغم الصَّبي: «بل يُبعث»، وسعل بعُنْفٍ مُخرِجاً المزيد من الماء. «يُبعث من جديد». كل كلمة ينقطها معاناة، لكن هذا ديدن العالم، ويجب أن يُكافِح المرء ليعيش. كرَّر إِموند: «يُبعث من جديد»، ونهَض بصعوبة مكملًا: «أقوى وأصلب». قال له آرون: «إنك تنتمي إلى الإله الآن»، وتجمَّع باقي الرِّجال الغرقى حول الصَّبي، لينال من كلِّ منهم لكَزَةً وقُبْلَةً على سبيل التَّرحيب به في أخوَّتِهِمْ. ساعده أحدهم على ارتداء ثوبٍ من الخيش المصبوغ بالأزرق والأخضر والرَّمادي، وقدم له آخر هراوةً من الخشب المجروف، فيما قال آرون: «إنك تنتمي إلى البحر الآن، ولذا سلَّحك البحر. ندعو إلهنا أن تحمل هراوتك بضراوةٍ ضد كلِّ أعدائه».

لحظتها فقط التفت الرَّاهب إلى الرَّاكبين الثلاثة الذين يُشاهدون من فوق خيولهم، وسألهم: «هل جئتم لتغرَّقوا أيها السَّادة؟».

سعل ابن سِبار، وأجاب: «لقد أُغْرِقْتُ في صباي، وابني يوم ميلاده». أطلق آرون نخيْرًا ساخرًا. لا شكَّ لديه في أن ستيفاريون سِبار وُهبَ إلى الإله الغريق عقب مولده، بل ويعرف الكيفيَّة أيضًا؛ غمسة سريعة في حوضٍ مليء بماء البحر الذي بلَّل رأس الرُّضيع بالكاد. لا عجب في أن حديديَّي الميلاذ قد فُهِروا، أولئك الذين كانوا مضى ييسطون سُلطانهم على كلِّ مكان يُسمَع فيه صوت الموج. خاطب الرَّاهب الرَّاكبين قائلاً: «ذلك ليس إغراقًا حقًا. مَنْ لا يموت فعلاً لا أمل له في العودة من الموت. لماذا أتيتم إذن إن لم يكن لإثبات إيمانكم؟».

أشار ابن سِبار برأسه إلى الشَّاب في المعطف الأحمر مجيبًا: «ابن اللورد جورولد جاء يسعى إليك حاملاً أخبارًا».

لا يبدو أن الصَّبي يتجاوز السَّادسة عشرة من العُمُر، وقد سأله آرون: «نعم، وأيُّهم أنت؟».

- «جورموند، جورموند جودبراذر، إذا سمح سيدي».  
- «الإله الغريق هو من يجب أن نطلب سماحه. هل أُغْرِقْتَ يا جورموند جودبراذر؟».

- «يوم ميلادي يا ذا الشَّعر الرَّطب. لقد أرسلني أبي لأجذك وآخذك إليه، يُريد أن يراك».

رَدَّ آرون: «هأنذا، فليات اللورد جورولد ويُمَتِّع نظره»، وتناول من روس قربةً جِلْدِيَّةً مملوءةً للتَّوْبَاءِ بِماءِ البحر، وخلعَ سِدَادَتِهَا وأخذَ رَشْفَةً. قال جوروموند الشَّابُّ بِإصرارٍ من فوق حصانه: «المفترَضُ أن آخذك إلى القلعة».

بخشى أن يترجَّلَ وإلَّا ابتلَّ حذاؤه. «إنني مشغول بعمل الإله». آرون جرائِچوي نبي، ولا يُطِيقُ أن يُلقِي عليه اللوردات التَّافهون الأوامر كأنه قِنٌّ<sup>(1)</sup> من الأَقنان.

قال ابن سِيار: «جورولد وصلَ إليه طائر». أضافَ جوروموند موكِّدًا: «طائر من المايستر في (بايك)». أجنحة سوداء، أخبار سوداء. «الغِدْفان تطير فوق الملح والحجارة. إذا كانت هناك أخبار تعنيني فتكلِّم الآن».

أجابَه ابن سِيار: «الأخبار التي نَحْمَلُهَا لأذنيك وحدك يا ذا الشَّعر الرَّطب، ليست أشياء أرغبُ في الكلام عنها هنا أمام هؤلاء الآخرين».

- «هؤلاء الآخرون رجالي الغرقى، خدم الإله، مثلي تمامًا، ولستُ أخفي أيَّ أسرارٍ عنهم أو عن إلهنا الذي أفضُّ عند بحره المقدَّس».

تبادلَ الرَّاكِبونَ نظرةً، ثم قال ابن سِيار: «أخبره»، فاستجمعَ الشَّابُّ في المعطف الأحمر شجاعته، وأعلن: «الملك مات». بهذه البساطة قالها، كلمتان صغيرتان لكن البحر نفسه ارتجفَ حين نطقَهما.

في (وستروس) ملوك أربعة، لكن آرون لم يحتجَ إلى سؤاله مَنْ يقصد. بالون جرائِچوي لا غيره كان حاكم (جُزر الحديد). الملك مات. كيف هذا؟ كان آرون قد رأى أخاه الأكبر قبل أقلَّ من دورة قمر، لَمَّا عادَ إلى (جُزر الحديد) من الإغارة على (السَّاحل الحجري). في غياب الرَّاهب ابِيصَّص

---

(1) القِنانة وضع اجتماعي واقتصادي ظهرَ في أوروبا خلال العصور الوُسطى، فكان القِنُّ يُجبر على خدمة السَّادة والعمل في أراضيهم وقلاعهم مقابل المأوى والملبس والحماية، وهو الاختلاف بينه وبين العبد. (المترجم).

نِصْفَ شَعْرِ بِالْوَنِ الْأَشْيَبِ، وَلَا حَتَّ انْحِنَاءَ كَتْفَيْهِ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ عِنْدَمَا أَقْلَعْتَ الشُّفْنَ الطَّوِيلَةَ مِنَ الْوَطَنِ، لَكِنْ إِجْمَالًا لَمْ تَبْدُ عَلَى الْمَلِكِ عِلَامَاتِ الْمَرَضِ.

لَقَدْ شَيَّدَ آرُونُ جَرَايِجُوعِي حَيَاتِهِ عَلَيَّ عِمَادَيْنِ رَاسَخَيْنِ، وَتَلَكَمَا الْكَلِمَتَانِ الصَّغِيرَتَانِ هَدَمْتَا أَحَدَهُمَا. لَمْ يَبْقَ لِي إِلَّا الْإِلَهَ الْغَرِيقُ، فَعَسَى أَنْ يَجْعَلَنِي قَوِيًّا مِثَابَرًا كَالْبَحْرِ. «أَخْبِرْنِي كَيْفَ مَاتَ أَخِي».

- «كَانَ جَلَالَتُهُ يَعْْبُرُ جَسْرًا فِي (بَايَكْ)، وَسَقَطَ لِيَتَحَطَّمْ جَسَدُهُ عَلَى الصُّخُورِ».

يَنْتَصِبُ مَعْقِلَ آلِ جَرَايِجُوعِي عَلَى لِسَانِ أَرْضِي مُحَطَّمٌ، حِصُونُهُ وَأَبْرَاجُهُ مَبْنِيَّةٌ فَوْقَ ثَلَاثِ كَوْمَاتٍ عِمْلَاقَةٍ مِنَ الْحِجَارَةِ الْمَرْتَفَعَةِ مِنَ الْبَحْرِ، وَتَرْبُطُ الْجَسُورِ بَعْضُ (بَايَكْ) بِبَعْضٍ؛ جَسُورٌ مَقْنَطَرَةٌ مِنَ الْحِجَرِ الْمُنْحَوْتِ، وَأُخْرَى مِتَّارِجِحَةٌ مِنَ الْأَلْوَاحِ الْخَشَبِيَّةِ وَحِبَالِ الْقَنْبِ.

سَأَلَهُمْ آرُونُ: «هَلْ كَانَتْ الْعَاصِفَةُ ثَائِرَةً حِينَ سَقَطَتْ؟».

أَجَابَهُ الشَّابُّ: «نَعَمْ، كَانَتْ ثَائِرَةً».

أَعْلَنَ الرَّاهِبُ: «إِلَهَ الْعَوَاصِفِ أَطَاحَ بِهِ». مِنْذُ أَلْفِ أَلْفِ عَامٍ وَالْحَرْبُ بَيْنَ الْبَحْرِ وَالسَّمَاءِ مَضْطَرَمَةٌ. مِنَ الْبَحْرِ جَاءَ حَدِيدِيُو الْمِيلَادِ وَالْأَسْمَاكُ الَّتِي يِقْتَاتُونَ بِهَا حَتَّى فِي عُمُقِ الشِّتَاءِ، لَكِنْ الْعَوَاصِفُ لَا تَأْتِي إِلَّا بِالْوَيْلِ وَالْحُزْنِ. «أَخِي بِالْوَنِ جَعَلْنَا عِظَامًا مِنْ جَدِيدٍ، وَهُوَ مَا جَلَبَ عَلَيْهِ غَضَبُهُ إِلَهَ الْعَوَاصِفِ. إِنَّهُ يَأْكُلُ وَلِيْمَةً الْآنَ فِي أَبْهَاءِ الْإِلَهِ الْغَرِيقِ الْمَائِيَّةِ، حَيْثُ تُلَبِّي عِرَائِسَ الْبَحْرِ كُلَّ رَغْبَةٍ لَهُ، وَعَلَيْنَا نَحْنُ الْبَاقُونَ فِي هَذَا الْوَادِي الْمَوْحَشِ الْيَابِسِ أَنْ نَتَمَّ عَمَلُهُ الْعَظِيمُ»، وَدَسَّ آرُونُ السُّدَادَةَ فِي قُرْبَةِ الْمَاءِ مَضِيْفًا: «سَأَتَكَلَّمُ مَعَ السَّيِّدِ وَالذِّكِّ. كَمْ الْمَسَافَةُ مِنْ هُنَا إِلَى (هَامْرَهُورِن)؟».

- «سِتَّةُ فَرَاسِخٍ. سَتَرْكَبُ مَعِي».

- «وَاحِدٌ يَرْكَبُ أَسْرَعَ مِنْ اثْنَيْنِ. أَعْطِنِي حِصَانَكَ وَسَيَّارِكَ الْإِلَهَ

الْغَرِيقُ».

قَالَ سَتَيْفَارِيونَ سِپَارَ: «خُذْ حِصَانِي يَا ذَا الشَّعْرِ الرَّطْبِ».

- «لَا، حِصَانُهُ أَقْوَى. حِصَانَكَ يَا فَتَى».

تَرَدَّدَ الشَّابُّ لِحِظَّةٍ خَاطِفَةً قَبْلَ أَنْ يَتَرَجَّلَ وَيُمْسِكَ الْعِنَانَ لِآرُونِ، الَّذِي



دَسَّ قَدَمًا سَوْدَاءَ حَافِيَةً فِي أَحَدِ الرَّكَابَيْنِ، ثُمَّ وَثَبَ فَوْقَ السَّرَجِ. إِنَّهُ لَيْسَ مَغْرَمًا بِالخِيُولِ، فَهِيَ مَخْلُوقَاتٌ مِنَ الْأَرْضِي الْخَضْرَاءِ تُسَاعِدُ عَلَى إِضْعَافِ الْبَشَرِ، لَكِنِ الْحَاجَةُ تُجْبِرُهُ عَلَى الرُّكُوبِ. أَجْنَحَةُ سَوْدَاءَ، أَخْبَارُ سَوْدَاءَ. ثَمَّةٌ عَاصِفَةٌ فِي طُورِ الْمِيْلَادِ، بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَسْمَعَهَا فِي الْأَمْوَاجِ، وَالْعَوَاصِفُ لَا تَجْلِبُ إِلَّا الشُّرُورَ. قَالَ لِرَجَالِهِ: «قَابِلُونِي فِي (بِلْدَةِ الْحَصَى) أَسْفَلَ بُرْجِ اللُّورْدِ مَرْلِينَ»، وَأَدَارَ رَأْسَ حِصَانِهِ وَانْطَلَقَ.

الطَّرِيقُ وَعَرٌّ، وَقَدْ مَضَى آرُونُ فِيهِ صَاعِدًا تَلَالًا وَمَجْتَازًا غَابَاتٍ وَأَخَادِيدَ حَجْرِيَّةً مَحْدُودَةً، ثُمَّ قَطَعَ دَرَبًا ضَيِّقًا أَخَذَ يَخْتَفِي بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخَرِ تَحْتَ حَوَافِرِ الْحِصَانِ. (وَيْكَ الْكُبْرِي) أَوْسَعُ (جُزْرِ الْحَدِيدِ)، ضَخْمَةٌ لِدَرَجَةٍ أَنْ لَعْدِيدٍ مِنْ لُورْدَاتِهَا أَمْلَاكًا لَا تَطَّلُ عَلَى الْبَحْرِ الْمُقَدَّسِ، وَجُورُولِدُ جُودِرِبْرَاذِرُ أَحَدِ هَؤُلَاءِ، فَقَلَعْتُهُ مَقَامَةً فِي تَلَالِ (الْحَجَرِ الصُّلْبِ)، أَعْبَدَ عَنْ مَلَكُوتِ الْإِلَهِ الْغَرِيقِ مِنْ أَيِّ مَكَانٍ آخَرَ فِي الْجُزْرِ كُلِّهَا، وَيَكْدَحُ قَوْمُهُ فِي ظُلْمَةِ مَنَاجِمِهِ الْحَجْرِيَّةِ تَحْتَ الْأَرْضِ، حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ يَعِيشُ وَيَمُوتُ دُونَ أَنْ يَرَى الْمِيَاهَ الْمَالِحَةَ وَلَوْ مَرَّةً. لَا غُرُوبَ أَنْ قَوْمًا كَهَؤُلَاءِ فَاسَدُوا الطَّبَاعَ وَغُرَبَاءَ الْأَطْوَارِ. وَبَيْنَمَا رَكِبَ آرُونُ تَحَوَّلَتْ أَفْكَارُهُ إِلَى إِخْوَتِهِ.

تِسْعَةُ أَبْنَاءَ وَوُلْدُوا مِنْ صُلْبِ كُويلُونِ جِرَايِچُوي سَيِّدِ (جُزْرِ الْحَدِيدِ). هَارْلُونُ وَكُويلِتُونُ وَدُونِلُ أَنْجَبَتْهُمُ زَوْجَةُ اللُّورْدِ كُويلُونِ الْأُولَى الَّتِي كَانَتْ مِنْ عَائِلَةِ سْتُونْتِرِي، وَبَالُونُ وَيُورُونُ وَفِيكَتَارِيُونُ وَيُورِيچُونُ وَآرُونُ جَاءُوا مِنْ زَوْجَتِهِ الثَّانِيَةِ الَّتِي كَانَتْ مِنْ آلِ سَنْدِرْلِي أَوْلَادِ (جُزْرِ الْمَلْحِ)، أَمَّا زَوْجَتُهُ الثَّلَاثَةُ فَكَانَتْ فِتْنَةً مِنَ الْأَرْضِي الْخَضْرَاءِ أَعْطَتْهُ ابْنًا أَحْمَقَ سَقِيمًا اسْمُهُ رُوبِنُ، الْأَخُ الَّذِي يُسْتَحْسَنُ أَنْ يُنْسَى. لَا يَذْكُرُ الرَّاهِبُ كُويلِتُونُ أَوْ دُونِلُ الَّذِينَ مَاتَا وَأَظْفَارُهُمَا لَا تَزَالُ نَاعِمَةً، وَهَارْلُونُ يَذْكُرُهُ بِشَكْلِ ضَبَابِي، جَالِسًا بَثْبَاتٍ وَوَجْهٍ رَمَادِي فِي غُرْفَةِ بُرْجِ بِلَا نَوَافِذَ، يَتَكَلَّمُ بِهَمْسٍ يَخْفَتُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ وَالذَّاءُ الْأَرْمَدُ يُحِيلُ شَفْتَيْهِ وَلسَانَهُ إِلَى حَجَرٍ. ذَاتَ يَوْمٍ سَنَحْتَفِلُ بِمَادِيَةٍ مِنَ الْأَسْمَاكِ مَعًا فِي أَبْهَاءِ الْإِلَهِ الْغَرِيقِ الْمَائِيَّةِ، نَحْنُ الْأَرْبَعَةُ وَمَعْنَايُورِي أَيْضًا.

تِسْعَةُ أَبْنَاءَ وَوُلْدُوا مِنْ صُلْبِ كُويلُونِ جِرَايِچُوي، لَكِنِ أَرْبَعَةٌ مِنْهُمْ فَقَطَ عَاشُوا وَبَلَّغُوا بَيْنَ الرُّجُولَةِ. إِنَّهُ سَمِتَ هَذَا الْعَالَمَ الْبَارِدَ، حَيْثُ يَصْطَادُ الرُّجَالُ مِنَ الْبَحْرِ وَيَحْفَرُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَمُوتُونَ، بَيْنَمَا تَلِدُ النِّسَاءُ أَطْفَالَ قِصَارَ الْأَجْلِ

في أسرة الدّم والألم. آرون أصغر وأدنى الكراكين<sup>(1)</sup> الأربعة، وبالون أكبرهم وأجرأهم، صبي قويٌّ مقدام لم يعيش إلا لإعادة حديدِّي الميلاد إلى مجدهم التليد. في سنِّ العاشرة تسلَّق (جُروف الصَّوان) إلى بُرج اللورد الأعمى المسكون، وفي الثالثة عشرة كان بإمكانه أن يُبحر بسفينةٍ طويلة ويَرُقُص رقصة الأصابع ببراعة أيِّ رجل من الجُزر، وفي الخامسة عشرة أبحر مع داجمر ذي الفكِّ المفلوق إلى (الأعتاب) وأمضى صيفاً في الإغارة، وهناك قتل رجلاً للمرة الأولى واتخذ لنفسه أول زوجتين ملحيّتين، وفي السابعة عشرة صار بالون رُبَّاناً على سفينته الخاصّة. كان بالون كلِّ ما ينبغي أخ كبير أن يكونه، مع أن آرون لم ير منه إلا الازدراء. كنتُ ضعيفاً ومحملاً بالخطايا، والازدراء أكثر مما استحققتُ. خير لي أن يزدريني بالون الشُّجاع من أن يُجيني يورون عين الغراب. لكن إذا أفعمت السُّنون والأحزان بالون بالمرارة، فقد جعلته أيضاً أشدَّ عزمًا من أيِّ رجل على قيد الحياة. لقد وُلدَ ابنًا للورد ومات ملكًا، قتله إله غيور، والآن العاصفة آتية، عاصفة لم تشهد لها هذه الجُزر مثيلاً.

كان الظلام قد حلَّ منذ مدّةٍ طويلة عندما لمح الرَّاهب سُرفات (هامرهورن) ذات البروزات الحديد الحادّة تخدش وجه القمر الهلال. قلعة جورولد ضخمة متناسقة البناء، حجارتها الكبيرة مقتلعة من الجُرف اللّائح وراءها، وأسفل أسوارها تفتح مداخل الكهوف والمناجم العتيقة متشابّهة كأفواه سوداء بلا أسنان. وجد آرون بؤابة (هامرهورن) الحديدية مغلقة وموصدة مع حلول الليل، فدقَّ عليها بصخرة إلى أن أيقظ الصّبحيح أحد الحرس.

الشَّاب الذي أدخله كان نُسخةً من جورموند الذي أخذ حصانه، فسأله آرون: «أيُّهم أنت؟».

- «جران. أبي ينتظرك في الدّاخل».

دخل الرَّاهب القاعة الرّطبة المملّأ بالظُّلال وتيارات الهواء، حيث قدّمت له إحدى بنات جورولد قرناً من المِزر، وحرّكت أخرى جمر نارٍ متواضعة ينبعث منها دُخان أكثر من الحرارة، فيما انشغل جورولد جودبراذر نفسه

(1) الكراكين وحش بحري أسطوري عملاق يظهر على سطح البحر كجزيرة، وله أذرع أخطبوطية طويلة تلتف حول الشُّفن وتُغرقها. (المترجم).

بحديثٍ خفيضٍ مع رجلٍ نحيلٍ في رداءٍ رماديٍّ أنيقٍ، يضع حول عنقه سلسلةً حلقاتها من مختلفِ المعادن، معلنةً أنه مايستر من (القلعة).

سألَ جورولد حالما رأى آرون: «أين جورموند؟».

- «عائد على قدميه. اصبر فتاتيك يا سيدي، والمايستر أيضًا». إنه لا يُكِنُّ أيَّ وُدٍّ للمايسترات، فغدافانهم من مخلوقات إله العواصف، كما أنه لا يثق بأساليبهم في العلاج منذ ما حدث ليوري. لا رجل حقيقياً يختار حياةً من العبودية أو يسعى إلى تكوين سلسلةٍ قنٍ يضعها حول عنقه.

قال جودبراذر باقتضاب: «جايزلا، جوين، أتركانا، وأنت أيضًا يا جران. المايستر مورنمور سيبقي».

رَدَّ آرون بإصرار: «سيذهب».

- «هذه قاعتي يا ذا الشعر الرطب، وليس لك أن تُقرَّر من يبقى ومن يذهب. المايستر سيبقي».

قال آرون لنفسه: الرَّجُلُ يجاب بعيداً جداً عن البحر، ثم خاطبَ جودبراذر معلناً: «إنني راحل إذن»، وأصدرَ الحصرير الجاف حقيقياً تحت قدميه الحافيتين السوداوين المشققتين إذ دارَّ وبدأ بيتعد، وقد بدا له أنه ركبَ كلَّ هذه المسافة بلا طائل. كان قد بلغَ الباب تقريباً حين تنحَنح المايستر، وقال: «يورون عين الغراب جالس على كرسي حجر اليم».

التفتَ ذو الشعر الرطب، وقد ازدادت برودة القاعة فجأةً. عين الغراب على الجانب الآخر من العالم. بالون طرده منذ عامين وأقسم أن يدفع حياته ثمناً إذا عاد. قال بصوتٍ مبحوح: «أخبرني».

وأخبره جورولد جودبراذر: «لقد رسا في (لوردزپورت) بعد موت الملك بيوم واحد وأخذَ القلعة والتَّاج باعتباره أكبر إخوة بالون، والآن يُرسلُ غدافانا لاستدعاء الرَبابنة والملوك من كلِّ جزيرةٍ إلى (بايك) ليركعوا له ويُبَاعِعوهُ ملكاً عليهم».

قال آرون ذو الشعر الرطب دون أن يزن كلماته: «لا، لا حَقَّ إلَّا لمؤمن في الجلوس على كرسي حجر اليم. عين الغراب لا يعبدُ إلَّا كبرياءه».

تساءلَ جودبراذر: «كنتَ في (بايك) منذ فترةٍ قصيرةٍ ورأيت الملك، فهل ذَكَرَ لك شيئاً عن الخلافة؟».

نعم. كانا قد تكلمنا في (بُرج البحر) بينما تعوي الرِّيح خارج النَّوافذ وتتكسَّر الأمواج بلا انقطاع في الأسفل، وهَزَّ بالون رأسه بقنوطٍ حين أخبره آرون بما جرى لابنه الحيِّ الأخير، وقال: «الدُّئاب أضعفته كما خشيتُ. أدعو الإله أنهم قتلوه، كي لا يعترض طريق آشا». في هذا كان بالون أعمى البصيرة، إذ رأى نفسه في ابنته الجامحة العنيدة واعتقد أنها تستطيع أن تخلفه. كان مخطئًا، وقد حاولَ آرون أن يُخبره بهذا، فقال بإصرار: «لا امرأة ستحكُم حديديَّ الميلاد أبدًا، حتى لو كانت امرأة كآشا»، إلا أن بالون اعتاد أن يصمَّ أذنيه عن كلِّ ما لا يرغب في سماعه.

قبل أن يُجيب الرَّاهب جورولد جودبراذر، انفتحَ فم المايستر ثانيةً ليقول: «شرعًا كُرسي حجر اليم من حقِّ ثيون، أو آشا إذا مات الأمير. إنه القانون.» ردَّ آرون باحتقار: «قانون الأراضي الخضراء، ما قيمته عندنا؟ إننا حديدُّو الميلاد، أو لاد البحر ومختارو الإله الغريق. ليس من حقِّ امرأة أن تحكُمنا، أو من حقِّ أيِّ رجل كافر.»

سألَ جورولد جودبراذر: «وفيكتاريون؟ الأسطول الحديدي تحت قيادته. هل سيطلبُ فيكتاريون بالحكم يا ذا الشعر الرطب؟» بدأ المايستر يتكلم: «يورون الأخ الأكبر...».

غير أن آرون أخرسه بنظرة. في فُرى الصَّيد الصَّغيرة والقلاع الحجرية العظيمة علي حدِّ سواء، نظرة كهذه من ذي الشعر الرطب كفيلة بإصابة الفتيات بالدوار ودفع الأطفال إلى الهروع صارخين إلى أمهاتهم، والآن كانت أكثر من كافية كي يلوذ هذا العبد مغلول العُنق بالصَّمت. قال الرَّاهب: «يورون الأكبر، لكن فيكتاريون أتقى.»

سأله المايستر: «هل ستقوم الحرب بينهما إذن؟».

- «يجب ألا يُريق حديدُّو الميلاد دماء حديديَّ الميلاد.»

قال جودبراذر: «فكرة ورعة يا ذا الشعر الرطب، لكنها ليست فكرة يُشارِكك أخوك إياها. لقد أمرَ بإغراق ساوان بوتلي لقلوه إن كُرسي حجر اليم من حقِّ ثيون شرعًا.»

- «إذا غرِق فلم تُرق دماء.»

تبادلَ المايستر واللورد نظرةً، ثم قال جورولد جودبراذر: «عليَّ أن أرسل

خبراً إلى (بايك) قريباً، وأريدُ نصيحتك يا ذا الشَّعر الرَّطب. ماذا سيكون إذن؟  
البيعة أم العصيان؟».

شدَّ آرون شَعر لحيته مفكِّراً: لقد رأيتُ العاصفة، واسمها يورون عين  
الغُراب، ثم أجاب اللورد قائلاً: «لا تُرسل إلا الصَّمت في الوقت الحالي.  
يجب أن أصلي قبل أن أجيب».

قال المايستر: «صلِّ كما تشاء، لكن ذلك لن يُغيِّر القانون. ثيون الوريث  
الشَّرعي، وبعده آشا».

هدر آرون: «صمتاً! لطالما أصغى حديديو الميلاد إليكم أيها المايسترات  
مغلولو الأعناق وأتمت تُثرثرون عن الأراضي الخضراء وقوانينها. حان الوقت  
لأن نُصغي للبحر مجدداً، حان الوقت لأن نُصغي لصوت الإله». تردَّد صوته  
في القاعة الملأى بالدُّخان رناناً مفعماً بالقوة لدرجة أن جورولد جودبراذر  
ومياستره لم يجروءا على الرَّد. الإله الغريق معي، وقد أراني السَّبيل.

عرض عليه جودبراذر أن يقضي اللَّيل مستريحاً في القلعة، لكن الرَّاهب  
رفض، فنادراً ما ينام تحت سقف قلعة، ولا ينام أبداً على هذا البُعد من البحر.  
«سأعرف الرَّاحة في أهباء الإله الغريق المائيَّة تحت الأمواج. لقد وُلدنا لنُعاني  
ونستمدُّ القوَّة من معاناتنا. لستُ أطلبُ إلا حصاناً جديداً يحملني إلى (بلدة  
الحصى)».

أسعدَ جودبراذر أن يُزوِّده بالحصان، وأرسلَ ابنه جرايدون أيضاً ليُري  
الرَّاهب الطَّريق الأقصر عبر التُّلال إلى البحر. كانت تفصلهما عن الفجر  
ساعة كاملة حين تحرَّكا، لكن حصانيهما قويَّان ثابتا الخُطى، وقد قطعاً مسافةً  
لا بأس بها على الرغم من الظَّلام. أغلقَ آرون عينيه وردَّد دعاءً صامتاً، وبعد  
قليل بدأ الوسن يتتابه وهو راكب.

جاءه الصَّوت بخفوت، صرخة مفصلة الباب الصَّدئة. تتمم: «يوري»،  
واستيقظ خائفاً. لا توجد مفصلة هنا، لا باب، لا يوري. فأس مقذوفة بتَّرت  
نصف يد يوري وهو في الرَّابعة عشرة من العُمر بينما يرقُص رقصة الأصابع  
في غياب أبيه وإخوته الأكبر في الحرب. كانت زوجة اللورد كويلون الثالثة  
من آل بايبر أولاد (قلعة العذراء الوردية)، فتاة ذات تدينين كبيرين غَضَّين  
وعيني ظبية بنيتين، وبدلاً من علاج يد يوري على النَّهج القديم بالنَّار وماء

البحر تركته لِمَايسترها القادم من الأراضي الخضراء بدوره، فأكد الرَّجُل أنه يستطيع أن يخيط الأصابع المبتورة في مكانها، وقد فعلَ هذا ثم استخدمَ أدويةً وكماداتٍ وأعشابًا، لكن اليد تعفنت وأصيبَ يوري بالحُمى، ولَمَّا بترَ المَياستر ذراعه كاملةً كان أو ان إنقاذه قد فات.

لم يرجع اللورد كويلون من رحلته الأخيرة، إذ أنعمَ عليه الإله الغريق بالموت في البحر. اللورد بالون هو من رجِعَ ومعه أخواه يورون وفيكتاريون، وحين سمعَ بالون بما أصابَ يوري بترَ ثلاثة من أصابع المَياستر بساطور طاهٍ وأرسلَ زوجة أبيه ابنة بايپر لتخيطها لتأتي الأدوية والكمادات بالنتيجة نفسها مع المَياستر كما فعلتَ مع يوريجون، فماتَ الرَّجُل وهو يهذي، وسرعان ما تبعته زوجة اللورد كويلون الثالثة بينما أخرجت القابلة فتاةً جهيضةً من رحمها. سُرَّ آرون لهذا، وقد بترتَ أصابع يوري بفأسه هو في أثناء رقصهما رقصة الأصابع معًا كما يفعلُ الأصدقاء والإخوة.

ما زالَ يَشعُرُ بالخزي كلما تذكَّرَ السنين التي تلتَ موتَ يوري. في سنِّ السَّادسة عشرة وصفَ نفسه بالرُّجولة، لكن الحقيقة أنه لم يكن أكثر من جوال نبيذٍ بساقين، وقد تعودَ أن يُعني وَيَرْفُص -ولكن ليس رقصة الأصابع التي كَفَّ عنها تمامًا- ويمزح ويثرثر ويسخر من النَّاس، بالإضافة إلى العزف على المزمار وممارسة ألعاب الحواة وركوب الخيل، والقدرة على الشرب أكثر من آل وينش وآل بوتلي كافة، ونصف آل هارلو أيضًا. الإله الغريق يمنح كلَّ رجل موهبةً، حتى هو، فلم يكن هناك من يُمكنه أن يبول أطول أو يُوجِّه بوله أبعدَ من آرون جرايچوي، كما أثبتَ في كلِّ مأدبة. في مرَّةٍ راهنَ بسفينته الطويلة الجديدة مقابل قطع من الماعز على أنه يستطيع أن يُطفئ نارَ مستوقِدٍ بقضيبه لا أكثر، والتهمَ آرون لحم الماعز طيلة عام كامل وسمَّى سفينته (العاصفة الذهبية)، وإن هدده بالون بتعليقه من صاريها حين عرفَ شكل المدك الذي أرادَ أخوه أن يُركِّبه على مقدِّمتها.

في النِّهاية غرقتَ (العاصفة الذهبية) عند (الجزيرة القصية) خلال ثورة بالون الأولى، وقد شطرها نصفين قادم (1) حربي هائل اسمه (الثورة)، لَمَّا

---

(1) القادس نوع من السُّفن المزوَّدة بمجاديف، يتميَّز ببدنه الطويل الرِّفيع، والقدرة على الملاحة في الظروف غير المواتية، واستُخدم في الحرب والتجارة والقرصنة. (المترجم).

أوقع ستانيس باراثيون فيكتاريون في فخّه وحطّم الأسطول الحديدي. على أن الإله لم يفرغ من آرون وحمله إلى الشاطئ، حيث أسره بعض الصيادين وساقوه إلى (لانسپورت) مكبلاً بالأغلال، ففضى بقيّة الحرب في أعماق (كاسترلي روك) مثبتاً أن الكراكن تستطيع أن تبول أطول وتوجّه بولها أبعد من الأسود أو الخنازير البريّة أو الدجاج.

ذلك الرّجل مات. لقد غرق آرون وبُعِثَ من جديد من البحر نبيّاً للإله، لا يحسّ خوفاً من أيّ رجل فانّ ولا يحسّه من الظلام... أو الذّكريات، عظام الرّوح. صوت بابٍ يفتح، صرّخة مفصلة صدئة. يورون جاء ثانيةً. لا يهيم. إنه الرّاهب ذو الشعر الرّطب، محبوب الإله.

سأله جرايدون جودبراذر وقد بدأت الشّمس تُضيء التّلال: «هل ستقوم حرب؟ حرب بين أخ وأخيه؟».

- «إذا شاء الإله الغريق. ليس لكافر أن يجلس على كرسي حجر اليم.»  
لكن عين الغراب سيقاتل، هذا مؤكّد. لا امرأة تستطيع أن تهزمه، ولا حتى آشا، فالنساء مخلوقات لخوض معاركهن في فراش الولادة. أمّا ثيون - إذا كان حيّاً - فلا رجاء منه أيضاً، مجرد صبيّ يعبس ويتسم لا أكثر. لقد برهن في (وينترفل) على قيمته المحدودة أصلاً، لكن عين الغراب ليس صبيّاً قعيّداً. أسطح سفينة يورون مطلية بالأحمر كي تُخفي الدّماء التي تشبعت بها ألواحها. فيكتاريون، يجب أن يكون الملك فيكتاريون وإلّا دمّرنا العاصفة جميعاً.

تركه جرايدون عندما ارتفعت الشّمس في السّماء، ليحمل خبر موت بالون إلى أبناء عمومته في أبراجهم بـ(الحفرة العميقة) و(قلعة قرن الغراب) و(بحيرة الجثث)، وواصل آرون الطّريق وحده صاعداً تلالاً ونازلاً إلى وديان صغيرة، يقطع درباً حجريّاً أخذ يتّسع ويظهر عليه ناس أكثر مع اقترابه من البحر. في كلّ قرية توقّف ليعط، وفي ساحات اللوردات الصّغار أيضاً، وقد قال للأهالي بصوت عميق كالمحيط راعدٍ كالموج: «من البحر وُلدنا وإلى البحر نعود جميعاً. في غضبته انتزع إله العواصف بالون من قلعه وأطاح به، والآن يأكل وليمة تحت الأمواج في أبهاء الإله الغريق المائيّة»، ورفع يديه متابعاً: «مات بالون! مات الملك! لكن ملكاً جديداً سيحيء! عسى الميت ألا يموت أبداً، بل يُبعث من جديد أقوى وأصلب! سيأتينا ملك!».

ألقى بعض من سمعوه معازفهم ومعاولهم ليتبعوه، وهكذا حين سمعَ الأمواج تتكسَّر كانت دسِّة من الرِّجال تمشي وراء حصانه، وقد مسَّهم الإله وانتابتهم الرِّغبة في الغرق.

تضمُّ (بلدة الحصى) عدَّة آلاف من الصَّيَّادين الذين شيَّدوا أكواخهم حول قاعدة منزلٍ مرَبَّع يرتفع بُرج من كلِّ رُكنٍ من أركانه، وهناك وجدَّ آرون أربعين من رجاله الغرقى في انتظاره مخيِّمين على شاطئِ رماله رماديَّة، في خيام من جلد الفقمات ومآوٍ من الخشب المجروف. أيديهم اخشوشنت من الماء المالح، وخلَّفت فيها الشِّباك والصَّنارات النَّدوب، وغلظتها المجاذيف والمعاول والفؤوس، لكن الآن تحمل تلك الأيدي هراواتٍ من الخشب المجروف قويَّة كالحديد، إذ سلَّحهم الإله من ترسانته في أعماق البحر.

كانوا قد بنوا للرَّهب مأوى فوق منسوب المياه مباشرةً، وقد زحف داخلًا إياه شاعرًا بالسرور بعد أن أغرق أتباعه الجُدُد، ثم صلَّى: إلهي، حدِّثني بهدير الموج ودلِّني على ما يجب أن أفعله. الرِّبانية والملوك ينتظرون كلمتك. من سيكون ملكنا بدلاً من بالون؟ غنِّ لي بلُغة اللُّويثانات<sup>(1)</sup> كي أعرف اسمه. أخبرني بإلهي الساكن تحت الأمواج، من يملك القوَّة لمواجهة العاصفة الثائرة في (بابك)؟

على الرِّغم من الإرهاق الذي أصابته به الرِّحلة إلى (هامرهورن)، ظلَّ آرون ذو الشَّعر الرُّطب يتقلَّب متململاً في فراشه داخل المأوى المبنى بالخشب المجروف وتحت سقفه المصنوع من الطَّحالب البحريَّة السَّوداء، وقد احتشدت السُّحب حاجبةً القمر والنَّجوم، وجثم الظَّلام الدَّامس على البحر كما يجثم على روحه. بالون أثرَ آشا ابنة جسده، لكن ليس لامرأة أن تحكُم حديدِيَّ الميلاذ. لا بدُّ أن يكون الملك فيكتاريون. تسعة أبناء وُلِدوا من صُلب كويلون جرايچوي، وفيكتاريون أصلبهم، رجل قوي كالثيران، شجاع ومطيع. وفي هذا يكمن الخطر. الأخ الصَّغير مدين بالطاعة لأخيه الكبير، وفيكتاريون ليس بالرَّجل الذي يُبحر ضد تيار التَّقاليد. لكنه لا يحبُّ يورون منذ ماتت المرأة.

من الخارج، بصوتٍ أدنى من غطيظ رجاله الغرقى وعويل الرِّيح، تناهت

(1) اللُّويثان وحش بحري أسطوري هائل الحجم، له سبعة رؤوس. (المترجم).



إلى مسامحة دقات الأمواج، مطرقة إلهه تستدعيه إلى المعركة. خرج آرون من مأواه الصَّغير إلى برد الليل، وعارياً وقف، شاحباً هزليلاً طويلاً، وعارياً خاض في البحر الأسود المالح. كانت المياه باردةً كالجليد، لكنه لم يجفل من تربيته إلهه، وانكسرت موجة على صدره جاعلةً إياه يترنَّح، والثَّالية انكسرت فوق رأسه. تذوق الملح على شفثيه وأحسَّ بالإله يحفه وبجلال أغنيته يتردد في أذنيه. تسعة أبناء وُلدوا من صُلب كويلون جرايچوي، وكنتُ أذناهم، ضعيفاً خائفاً كالفتيات، لكنني لم أعد كذلك. ذلك الرَّجل غرقَ ومدَّني الإله بالقوَّة. أحاط به البحر المالح البارد واحتضنه، مدَّ يده مخترقاً لحمه البشري الضَّعيف ومسَّ عظامه. العظام، عظام الرُّوح، عظام بالون ويوري. الحقيقة في عظامنا، فاللحم يفنى والعظام تبقى، وعلى (تل ناجا) عظام (بهو الملك الأشيب)... وهزليلاً وشاحباً ومرتجفاً، عادَ آرون ذو الشَّعر الرُّطب إلى الشَّاطئ رجلاً أكثر حكمةً مما كان عندما خاض في البحر، إذ عثر على الإجابة في عظامه وصارَ الطَّريق جلياً أمامه. كان الليل بارداً للغاية لدرجة أن البُخار بدا كأنه ينبعث من جسده وهو يمشي بشموخ عائداً إلى مأواه، لكن في قلبه اضطربت النَّار، وأتاه النَّوم بسهولة هذه المرَّة، دون أن يُوقظه صراخ المفصلات الحديد. حين استيقظ وجدَّ النَّهار صافياً قويَّ الرِّيح، وأفطرَ على مرق المحار وطحالب البحر المطبوخ فوق نارٍ حطبها من الخشب المجروف. لم يكذب يفرُّغ من الطَّعام حتى نزل ابن مرلين من منزله يسعى إليه مع نصف دستة من رجاله، فقال له ذو الشَّعر الرُّطب: «الملك مات».

- «نعم وصل إلي طائر، والآن وصل آخر». ابن مرلين رجل أصلع مستدير الجسد وممتلئ، يُلقب نفسه بـ«اللورد» على غرار أهل الأراضي الخضراء، ويرتدي الفراء والمخمل. «هناك عُذاف يستدعيني إلى (بايك) والثَّاني إلى (البروج العشرة). أنتم أيها الكراكين لكم أذرع كثيرة كفيلة بتمزيق المرء إرباً. ما قولك أيها الرَّاهب؟ أين أرسل سُفني الطويلة؟».

(البروج العشرة) مقرُّ سيِّد (هارلو)، وهو ما جعلَ آرون يُقْطَب وجهه ويسأل: «تقول (البروج العشرة)؟ أيُّ كراكين يستدعيك إلى هناك؟».

- «الأميرة أشا. لقد أبحرت إلى الوطن، والقارئ أرسلَ عُذافاً يستدعي جميع أصدقائها إلى (هارلو). يقول إن بالون أرادَ أن يكون كُرسي حجر اليم لها».

قال الرَّاهِب: «الإله الغريق سيُقرَّر من يجلس على كُرسي حجر اليم. اركع كي أباركك»، فركَع اللورد مرلين على رُكبتيه، وخلعَ آرون سِدادة قِربته وصَبَّ خيطاً من ماء البحر على رأس الرَّجل الأُصلع مبتهلاً: «إلهنا الذي غرقَ من أجَلنا، اجعل خادمك ملدريد يُوكِّد ثانيةً من البحر. بارِكه بالملح، بارِكه بالحجر، بارِكه بالفولاذ». سألَ الماءَ عليَّ وجنَّتي ملدريد مرلين اللحيَمَين ليتخلَّلَ لحيته ومعطفه المصنوع من فرو الثعالب، في حين ختمَ آرون صلواته: «عسى الميت ألا يموت أبداً، بل يُبعث من جديدٍ أقوى وأصلب»، لكن عندما نهَضَ مرلين قال له: «ابقِ وأصغِ كي تُنشرَ كلمة الإله».

على بُعد ثلاثة أقدام من حافة الماء تتكسَّر الأمواج حول جُلُمودِ دائري من الجرانيت، وعليه وقفَ آرون ذو الشَّعر الرُّطب ليراه جميع أتباعه ويسمعوه، ثم بدأ يتكلَّم كما فعلَ مئة مرَّة من قبل بقوله: «من البحر وُلدنا وإلى البحر نعود جميعاً»، قبل أن يُتابع: «في غضبته انتزعَ إله العواصف بالون من قلعتة وأطاحَ به، والآن يأكل وليمةً تحت الأمواج»، ورفعَ يديه صائِحاً: «مات الملك! لكن ملكاً جديداً سيُجيء! عسى الميت ألا يموت أبداً، بل يُبعث من جديدٍ أقوى وأصلب!».

هتفَ الرَّجال الغرقى مجيبين: «سيأتينا ملك!».

قال ذو الشَّعر الرُّطب: «سيأتي، يجب أن يأتي، لكن مَنْ؟»، وأصغى لحظةً ولم يسمع رَدًّا إلا من الأمواج، فكَّرَ: «مَنْ سيكون ملكنا؟».

بدأ الرَّجال الغرقى يضربون بعض هراواتهم ببعض هاتفين: «ذو الشَّعر الرُّطب! ذو الشَّعر الرُّطب ملكاً! آرون ملكاً! أعطينا ذا الشَّعر الرُّطب!».

هَزَّ آرون رأسه نفيّاً، وقال: «إذا كان لأبِّ ابنان، أعطى أحدهما فأسا والثاني شبكةً، فأيهما يُريد أن يكون مُحارباً؟».

صاحَ روس مجيباً: «الفأس للمُحارب والشبكة لصيِّاد البحر».

- «نعم. لقد أخذني الإله إلى الأعماق تحت الموج وأغرِقَ الشَّيء الحقيق الذي كنته، ولَمَّا لفظني البحر وهبَ لي عينين أرى بهما وأذنين أسمع بهما وصوتاً أنشرُ بها كلمته، كي أكون نبيّه الذي يُعلِّم حقيقته لمن نسوا. إنني لم أُخلَق للجلوس على كُرسي حجر اليم... وكذا يورون عين الغراب، ذلك أني سمعتُ الإله يقول: ليس لكافرٍ أن يجلس على كُرسي حجر اليم!».

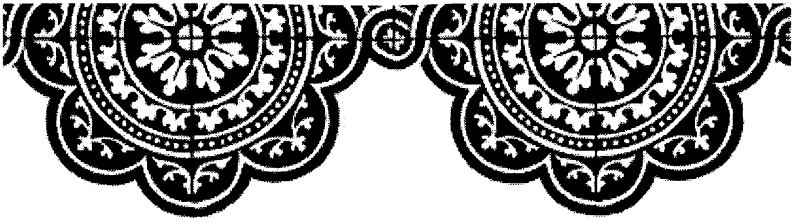
عقدَ ابن مرلين ذراعيه على صدره متسائلاً: «أهي آشا إذن؟ أم فيكتاريون؟  
أخبرنا أيها الرَّاهب!».

قال آرون: «الإله الغريق سيُخبركم، ولكن ليس هنا»، وأشار إلى وجه  
مرلين الأبيض البدين مواصلاً: «لا تتطلَّعوا إليَّ أو إلى قوانين البشر، بل  
إلى البحر. ارفع أشرعتك وأنزل مجاذيفك يا سيدي وخذ نفسك إلى (ويك  
القديمة)، أنت وجميع الرِّبابة والملوك. لا تذهبوا إلى (بايك) لتركعوا  
للكافر، ولا إلى (هارلو) لتُخادِنوا النِّساء المتآمرات، بل وجَّهوا سُفنكم إلى  
(ويك القديمة)، حيث كان (بهو الملك الأشيب). باسم الإله أستدعيكم،  
أستدعيكم جميعاً! اتركوا قاعاتكم وبيوتكم، اتركوا قلاعكم وحصونكم،  
وارجعوا إلى (تل ناجا) لتُقيموا انتخاب الملك!».

حدَّق ابن مرلين إليه قائلاً: «انتخاب الملك؟ لم يحدث أن أقيم انتخاب  
ملكٍ حقيقي منذ...».

قاطعَه آرون محزوناً: «... زمنٍ طويلٍ للغاية! لكن في فجر الزَّمان كان  
حديدُو الميلاد يختارون ملوكهم ويرفعون الأجدر بينهم. آنَ أوان العودة  
إلى نهجنا القديم، فما من شيءٍ غيرهِ سيردُ إلينا عظمتنا. بانتخاب الملك  
اختيرَ أوراس ذو القدم الحديد ملكاً أعلى ووضِعَ تاج من الخشب المجروف  
على رأسه، وسايلاس ذو الأنف الأفتس، وهاراج هور، والكرَاكين العجوز،  
جميعهم رفعهم انتخاب الملك، ومن انتخاب الملك هذا سيأتينا رجل يتمُّ  
العمل الذي بدأه الملك بالون ويستردُّ لنا حرِّيَّتنا. أقول مجدداً ألا تذهبوا إلى  
(بايك) أو بروج (هارلو) العشرة، بل اسعوا إلى (تل ناجا) وعظام (بهو الملك  
الأشيب)، ففي ذلك المكان المقدَّس، عندما يغرق القمر ويطلع من جديد،  
سنختار لأنفسنا ملكاً يستحقُّ، ملكاً مؤمناً!»، وعادَ يرفع يديه النَّاحلتين مردفاً:  
«أصغوا! أصغوا إلى الأمواج! أصغوا إلى الإله! إنه يكلِّمنا ويقول لنا: لا ملك  
إلاً بانتخاب الملك!».

قال قوله هذا فعالي هدير الحاضرين، ومن جديد دقَّ رجاله الغرقى بعض  
هراواتهم ببعض هاتفين: «انتخاب، انتخاب، انتخاب! لا ملك إلا بانتخاب  
الملك!»، وكان لضجيجهم دويٌّ لا بُدَّ أن عين الغراب سمعَه في (بايك) وسمعَه إله  
العواصف في بهوه وسط السَّحاب، وعلمَ آرون ذو الشَّعر الرُّطب أنه أحسنَ البلاء.



## قائد الحرس

بصوتٍ متعبٍ علّق الأمير حين دحرج القائد كُرسِيَه المتحرك إلى الشُرْفَة:  
«الْبُرْتَقَالِ الدَّمَوِي نَضَجَ أَكْثَرَ مِمَّا يَنْبَغِي».

وبَعْدَهَا مَرَّتْ سَاعَاتٌ دُونَ أَنْ يَتَكَلَّمَ مَرَّةً أُخْرَى.

ما قاله عن البُرْتَقَالِ صَحِيحٌ، وَكَانَ بَعْضُ الثَّمَارِ قَدْ سَقَطَ لِيَنْفَطِرَ عَلَيِ الرُّخَامِ الْوَرْدِيِّ الْبَاهِتِ، لَتُفْعِمَ الرَّائِحَةَ اللَّادِعَةَ الْحُلُوةَ أَنْفَ آرِيو هُو تَا مَعَ كُلِّ نَفْسٍ يَلْتَقِطُهَا. لَا رَيْبَ أَنَّ الْأَمِيرَ يَشْمُهَا أَيْضًا وَهُوَ جَالِسٌ تَحْتَ الْأَشْجَارِ عَلَيِ الْكُرْسِيِّ الْمَتَحَرِّكِ الَّذِي صَنَعَهُ لَهُ الْهَيْاسْتَرُ كَالْيُوتِ، بِوَسَائِدِهِ الْمَحْشُوءَةَ بِرَيْشِ الْإِزُوزِ وَعَجَلَتَيْهِ الثَّقِيلَتَيْنِ الْمَصْنُوعَتَيْنِ مِنْ خَشَبِ الْأَبْنُوسِ وَالْحَدِيدِ.

فِتْرَةٌ طَوِيلَةٌ مَرَّتْ لَمْ يُسْمَعْ فِيهَا صَوْتُ إِلَّا لِلْأَطْفَالِ الْعَائِمِينَ فِي الْمَسَابِحِ وَالنَّوَافِرِ، وَفِي مَرَّةٍ ارْتِطَامِ بُرْتَقَالَةٍ أُخْرَى بِأَرْضِ الشُّرْفَةِ وَانْفِطَارِهَا، قَبْلَ أَنْ تَنْتَاهِيَ إِلَى مَسَامِعِ قَائِدِ الْحَرَسِ دَقَّاتِ الْحِذَاءِ الْخَافِتَةِ عَلَيِ الرُّخَامِ آتِيَةً مِنْ جَانِبِ الْقَصْرِ الْبَعِيدِ.

أُوبَارَا. يَعْرِفُ مَشِيَّتَهَا الطَّوِيلَةَ الْمَتَعَجِّلَةَ الْغَاضِبَةَ، وَلَا بُدَّ أَنْ حِصَانِهَا فِي الْإِسْطَبْلِ الْآنَ، غَارِقٌ فِي الرِّغْوَةِ<sup>(1)</sup> وَيَنْزِفُ مِنْ عُنْفِ هَمْزِهَا. دَائِمًا مَا تَمْتَطِي أُوبَارَا الْفُحُولَ، وَقَدْ سَمِعَهَا النَّاسُ تَقُولُ مَزْهُوَّةً إِنَّهَا تَسْتَطِيعُ تَرْوِيضَ أَيِّ حِصَانٍ فِي (دُورِن)... وَأَيُّ رَجُلٍ كَذَلِكَ. سَمِعَ الْقَائِدُ أَيْضًا خَطَوَاتٍ سَرِيعَةً لِقَدَمَيْنِ أُخْرَيْنِ، وَقَدْ جَدَّ الْهَيْاسْتَرُ كَالْيُوتِ السَّيْرَ بِخَفِيهِ اللَّيْنَيْنِ لِيَلْحَقَ بِهَا.

---

(1) عندما تعرق الخيول نتيجةً للمجهود الشديد، تخرج من مسامها مادة رغوِيَّة يتسبب بروتين معين في إفرازها. (المترجم).

دائمًا تمشي أوبارا ساند مسرعةً، تُطارد شيئًا لا تستطيع الإمساك به أبدًا، كما سمع القائد الأمير يقول لابنته ذات مرة.

حين ظهرت تحت القطرة الثلاثية، دفع آريو هوتا فأسه الطويلة إلى الجانب ليسد الطريق، الفأس ذات الرأس المثبت على قناة من خشب الدردار الجبلي طولها ستة أقدام، فلم تستطع أوبارا الدوران من حولها، وقال لها القائد مدمدمًا بصوته الجهير المثل بلكنات (نورثوس): «لا تقتربي أكثر يا سيديتي، الأمير لا يريد أن يُزعجه أحد».

قبل أن يتكلم كان وجهها حجرًا... ثم قسا. قالت له: «أنت في طريقي يا هوتا». أوبارا ساند أكبر أفاعي الرمال سنًا، امرأة كبيرة العظام تُقارب الثلاثينات من العمر، ورثت عينيها الضيقتين وشعرها البني كفرو الجردان من عاهرة (البلدة القديمة) التي ولدتها. تحت معطفها المفصل من الحرير الرملي<sup>(1)</sup> المبرقش بالذهبي والبني المائل إلى الرمادي ترتدي ثياب ركوب من الجلد البني اللين البالي، وتلك الثياب أرق ما فيها. على أحد وركيها تُثبت سوطًا ملفوفًا، وعلى ظهرها تضع تُرسًا من الفولاذ والنحاس، أمّا حربتها فتركتها في الخارج، وهو ما أشعر آريو هوتا بالامتنان، فعلى الرغم من سرعتها وقوتها فإنه يعلم أنها ليست نداءً له... لكنها لا تعلم، وهو لا يرغب في رؤية دمائها مرقاةً على الرُخام الوردي الباهت.

نقل المايستر كاليوت ثقله من ساقٍ إلى ساقٍ قائلاً: «ليدي أوبارا، حاولت أن أقول لك...».

- «هل يعرف أن أبي مات؟»، سألت أوبارا القائد دون أن تُعير المايستر اهتمامًا أكثر من ذبابة، هذا إذا كانت هناك ذبابة بالحماقة الكافية لأن تطنّ حول رأسها.

أجاب القائد: «نعم، وصل إليه طائر».

جاء الموت (دورن) محمولًا على جناحي غُداف، مكتوبًا بخط صغير ومختومًا بلطخة من الشمع الأحمر اليابس. لا بُدَّ أن كاليوت قد حَمَّن ما

---

(1) الحرير الرملي نوع خشن من الحرير يُنعم بفركه بالزمل، ويُساعد على عدم ارتفاع حرارة الجسد في الأجواء الحارة. (المترجم).

تحتويه الرّسالة، إذ أعطى هوتا إياها كي يُسَلِّمها للأمير، فشكره هذا وإن قضى وقتًا طويلًا للغاية دون أن يكسر الختم، وجلس طيلة فترة الأصيل وفي حجره الرّق، يُشاهد الأطفال يلعبون، وظلّ يُشاهد إلى أن غابت الشّمس ودفعه هواء المساء البارد إلى الدُّخول، ثم أخذ يُشاهد انعكاس ضوء النُّجوم على الماء، ولمّا طلع القمر أرسل هوتا يُحضّر شمعةً ليقرا رسالته تحت شجر البُرْتقال في ظلام اللّيل.

مستت أوبارا سوطها قائلة: «الآلاف يقطعون الرّمال سيرًا على الأقدام ويصعدون إلى (طريق العظام) ليُسَاعِدُوا إلاريا على إعادة أبي إلى الوطن. السّپتات مزدحمة عن آخرها بالنّاس، والرّهبان الحُمَر أشعلوا نار معبدهم. في بيوت الهوى تُعاشر النّسوة كلّ رجل يأتيهن ويرفُضن الأجر. في (صنسيپير)، على (الدّراع المكسورة)، بطول ضفّاف (الدّم الأخضر)، في الجبال وفي عمق الرّمال، في كلّ مكان، في كلّ مكان تُمزّق النّساء شعرهن ويصرُخ الرّجال غضبًا، والسؤال نفسه يتردّد على كلّ لسان: ماذا ستفعل (دورن)؟ ماذا سيفعل أخو أميرنا القليل انتقامًا له؟»، ودنت من القائد مضيفة: «وتقول إنه لا يرغب في أن يُزعجه أحد!».

كرّر آريو هوتا: «لا يرغب في أن يُزعجه أحد».

يعرف قائد الحرس الأمير الذي يحرسه. ذات يوم في زمن بعيد أتى شابٌ غر من (نورفوس)، صبيٌّ كبير الجسد عريض المنكبين له شعر أسود فاحم. ذلك الشّعر أبيض الآن، وذلك الجسد يحمل ندوب معارك عديدة... لكن قوّته لم تتخلّ عنه، وفأسه الطّويلة يُحافظ على حدّتها دومًا كما علّمه الرّهبان الملتحون. قال لنفسه: لن تمرّ، ولها قال: «الأمير يُشاهد الأطفال يلعبون، وليس مسموحًا بلزاعجه أبدًا بينما يُشاهد الأطفال يلعبون».

قالت أوبارا ساند: «هوتا، ستزيح نفسك عن طريقي وإلا أخذت هذه الفأس...».

أتى الأمر من ورائه مقاطعًا إياها بصوتٍ مبجوح: «أيها القائد، دعها تمرّ، سأتكلم معها».

سحب آريو هوتا فأسه الطّويلة معيدًا إياها إلى وضعها العمودي وأخذ خطوةً إلى الجانب، ورمقته أوبارا بنظرةٍ طويلةٍ أخيرة ثم مرّت به مسرعةً وفي

أعقابها المايستر. لا يتعدى كاليوت الأقدام الخمسة طولاً، وله رأس أصلع كالبيضة ووجه شديد النعومة والامتلاء لدرجة أنك لا تستطيع أن تُحْمَن سِنّه الفعلية، لكنه هنا من قبل القائد، بل وخدم أم الأمير كذلك، وعلى الرغم من سِنّه وحجمه فلا يزال رشيقي الحركة بما فيه الكفاية وبالغ الذكاء، ولو أنه يتسم بالخنوع. ليس نذاً لأيّ من أفاعي الرّمال.

في ظلّ أشجار البُرْتقال جلس الأمير علي كُرسِيّه رافعاً ساقيه المصابتين بالنّقرس أمامه، وتحت عينيه أكياس ثقيلة... إلّا أن هوتا يجهل إن كان مصدر أرقه الحُزن أم النّقرس. في الأسفل ما زال الأطفال يلعبون في النّوافير والمسابح، أصغرهم لا يتجاوز الخامسة وأكبرهم لا يتجاوز العاشرة، مزيج من الصّبية والفتيات، وباستطاعة هوتا أن يسمعهم يَنثرون المياه ويتصايحون بأصوات عالية حادّة. قال الأمير عندما جثت المرأة على رُكبتها أمام الكُرسى المتحرّك: «لم يمضِ وقت طويل منذ كنتِ واحدةً من هؤلاء الأطفال في المسابح يا أوبرا!».

ردّت ساخرةً: «مضى ما يقرب من عشرين عاماً، كما أنني لم أبقِ طويلاً هنا. إنني ابنة العاهرة، أم أنك نسيت؟»، ولَمّا لم يُجب نهضت ووضعت يديها على وركيها قائلةً: «لقد اغتيل أبي».

قال الأمير دوران: «لقد قُتِل في نزالٍ فردي خلال محاكمة بالقتال. طبّقاً للقانون ليس هذا اغتيالاً».

- «كان أخاك!».

- «نعم».

- «وماذا تنوي أن تفعل بشأن موته؟».

دور الأمير كُرسِيّه بصعوبة ليواجهها. على الرغم من أنه لم يتجاوز الثانية والخمسين، فإن دوران مارتل يبدو أكبر كثيراً، جسده واهن مشوّه تحت ثيابه الكتّان، وقدماه من الصّعب النّظر إليهما، إذ ألهب النّقرس مفاصله وخصّبها بالأحمر على نحوٍ بشع، فصارت رُكبته اليسرى كحبة تفاح، واليمنى كحبة شَمّام، واستحالت أصابع قدميه إلى حبات عنب حمراء قانية تبدو ناضجة عن آخرها كأن لمسةً واحدةً كفيفة بفلقها. مجرد ثقل غطاءٍ خفيف يجعله يرتجف ألماً، مع أنه يتحمّله بلا شكوى. ذات مرّة سمعه القائد يقول لابنته: الصّمت

صديق الأمراء. الكلام كالسَّهام يا آريان، ما إن ينطلق فلا سبيل لاستعادته.  
قال الأمير: «لقد كتبتُ للورد تايوين...».

- «كتبت؟ لو كنت نصف الرجل الذي كانه أبي...»  
- «أنا لستُ أباك».

قالت أوبارا بصوتٍ مفعَم بالازدراء: «أعرفُ هذا».  
- «تريديني أن أذهب إلى الحرب».

- «إنني أعقل من هذا. لن تضطرَّ إلى القيام من كُرسيِّك حتى. دعني أنا  
أنتقمُ لأبي. إن لديك جيشًا في (ممر الأمير)، والورد يرونود لديه جيش آخر  
على (طريق العظام). سلَّمني قيادة أحدهما ونيم قيادة الثاني، دَعها تسلك  
(طريق الملوك) بينما أخرجُ لوردات (التخوم) من قلاعهم وأدورُ لأزحف  
على (البلدة القديمة)».

- «وكيف تأملين في السَّيطرة على (البلدة القديمة)؟».

- «يكفيني نهبا. ثروة عائلة هايتاور...».

- «أهو الذهب ما تُريدن؟».

- «ما أريده هو الدَّم».

- «الورد تايوين سيُسلِّمنا رأس الجبل».

- «ومن سيُسلِّمنا رأس اللورد تايوين؟ لطالما كان الجبل حيوانه المدلَّل».

أشارَ الأمير إلى المسابح قائلاً: «أوبارا، انظري إلى الأطفال إذا سمحتِ».

- «لا أسمعُ. سيرضيني أكثر أن أظعن اللورد تايوين بحربتي في بطنه.

سأجعله يُعني (أمطار كاستامير) بينما أنتزعُ أحشاه وأبحثُ فيها عن الذهب».

ردَّ الأمير: «انظري، هذا أمر».

كان بعض الأطفال الأكبر سنًا متمدِّدين على بطونهم على الرُّخام الوردية

الأملس لتُحمَّصهم الشَّمس، في حين سبَح بعضهم في البحر أمام القصر،

وانشغل ثلاثة منهم ببناء قلعةٍ من الرَّمْل تُحاكي (بُرج الحربة) في (القصر

القديم)، واجتمعَ عشرون أو أكثر في المسبح الكبير ليُشاهدوا المعارك

الدائرة بين الأطفال الأصغر حجماً الرَّاكبين على أكتاف كبار الحجم، وقد

خاضوا حتى الخصر في المياه الضَّحلة وراح كل منهم يُحاول إسقاط الآخر

في الماء، وكلِّما سقطَ زوجان تبع صوت سقوطهما الضَّحك المدوي. شاهدًا



فتاةً بشرتها بنيةٌ كالجوز تسحب صبياً فاتح الشعر من على كتفي أخيه لتسقطه مقلوباً في مياه المسبح.

قال الأمير: «كان أبوك يلعب هذه اللعبة نفسها ذات يوم، مثلما لعبتها قبله. كان أصغر مني بعشرة أعوام، وحين كبر بما يكفي لأن يلعبها كنت قد كفتُ عن نزول المسابح، لكنني اعتدتُ أن أشاهده كلما أتيتُ لزيارة أمنا. كم كان قوياً، حتى في صباه، وسريعاً كثعابين الماء. كثيراً ما رأيته يُسقط صبيةً أكبر منه حجماً بكثير، وقد ذكّرني بهذا يوم غادرَ إلى (كينجز لاندنج)، وأقسم أنه سيفعلها مرّةً أخرى، وإلا لما سمحتُ له بالذهاب».

رددتُ أوبارا: «سمحت له بالذهاب؟»، وضحكتُ مردفةً: «كأن كنت تستطيع أن تمنعه. أفعوان (دورن) الأحمر كان يذهب حيثما يشاء».

- «صحيح. ليت لديّ كلام أواسيك به...».

قاطعته بصوتٍ مليءٍ بالاستهانة: «لم آتِ طلباً لمواساتك. يوم جاء أبي يأخذني لم تُردني أمّي أن أذهب معه، وقالت له: إنها فتاة، ولا أظنُّ أنها ابنتك. لقد عاشرتُ ألف رجل غيرك، فألقى حربته عند قدمي ولطمَ أمّي بظهر يده على وجهها، وقال لها وهي تبكي: فتاة أو فتى، كلنا نخوض معاركنا، لكن الآلهة تتركنا نختار أسلحتنا، وأشار إلى الحربة ثم إلى دموع أمّي، فالتقطتُ الحربة، وقال أبي: قلتُ لك إنها ابنتي، وأخذني. استغرقتُ أمّي في الشراب حتى ماتت قبل أن ينقضي العام، ويقولون إنها كانت تبكي وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة»، ودتُ أوبارا أكثر من الأمير في كُرسية مضيئة: «دعني أستخدمُ الحربة، لستُ أطلبُ أكثر من هذا».

- «إنه طلب كبير يا أوبارا. سأفكرُ في الأمر وأتخذُ القرار بعدما أناأم».

- «لقد نمت طويلاً للغاية بالفعل».

- «ربما تكونين محقّة. سأرسلُ لك خبراً في (صنسيبر)».

قالت أوبارا: «ما دامَ خبر الحرب»، ودارت على عقيبتها وغادرتُ غاضبةً كما أتت، عائدةً إلى الاسطبل من أجل حصانٍ جديد توطئةً لانطلاقه متهورّة أخرى على الطريق.

بقيَ المايستر كالبوت بجسده المستدير وقامته القصيرة، وسأل: «هل تؤلمك ساقاك يا سمو الأمير؟».

ابتسم الأمير بشحوب قائلاً: «هل الشمس ساخنة؟».

- «هل أجلبُ دواءً للألم؟».

- «لا، أحتاجُ إلى الاحتفاظ بقدرتي على التفكير».

تردّد المايستر لحظةً قبل أن يقول: «سموّ الأمير، هل... هل من الحكمة أن تسمح لليدي أوبارا بالعودة إلى (صنسيير)؟ مؤكّد أنها ستلهب مشاعر العامة. لقد أحبّوا أخاك كثيرًا».

قال الأمير: «كلّنا أحببناه كثيرًا»، وضغطَ بأصابعه على صدغيه مضيّفًا: «لا، أنت محقّ. يجب أن أعود إلى (صنسيير) أيضًا».

عادَ الرّجل المستدير الصّغير يتردّد قبل أن يسأله: «أهذا تصرّف حكيم؟».

- «ليس حكميّا لكنه ضروري. الأفضل أن تُرسل خيّا إلى ريكاسو وتجعله يفتح مسكني في (برج الشمس)، وبلغ ابنتي آريان أنني سأصل غدًا».

أميرتي الصّغيرة. كم يفتقدها قائد الحرس.

قال المايستر محدّرًا: «سوف يراك النّاس».

يفهم القائد ما يعنيه. قبل عامين، حين رحلوا من (صنسيير) إلى سكيّنة (الحدائق المائيّة) وعزّلتها، لم يكن نقرس الأمير دوران بهذا السوء. في تلك الأيام كان لا يزال يمشي -ولو ببطء- متكئًا على عكّازٍ وتلتوي قسماته ألمًا مع كل خطوة، لكن الأمير لم يُرد أن يعرف أعداؤه كم صارَ ضعيفًا، و(القصر القديم) ومدينته الظليلة مليئان بالأعين. أعينٌ وسلالمٌ لا يستطيع أن يصعدّها. عليه أن يطير كي يبلغ قمّة (برج الشمس).

قال الأمير: «يجب أن يراني النّاس. لا بُدّ أن يُهدّئ أحدهم الموقف، ولا بُدّ من تذكير (دورن) بأنّها ما زال لها أمير»، وابتسم بوهنٍ مضيّفًا: «حتى إن كان عجوزًا أقعدّه النقرس».

قال كاليوت: «إذا عدت إلى (صنسيير) فعليك أن تلتقي الأميرة مارسلا. سيكون فارسها الأبيض معها... وأنت تعلم أنه يكتب رسائل لملكته».

- «أظنّ هذا».

فكّر القائد عابسًا: الفارس الأبيض. كان السير آريس قد جاء (دورن) ليعتني بأمرته، تمامًا كما جاء آريو هوتا مع أميرته هو ذات يوم. حتى الاسمين متشابهان على نحوٍ غريب: آريو وآريس، لكن الشّابّه بينهما لا يتعدّى هذا، إذ

ترك القائد (نورفوس) ورهبانها الملتحين، أمّا السير آريس أوكهارت فما زال يخدم العرش الحديدي. يشعُر هوتا بنوع معيّن من الحزن متى رأى الرّجل في معطفه النَّاصع الطّويل كلّما أرسله الأمير إلى (صنسيبير)، ويحسُّ أن يومًا سيأتي ويتقاتل فيه الاثنان، وفي ذلك اليوم سيموت أوكهارت بجمجمة هُشمتها فأس القائد الطّويلة. مرّ يده على قناة الفأس الملساء متسائلًا إن كان ذلك اليوم يدنو.

كان الأمير يقول: «الأصيل في نهايته. سنتنظر حتى الصّباح. احرص على أن يكون هودجي جاهزًا مع أول خيوط الضّوء». حتى كاليوت رأسه قائلاً: «كما تأمر»، وتنحّى القائد جانبًا ليجعله يمرُّ، وأصغى إلى خطواته المبتعدة.

قال الأمير بصوتٍ خافت: «أيها القائد».

تقدّم هوتا مطوّقًا فأسه الطّويلة بيده وشاعرًا بنعومة الدردار كأنه بشرة امرأة على كفّه، ولمّا بلغ الكرسي المتحرّك دقّ الأرض بكعبها بقوة معلنًا حضوره، لكن الأمير ظلّ مسلطًا عينيه على الأطفال وحدهم، وسأله: «هل كان لك إخوة في صباك في (نورفوس) أيها القائد؟ أو أخوات؟».

أجاب هوتا: «الاثنان، أخوان وثلاث أخوات. كنتُ أصغرهم». أصغرهم وغير مرغوب فيّ، فمّ آخر يحتاج إلى الطّعام، صبيٌّ كبير يأكل كثيرًا وسرعان ما كبرَ على ثيابه. لا عجب أن أهله باعوه للرّهبان الملتحين.

قال الأمير: «كنتُ الأكبر، ومع ذلك فأنا الأخير. بعد موت مورس وأوليغار في مهديهما تخليتُ عن الأمل في أن يكون لي إخوة. حين وُلدتُ إليا كنتُ في التّاسعة، مرافقًا أخدم على (ساحل الملح)، وعندما وصل إلينا الغداف حاملًا خبر ولادة أمّي مبكرًا بشهرٍ كامل، كنتُ كبيرًا بما فيه الكفاية لأن أفهم أن الطّفل لن يعيش، وحتى عندما أخبرني اللورد جارجالن بأن أمّي أنجبت لي أختًا أكّدتُ له أنها ستموت قريبًا، لكنها عاشت برحمة (الأم)، وبعد عام وصل أوبرين يصرخُ ويركُل. كنتُ رجلًا بالغًا وهما يلعبان في هذه المسابح، لكن هأنذا جالس هنا بينما رحل كلاهما».

لم يدِرِ آريو هوتا بِمِ يردُّ. إنه مجرد قائد حرس، ولم يزل غريبًا على هذه الأرض وإلهها ذي الوجوه السّبعة، حتى بعد كلِّ تلك السنين. اخدم، أطع،

احم. هذه هي اليمين التي حلفها وهو في السادسة عشرة من العمر، يوم تزوج فأسه. يمين بسيطة لرجل بسيط كما قال الرهبان الملتحون، لكنه ليس مدرّباً على نصيحة الأمراء الحزّاني.

كان ما زال يبحث عن كلام يردُّ به حين سقطت بُرْتقالة أخرى بصوتٍ ثقيل على بُعد أقلّ من قدم من حيث يجلس الأمير، وقد جفَل دوران للصوت كأنه أَلَمَه بوسيلةٍ ما، ثم أنه تنهَّد وقال: «كفى، يكفي هذا. اتركني يا آريو، دعني أشاهد الأطفال بضع ساعاتٍ أخرى».

عندما غربت الشمس اكتسب الهواء شيئاً من البرودة ودخل الأطفال بحثاً عن العشاء، ومع ذلك ظلَّ الأمير جالساً تحت أشجار البُرْتقال متطلّعاً إلى المسابح الساكنة ومن ورائها البحر. جلب له أحد الخدم وعاءً من الزيتون الأرجواني مع الخُبز المدورّ والجُبنة ومعجون الحمّص، فأكل القليل وشرب كأساً من النيذ الحلو القوي الذي يحبه، ولمّا فرغت الكأس عادَ يملأها. أحياناً في ساعات الصّباح السّوداء يغلبه النّوم وهو جالس في مكانه، وعندئذٍ فقط دحرج القائد كُرسِيه في الشّرفة المضاءة بنور القمر مارّاً بصفٍّ من الأعمدة الرّفيعة وتحت قنطرةٍ أنيقة، ودخل به حُجرة تطلُّ على البحر فيها فراش عليه ملاءات خفيفة من الكتّان. أنّ دوران عندما حرّكه القائد، لكن الآلهة كانت رحيمةً ولم يستيقظ.

تُجاور حُجيرة نوم القائد حُجرة الأمير، وهناك جلس على السّرير الضيّق والتقط المشحذ والقماش المزيت من كُوتهما وبدأ يعمل. يوم وسموه قال له الرهبان الملتحون أن يُحافظ على حدّة فأسه، وهذا ما التزمه دائماً.

وبينما سنّ هوتا الفأس اتّجهت أفكاره إلى (نورفوس)، إلى المدينة العالية على التلّ والمدينة الواطئة على النّهر. ما زال بإمكانه أن يسمع أصوات الأجراس الثلاثة؛ جلجلة (نوم) العميقة التي كانت تبعث الرّجفة في عظامه ذاتها، ودقات (نارا) القويّة الفخور، وضحكات (نايل) الفضيّة العذبة. من جديد ملأ فمه مذاق الكعك الشّتوي الغني بالزّنجبيل وجوز الصّنوبر وقطع الكرز، والذي يتلوه شراب الناشا، وهو حليب ماعز مخمّر منكّه بالعسل يُقدّم في كوب من الحديد. رأى أمّه في فُستانها ذي الياقة المصنوعة من فرو السّناجب، الذي اعتادت أن ترتديه مرّةً واحدةً فقط في العام، عند ذهابهم

لمشاهدة الدُّببة تَرْقُص على (سلاالم الخُطاة)، وشَمَّ رائحة الشَّعر المحترق المنفُرة إذ مَسَّ الرَّاهب الملتحي منتصِف صدره بالوسم. كان الألم شنيعاً لدرجة أنه حسبَ أن قلبه سيتوقَّف، لكن آريو هوتا لم يجفل، ولم ينمُ الشَّعر ثانيةً فوق وسم الفأس.

فقط حين أصبحت حافتا الفأس حادثين لدرجة أنك تستطيع أن تحلق لحيتك بهما، وضعَ القائد زوجته المصنوعة من الدَّردار والحديد على السَّرير، ثم خلعَ ملابسه المتسخة وهو يتثأب وألقاها على الأرض، وتمدَّد على الحشِيَّة المبطَّنة بالقش. تفكيره في الوسم جعله يستحكُّه، فحكَّه قبل أن يُسدِل جفنيه مفكِّراً: كان حرباً بي أن أجمع البرِّتقالات التي سقطت، وغاب في النُّوم حالماً بمذاقها الحُلُو اللاذع، وبملمس العُصارة الحمراء اللزجة على أصابعه.

تعجَّل الفَجْر في طلوعه، وخارج الاسطبلات وقف أصغر الهودج التي تجرُّها ثلاثة أحصنة جاهزاً للأمير، الهودج المصنوع من خشب الأرز بستائره الحرير الحمراء. انتقى القائد لاصطحابه عشرين من حملة الجراب من الثلاثين المكلفين بحراسة (الحدايق المائيَّة)، وسيبقى الآخرون لحماية المكان والأطفال الذين يضمُّون عدداً من أولاد اللوردات الكبار والتجَّار الأثرياء.

على الرغم من أن الأمير ذكَّر الرِّحيل مع أول خيوط الضَّوء، كان آريو هوتا يعلم أنه سيتلکأ، وبينما ساعد المايستر دوران مارتل على الاستحمام ثم ضمَّد مفاصله الملتهبة بالكثَّان المغموس في المستحضرات الملطِّفة، ارتدى القائد قميصاً من الأقراص النُّحاسيَّة يُلائم رُبته، وفوقه معطفاً فضفاضاً من الحرير الرِّملي المصبوغ بالذهبي والبني المائل إلى الرَّمادي، ليحجب الشَّمس عن النُّحاس. يُبذِر هذا النَّهار بأنه سيكون حاراً، وقد مضى زمن طويل منذ تخلَّص القائد من معطفه الثَّقيل المصنوع من شَّعر الخيل وسُترته الجِلد المطَّعمة بالحديد، اللتين اعتاد ارتداءهما في (نورثوس)، فارتداؤهما هنا في (دورن) كفيل بأن يسلقه، على أنه احتفظَ بخوذته الحديد القصيرة بريشتها ذات البروزات الحادَّة، وإن كان يعتمرها الآن ملفوفةً بالحرير البرِّتقالي، حابكاً إياه في البروزات وحولها، فلولا هذا ستُصيبه أشعة الشَّمس التي تضرب المعدن بالصُّداع قبل أن يُبصروا القصر.

وما زال الأمير لم يستعدَّ للرحيل. قرَّر أن يُفطر قبل أن يتحرَّك، وأكلَ بُرْتقالةً دُمويَّةً وطبقًا من بيض النَّوارس بقطع اللَّحم المقدَّد والفلفل الحريِّف، وبعدها لم يكن هناك مفرُّ من أن يُودَّع عددًا كبيرًا من الأطفال الذين صارت لهم أفضلِيَّة خاصَّة عنده؛ ابن دالت، وولديَّ الليدي بلاكمونت، والفتاة اليتيمة التي كان أبوها يبيع الأقمشة والتَّوابل على ضفاف (الدَّم الأخضر). غطَّى دوران ساقيه بدثارٍ فاخر من (مير) وهو يُكلِّمهم، ليقى الصَّغار منظر مفاصله الملتهبة المضمَّدة.

كان النَّهار قد انتصفَ عندما تحرَّكوا، الأمير في هودجه، والمياستر كالبيوت على ظهر حمار، والبقية على الأقدام. أمامهم سارَّ خمسة من حملة الحراب ووراءهم خمسة، وخمسة آخرون على كلِّ من جانبيَّ الهودج، أمَّا آريو هوتا نفسه فاتَّخذ موقعه المعتاد على يسار الأمير، مريحًا فأسه الطويلة على كتفه وهو يمشي. يمضي الطَّريق من (صنسيير) إلى (الحدائق المائيَّة) على ساحل البحر، فصاحبهم النَّسيم البارد المنعش إذ قطعوا اليابسة القاحلة بحجارتها ورمالها البنية الصَّارية إلى الحُمْرة وأشجارها الملتوية ناقصة النُمو. وفي منتصف الطَّريق لحقت بهم أفعى الرِّمال الثَّانية.

فجأةً ظهرت فوق كثيبٍ راكبةٌ جواد صحراء ذهبيًّا له عُرف كالحرير الأبيض النَّاعم. حتى على متن الحصان تبدو الليدي نيم بهيَّة الطَّلعة، وقد تألَّقت في ثوبها الأرجواني الفاتح وحرملتها الحريري الكبيرة بلونيهما القشدي والنُّحاسي، التي تُرفرف مع كلِّ هبَّة ريح وتجعلها تبدو كأنها على وشك التَّحليق. نايميريا ساند في الخامسة والعشرين من العُمُر، هيفاء كصَّفصافة، ويكُلُّ رأسها شعر أسود مسترسل عقْدته في جديلةٍ مربوطة بسلكٍ من الدَّهب الأحمر، وتنسحب مقدِّمته المدبَّبة إلى البوراء فوق عينيهما الدَّاكتيتين كعينيَّ أبيها. بعظم وجنتيها المرتفع وشفتيها الممتلئتين وبشرتها الشَّاحبة كالحليب تتحلَّى بكلِّ الجمال الذي تفتقر إليه أختها الأكبر... لكن أم أوبارا كانت عاهرةً من (البلدة القديمة)، أمَّا نيم فتتحدر من أنبل دماء (فولانتيس القديمة). كانت تبعتها دستة من حاملِي الحراب الرَّاكبين الذين تلتمع تروسهم المستديرة في السَّمس، وقد نزلوا الكثيب وراءها.

كان الأمير قد أراح سائره هودجه ليستمتع أكثر بنسيم البحر، وأبطأت

الليدي نيم حركة فرسها الذهبية الجميلة لتجاري حركة الهودج، وصاحت كأن وجودها هنا مصادفة محضة: «ما أحسن لُفياك يا عمّاه! أتسمح بأن أركب معك إلى (صنسيبر)؟». كان القائد راكبًا على الجانب الآخر من الهودج، لكن كلام الليدي نيم كلّهُ بلغ مسامعه.

أجاب الأمير: «يسّرني هذا»، ولو أن نبرته بدت للقائد خالية من الشُّرور، وأضاف: «النُّقرس والحُزن رفيقان بائسان على الطَّرِيق»، وهو ما يعلم القائد أنه يعني أن كلّ حصاة على الأرض تغرس مسمارًا في مفاصله المتورّمة. قالت: «النُّقرس لا أستطيع أن أعينك عليه، أمّا الحُزن فلم يكن أبي يراه ذا جدوى. الانتقام كان يُناسب ذوقه أكثر. أصحِّحُ أن جريجور كليجاين اعترف بقتل إليا وطفليها؟».

- «لقد أعلنَ ذنبه على مسمع من البلاط كلّهُ. اللورد تايوين وعدنا برأسه».  
قالت الليدي نيم: «واللانستر يُسدّد ديونه دائمًا، لكن يبدو لي أن اللورد تايوين ينوي أن يدفع لنا بعُملتنا. وصل إليّ طائر من السير ديمون العزيز، الذي يُقسم أن أبي دغدغ ذلك الوحش بحربته أكثر من مرّة خلال نزالهما، وإذا كان ذلك صحيحًا فالسير جريجور في عداد الموتى، وليس بفضل اللورد تايوين». تقلّصت ملامح الأمير، ولكن سواء أمن أم النُّقرس أم كلام ابنة أخيه فالقائد لا يدري.

- «ربما يكون صحيحًا».

- «ربما؟ أقولُ إنه كذلك».

- «أوبارا تُريدني أن أحارب».

ضحكت نيم قائلة: «نعم، تُريد أن تُضرم النار في (البلدة القديمة). إنها تكره تلك المدينة قدر ما تحبّها أختنا الصّغيرة».  
- «وأنتِ؟».

ألقت نيم نظرةً من فوق كتفها إلى حيث يركب رفاقها على مسافةٍ لا بأس بها وراءها، وسمعتها القائد تقول: «كنتُ في الفراش مع التّوأمين فاوُلر حين بلغني الخبر. هل تعرف كلمات آل فاوُلر؟ دعوني أحلّق! هذا كل ما أطلبه منك يا عمّاه، دعني أحلّق. لستُ أحتاجُ إلى جيشٍ جرّار، بل إلى واحدةٍ من أخواتي الجميلات فحسب».

- «أوبارا؟».

- «تايين. أوبارا صاحبة أكثر من اللازم، لكن تايين أكثر رقةً وعذوبةً من أن يرتاب فيها أحد. أوبارا تُريد أن تجعل من (البلدة القديمة) محرقة جنازة أينا، لكنني لستُ طماعةً لهذا الحد، وتكفيني أربع أنفس لا أكثر؛ توأما للورد تايوين الذهبيان عوضًا عن طفلي إليا، والأسد العجوز عوضًا عن إليا نفسها، وأخيرًا الملك الصَّغير مقابل أبي».

- «الصَّبي لم يُخطئ في حقنا قطُّ».

- «الصَّبي نغل وُلِد الخيانة وزنى المحارم، إذا صدق ما يقوله للورد ستانيس». اختفت النَّبْرة العابثة من صوتها، ووجد القائد نفسه يُراقبها مضيئًا عينيه. أختها أوبارا تضع سوطها على وركها وتحمل حربتها على مرأى من الجميع، ومع أن الليدي نيم لا تقلُّ عنها خطورةً فإنها تُواري سكاكينها جيِّدًا. «لن يغسل اغتيال أبي إلا الدماء الملكيّة».

- «أوبرين مات في نزالٍ فردي وهو يُقاتل في مسألةٍ لا علاقة له بها. لا أعدُّ هذا اغتيالًا».

- «فلتعدّه كما تشاء. لقد أرسلنا إليهم خيرة رجال (دورن)، ويُرسِلون إلينا كيسيًا من الرُّفات».

- «لقد تجاوزَ كلُّ ما طلبته منه. قيمُّ هذا الملك الصَّبي ومجلسه وسجِّل نقاط ضعفهم وقوتهم. هذا ما قلته له ونحن في الشُّرفة، وكنا نأكل البُرْتقال. جد لنا أصدقاء إذا استطعت، واعرف ما تستطيع عن نهاية إليا، لكن احرص على عدم استفزاز اللورد تايوين بلا داع. كان هذا كلامي له، لكن أوبرين ضحك وقال: متى استفزتُ أحدًا... بلا داع؟ الأفضل أن تُحدِّد آل لانستر من استفزازي أنا. لقد أرادَ العدالة لإليا، لكنه رَفَض أن ينتظر...».

قاطعته الليدي نيم: «أبي انتظر سبعة عشر عامًا. لو قتلوك أنت لقاد جيوشه شمالًا قبل أن تبرد جثتك، لو قتلوك أنت لكانت الحِراب تنهمر كالْمَطْر على (التُّخوم) الآن».

- «ليس لديَّ شكُّ في هذا».

قالت: «ولا يجدرُ بك أن تشكَّ في هذا أيضًا يا سموَّ الأمير... أنا وأخواتي



لن ننتظر سبعة عشر عامًا لننال انتقامنا»، وهمزت فرسها وانطلقت تركض إلى (صنسيبير)، تتبعها حاشيتها بكل سرعتها.

أسند الأمير ظهره إلى وسائده وأغمض عينيه، وإن أدرك هوتا أنه لم يَم. إنه يتألّم. فكّر لحظةً أن يُنادي المايستر كاليوت إلى الهودج، لكن لو أرادَه الأمير دوران لناداه بنفسه.

كانت ظلال الأصيل طويلةً داكنةً والشَّمس حمراء ملتهبَةً كمفاصل الأمير قبل أن يلمحوا أبراج (صنسيبير) إلى الشَّرْق؛ أولاً (بُرج الحربة) الرِّفيع الذي يرتفع مئةً وخمسين قدمًا وتُتوجّه حربة من الفولاذ المذهب تُضيف ثلاثين قدمًا أخرى إلى طوله، ثم (بُرج الشَّمس) المهيب بقبَّته الذهبية وزُجاجه المطلي بالرصاص، وأخيرًا (سفينة الشَّمس) بلونه البني الضارب إلى الرمادي الذي يبدو كدرمونة<sup>(1)</sup> هائلة جرفها التَّيار إلى الشاطئ وتحوّلت إلى حجر.

ثلاثة فراسخ فقط من الطَّرِيق السَّاحلي تفصل (صنسيبير) عن (الحدائق المائيّة)، إلّا أنهما عالمان مختلفان تمامًا. هناك يمرح الأطفال عُراءً في الشَّمس وتُعزف الموسيقى في ساحاتٍ من الرُّخام ويحمل الهواء رائحة اللِّيمون والبُرْتقال الدَّموي اللاذعة، وهنا تُفعم الهواء روائح الغبار والعرق والدُّخان ولا يعرف اللّيل سكونًا من أصوات المثرثرين، وبدلًا من الرُّخام الوردي الذي بُنيت به (الحدائق المائيّة)، فإن بنايات (صنسيبير) من الطَّمي والقش وتتأرجح ألوانها بين درجات البني والرمادي. يرتفع معقل عائلة مارتل العتيق في أقصى شرق لسانٍ أرضي من الحجر والرَّمال، محاطًا بالبحر من ثلاث نواح، وإلى الغرب، في ظل أسوار (صنسيبير) العملاقة، تشبَّت المحال المبنية بالطوب اللبن والأكواخ الخالية من النوافذ بالقلعة كما تشبَّت الكلابات بأبدان السُّفن، وغرب الأكواخ والمحال تنتشر الاسطبلات والخانات والخمَّارات وبيوت الهوى، كثير منها مطوّق بأسواره الخاصّة، وعلى الرغم من هذا يرتفع المزيد من الأكواخ عند تلك الأسوار. وهكذا وهكذا، كما يقول الرُّهبان الملتحون. مقارنةً بـ(تايروش) أو (مير) أو

(1) الدرْمونة من السُّفن الحربيّة ذات الأشرعة والمجاذيف، تميّز بسرعتها وحجمها الكبير وقدرتها على حمل عددٍ كبير من الرُّجال. (المترجم).

(نورفوس الكُبرى)، لا تعدُّ مدينة الظَّل أكثر من بلدةٍ عاديَّة، لكنها أقرب ما لدى الدورنيين إلى مدينةٍ حقيقيَّة.

سبق وصول الليدي نيم وصولهم بعدَّة ساعات، ولا بُدَّ أنها نبَّهت الحُرَّاس إلى مجيئهم، لأنهم وجدوا (البوابة الثلاثيَّة) مفتوحةً عندما بلغوها. في هذه البقعة فقط تصطفُ البوابات بعضها وراء بعض لتُتيح للزَّائرين أن يمرُّوا أسفل الأسوار الملتفة إلى (القصر القديم) مباشرةً، دون أن يضطُّروا إلى قطع أميالٍ من الأزقة الضيِّقة والأفنية الخفيَّة والأسواق المزدهمة.

كان الأمير دوران قد أسدلَّ ستائره ما إن أبصروا (بُرج الحربة)، ومع ذلك راح العوام يصيحون منادين إياه في أثناء مروره، ففكَّر القائد بتوتُّر: أفاعي الرِّمال أثاروهم حدَّ الغليان. تجاوَزوا السُّور الهلالي الخارجي بقذارته ودخلوا من البوابة الثَّانية، حيث أفعمت الرِّيح روائح القطران والمياه المالحة والطَّحالب البحريَّة المتعفِّنة، وازدادت أعداد الجموع مع كلِّ خطوة. صاح فيهم آريو هوتا بصوته الجهوري وهو يدقُّ القرميد بكعب فأسه الطويلة: «أفسحوا الطَّريق للأمير دوران! أفسحوا الطَّريق للأمير (دوران)!».

صرخت امرأة من ورائه: «الأمير مات!».

وهدرَ رجل من سُرفة: «إلى الحِراب!».

وهتف أحد عليه القوم: «دوران! إلى الحِراب!».

تخلَّى هوتا عن محاولة تعرُّف المتكلِّمين، فالزَّحام شديد وثلثهم يهتف. «إلى الحِراب! الثَّار للأفَّعوان!». لدى وصولهم إلى البوابة الثَّالثة كان الحُرَّاس يدفعون النَّاس جانبًا لإفساح الطَّريق لهودج الأمير، وبدأ النَّاس يلقون أشياء. اندفع صبي رث الثياب متجاوزًا حاملِي الحِراب وفي يده ثمرة زُمَّان شبه متعفِّنة، لكن حين رأى آريو هوتا في طريقه فأسه الطويلة جاهزةً ترك الثمرة تَسْقُط دون أن يلقِيها وتراجع مسرعًا، في حين ألقى آخرون غيره على مسافةٍ أبعد البُرتقال والليمون أصفره وأخضره هاتفين: «الحرب! الحرب! إلى الحِراب!»، فأصيب أحد الحُرَّاس في عينه بليمونةٍ وانفجرت بُرتقالة على قدم القائد نفسه.

لم تأت إجابة من داخل الهودج، وظلَّ دوران مارتلٍ مستترًا وراء جُدرانهِ الحرير إلى أن ابتلعتهم أسوار القلعة السَّميكة جميعًا وأنزلت الشبَّكة الحديد

من ورائهم بصلصلةٍ صاخبة، وبدأت أصوات الصَّياح تَخْفُت بِبُطء. كانت الأميرة آريان منتظرةً في السَّاحة الخارجيّة لِتُحَيِّي أباهَا وحوْلها نِصف البلاط؛ القهرمان ريكاسو، والسير مانفري مارتل أمين القلعة، والمَيسِتر مايلز الشَّاب بردائه الرَّمادي ولحيته النَّاعمة المعطرة، وأربعون من الفُرسان الدورنِيِّين بشبابهم الكَتَّان عديده الألوان، بينما وقفتَ مارسلا باراثيون الصَّغيرة مع سِبتتها والسير آريس فارس الحرس الملكي الذي يتصَبَّب عَرَقًا في دِرعه المِطْلَبَّة بالمينا الأبيض.

تقدَّمت الأميرة آريان من اليهودج في خُفَّين من جِلد الثَّعابين مربوطين حتى فخذَيها، شعرها حُلَيْقات من السَّواد الفاحم منسدلة حتى أسفل ظَهرها، وحوْل جبهتها حلقة من الشُّموس النُّحاس. قال القائد لنفسه: ما زالت ضئيلة الحجم. أفاعي الرَّمال طويلات القامة، بينما ورثت آريان قامة أمَّها التي لم تتجاوز أقدامًا خمسة وبوصتين، لكن تحت نطاقها المحلِّي بالجواهر وطبقات الحرير الأرجواني والسَّميت<sup>(1)</sup> الأصفر الفُضفاضة لها جسد امرأة غُض مستدير المنحنيات. أعلنت والسَّتاثر تُفْتَح: «أبي، (صنسير) مبهجة لعودتك».

قال الأمير: «نعم، سمعتُ البهجة»، وابتسم بشحوب ووضع يَدًا حمراء منتفخة على وجنة ابنته مضيِّفًا: «تبدين بخير. أيها القائد، ساعدني على النُّزول من فضلك».

دَس هوتا فأسه الطويلة في حزامها على ظَهره والتقط الأمير بذراعيه برفق لثلاثِ عَج مفاصله الملتهبة، وعلى الرغم من هذا حبس دوران مارتل شهقة ألم.

قالت آريان: «لقد أمرتُ الطُّهاة بتجهيز وليمةٍ بكلِّ أصنافك المفضَّلة لهذا المساء».

ردَّ الأمير: «أخشى أن لا شهيةً عندي»، وتطلَّع بتؤدَّة في أنحاء السَّاحة، وأردف: «لا أرى تايين».

- «لقد طلبتُ الكلام معك على انفراد، وأرسلتها تنتظرك في قاعة العرش».

(1) السَّميت نسيج حريري شديد الفخامة مضلَّع الحكبة. (المترجم).

تَهَدُّ الأَمِيرَ، وَقَالَ: «لَيْكُنْ. أَيُّهَا الْقَائِدُ، فَلنَفْرُغْ مِنْ هَذَا الأَمْرِ بِسُرْعَةٍ لِأَسْتَرِيحَ».

حَمَلَهُ هَوَاتَا صَاعِدًا سِلَالِمَ (بُرْجِ الشَّمْسِ) الْحَجْرِيَّةَ الطَّوِيلَةَ إِلَى الْقَاعَةِ الدَّائِرِيَّةِ الْكَبِيرَةِ تَحْتَ القُبَّةِ، حَيْثُ تَسْرَبُ خِيُوطُ ضَوْءِ الأَصِيلِ الأَخِيرَةِ مِنْ زُجَاجِ النُّوَاذِ السَّمِيكَةِ ذِي الأَلْوَانِ الْمُتَعَدِّدَةِ لِتُرَقِّطَ الرُّخَامَ بِمَاسَاتٍ مِنْ مِئَةِ لُونٍ، وَهَنَّاكَ كَانَتْ أَفْعَى الرَّمَالِ الثَّالِثَةِ تَنْتَظِرُهُمْ.

وَجَدُوهَا جَالِسَةً مُتَقَاعِطَةً السَّاقِينِ عَلَى وَسَادَةٍ أَسْفَلَ الْمِنْصَةِ الْمُرْتَفَعَةِ الَّتِي يَعْتَلِيهَا الْمُقْعَدَانِ الْعَالِيَانِ، لَكِنَّا نَهَضَتْ لَدَى دُخُولِهِمْ، وَقَدْ ارْتَدَّتْ فُسْتَانًا ضَيْقًا مِنَ السَّمِيَةِ الأَزْرَقِ الْبَاهِتِ بِكَمِّينَ مِنْ شَرَائِطِ الزَّيْنَةِ الْمَايِرِيَّةِ الَّتِي جَعَلَتْهَا تَبْدُو بِبِرَاءَةِ (العُذْرَاءِ) نَفْسَهَا، وَفِي إِحْدَى يَدَيْهَا قِطْعَةٌ تَطْرِيزٍ تَعْمَلُ عَلَيْهَا، وَفِي الثَّانِيَةِ زَوْجَانِ مِنَ الإِبْرِ الذَّهَبِ. شَعْرَهَا ذَهَبِيٌّ أَيْضًا، وَعَيْنَاهَا لُجْجَانُ زَرْقَاوَانٍ عَمِيقَتَانِ... وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُمَا بِشَكْلِ مَا تُذَكِّرَانِ القَائِدَ بَعِينِي أَيْبَهَا، رَغْمَ أَنْ عَيْنِي أُوبَرِينَ كَانَتَا سُودَاوِينَ كَاللَّيْلِ. قَالَ أُرْبُوهُوَ تَا نَفْسِهِ وَقَدْ فَطِنَ إِلَى الْحَقِيقَةِ فَجَاءَتْ: كُلُّ بَنَاتِ الأَمِيرِ أُوبَرِينَ لَهْنِ عَيْنَاهِ الأَفْعَوَانِيَّتَانِ، بَغْضٍ النَّظَرِ عَنِ اللُّونِ.

قَالَتْ تَائِبِينَ سَانِدًا: «عَمِّي، كُنْتُ أَنْتَظِرُكَ».

– «أَيُّهَا الْقَائِدُ، سَاعِدْنِي عَلَى الْجُلُوسِ عَلَى الْمُقْعَدِ الْعَالِي».

عَلَى الْمِنْصَةِ مُقْعَدَانِ أَقْرَبَ إِلَى تَوَاطِينِ، مَعَ فَرْقٍ أَنْ أَحَدَهُمَا عَلَى ظَهْرِهِ حَرْبَةَ آلِ مَارْتَلِ الْمَزْخَرَفَةِ بِالذَّهَبِ، وَالثَّانِي يَحْمِلُ شَمْسَ الرَّوِينَارِ الْوَهَاجَةَ الَّتِي رَفَرَتْ عَلَى صَوَارِي سُفْنِ نَائِمِيرِيَا حِينَ رَسَتْ عَلَى سَوَاحِلِ (دُورِن). أَجْلَسَ الْقَائِدُ الأَمِيرَ أَسْفَلَ الْحَرْبَةَ وَابْتَعَدَ.

– «هَلِ الأَلْمُ بِالْغِ؟»، سَأَلَتْ اللَّيْدِي تَائِبِينَ بِنْبِرَةٍ رَقِيقَةٍ وَقَدْ بَدَتْ عَذْبَةً كَالْفِرَاوَلَةِ فِي الصَّيْفِ. كَانَتْ أُمَّهَا سَيْبَتَةً، وَلتَائِبِينَ طَابِعٌ مِنَ الرَّقَّةِ كَأَنَّهُ مِنْ عَالِمٍ آخَرَ. «أَهْنَاكَ مَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَفْعَلَهُ لِأُخَفِّفَ الأَلْمَ؟».

– «قُولِي مَا لَدَيْكِ وَاتْرُكِينِي أُسْتَرِيحُ، إِنِّي مَرَهَقٌ يَا تَائِبِينَ».

قَالَتْ: «صَنَعْتُ هَذِهِ مِنْ أَجْلِكَ يَا عَمَّاهُ»، وَبَسَطَتْ الْقِطْعَةَ الَّتِي تُطَرِّزُهَا، الَّتِي تُظَهِّرُ الأَمِيرَ أُوبَرِينَ مُبْتَسِمًا عَلَى صَهْوَةِ جَوَادِ صَحْرَاوِي فِي دِرْعِ حَمْرَاءِ. «إِنَّهَا لَكَ حِينَ أَفْرُغُ مِنْهَا، لِتُسَاعِدَكَ عَلَى تَذَكُّرِهِ».

- «ليس واردًا أن أنسى أباك».  
- «جيد أن تقول هذا، فكثيرون يتساءلون».  
- «اللورد تايوين وعدنا برأس الجبل».  
- «يا للطفه... لكن سيف الجلاّد ليس نهايةً تليق بالسير جريجور الشجاع. لقد صلينا من أجل موته طويلاً جدًّا، وعين العدل أن يُصَلِّي من أجله أيضًا. إنني أعرفُ السَّم الذي استخدمه أبي، وليس هناك سُم في الدنيا أبطأ مفعولاً أو أكثر إيلاّمًا. قد نسمع صُراخ الجبل قريبًا، حتى هنا في (صنسيير)».  
زفر الأمير دوران قائلاً: «أوبارا تزعق فيّ مطالبةً بالحرب، ونيم قاعة بالاغتيال، فماذا عنك؟».

قالت تايين: «الحرب، لكن ليس حرب أختي. أحسن قتال الدورنيين على أرضهم، لذا أقولُ أن نشحذ حِرابنا ومنتظر، ولمّا يأتينا آل لانستر وتايرل سندمهم في الممرّات وندفهم في الرّمال كما فعلنا مئة مرّة من قبل».  
- «هذا إذا أتوا».

- «أوه، من المحتمّ أن يأتوا، وإلّا عادت البلاد تتمزّق كما كانت قبل أن نتزوَج التنانين. أبي من أخبرني بهذا، قال إن علينا أن نشكر العفريت لأنه أرسل إلينا الأميرة مارسلا. إنها جميلة جدًّا، أليس كذلك؟ ليت لي خُصلات كخُصلاتها. لقد خلقت لتكون ملكةً، تمامًا مثل أمّها»، وأزهرت الغمّازتان في وجنتي تايين وهي تُواصل: «سيشرفني أن أرتّب الزّفاف وأشرف على صنّع التّاجين كذلك. تريستان ومارسلا شديدا البراءة، لذا فكّرتُ أن يكون التّاجان من الذهب الأبيض... مع الزّمرد ليطماشى مع عيني مارسلا. أوه، لا بأس بالماس واللؤلؤ أيضًا ما دام الطّفلان سيتزوَّجان ويَتوجّان، وما علينا عندئذٍ إلّا أن نُعلن مارسلا الأولى ملكةً على الأنداليين والروينار والبشر الأوائل، باعتبارها الوريثة الشرعيّة لممالك (وستروس) السّبع، ومنتظر مجيء الأسود».

ردّد الأمير ساخرًا: «الوريثة الشرعيّة؟».  
شرحت تايين كأنه أحمق: «إنها أكبر من أخيها، والمفترّض بالقانون أن ينتقل العرش الحديدي إليها».  
- «القانون الدورني».

- «عندما تزوّج الملك دايرون الكريم الأميرة ميريا وضمّنا إلى المملكة كان هناك اتفاق يقضي أن يُطبّق القانون الدورني في (دورن) دومًا، وللصدفة مارسلا في (دورن) الآن».

قال بنبرة متدمّرة: «هي كذلك. دَعيني أفكّر في الأمر».  
ردّت تايين بصرامة: «إنك تُفكّر كثيرًا جدًّا يا عمّاه».  
- «حقًا؟».

- «هذا ما كان أبي يقوله».

- «أوبرين كان يُفكّر لِمَا».

- «بعض النَّاس يُفكّر لأنه يخاف أن يفعل شيئًا».

- «هناك فرق بين الخوف والحذر».

قالت تايين: «أوه، أدعو ألا أراك خائفًا أبدًا يا عمّاه، فقد تنسى أن تتنفس»،  
ورفعت يدها...

ودقّ القائد الرُّحام بكعب فأسه قائلاً: «إنك تتجرّئين يا سيّدي. ابتعدي عن المنصّة إذا سمحت».

ردّت تايين: «لا أقصدُ أذى أيها القائد. إنني أحبُّ عمّي مثلما أعلمُ أنه أحبُّ أبي»، وجثت أمام الأمير مردفةً: «لقد قلتُ كلَّ ما جئتُ لأقوله يا عمّاه. سامحني إذا أسأتُ إليك، فقلبي كسير عن آخره. أما زلتُ أحظى بحبِّك؟».  
- «دائمًا».

- «أعطني بركتك إذن وسأذهب».

تردّد دوران هنيهةً قبل أن يضع يده على رأس ابنة أخيه، ويقول: «تشجّعي يا صغيرتي».

- «وكيف لا؟ إنني ابنته».

لم تكد تُغادر حتى هرّع المايستر كاليوت إلى المنصّة قائلاً: «سموّ الأمير، إنها لم... دَعني أرى يدك»، وتفحص الكفَّ أولاً ثم قلبها برفقٍ ليشتمّ أصابع الأمير، ثم قال: «لا، جيّد، هذا جيّد، ليست هناك خدوش، لذا...».

قال الأمير ساحبًا يده: «هل لي بالقليل من حليب الخشخاش<sup>(1)</sup> أيها المايستر؟ كوب صغير يكفي».

(1) حليب الخشخاش مشروب حقيقي ذو أصل اسكندنافي، مخدّر ومسكّن للألم. (المترجم).

- «الخشخاش، نعم، بالتأكيد».

حَثَّ الأمير قائلاً بهدوء: «الآن»، فأسرع كالبيوت إلى السَّلام. كانت الشمس قد غربت في الخارج، واصطبغ الصَّوء داخل القبة بزُرقة الغسق، فيما بدأت الماسات على الأرض تُحتَضِر وتزول، والأمير جالس على مقعده العالي تحت حربة آل مارتل بوجهٍ ممتقع من الألم، وبعد صمتٍ طال التفت إلى آريو هوتا سائلاً: «أيها القائد، ما مدى إخلاص حُرَّاسي؟».

أجاب القائد غير عالم بأيِّ شيءٍ آخر يردُّ: «إنهم مخلصون».

- «بعضهم أم جميعهم؟».

قال القائد: «إنهم رجال صالحون، دورنيون صالحون، وسيفعلون ما أمرهم به»، ودقَّ الأرض بفأسه مردفاً: «سأقطع رأس أيِّ رجلٍ يخونك».

- «لا أريد رؤوساً، أريد الطاعة».

- «هي لك». اخِدم، أطع، احم. يمين بسيطة لرجلٍ بسيط. «كم رجلاً تُريد؟».

- «سأترك لك هذا القرار. ربما تُفيدنا قلة من الرجال البارعين أكثر من عشرين. أريد أن يتمَّ الأمر بأسرع وأهدأ ما يُمكن، دون أن تُراق دماء».

- «بسرعةٍ وهدوء ودون دماء، نعم. ما أوامرك؟».

- «ستجد بنات أخي وتقبض عليهن وتحسهن في الزنازين على قمة (برج الحربة)».

قال القائد بحلقٍ جَفَّ: «أفاعي الرِّمال؟ كلهن... ثمانيتهن يا سمو الأمير؟ والصَّغيرات أيضًا؟».

فكَّر الأمير لحظةً قبل أن يُجيب: «بنات إلاريا أصغر من أن يُمتلن خطراً، لكن ربما يسعى أحدهم إلى استغلالهن ضدي. الأفضل أن يكن آمناً في متناول اليد. نعم، الصَّغيرات أيضًا... لكن تايين ونايميريا وأوبارا أولاً».

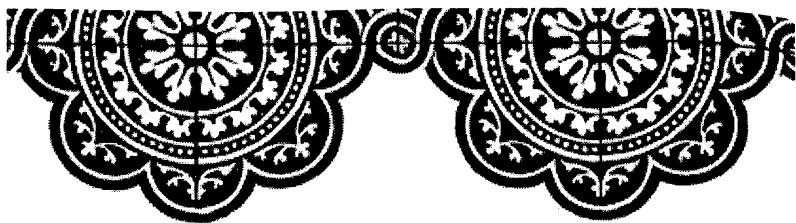
قال القائد بقلبٍ منزعج: «كما يأمر سمو الأمير». لن يُعجب هذا أميرتي الصَّغيرة. «وماذا عن ساريلا؟ إنها امرأة ناضجة، تُقارب العشرين».

- «ما لم ترجع إلى (دورن) فليس هناك ما يُمكنني أن أفعله بشأنها غير أن أصلي أن تكون أعقل من أخواتها. دَع ساريلا... للعبتها، واقبض على الأخريات. لن أنام إلى أن أعرف أنهن آمناً وتحت الحراسة».

قال القائد: «سيتمُّ الأمر»، وتردَّد لحظةً قبل أن يُضيف: «عندما يبلغ الخبر الشَّوارع سيثور العاصَّة».

ردَّ دوران مارتل بصوتٍ تعبٍ: «(دورن) كلُّها ستثور. آملُ فقط أن يسمعهم اللورد تايوين في (كينجز لاندنج) ليعلم أن له صديقًا وفيًّا في (صنسبير)».





## سرسي

في الحُلم رأت نفسها جالسةً على العرش الحديدي، ساميةً عنهم جميعاً. كان أفراد الحاشية فتراناً زاهية الألوان في الأسفل. أمامها ركع كل لورد عظيم وليدي مترفعةً، ووضع الفرسان الشُّبان الأشاوس سيوفهم عند قدميها مستجدين حظوتها، وابتسمت لهم الملكة من عليائها... إلى أن ظهرَ القزم كأنه برز من العدم، يُشير إليها ويعوي ضحكاً، فبدأ اللوردات والليدييات في القهقهة بدورهم وقد أخفوا ابتساماتهم وراء أيديهم، ولحظتها فقط أدركت الملكة أنها عارية.

مذعورةً، حاولت أن تُغطّي نفسها بيديها، وانغرسَت نصال العرش الحديدي وأشواكه في لحمها إذ انحنت على نفسها محاولةً تخبئةً عورتها، فسالت الدماء حمراء على ساقها ونهشت أسنان من الفولاذ رديها، ولمّا حاولت أن تنهض انزلقت قدمها في فجوةٍ في المعدن المشوه، وكلّما قاومت ناشدةً التحرُّر ابتلعها العرش أكثر، ممزّقاً قطعاً من اللحم من ثديها وبطنها ومشرّحاً ذراعيها وساقها، إلى أن اكتسبت بلمعة الحُمرة الزلقة.

وطوال الوقت يتوتّب أخوها في الأسفل ضاحكاً.

كانت ضحكاته الجذلة لا تزال تتردّد في أذنيها حين أحسّت بلمسةٍ خفيفة على كتفها واستيقظت فجأةً، ولأقلّ من لحظةٍ بدت اليد جزءاً من الكابوس، فأطلقت سرسي صيحةً، لكنها كانت يد سينل لا غير، وقد لاح الخوف على وجه الوصيفة الممتقع.

قالت الملكة لنفسها وقد أتاها الإدراك: لسنا وحدنا. كانت الظلال تُحيط بفراسها، أشباح طويلة تلتمع حلقاتها المعدنية تحت معاطفها، ولكن ليس

للرجال المسلَّحين شأن هنا. أين حُرَّاسي؟ كانت عُرفة نومها مظلمة تمامًا، لا ضوء فيها إلا ذلك المنبعث من المصباح الذي يرفعه أحد المتطفلين عاليًا. يجب ألا أبدي خوفًا. أزاحت سرسي شعرها الذي شعته النوم سائلة: «ماذا تُريدون مني؟»، فتقدَّم رجل داخلاً دائرة الضوء، وعندما رأت معطفه الأبيض قالت: «چايمي؟». أحلمُ بأخ فيأتي الثاني لإيقاظي.

أجابها الصَّوت الذي لیس لأخيها: «جلالة الملكة، حضرة القائد قال أن نأتي ونُحضرك». له شعر متموج كچايمي، لكن شعر أخيها كالذهب المطرَّق، مثلها بالضبط، أمَّا هذا الرَّجل فشعره أسود دُهني، وقد حدَّقت إليه وهو يُعمِّغ بكلام ما عن مرحاض ونُشايَّة ويذكر اسم أبيها. ما زلتُ أحلمُ، لم أستيقظ ولم ينته كابوسي. قريبًا سيزحف تيريون خارجًا من تحت الفراش ويضحك مني.

لكن ما تُفكِّر فيه سُخف. أخوها القزم حبيس الزنَّازين السَّوداء، ومحكوم عليه بالموت اليوم تحديدًا. تطلَّعت إلى يديها وقلبيهما لتتأكَّد من أن أصابعها كلُّها لا تزال موجودة، وحين تحسَّست ذراعها وجدَّت جِلدها مقشعرًا ولكن سليمًا، ولا جروح في ساقها أو شقوق في باطن قدميها. حُلْم، لم يكن أكثر من حُلْم. شربتُ الكثير ليلة أمس، وهذه المخاوف وليدة النُبِّذ فقط. سأكون أنا الضَّاحكة مع حلول الغسق، سيصير ولداي أمينين وعرش تومن محفوظًا، ويفقد فالونكاري الصَّغير الشَّاه رأسه ويتعفن.

وجدتُ چوسلين سويفت عند مرفقها تُناولها كوبًا، فأخذتُ سرسي رشفةً لتذوق الماء المخلوط بعصير الليمون، وكان لا ذعًا لدرجة أنها بصفتها. سمعتُ رياح الليل ترجُّ مصاريع النوافذ، وأصبحَ بإمكانها الآن أن ترى بوضوح كامل غريب. كانت چوسلين ترتجف خوفًا كورقة شجرٍ مثل سينل، ورأتُ سرسي السير أوزموند كِتلبلاك واقفًا فوقها، ووراءه السير بوروس بلاونت حاملاً المصباح، وعند الباب حرس لانستر الذين تلتمع الأسود المذهَّبة على ريشات خوداتهم، وقد بدوا خائفين أيضًا. تساءلتُ الملكة: أهذا حقيقي؟ أيمكن أن يكون حقيقيًا؟

نهضتُ وتركتُ سينل تضع معطف نوم على كتفيها لتستُر عُرِّيها، ثم ربطتُ الحزام بنفسها بأصابع متبيسة خرقاء، وقالت: «السيد والدي يحتفظ بحُرَّاسه

حواله ليل نهار». أَحَسَّت بلسانها ثقيلًا، فأخَذَت رشفةً أُخرى من الماء بالليمون ودَوَّرته في فمها لثُعْش أنفاسها. كانت عُتَّة قد دخلت المصباح الذي يحمله السير بوروس، وسمعت سرسي طنينها ورأت ظلَّ جناحيها وهما يضربان الزُّجاج.

قال أوزموند كِتلبلاك: «الحُرَّاس كانوا في مواقعهم يا جلالة الملكة. لقد وجدنا بابًا خفيًّا وراء المستوقد، طريقًا سرِّيًّا. حضرة القائد نزلَ ليرى أين يقود».

استحوذَ عليها الفزع فجأةً كالعاصفة، وقالت: «چايمي؟ المفترض أن يكون چايمي مع الملك...».

- «لم يمَسَّ الصَّبي أذى. السير چايمي أرسلَ دستةً من الرِّجال لحراسته. جلالتة نائم في سلام».

فليحظْ بحُلمٍ أجمل من حُلْمي، وبإيقاظٍ أرحم. «من مع الملك؟».

- «السير لورَّاس له هذا الشَّرْف، بعد رضاك».

لكن هذا لا يُرضيها. آل تايرل مجردٌ وكلاءٍ رفعهم ملوكُ التَّنَّانين فوق مكانتهم كثيرًا، وليس أكبر من غرورهم إلا طموحهم. قد يكون السير لوراس وسيماً كأحلام العذراوات، لكنه تايرل حتى النُخاع تحت معطفه الأبيض، وعلى حدِّ علمها فربما تكون ثمرة اللِّيلة التَّالفة قد زُرَعَت وترعرعت في (هايجاردن).

لكنه شَكٌّ لا تستطيع المجاهرة به. هكذا قالت: «اسمحو لي بلحظةٍ لارتداء ثيابي. سير أوزموند، ستصحبني إلى (برج اليد). سير بوروس، أيقظ السَّجَّانين وتأكد من أن القزم ما زالَ في زنزانته». تَرَفُّض أن تنطق اسمه. حدَّثت نفسها قائلةً: مُحال أن يجد شجاعة أن يرفع يداً ضدَّ أينا، لكن عليها أن تتيقَّن.

قال بلاونت: «كما تأمرين يا صاحبة الجلالة»، وناول السير أوزموند المصباح، فلم يُثر استياء سرسي أن تراه يرحل. لم يكن يجدرُ بأبي أن يُعيد إليه معطفه الأبيض قَطُّ. لقد برهنَ الرِّجل على جُبْنه.

لدى خروجهم من (حصن ميغور) كانت السَّماء قد اصطبغتْ بزُرْقَةٍ عميقة كالكوبالت، ولو أن النجوم لا تزال تلتمع. جميعها باستثناء واحد. نجم الغرب

السَّاطِعِ هوى، والآن سَتُصَبِّحُ اللَّيَالِي أكثر حلَكَةً. توقَّفت على الجسر المتحرِّك الممدود فوق الخندق الجاف متطلِّعةً إلى الخوازيق في الأسفل، وفكَّرت: ما كانوا يَجْسِرُوا على الكذب عليّ في شأنِ كهذا، ثم إنَّها سألت: «مَنْ وجدَه؟». أجاب السير أوزموند: «أحد حُرَّاسه، لوم. ذهب يُلبِّي نداء الطَّبيعة ووجد حضرة اللورد في المرحاض».

لا، لا يُمكن أن يكون هذا صحيحًا. ليس هكذا يموت الأسد. أحسَّت الملكة بهدوءٍ غريب، وتذكَّرت أول مرَّة فقدت فيها سنًّا في صغرها وكيف لم تَشعُر بأيِّ ألم، وإن ولدت الفجوة إحساسًا غريبًا في فمها جعلها لا تستطيع الكفَّ عن لمسها بلسانها. والآن ثَمَّة فجوة في العالم كان يسدُّها أبي، والفجوات تحتاج إلى ملء.

إذا مات تايوين لانستر حقًّا فلا أحد في أمان... لا سيِّما ابنها على عرشه. حين يموت اللَّيْث تنقُض الحيوانات الأقل شأنًا، العِقبان وبنات أوى والكلاب الضَّارية. سيُحاولون تنحيها جانبًا كما فعلوا دومًا، وعليها أن تتحرَّك بسرِّعةٍ مثلما فعلت حين مات روبرت. قد يكون هذا من صنْع ستانيس باراثيون من خلال أجير ما، وربما يكون تمهيدًا لهجوم جديد على المدينة، وهي تأمل أن يكون كذلك. فليأت. سأسحقه كما سحقه أبي، وهذه المرَّة سيموت. لا يُخيفها ستانيس أكثر مما يُخيفها مايس تايرل، لا أحد يُخيفها. إنها اللَّبْؤة ابنة (الصَّخرة). لن يكون هناك المزيد من الكلام عن إرغامي على الزَّواج مجددًا. (كاسترلي روك) لها الآن، وكل سُلطة عائلة لانستر، ولن يستخف بها أحد ثانية أبدًا، وحتى عندما تنتهي حاجة تومن إلى وصيَّة ستظل سيِّدة (كاسترلي روك) قوَّة لا يُستهان بها في البلاد.

خضبت الشَّمس المشرقة قمم الأبراج بالأحمر الفاقع، لكن تحت الأسوار ظلَّ اللَّيْل رابضًا، وخيم على القلعة الخارجيَّة صمت مطبق لدرجة أن سرسي كانت لتُصدِّق أن أهلها جميعًا قد ماتوا. حربيُّ بهم أن يموتوا، فلا يليق بتايوين لانستر أن يموت وحده. رجلٌ مثله يستحق حاشيَّةً تخدمه في الحميم.

عند باب (بُرج اليد) وقف أربعة من حاملي الحراب في المعاطف الحمراء والخوذات ذات ريشة الأسد، فقالت لهم: «لا أحد يدخل أو يخرج دون إذني». صدر منها الأمر بسهولة. أبي أيضًا كان في صوته فولاذ.

أزعج دُخان المشاعل عينيها داخل البُرج، إلا أن قطرة دمع لم تسيل من سرسي كما لم تكن لتسيل من أبيها. أنا الابن الحقيقي الوحيد الذي أنجبه. احتك كعباها بالحجر وهي تصعد السلالم، ولم يزل بإمكانها أن تسمع ضربات جناحي العثة العنيفة داخل مصباح السير أوزموند، فخاطبتها الملكة في سريرتها بضيق: موتي، حلقي إلى اللهب وافرغي من الأمر.

على قمة السلالم وقف حارسان آخران بمعطفين أحمرين، وتمتم لستر الأحمر بكلمة عزاءٍ إذ مرّت به. أحست الملكة بأنفاسها سريعة قصيرة وقلبها يرتجف في صدرها، فقالت لنفسها: إنها السلالم، هذا البُرج الملعون سلالمه كثيرة للغاية. الحقيقة أنها تشعر بميل في نفسها إلى هدمه.

ألفت القاعة مليئةً بالحمقى الذين يتكلمون همساً، كأن اللورد تايبين نائم ويخشون أن يُوقظوه، وانكمش الحرس والخدم على حدٍّ سواءٍ منها لدى مرورها وأفواههم تفتح وتغلق، فرأت لثاهم الوردية وألستهم المتراقصة، لكن كلامهم لم يعن لها شيئاً أكثر من طنين العثة. ماذا يفعلون هنا؟ كيف عرفوا؟ المفترض أن يكونوا قد استدعوها هي أولاً. إنها الملكة الوصيّة على العرش، أم أنهم نسوا؟

أمام غرفة نوم يد الملك وقف السير مرين ترانت بمعطفه ودرعه الأبيضين، وقد فتح مقدمة خوذته فجعلته الأكياس الثقيلة تحت عينيه يبدو كأنه ما زال نصف نائم. قالت له: «أبعد هؤلاء الناس. هل أبي في المرحاض؟».

فتح لها السير مرين الباب مجيباً: «حملوه إلى سريره يا سيّدي».

كانت خيوط الصّوء المائلة تسرّب من مصاريع النوافذ راسمةً خطوطاً ذهبية على الحصائر المفروشة على أرضية غرفة النوم، ووجدت الملكة عمّها كيثان على ركبتيه إلى جوار الفراش، يُحاول أن يُصلي وبالكد يستطيع إخراج الكلمات من بين شفثيه. تجمّع الحرس قرب المستوقد، وقد لاح الباب السري الذي ذكره السير أوزموند مفتوحاً وراء الرّمد، لا يتعدّى حجمه حجم فرن، وهو ما يعني أن المتسلل منه عليه أن يزحف. أصابتها الفكرة بالغضب. لكن تيريون نصف رجل فقط. لا، القزم محبوس في زنزانية سوداء. ليس ممكناً أن هذا من صنعه. ستانيس، ستانيس وراء الأمر. ما زال له مناصرون في المدينة. إمّا هو وإمّا آل تايرل...

لطالما تردّد الكلام عن وجود ممّراتٍ سرّيةٍ داخل (القلعة الحمراء)، ويُفترض أن ميجور المتوحّش قتل الذين بنوا القلعة ليُحافظ على السرّ. كم غرّة نوم أخرى فيها أبواب خفية؟ تكوّنت في عقل سرسي فجأةً صورة للقرم يخرّج زاحفاً من وراء إحدى المعلقات في غرّة تومن وفي يده سكين، لكنها حدّث نفسها قائلةً: تومن تحت حراسةٍ قويّة. واللورد تايوين كان تحت حراسةٍ قويّة أيضاً.

مرّت لحظة دون أن تتعرّف الرّجل الميت. إن له شعراً كشعر أبيها، نعم، وإنما مؤكّد أن هذا رجل آخر، رجل أصغر حجماً وأكبر سنّاً بكثير، معطف نومه مرفوع حول صدره تاركاً إياه عارياً تحت الخصر. كان السهم قد أصابه فوق خاصرته بين الذّكر والسرّة، وقد انغرس في لحمه تماماً لدرجة أن ريشته فقط بارزة، ويّست الدّماء الجافّة شعر عانته، بينما بدأ المزيد منها يتخثر في سرّته. جعلت رائحته أنفها يتقلّص اشمئزازاً، وقالت امرأة: «أخرجوا السهم منه. إنه يد الملك!». ووالدي، السيّد والدي. أيجدر بي أن أصرخ وأمزق شعري؟ يقولون إن كاتلين ستارك مزّقت وجهها تمزيقاً حين قتلوا عزيزها روب. أرادت أن تسأله: هل كان هذا ليروفك يا أبي أم كنت لتريديني أن أتحلّى بالثّبات؟ هل بكيت أنت أباك؟ لقد مات جدّها وسينها عام واحد لا أكثر، لكنها تعرف قصّة اللورد تايوس الذي صار في غاية البدانة، وفي يوم انفجر قلبه وهو يصعد السّلام إلى عشيقته. كان أبوها في (كينجز لاندنج) عندما حدث هذا، يداً للملك المجنون، وقد اعتاد اللورد تايوين أن يغيب طويلاً في المدينة وقت طفولتها هي وچايمي، فإذا كان بكى حين أتوه بخبر موت أبيه فقد فعلها في مكانٍ لم ير أحد فيه دموعه.

قالت الملكة شاعرةً بأظفارها تنغرس في راحتي يديها: «كيف تتركوه هكذا؟ أبي كان يداً لثلاثة ملوك، أعظم رجل عرفته (الممالك السّبع). لا بُدّ أن تُدقّ له الأجراس كما دُقت لروبرت، ولا بُدّ أن يُعسّل ويكسى بثياب تليق بمكانته، بفراء القاقوم<sup>(1)</sup> وقماش الذهب والحريّر القرمزي. أين پايسل؟

(1) القاقوم حيوان ثديي ينتمي إلى فصيلة العرسيّات، وهو من أخطر حيوانات هذه الفصيلة على الرغم من لطّف شكله وجماله، وله فرو يُستخدم في صناعة الملابس الفاخرة. (المترجم).

أين بايسل؟!»، والتفتت إلى الحُرَّاس قائلةً: «پوكنز، أحضر المايستر الأكبر بايسل. عليه أن يتولَّى العناية باللورد تايوين».

رَدَّ پوكنز: «لقد رآه بالفعل يا جلالة الملكة، أتى ورأى وذهب يستدعي الأخوات الصَّامتات».

كنتُ آخر مَنْ أرسلوا يستدعونه. أصابها الإدراك بحني كادَ يُعجزها عن الكلام. ويهرب بايسل ليُرسل رسالةً بدلاً من أن يُلَوِّث يديه الرِّقِيقَتَيْنِ المتغضَّبتَيْنِ. هذا الرَّجُل عديم الفائدة. قالت بنبرة أمره: «اعثر على المايستر بالابار، اعثر على المايستر فرنكن، هذا أو ذاك»، فهرعَ پوكنز وذو الأذن القصيرة لتلبية الأمر، وتساءلت هي: «أين أخي؟».

- «نزل في النَّفق. ثَمَّة بثر فيها درجات حديد مثبتة في الحجر. السير چايمي ذهبَ ليرى عمقها».

أرادت أن تزعق فيهم: إن له يداً واحدةً فقط. كان على أحدكم أن يذهب، فليس لچايمي أن يتسلق السَّلام. قد يكون مَنْ قتلوا أبي كامنين في الأسفل في انتظاره. لطالما كان توأمها منهوَّراً، ويبدو أن فقدانه يده لم يُعلمه الحُذِر. كانت على وشك أن تأمر الحرس باللَّحاق به عندما عادَ پوكنز وذو الأذن القصيرة وبينهما رجل أشيب، وقال ذو الأذن القصيرة: «جلالة الملكة، هذا الرَّجُل يقول إنه كان مايستر».

انحنى الرَّجُل بشدَّة قائلاً: «كيف أخدمُ جلاتك؟».

وجدت سرسي وجهه مألوفاً على نحوٍ طفيف، وإن لم تستطع أن تتذكره. عجوز، لكن ليس هَرَمًا كبايسل، ما زالَ يتمتَّع بالقليل من الحيويَّة. الرَّجُل طويل القامة لكن ظُهره محنِّيٌ بعض الشيء، وحول عينيه البنيَّتين الجريبتَيْنِ تجاعيد. ورقبته عارية. قالت له: «لست تضع سلسلة مايستر».

- «أخذت مني. اسمي كايرن، بعد إذن صاحبة الجلالة. لقد عالجتُ يد أخيك».

- «تقصد جدعة يده». الآن تذكُر أنه جاء مع چايمي من (هارنهال).

- «لم أستطع أن أنقذ يد السير چايمي، هذا صحيح، لكن فنوني أنقذت ذراع، وربما حياته ذاتها. لقد أخذت (القلعة) سلسلتي، لكن ليس بمقدور أحدٍ هناك أن يأخذ معرفتي».

قالت وقد حزمت أمرها: «قد تصلح. إذا خذلتي ستفقد أكثر من مجرد سلسلة، هذا وعد. أخرج السهم من بطن أبي وجّهه للأخوات الصّامات». قال كايرن: «كما تأمر مليكتي»، وذهب إلى الفراش، ثم توقّف ونظر خلفه متسائلاً: «وكيف أتعامل مع الفتاة يا جلالة الملكة؟».

- «الفتاة؟». لم تنتبه سرسي إلى الجثة الثانية، لكنها أسرعَت الآن إلى الفراش وطوّحت كومة الأغطية الدّامية جانباً، وها هي ذي الفتاة، عارية باردة متورّدة... باستثناء وجهها المسود كوجه چوف في مأدبة زفافه، وقد اندفنت سلسلة من الأيدي الذهبية التي يشدُّ بعضها على بعض في لحم عُقها، والتوت بشدّة جعلتها تخترق الجلد. هسهست سرسي كهرةً غاضبة، وقالت: «ماذا تفعل هذه هنا؟».

قال ذو الأذن القصيرة: «وجدناها هنا يا جلالة الملكة. إنها عاهرة العفريت». كأن قوله يُفسّر وجودها هنا.

فكرت: لم يكن السيّد والذي يطبق العاهرات، ولم يمَسَّ امرأةً بعدما ماتت أمنا. حدّجت الحارس بنظرة تُجمّد الدّماء، وقالت: «هذا ليس... حين مات أبوه عادَ اللورد تاويين إلى (كاسترلي) روك ليجد... امرأةً من هذا النوع... تتحلّى بجواهر أمّه وترتدي أحد فساتينها، فجرّدها منها ومن كلِّ شيءٍ آخر، وطيلة أسبوعين جُرّست عاريةً في شوارع (لانسهورت)، لتقرّر لكلِّ رجلٍ تلتقيه بأنها لصّة وبغي. هكذا كان اللورد تاويين يتعامل مع العاهرات. إنه لم... هذه المرأة كانت هنا لسببٍ آخر، وليس ل...».

قال كايرن مقترحاً: «ربما كان حضرة اللورد يستجوب الفتاة بشأن سيّدتها. سانزا ستارك اختفت ليلة قُتل الملك حسب ما سمعتُ».

تمسّكت سرسي بالاقتراح بحماسة، وقالت: «بالضبط. لا بدّ أنه كان يستجوبها، لا شكّ في هذا على الإطلاق». كانت ترى تيريون ينظر إليها شزراً بضمّ ملتوٍ بابتسامةٍ كالقروود تحت أنفه الخرب، وتسمع القزم يهمس لها: وهل من وسيلةٍ أفضل لاستجوابها من أن تكون عاريةً فاتحةً ساقيها؟ هكذا أحبُّ أن أستجوبها أيضًا.

أشاحت الملكة بوجهها. لن أنظر إليها. فجأةً أصبح وجودها في الغرفة



نفسها مع المرأة الميتة فوق الاحتمال، فاندفعت متجاوزةً كايبرن وخرجت إلى الرّدهة.

كان أوزني وأوزفريد أخوا السير أوزموند قد انضمّا إليه، فقالت سرسي للإخوة كِتْلِبلاك الثلاثة: «هناك امرأة ميتة في عُرفة اليد. يجب ألا يعلم أحد أبداً بأنها كانت هنا».

- «حاضر يا سيّدي»، قال السير أوزني الذي تلوح على وجته خدوش باهتة حيث خمّشته واحدة أخرى من عاهرات تيريون. «وماذا نفعل بها؟».

- «أطعموها لكلابكم، احتفظوا بها في سريركم، لا أبالي. إنها لم تكن هنا قطّ. سأقطعُ لسان من يتجرأ ويقول إنها كانت هنا، مفهوم؟».

تبادل أوزني نظرةً مع أوزفريد، ثم قال: «نعم يا جلالة الملكة». تبعَت الأخوين إلى الدّاخل وشاهدت بينما لفَا الفتاة بأغطية أبيها الدّامية. شي، كان اسمها شي. آخر مرّة رأتها كانت في اللّيلة السّابقة لمُحاكمة القزم، بعد أن عرض الثعبان الدورني الباسم أن يُناصره في مُحكمةٍ بالنزال. سألت شي عن بعض الجواهر التي أعطاها لها تيريون، وعن وعودٍ معيّنة تقول إن سرسي قطعَها بخصوص إيوانٍ في المدينة وفارس يتزوّجها، فقالت الملكة بمنتهى الوضوح إن العاهرة لن تنال شيئاً منها إلى أن تُخبرهم بمكان سانزا ستارك، وأضافت: «كنت وصيفتها، فهل تتوقّعين أن أصدّق أنك لم تعلمي شيئاً عن مخطّطاتها؟»، وغادرت شي باكية.

رفع السير أوزفريد الجثة الملفوفة على كتفه، وقالت له سرسي: «أريدُ هذه السّلسلة. احرص على ألاّ تخدش الذهب»، فأوماً أوزفريد برأسه إيجاباً وبدأ يتحرّك نحو الباب، إلا أنها استوقفته قائلة: «لا، ليس عبر السّاحة»، وأشارت إلى الطّريق السّريّ مردفة: «ثمّة بئر تقود إلى الزّنازين، اذهب من هناك».

وبينما جثا السير أوزفريد على رُكبةٍ واحدة أمام المستوقد توهّج الصّوء في الدّاخل وسمعت الملكة جلبه، ثم ظهر چايمي محنيّ الظهر كامرأةٍ مسنةٍ، يرُكلُ حداؤه سُخام نار اللورد تايوين الأخيرة ويُطيّره، وقال للأخوين كِتْلِبلاك: «ابتعدا عن طريقي».

هرعت سرسي إليه متسائلة: «هل وجدتهم؟ هل وجدت القتلة؟ كم عددهم؟». مؤكّدة أن هناك أكثر من واحد. لا يُمكن أن رجلاً وحيداً قتل أباهما.

أجاب توأمها وعلى وجهه نظرة منهكة: «البئر تنزل إلى حُجْرَةٍ تتفرَّع منها دسّته أنفاق مغلقة بأبواب حديدية موصدة بالسلاسل. يجب أن أعثر على المفاتيح»، وجال ببصره في العُرفَة مضيئاً: «قد يكون من فعلها أيّاً كان لا يزال كامناً وراء الجُدران. إنها متاهة مظلمة».

تخيَّلت تيريون يزحف بين الجُدران كجرذٍ وحشي. لا، دعك من هذه الأفكار السَّخيفة، القزم في زنانتِه. «اهدم الجُدران بالمطارق، اهدم البُرج كله إذا لزم الأمر. أريد العثور عليهم. أيّاً كان من فعلها أريده أن يُقتل».

عانقها چايمي ضاغطاً بيده السَّليمة على أسفل ظَهرها، تفوح منه رائحة الرَّماد وإن كان نور شمس الصَّباح في شعره يُضفي عليه وهجاً ذهبياً. أرادت أن تسحب وجهه إلى وجهها لتقبُّله، لكنها قالت لنفسها: لاحقاً، لاحقاً سيأتيني ينشد المواساة. همست له: «إننا وريثاه يا چايمي، وعلينا أن نتمَّ عمله. لا بُدَّ أن تحلَّ محلَّ أبينا كيد الملك. مؤكَّد أنك ترى هذا الآن. تومن سيحتاج إليك...».

دفعها عنه ورفع ذراعه لتواجه جَدعته وجهها مباشرةً، وقال: «يد بلا يد؟ دُعاة رديئة يا أختاه. لا تطلبي مني أن أحكم».

سمع عمُّهما صدَّته لها، وكذا كايبرن والأخوان كِتلبلاك اللذان يحملان الكومة عبر الرَّماد بصعوبة، وحتى الحرس سمعوه؛ بوكنز وهوك وساق الحصان وذو الأذن القصيرة. سيذيع الكلام في القلعة كلها بحلول المساء. أحست سرسي بالحرارة ترتفع إلى وجنتيها، وقالت: «تحكم؟ لم أقل شيئاً عن الحكم. سأحكم أنا إلى أن يبلغ ابني».

قال أخوها: «لا أدري على من أشفق أكثر، تومن أم (الممالك السَّبع)». هوت على وجهه بصفعة، وارتفعت ذراع چايمي تصدُّها بسُرعة القِط... لكن هذا القِط له جَدعة مُعاقٍ بدلاً من يد يُمْنى، فتركت أصابعها علاماتٍ حمراء على خدِّه.

دفع الصَّوت عمَّهما إلى النُّهوض قائلاً: «أبوكما مسجى ميتاً هنا. تحلياً باللياقة وخذنا شجاركما إلى الخارج».

حتى چايمي رأسه معتدراً، وقال: «سامحننا يا عمَّاه. أختي أسقمها الحُزن ونسيت نفسها».

أرادت أن تصفحه ثانيةً لقلوله هذا. لا بُدَّ أني جُننتُ حين حسبْتُ أنه يصلحُ لأن يكون يداً. خيرٌ لها أن تُلغى المنصبُ برُمَّته. منذ متى جلبَ عليها يد الملكِ إلاً البلاء؟ چون آرَن وضعَ روبرت باراثيون في فراشها، وقبل أن يموت بدأ يحوم حول علاقتها بچايمي أيضاً، ثم بدأ إدارد ستارك من حيث توقَّف آرَن، وأجبرها تطفله على الخلاص من روبرت في وقتٍ أقرب مما أرادت، قبل أن تتعامل مع أخوينه المزعجين، أمَّا تيريون فباعَ مارسلا للدورنيين واتخذ أحد ابنيها رهينةً واغتالَ الثاني، وحين عادَ اللورد تايوين إلى (كينجز لاندنج)...

وعدت نفسها قائلةً: اليدُ التالي سيعرف مقامه. لا بُدَّ أن يكون السير كيثان، فعمُّها دؤوب متعقلٌ ومطيعٌ لأقصى الحدود، وتستطيع الاعتماد عليه مثل أبيها من قبلها. اليد لا تُجادلُ الرأس. ثمة مملكة عليها أن تحكُمها، لكنها ستحتاج إلى رجالٍ جُدد لمساعدتها على الحُكم. بايسل منافق خرف، وچايمي فقد شجاعته مع يده، ومايس تايرل وصديقه الحميمان ردواين وروان ليسوا أهل ثقة، وعلى حدِّ علمها ربما يكون لهم دور في هذا. لا ريب أن اللورد تايرل علم أنه لن يحكم (الممالك السَّبع) أبداً ما عاش تايوين لانستر.

عليَّ أن أتصرف بحذرٍ معه. المدينة تعجُّ برجاله، كما أنه نجح في زرع أحد أبنائه في الحرس الملكي، ويُزعم أن يزرع ابنته في فراش تومن. ما زالت تتميزُّ غيظاً من موافقة أبيها على خطبة تومن ومارچري تايرل. الفتاة في ضعف سنِّه وترملت مرتين. يزعم مايس تايرل أن ابنته بكر، لكن سرسي تشك في صحَّة هذا. چوفري اغتيلَ قبل أن يُعاشر الفتاة، لكنها كانت زوجة رنلي أولاً... قد يُفضِّل المرء مذاق الهيبوكراس<sup>(1)</sup>، لكن ضَع دورقاً من المزر أمامه وسيعبُّه في لحظات. عليها أن تأمر اللورد فارس بأن يجمع ما يستطيع من معلومات. أوقفها الخاطر في مكانها. لقد نسيت أمر فارس. المفترض أن يكون هنا، إنه موجود دائماً. متى حدث شيء مهمٌّ في (القلعة الحمراء) يظهر الخصيُّ كأن العدم انشقَّ ولفظه. چايمي هنا، والعمُّ كيثان، وپايسل جاءَ وذهب، لكن

(1) الهيبوكراس مشروب صحِّي يُعدُّ من النبيذ المخلوط بالسُّكر والتوابل، وعادةً ما يتضمَّن القرفة، ابتكره أبقراط وسُمِّي نسبةً إليه. (الترجم).

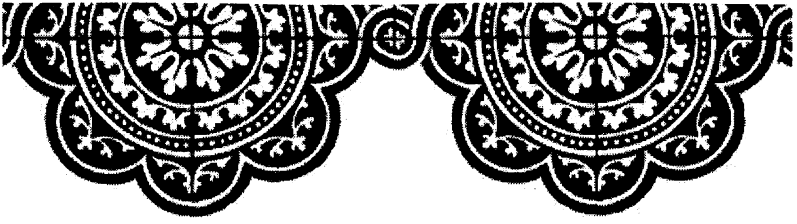
فارس غائب. أَحَسَّتْ بِأَصْبَعٍ بَارِدٍ يَمَسُّ عَمُودَهَا الْفَقْرِي. إنه جزء من هذا. لا بُدَّ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يَضْرِبَ أَبِي عُنُقَهُ، فَوَجَّهَ ضَرْبَتَهُ أَوْلًا. لم يكن اللورد تايوين يَكُنُّ وُدًّا لَوْلِيِّ الْهَامَسِينَ بِابْتِسَامَاتِهِ الْمَتَكَلِّفَةِ، وَإِذَا كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ يَعْرِفُ أَسْرَارَ (القلعة الحمراء) فمؤكَّد أنه وليُّ الهامسين. لا بُدَّ أَنَّهُ تَحَالَفَ مَعَ اللورد ستانيس. لقد خدما معًا في مجلس روبرت رغم كلِّ شيء...  
 اتَّجَهَتْ سِرْسِي مَسْرَعَةً إِلَى بَابِ الْعُرْفَةِ حَيْثُ يَقِفُ السَّيْر مَرِين تِرَانْت، وَقَالَتْ لَهُ: «تِرَانْت، أَحْضِرْ لِي اللورد فارس، أَحْضِرْهُ صَارِخًا مَكْبَلًا إِذَا دَعَتِ الْحَاجَةَ، لَكِنْ دُونَ أَنْ يَمَسَّهُ أذَى».  
 - «كَمَا تَأْمُرِينَ يَا جَلَالَةَ الْمَلِكَةِ».

لكن لم يكد فارس الحرس الملكي يرحل حتى عادَ آخر. كان السير بوروس بلاونت محتقن الوجه متقطع الأنفاس من اندفاعته المتعجِّلة على السَّلام، ولمَّا رَأَى الْمَلِكَةَ قَالَ لَهَا: «اخْتَفَى»، وَنَزَلَ عَلَى رُكْبَتِهِ مَتَابِعًا: «العِفْرِيْت... زَنَاتُهُ مَفْتُوحَةٌ يَا جَلَالَةَ الْمَلِكَةِ... لَا أَثْرَ لَهُ فِي أَيِّ مَكَانٍ».  
 كَانَ الْحُلْمُ حَقِيقَةً. «لَقَدْ أَمَرْتُ بِأَنْ يَبْقَى تَحْتَ الْحِرَاسَةِ لَيْلَ نَهَارٍ...».  
 رَدَّ بِلَاوَنْتُ وَصَدْرُهُ يَعْلُو وَيَهْطُ بِسُرْعَةٍ: «أَحَدُ السَّجَّانِينَ مَفْقُودٌ أَيْضًا، اسْمُهُ رُوجِن، وَوَجَدْنَا رَجُلَيْنِ آخَرَيْنِ نَائِمَيْنِ».  
 قَالَتْ بِأَذَلَّةٍ قِصَارَى جَهْدِهَا كَيْ لَا تَصْرُخَ: «أَمَلُ أَنْكَ لَمْ تُوقِظْهُمَا يَا سِير بوروس. اتركهما نائمين».

رَفَعَ عَيْنِيهِ إِلَيْهَا وَتَسَاءَلَ بَارْتَبَاكُ وَوَلَّغَهُ يَهْتَزُّ: «نَائِمِينَ؟ أَمْرُكَ يَا جَلَالَةَ الْمَلِكَةِ. إِلَى مَتَى أَتْرُكُ...».

- «إِلَى الْأَبَدِ. اعمل على أن يناما إلى الأبد أيها الفارس. لن أسمح بأن ينام الحُرَّاسُ فِي أَثْنَاءِ مَنَاوَيْتِهِمْ». إنه بين الجُدران. قَتَلَ أَبِي كَمَا قَتَلَ أُمِّي كَمَا قَتَلَ جُوف. تعلم الملكة أن القزم سيأتيها أيضًا، تمامًا كما توعدتها العجوز في عتمة الخيمة إياها. ضحكتُ في وجهها، لكنها كانت تتمتع بقدراتٍ حَقِيقَةٍ. لقد رأيتُ مُسْتَبْكِي فِي قِطْرَةِ دَمٍ، رَأَيْتُ هَلَاكِي. شعرتُ بِقَدَمَيْهَا ضَعِيفَتَيْنِ كَالْمَاءِ، وَحَاوَلْتُ السَّيْرَ بَورُوسَ أَنْ يَلْتَقِطَ ذِرَاعَهَا، لَكِنْ الْمَلِكَةُ جَفَلَتْ مِنْ لَمْسَتِهِ. ربما يكون واحدًا من مخلوقات تيريون أيضًا. صاحت: «ابتعد عني، ابتعد!»، وَتَرَنَّحَتْ قَبْلَ أَنْ تُثَبِّتَ نَفْسَهَا.

قال بلاونت: «هل أحضرُ كوبًا من الماء يا جلالة الملكة؟».  
ما أحتاجُ إليه هو الدَّم لا الماء، دَمٌ تيريون، دَمُ القالونكار. راحت المشاعل  
تدور حولها، فأغلقت سرسي عينيها ورأت القزم يبتسم لها باتساع. لا، لا،  
كنتُ أوشكتُ على الخلاص منه. لكن أصابعه انغلقت حول رقبتها، وأحسَّت  
بها تبدأ في الانطباق.



## بريان

قالت للعقيلة الشبياء الواقعة عند بئر القرية: «أبحثُ عن بنتٍ في الثالثة عشرة، بنت رفيعة النسب رائعة الجمال، عيناها زرقاوان وشعرها كستنائي. قد تكون مُسافرةً مع فارس سمين في الأربعين، أو ربما مع مهرج. هل رأيتها؟». أجابت العقيلة وهي تنقر على جبهتها بمفاصل أصابعها: «ليس حسب ما أذكرُ أيها الفارس، لكن أعدك بأن أبقى عيني مفتوحة».

الحداد كذلك لم يرها، ولا السُّبُتون في سبت القرية، ولا راعي الخنازير بقطيعه، ولا الفتاة التي تطلع البصل في حديقتها، أو أيُّ من العامة البُسطاء الذين وجدتهم عذراء (تارث) وسط أكواخ (روزبي) المبنية بالحِصص والأغصان المجدولة، وعلى الرغم من هذا ثابتت بريان وقالت لنفسها: هذا أقصر الطرق إلى (وادي الغسق). إذا مررت سانزا من هنا فلا بد أن أحدا رآها. عند بوابة القلعة ألقت سؤالها على حارسين يحملان الحراب، على شارة كلٍّ منهما ثلاثة جملونات<sup>(1)</sup> حمراء على خلفيّة بيضاء مرقطة بالأسود، رمز عائلة روزبي. قال لها أكبرهما سنا: «إذا كانت على الطريق هذه الأيام فلن تظن بنتًا طويلًا»، أمّا أصغرهما فسألها إن كان للبت ذلك الشعر الكستنائي بين ساقها أيضًا.

لن أجد عونًا هنا. بينما امتطت بريان فرسها مجددًا لمحت فتى نحيلًا على متن حصانٍ أرقط في أقصى القرية، ففكرت: لم أتكلّم مع هذا الصبي، لكنه اختفى وراء السُّبُت قبل أن تسعى إليه، فلم تُكَلِّف نفسها عناء اللحاق به،

(1) الجملون هو الجزء الأعلى من المثلث. (المترجم).

فعلى الأرجح لا يعرف شيئاً أكثر من الآخرين. (روزي) ليست أكثر من مكانٍ واسع على الطريق، وليس هناك ما يحمل سانزا على البقاء فيها. هكذا عادت بريان إلى الطريق وأتجهت شمالاً وشرقاً، مارةً ببساتين تفّاح وحقول ذرة، وسرعان ما غابت القرية وقلعتها وراءها. قالت لنفسها إن (وادي الغسق) هي المكان الذي ستجد فيه بُغيّتها. إذا كانت قد سلكت هذا الطريق أصلاً.

- «سأعثرُ على الفتاة وأحافظُ على سلامتها، لأجل خاطر أمّها ولأجل خاطرك». هكذا وعدت بريان السير چايمي في (كينجز لاندنج). كلمات نبيلة، لكن الكلام سهل والفعل صعب. لقد ظلّت في المدينة وقتاً أطول من اللازم، وما توصّلت إليه يكاد لا يُذكر. كان عليّ أن أتحرّك مبكراً... لكن إلى أين؟ سانزا ستارك اختفت ليلة موت الملك چوفري، وإذا كان أحدهم قد رآها منذ ذلك الحين، أو إن كانت عنده معرفة ولو طفيفة بالمكان الذي ذهبت إليه، فلا أحد يتكلّم. لا أحد يتكلّم معي أنا على الأقل.

تعتقد بريان أن الفتاة غادرت المدينة، فلو كانت لا تزال في (كينجز لاندنج) لعثرَ عليها ذوو المعاطف الذهبية. لا بُدَّ أنها ذهبت إلى مكانٍ آخر... لكن ذلك المكان الآخر قد يكون أيّ مكان. سألت نفسها: لو كنت فتاةً أزهرت مؤخرًا، وحيدةً وخائفةً وفي خطرٍ داهم، فماذا أفعل؟ أين أذهب؟ بالنسبة إلى بريان نفسها الإجابة سهلة، إذ ستعود إلى (تارث) وإلى أبيها... أمّا أبو سانزا فقد قطعوا رأسه على مرأى منها، والسيدة والدتها ماتت أيضًا، اغتيلت في (التوأمتين)، وقلعة عائلة ستارك العظيمة (وينترفل) نُهبَت وأحرقت وقُتل أهلها. ليس لها وطن تهرب إليه، ولا أب ولا أم ولا إخوة. قد تكون الفتاة في البلدة التالية أو على متن سفينةٍ راحلة إلى (أشاي)، الاحتمالات كافة متساوية.

حتى إذا أرادت سانزا ستارك أن تعود إلى وطنها، فكيف تصل إليه؟ (طريق الملوك) ليس آمنًا، وكلُّ طفل يعلم هذا، وحديدو الميلاذ مسيطرون على (خندق كايلن) التي تسدُّ (العنق)، وفي (التوأمتين) يستقرُّ آل فراي الذين اغتالوا أخوا سانزا والسيدة والدتها. تستطيع الفتاة أن تُسافر بحرًا إذا كانت تملك المال، لكن الميناء في (كينجز لاندنج) لا يزال خربًا، والنهر فوضي من الأرصفة المحطّمة والقوادم المحروقة والغارقة. كانت بريان قد سألت

عند أحواض السفن، لكن لا أحد تذكّر رؤية سفينةٍ ترحل ليلة مات الملك چوفري، وقال لها أحد الرجال إن بعض السفن التجاريّة الرّاسية في الخليج تُفْرغ حمولتها بالقوارب، لكن عددًا أكبر يُواصل طريقه على السّاحل إلى (وادي الغسق) التي تضمّ ميناءً مزدحمًا عن آخره.

تمتطي بريان فرسًا جميلة المنظر سريعة الحركة، وعلى الطّريق قابلت مُسافرين أكثر مما كانت تحسب، فرأت إخوةً شحّاذين يمشون بخطى بطيئة وأوعيتهم معلّقة بسيورٍ جلديةٍ من رقابهم، وهروولٍ سِبتون شاب مارًا بها على متن حصانٍ صغير يليق بأيّ لورد، ولاحقًا التقت جماعةً من الأخوات الصّامتات اللواتي هزنن رؤوسهن نفيًا حين ألقت عليهن سؤالها، ومضت قافلة من العربات التي تجرّها الثيران جنوبًا حاملةً غلالًا وأجولةً من الصّوف، وبعدها مرّت براعي خنازير يسوق قطيعه، وامرأةٌ عجوز في هودج تجرّه الخيول وتُصاحبه مجموعة من الحرس الرّاكبين. سألتهم جميعًا إن كانوا قد رأوا بنتًا في الثالثة عشرة لها عينان زرقاوان وشعر كستنائي، إلا أن أحدًا لم يرها. سألت عن الطّريق أمامها أيضًا، فأجابها رجل: «إنه آمن بما فيه بين هنا (وادي الغسق)، لكن بعد (وادي الغسق) هناك خارجون عن القانون ورجال مكسورون<sup>(1)</sup> في الغابات».

وحدها أشجار الصّنوبر الجُندي والحارس<sup>(2)</sup> ما زالَ فيها اخضرارًا، أمّا الأشجار الأخرى ذات الورق العريض فانتشحت بالخمري والذهبي، أو تجرّدت لتخدش السّماء بفروعٍ بنيةٍ عارية. كلُّ هبةٍ ريح تدفع سحاباتٍ دوّارة من الأوراق الميتة على الطّريق المليء بالحُفر، فتُصدر حفيفًا وهي تتناثر حول حوافر الفرس الكستنائية التي منحها چايمي لانستر لبريان. العثور على فتاةٍ مفقودة في (وستروس) كالعثور على ورقةٍ في مهبّ الرّيح. وجدت نفسها

(1) الرّجال المكسورون همّ المجنّدون إلزاميًا الذين يتهرّبون من الخدمة ولا يعودون إلى ديارهم، وإنما يُكوّنون عصاباتٍ من الخارجين عن القانون، وفي عالم الواقع ظهر المصطلح قديمًا في أيرلندا وسكوتلندا وصفًا لمن يتخلون عن ولائهم لقبائلهم. (المترجم).

(2) الصّنوبر الجُندي والحارس شجرتان من ابتكار المؤلّف. (المترجم).



تساءل إن كان چايمي قد كلفها بهذه المهمة على سبيل الدُّعابة القاسية. ربما تكون سانزا ستارك ميةً، قطعوا رأسها للدُّور الذي لعبته في موت الملك چوفري ودفنوها في قبر بلا شاهد. وهل من وسيلةٍ أفضل لإخفاء قتلها من إرسال فتاةٍ حمقاء كبيرة من (تارث) للبحث عنها؟

ما كان چايمي ليفعل هذا. كان صادقًا، وأعطاني السيفَ وسمَّاه (حافظ العهد). لا فرق على كلِّ حال. لقد وعدت الليدي كاتلين بأن تُعيد ابنتيها، وما من يمينٍ مقدَّسة كتلك التي حُلِّفت للموتى. چايمي زعمَ أن الفتاة الصُّغرى ماتت منذ فترةٍ طويلة، أمَّا آريا التي أرسلها آل لانستر شمالًا لتتزوَّج نغل وروس بولتون فزائفة، أي أنه لم يعد هناك إلَّا سانزا، ويجب أن تُعثر عليها بريان.

قُرب الغسق أبصرت نار مخيِّم إلى جوار غدِير، يجلس عندها رجلان يشويان أسماك الترويت، وقد كوَّما أسلحتهما وعتادهما أسفل شجرة. أحدهما عجوز والثاني أصغر بعض الشيء، وإن كان بعيدًا عن الشباب، وهو من نهض يُحييها، فرأت أن له بطنًا كبيرًا يضغط على أربطة سترته المبقعة المصنوعة من جلد الظباء، ولحيةٍ خشنة مشعنة لونها كالذهب القديم تُغطِّي وجنتيه وذقنه. ناداها قائلاً: «لدينا سمك يكفي ثلاثة أيها الفارس».

ليست هذه أول مرَّة يحسب أحدهم بريان رجلًا. خلعت خوذتها محررةً شعراً أصفر كالقش المتسخ ويُدانيه في الهشاشة، فتطايَر حول كتفيها طويلًا خفيًا وهي تقول: «أشكرك أيها الفارس».

زرَّ الفارس المتجول عينيه متفرِّسًا في ملامحها بشدَّة جعلتها تُدرك أنه قصير النَّظر، وقال: «امرأة؟ مسلحة ومدرعة؟ إيلي، انظر إلى حجمها بحقِّ الآلهة».

ردَّ الفارس الأكبر سنًا وهو يدور السمك على النَّار: «حسبتها فارسًا أيضًا». لو كانت بريان رجلًا لقليل إنه رجل كبير الحجم، لكن بالنسبة إلى النساء فهي ضخمة حقًا. «مسخ» هي الكلمة التي سمعتها طوال حياتها. إن لها كتفين عريضتين ووركين أعرض، وساقاها طويلتان وذراعاها غليظتان، وعضلات صدرها تجعل حجم ثدييها لا يُذكر، ويدها كبيرتان وقداها ضخمتان، وكلُّ هذا علاوةً على قُبْح ملامحها، فوجهها منمش ويبدو كوجه الحصان،

وأسنانها تكاد تكون كبيرة على فمها، وهي ليست في حاجة إلى أن يُذكَرَها أحد بكلّ هذا. قالت: «أيها الفارسان، هل رأيتما بنتًا في الثالثة عشرة على الطّريق؟ لها عينان زرقاوان وشعر كستنائي، وربما كانت في صُحبة رجلٍ سمين متورّد الوجه في الأربعين».

حكّ الفارس المتجولّ قصير النّظر رأسه، وقال: «لا أذكرُ بنتًا على شاكلتها. وما هذا الشّعر الكستنائي؟».

أجاب الأكبر سنًا: «أحمر مائل إلى البني. لا، لم نرها». وقال الأصغر: «لم نرها يا سيّدتي. هلمّي، ترجّلي. السمك على وشك النّضوج. أنتِ جائعة؟».

كانت جائعةً بالفعل، لكنها حذرة أيضًا. للفُرسان المتجولّين هؤلاء سُمعة سيّئة، ويُقال إن الفارس المتجولّ والفارس اللّصّ وجهان لسيفٍ واحد. لكن هذين الاثنين لا يبدوان خطرين لهذه الدّرجة. «هل لي أن أعرف اسميكما أيها الفارسان؟».

قال ذو البطن الكبير: «يُشرفني أن أكون السير كرايتون لونجبو الذي يُعني عنه المُطربون. ربما تكونين قد سمعتِ عن مآثري في معركة (النّهر الأسود). ورفيقي هو السير إيليفر المُفلس».

إذا كانت هناك أغنيّة عن كرايتون لونجبو فهي واحدة لم تسمعها بريان، واسما الفارسيّين لا يعينان شيئًا لها أكثر من رمزيهما. على تُرس السير كرايتون ليس هناك إلّا شريط بنّي وشقّ عميق صنّعه فأس حربيّة، أمّا السير إيليفر فُترسه مقسّم إلى ثمانية مثلثات نصفها ذهبي ونصفها أبيض مرقّط بالأسود كفرو القاقوم، ولو أن كلّ شيءٍ في مظهر الرّجل يُوحى بأنه لم يعرف في حياته من الذهب وفرو القاقوم إلّا النّوع المطلي. إنه في السّتين من العُمر على الأقلّ، وجهه هزيل مسحوب تحت قلنسوة معطفه الخيش المرّقع، وقد ارتدى تحته قميصًا من الحلقات المعدنيّة، وإن بقع الصّدأ الحديد كأنه النّمس. تفوق بريان كليهما طولًا برأس كامل، ناهيك بأن مطيّتها وسلاحها أفضل. إذا خشيتُ أمثالهما فحريّ بي أن أستبدل بسيفي الطّويل إبرتي خياطة. قالت: «أشكركما أيها الفارسان الكريمان. يسرّني أن أشارككما سمككما»، ووثبت من فوق فرسها وخلعت سرجها وسقتها قبل أن تُقيّدها

وُترخي لها الحبل لترعى، ثم كَوَّمت أسلحتها وُترسها وجرَّاي السَّرج تحت شجرة دَردار، وعندئذٍ كان سَمك الترويت قد نَضجَ تمامًا، فناولها السير كرايتون واحدةً جلست تأكلها متقاطعة السَّاقين على الأرض.

قال لها لونجبو وهو يُفَسِّخ سمكته بأصابعه: «إننا متوجَّهان إلى (وادي الغسق) يا سيِّدتي. خيرٌ لكِ أن تركبي معنا، فالطُّرق محفوفة بالمخاطر».

كانت بريان لتحكى له عن مخاطر الطُّرق أكثر مما يُريد أن يعرف، لكنها أجابته: «أشكرك أيها الفارس، لكنني لستُ في حاجةٍ إلى حمايتكما».

- «إنني مصرٌّ. لا بُدَّ أن يُدافع الفارس الحقيقي عن الجنس اللطيف».

مسَّت مقبض سيفها قائلةً: «هذا سيُدافع عني».

- «السَّيف لا ينفع إلَّا بقدر مهارة من يحمله».

- «إنني ماهرة في حمله بما فيه الكفاية».

- «كما ترغيبين. ليس من الكياسة أن يُجادل المرء سيِّدةً. سنصحبك

سالمةً إلى (وادي الغسق). ثلاثة معًا يركبون في أمانٍ أكثر من واحدٍ وحده».

كنا ثلاثةً حين خرجنا من (ريقررن)، ومع ذلك فقدَ جايمي يده وكيوس

فراي حياته. «حصانًا كما لا يستطيعان مجاراة فرسي». حصان السير كرايتون

البنِّي المخصي مجرد مخلوق عجوز أفعس الظَّهر داعم العينين، وحصان

السير إيليفر يبدو مهزولًا يتضوَّر جوعًا.

قال السير كرايتون بإصرار: «جوادي خدمني جيِّدًا في معركة (النَّهر

الأسود)، بل وقتلتُ ذات اليمين وذات الشُّمال وفزتُ بدستةٍ من الفدييات.

هل سمعت سيِّدتي بالسير هربرت بولينج؟ لن تُقابليه أبدًا، فقد قتلته حيث

كان يقف. عندما تتقارع السُّيوف لن تجدي السير كرايتون لونجبو في

المؤخرة أبدًا».

أطلق رقيقه قهقهةً جافَّةً، وقال: «دَعك منها يا كراي. أمثالها ليسوا في

حاجةٍ إلى أمثالنا».

سألته بريان غير مدركةٍ ما يرمي إليه: «أمثالي؟».

أشار السير إيليفر بإصبع رفيع إلى تُرسها. على الرغم من أن طلاءه مشقَّق

متشقَّر فما زال الرَّمز عليه واضحًا؛ خفَّاش أسود على خلفيَّة مقسومة قُطريًّا

إلى ذهبي وفصِّي. «إنك تحمِلين تُرس شخصٍ كاذب لا حقَّ لك فيه. لقد

ساعدَ جُدَّ جَدِّي على قتل آخِر أفراد عائلة لوستون، ومنذ ذلك الحين لم يجرؤ أحد على إظهار هذا الخفاش الأسود كأفعال من كانوا يحملونه».

إنه التُّرس الذي أخذَه السير چايمي من مستودع السِّلَاح في (هارنهال)، وقد وجدته بريان في الاسطبلات مع فرسها بالإضافة إلى أشياء أخرى كثيرة؛ السَّرج واللِّجام، وقميص من الحلقات المعدنيَّة وخوذة كبيرة، وصُرتين من العُمَلات الذهب والفضَّة، وورقة رُقوق أئمن من الاثنين. قالت مفسِّرة: «لقد فقدتُ تُرسي».

أعلنَ السير كرايتون بحزم: «التُّرس الوحيد الذي تحتاج إليه فتاة هو فارس حقيقي».

لم يُعره السير إيليفر انتباهًا وهو يقول: «حافي القدمين يبحث عن حذاءٍ ينتعله، والبردان يبحث عن معطفٍ يرتديه، لكن من ذا الذي يختار أن يرتدي العار؟ اللورد لوكاس القوَّاد كان يضع هذا الرَّمز، وابنه مانفريد ذو القلنسوة السوداء، وإنني أسأل نفسي عن سبب اتِّخاذكِ رمزًا كهذا ما لم تكن خطيبتكِ أقبج... وأحدث»، واستلَّ خنجره القبيح المصنوع من الحديد الرِّخيص مواصلاً: «امرأة كبيرة كالمسوخ وقويَّة كالمسوخ تُخفي ألوانها الحقيقيَّة. كراي، انظر إلى عذراء (تارث) التي شقَّت لرنلي حلقة الملك».

- «هذه أكذوبة». بالنسبة إليها كان رنلي باراثيون أكثر من ملك. لقد أحبَّته منذ جاء (تارث) في رحلته المتمهِّلة إلى اللورديَّة احتفالاً ببلوغه سنَّ الرُّجولة، ورَحَّب به أبوها بمأدبةٍ وأمرها بأن تحضرها، ولولا هذا لكانت قد اختبأت في عُرفتها كحيوانٍ جريح. حينئذٍ لم تكن أكبر من سانزا، تخاف الضَّحكات السَّاخرة المكتومة أكثر من السُّيوف، فقالت للورد سلوين: «سيعلمون بأمر الوردية ويضحكون مني»، لكن نجم المساء لم يتزحَّح عن قراره.

وقد رأت من رنلي باراثيون كلَّ كياسةٍ كما لو أنها فتاة طبيعيَّة حسناء، بل ورقصَ معها فأحسَّت بين ذراعيه بأنها رشيقة وطفَّت قدماها فوق الأرض، ولاحقًا طلبَ آخرون الإذن في الرِّقص معها بسبب المثل الذي ضربَه لهم، ومنذ ذلك اليوم لم ترغب إلا في أن تكون قريبةً من اللورد رنلي، أن تخدمه وتحميه... لكنها في النهاية خذلته. قالت لنفسها: رنلي مات بين ذراعي، لكنني لم أقتله، على أن هذين الفارسين المتجولَّين لن يتفهَّما أبدًا. قالت لهما:

«كنت لأدفع حياتي فداءً للملك رنلي وأموت سعيدةً. لم أمسّه بسوء، أقسمُ على هذا بسيفي».

قال السير كرايتون: «الفرسان فقط يُقسَمون بسيوْفهم».

وأضاف السير إيليفر المُفلس: «أقسَمي بالآلهة السبعة».

- «بالآلهة السبعة إذن. لم أمسّ الملك رنلي بسوء. أقسمُ بـ(الأم)، عسى ألا أعرف رحمته أبدًا إذا كنتُ كاذبةً. أقسمُ بـ(الأب) وأدعوه أن يحكم عليّ بالعدل. أقسمُ بـ(العذراء) و(العجوز)، وبـ(الحدّاد) و(المُحارب)، وأقسمُ بـ(الغريب) الذي أسأله أن يأخذني الآن إن كنتُ أقولُ الباطل».

علّق السير كرايتون: «إنها تُجيد القسم بالنسبة إلى فتاة».

قال السير إيليفر المُفلس: «نعم»، وهزّ كتفيه مضيغًا: «طَيِّب، إذا كانت كاذبة ستتولّى الآلهة أمرها»، وعادَ يدسُّ خنجره في غِمدِه، وأردف: «نوبة الحراسة الأولى لك».

بينما غابَ الفارسان المتجولان في النّوم دارت بريان حول المخيم الصّغير مصغيةً إلى طقطقة النّار. يجدرُ بي أن أوصل طريقي والفرصة سانحة. إنها لا تعرف هذين الرّجلين، لكنها لا تقوى على تركهما دون حماية، فحتى في جوف اللّيل هناك عابرون على الطّريق، وأصوات في الغابة ربما يكون مصدرها البوم والثّعالب وربما لا، وهكذا راحت بريان تدرع المكان جيئةً وذهابًا وقد خلخلت سيفها في غِمدِه.

كانت حراستها سهلةً إجمالاً، لكن ما بعدها هو الصّعب، حين استيقظَ السير إيليفر وقال إنه سيحل محلّها. بسطت بريان دثارًا على الأرض وانثت على نفسها لتُغلق عينها، وعلى الرّغم من جسدها المكدود قالت لنفسها: لن أنام. إنها لم تتعود النّوم مستريحةً قطّ في وجود الرّجال، وحتى في معسكرات اللورد رنلي كان خطر الاغتصاب حاضرًا دومًا، وهو الدّرس الذي تعلّمته عند أسوار (هايجاردن)، ومرةً أخرى عندما سقطت وچايمي في أيدي رِفقة الشّجعان.

تسرّبت برودة الأرض عبر أغطية بريان لتنفذ إلى عظامها، وسرعان ما أحسّت بكلّ عضلةٍ في جسدها متيبّسةً متشجّجةً، من فكّيها إلى أصابع قدميها. تساءلت إن كانت سانزا ستارك بردانةً أيضًا أينما كانت. لقد قالت لليدي

كاتلين إنها فتاة مرهفة الحسّ تحبُّ كعكات اللّيمون والفساتين الحرير وأغاني الفُروسيّة، لكن سانزا شهدت رأس أبيها يُتْر وأرغمت بعدها على الزّواج بأحد قتلته، وإذا كان نصف ما يُحكى صحيحًا فالقرم أقسى آل لانستر جميعًا. إذا سمّمت الملك چوفري حقًا فلا بدّ أن العفريت أجبرها. لقد كانت وحيدة بلا أصدقاء في ذلك البلاط. في (كينجز لاندنج) سعت بريان إلى العثور على امرأة اسمها بريلا كانت من وصيفات سانزا، وقالت لها المرأة إنه لم يكن هناك وُدُّ بين سانزا والقرم، وربما تكون الفتاة هاربةً منه كذلك علاوةً على هربها من قتل چوفري.

أيًا كانت الأحلام التي رآتها بريان فقد تلاشت حينما أيقظها الفجر. شعرت بساقها يابستين كالخشب من برودة الأرض، لكن لا أحد تحرّش بها وظلت حاجياتها كما هي. وجدت الفارسين المتجوّلين مستيقظين بالفعل، وقد انشغل السير إيليفر بتقطيع سنجاب للإفطار، ووقف السير كرايتون مواجهًا شجرةً ليول طويلًا. فارسان متجوّلان، عجوزان ومغروران وبدينان وقصيرا النّظر، لكنهما رجلان لطيفان على الرغم من هذا. سرّها أن تعلم أن هناك رجالًا لطافًا في العالم حتى الآن.

أفطروا على لحم السّنجاب المشوي ومعجون جوز البلوط والخيار المخلّل، فيما روى لها السير كرايتون قصص بطولاته في معركة (النّهر الأسود)، حيث قتل دسّته من الفُرسان الصّناديد الذين لم تسمع عنهم قط، وقال لها: «أوه، لكم كان قتالًا نادرًا يا سيّدتي، معمعةٌ نادرةٌ داميةٌ»، وأضاف أن السير إيليفر قاتل ببسالةٍ في المعركة أيضًا، أمّا إيليفر نفسه فلم يقل إلا القليل. حين أنّ أوان استئناف الرّحلة ركّب الفارسان على جانبيها كحارسين يحميان ليدي عظيمه ما... وإن كانت هذه الليدي تجعل من حاميها قرمين مقارنةً بحجمها، بالإضافة إلى تفوّقها عليهما في السّلاح والعتاد. سألتها بريان: «هل مرّ أحد خلال حراستكما؟».

قال السير إيليفر المُفلس: «كنت في الثّالثة عشرة لها شعر كستنائي؟ لا يا سيّدتي، لا أحد».

عقب السير كرايتون: «رأيتُ بعضهم. صبيٌّ مزرعةٍ ما على حصانٍ أرقط مرّ بنا، وبعد ساعةٍ نصف دسّته من السّائرين حاملي الهراوات والمناجل».

لمحوا نارنا وتوقفوا ليلقوا نظرةً طويلةً على الخيول، لكنني أريتهم لمحّةً من فولاذي وقلتُ لهم أن يُواصلوا طريقهم. رجال خشنون كما يوحي منظرهم، ويائسون أيضًا، لكن ليس لدرجة أن يعبثوا مع السير كرايتون لونجبو».

فكرت بريان: نعم، ليس لهذه الدرجة، وأشاحت بوجهها لتخفي ابتسامتها، ولحُسن الحظّ أن السير كرايتون كان أكثر استغراقًا في حكاية معركته الملحمة مع فارس الدّجاجة الحمراء من أن يلحظ سخرية العذراء، التي سرّها أن يكون معها رفيقان على الطّريق، حتى إذا كانا هذين الرّجلين. كان النّهار في منتصفه عندما سمعت بريان التّرنيمة آتيا عبر الأشجار البنية الجرداء، وتساءل السير كرايتون: «ما هذا الصّوت؟».

- «إنها أصوات مرفوعة بالصّلاة». تعرف بريان هذه التّرنيمة. يتضرّعون إلى (المُحارب) أن يحمهم وإلى (العجوز) أن تُنير طريقهم. جرّد السير إيليفر المُفلس سيفه البالي وشدّ عنان حصانه لينتظر مجيئهم قائلاً: «إنهم قريبون».

أفعمت التّرانيم هواء الغابة كرعِدٍ خاشع، وفجأةً ظهر مصدر الصّوت على الطّريق أمامهم. كانت مجموعة من الإخوة الشّحاذين تقود القادمين، رجال ملتحون مغبرون يرتدون الخيش، بعضهم حافي القدمين وبعضهم يتعل الأخفاف، ووراءهم تتحرّك مجموعة تتألّف من ستين من الرّجال والنساء والأطفال مهترئي الثياب، ومعهم خنزيرة رقطاع وعدد كبير من الخراف، وقد حمل كثير من الرّجال فؤوسًا وأكثرهم مضارب وهرאותٍ خشبية بسيطة الصّنع، ووسطهم تندرج عربة من الخشب الرّمادي المتشظّي على عجلتين، كُومت عليها على ارتفاع كبير الجماجم والعظام المكسورة. توقّف الإخوة الشّحاذون لدى رؤيتهم الفارسين المتجولّين وسكنت التّرانيم، وقال أحدهم: «أيها الفارسان الكريمان، (الأم) تحبّكما».

ردّ السير إيليفر: «وتحبّكم يا أخي. من أنتم؟».

أجابّه رجل كبير يحمل فأسًا: «صعاليك». على الرغم من برودة الغابة الخريفية كان عاري الجذع، وعلى صدره نُقشت نجمة سباعية، النّجمة نفسها التي نقشها المُحاربون الأنداليّون على لحمهم حين عبروا (البحر الضيّق) ليقهروا ممالك البشّر الأوائل.

قالت امرأة طويلة ممسكة بأحد مفاود العربة: «إننا متجهون إلى المدينة لنجلب هذه العظام المقدسة ليلبور المبارك ونطلب العون والحماية من الملك».

وقال رجل قصير ضئيل على جسده رداء سبتون رث وحول عنقه سير جلدي تتدلى منه بلورة: «انضمًا إلينا أيها الصديقان. (وستروس) في حاجة إلى كل سيف».

أعلن السير كرايتون: «إننا في الطريق إلى (وادي الغسق)، لكن ربما يمكننا أن نصحبكم بأمان إلى (كينجز لاندنج)».

أضاف السير إيليفر الذي يبدو عمليًا إضافة إلى كونه مفلسًا: «إذا كان معكم مال تدفعون به ثمن اصطحابنا إياكم».

قال السبتون: «نحن العصافير لا نحتاج إلى الذهب».

ردّد السير كرايتون حائرًا: «العصافير؟».

- «العصفور أكثر الطيور تواضعًا وشیوعًا، مثلما نحن أكثر الناس تواضعًا وشیوعًا». للسبتون وجه ناحل حادّ ولحية قصيرة شابها الرمادي والبيّ، وشعره الخفيف مسحوب ومربوط وراء رأسه، وقدماه الحافيتان سوداوان خشتان وقاسيتان كجذور الشجر. «هذه عظام أناس أتقياء قُتلوا لإيمانهم، وقد خدموا الآلهة السبعة حتى الموت. بعضهم جوّعوه وبعضهم عبّوه. لقد انتهكت السبتات ونُهبت، والعذراوات والأمهات اغتصبهن الزنادقة وعبدة الشياطين، وحتى الأخوات الصامتات تعرّضن للتحرّش. (الأم في الأعلى) تصرّخ لوعة. حان الوقت لأن يتخلّى جميع الفرسان المحلفون عن سادتهم الدنيويين ويُدافعوا عن عقيدتنا المقدسة. تعالوا معنا إلى المدينة إذا كتبنا تحبّان (السبعة)».

قال السير إيليفر: «أحبّهم كثيرًا، لكن يجب أن أكل».

- «وكذا كل أطفال (الأم)».

ردّد السير إيليفر بجمود: «إننا ذاهبون إلى (وادي الغسق)».

بصق أحد الإخوة الشحاذين، وأطلقت إحدى النساء أئينًا، وقال الرجل الكبير ذو النجمة على صدره: «أنتما فارسان زائفان»، وشرع عدد من الآخرين في التلويح بهراواتهم مهذدين.



على أن السِّبْتون هدأهم قائلاً: «لا تدينوا، فالإدانة لـ(الأب) وحده. دعوهم يمرُّون بسلام. إنهم صعاليك مثلنا، ضائعون في الأرض». تقدّمت بريان بفرسها، وقالت: «أختي ضائعة أيضًا. إنها بنت في الثالثة عشرة لها شعر كستنائي وجميلة المحيّا».

قال السِّبْتون: «كلُّ أطفال (الأم) جميلو المحيّا. عسى (العدراء) أن تقي تلك الفتاة المسكينة... وتقيكِ أيضًا على ما أظنُّ»، ورفع أحد مَقاود العربة على كتفه وبدأ يسحب، وعادَ الإخوة الشَّحاذون يُرَدِّدون ترنيمتهم، وظلَّت بريان والفرسان المتجولّان على متون خيولهم بينما مرَّ الرِّكب بتؤدِّة سالكا الطريق المحفَّر صوب (روزبي)، وببطءٍ خفَّت أصواتهم المترنِّمة وغابت. رفع السير كرايتون فلقمة مؤخرته عن السَّرج وحكَّها متسائلًا: «من ذا الذي يقتل سِبْتون يخدم الآلهة؟».

تعرف بريان هذا النوع من البَشْر، وتذكَّر أن رجال رفقة الشُّجعان علَّقوا سِبْتون قُرب (بركة العذارى) من قدميه من فرع شجرة واستخدموا جثته هدفًا لثمارين الرَّماية. تساءلت إن كانت عظامه مكوَّمة على العربة مع بقية العظام. كان السير كرايتون يقول: «لا بُدَّ أن من يغتصب أختًا صامتةً أحمق. مجرد أن يضع يديه عليها... يُقال إنهن زوجات (الغريب)، وإن أعضاءهن الأنثوية باردة مبتلَّة كالجليد»، ورمقَ بريان مردفًا: «آه... أستميحك العُذر». همزت بريان فرسها لتُسرع إلى (وادي الغسق)، وبعد وهلةٍ لحقَّ بها السير إيليفر وتبعهما السير كرايتون في المؤخرة.

بعد ثلاث ساعاتٍ صادفوا ركبًا ثانيًا يتقدَّم ببطءٍ نحو (وادي الغسق). كان تاجرًا وخدمه، يصحبهم فارس متجوّل آخر، وقد امتطى التَّاجر فرسًا رماديَّة مرقطةً في حين تبادلَ رجاله جرَّ عربته، يكدح أربعة منهم على مَقاودها ويمشي الاثنان الآخران إلى جوار العجلتين، لكن حين سمعوا صوت الخيول أحاطوا بالعربة في تشكيل استعدادٍ رافعين النَّبائيت، وأخرجَ التَّاجر نُشايَّةً والفارس سيفًا. نادى التَّاجر قائلاً: «سامحوني إذا كنتُ شكَّاكًا، لكننا في أوقاتٍ عصيبة، وليس هناك إلَّا السير شادريك الكريم يُدافع عني. من أنتم؟». ردَّ السير كرايتون بنبرة جريح الكرامة: «إنني السير كرايتون لونجبو الشَّهير

بالطَّبْع، جئْتُ لتَوِّي من معركة (النَّهْر الأسود)، وهذا رفيقي السير إيليفر المُفلس».

وقالت بريان: «لسنا نُضْمِر لكم سوءاً».

حدَّجَهَا التَّاجِرُ بِرَبِيَّةٍ قَائِلاً: «سَيِّدَتِي، حَرِيٌّ بِكَ أَنْ تَكُونِي آمِنَةً فِي بَيْتِكَ. لِمَاذَا تَرْتَدِينِ ثِيَابًا غَرِيبَةً كَهَذِهِ؟».

أَجَابَتْ دُونَ أَنْ تَجْرؤُ عَلَى ذِكْرِ اسْمِ سَانزَا مَعَ اتِّهَامِهَا بِقَتْلِ الْمَلِكِ: «أُبْحَثُ عَنْ أُخْتِي. إِنَّهَا بِنْتُ جَمِيلَةٍ رَفِيعَةِ النَّسَبِ، عَيْنَاهَا زَرْقَاوَانٌ وَشَعْرُهَا كَسْتِنَائِي. رُبَّمَا رَأَيْتُمُوهَا مَعَ فَارِسِ سَمِينِ فِي الْأَرْبَعِينَ، أَوْ مَعَ مَهْرَجِ سَكِّيرٍ».

- «الطَّرْقُ مَلَأَى بِالْمَهْرَجِينَ السَّكِّيرِينَ وَالْفَتَيَاتِ الْمُخْتَطَفَاتِ، وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الْفَارِسِ السَّمِينِ فَمَنْ الصَّعْبُ عَلَى أَيِّ رَجُلٍ شَرِيفٍ أَنْ يَظَلَّ بَطْنُهُ مَمْتَلئًا بَيْنَمَا يَعْوِزُ كَثِيرِينَ الطَّعَامَ... وَإِنْ كَانَ السَّيْرُ كَرَايَتُونَ لَمْ يَدُقِ الْجُوعُ عَلَى مَا يَبْدُو».

قال السير كرايتون بعناد: «إن لي عظامًا كبيرة. هل نركب معًا بعض الوقت؟ لستُ أشكُّكَ فِي شَجَاعَةِ السَّيْرِ شَادِرِيكِ، لَكِنَّهُ يَبْدُو صَغِيرَ الْحِجْمِ، وَثَلَاثَةُ سَيُوفٍ أَفْضَلُ مِنْ وَاحِدٍ».

فَكَّرَتْ بَرِيَانُ: أَرْبَعَةُ سَيُوفٍ، لَكِنَّهَا لَزِمَتْ الصَّمْتِ.

نَظَرَ التَّاجِرُ إِلَى رَفِيقِهِ مَتَسَائِلًا: «مَا قَوْلُكَ أَيُّهَا الْفَارِسُ؟».

- «أُوهُ، لَا خَوْفَ مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ». السَّيْرُ شَادِرِيكِ رَجُلٌ نَحِيفٌ قَوِي لَهُ وَجْهٌ كَالثَّلْعَالِبِ وَأَنْفٌ حَادٌ وَشَعْرٌ بُرْتَقَالِي، وَيَمْتَطِي جَوَادًا حَرِيْبًا رَشِيقًا السَّيْقَانِ بِلُونِ الْكِسْتِنَاءِ، وَمَعَ أَنْ طَوْلُهُ لَا يَتَجَاوِزُ أَقْدَامًا خَمْسَةً وَبُوصَتَيْنِ، إِلَّا أَنْ لَهُ أَسْلُوبًا وَائْتِقًا فِي الْكَلَامِ. «أَحَدُهُمْ عَجُوزٌ وَالثَّانِي بَدِينٌ وَتِلْكَ الْكَبِيرَةُ امْرَأَةٌ. فليأتوا».

خَفَضَ التَّاجِرُ نُشَابِيَّتَهُ قَائِلًا: «كَمَا تَقُولُ».

إِذْ وَاصَلُوا رَحْلَتَهُمْ تَقَهَّقَرَ الْفَارِسُ الْمَاجُورُ وَأَمَعَنَ النَّظْرَ إِلَى بَرِيَانِ كَأَنَّهَا شَرِيحَةٌ مِنْ لَحْمِ الْخَنْزِيرِ الْمَمْلُحِ الْمَمْتَازِ، وَقَالَ لَهَا: «يَبْدُو أَنَّكَ فَتَاةٌ قَوِيَّةُ الْبِنْيَةِ تَمْتَعُ بِصِحَّةٍ طَيِّبَةٍ يَا هَذِهِ».

سُخِرِيَةِ السَّيْرِ چَايْمِي جَرَحَتْهَا فِي الصَّمِيمِ، لَكِنْ كَلَامُ الرَّجُلِ الصَّغِيرِ مَسَّهَا بِالْكَادِ، وَلِذَا قَالَتْ لَهُ: «إِنِّي عَمَلَاةٌ مَقَارَنَةٌ بَعْضُهُمْ».

ضحكٌ مجيباً: «إنني كبير بما فيه الكفاية حيث يهمُّ يا هذه».

- «التَّاجر قال إن اسمك شادريك».

قال: «السير شادريك من (الوادي الظَّلِيل)، وبعضهم يدعونني بالفأر المجنون»، ودورُ تُرسه ليربها رمزه، الفأر الأبيض الكبير ذا العينين الحمراوين الشَّرستين على شرائط متعرجة من البني والأزرق، ثم تابع: «البنِّي للأراضي التي جُبَّتْها، والأزرق للأنهار التي عبرتها، والفأر أنا».

- «وهل أنت مجنون؟».

- «أوه، جدًّا. الفأر التَّقليدي يفرُّ من الدِّماء والمعارك، والمجنون يسعى إليها سعياً».

- «يبدو أنه نادراً ما يجدها».

- «أجدُّ ما يكفيني. صحيحٌ أني لستُ فارس مباريات، لكنني أدخُرُ شجاعتي للمعارك يا امرأة».

قدَّرت أن مخاطبتها بـ«يا امرأة» أفضل من «يا هذه» بشكل طفيف، وقالت:

«أنت والسير كرايتون الكريم مشتركان في أشياء عدَّة إذن».

ردَّ السير شادريك ضاحكاً: «أوه، أشك في هذا، لكن ربما أشاركُ أنا وأنت في مهمَّةٍ معيَّنة. تقولين إنها أخت صغيرة مفقودة؟ عيناها زرقاوان وشعرها كستنائي؟»، وعاد يضحك مردفاً: «إنك لستِ الصَّيَّادة الوحيدة في الغابة. أنا أيضاً أبحثُ عن سانزا ستارك».

حافظت بريان على جمود ملامحها كالقناع لتُخفي وجلها، وقالت: «من سانزا ستارك تلك؟ ولم تبحث عنها؟».

- «من أجل الحُبِّ، وهل هناك سبب سواه؟».

عقدت حاجبها مرددةً: «الحُبُّ؟».

- «نعم، حُبُّ الذهب. على عكس فارسك الكريم السير كرايتون، قاتلتُ أنا بالفعل في معركة (النَّهر الأسود)، لكن مع الجانب الخاسر، ودمرتني فديتي. لا بُدَّ أنك تعرفين من هو فارس، أليس كذلك؟ الخصيُّ عرضُ صُرَّةٍ ممتلئة بالذهب مقابل هذه الفتاة التي لم تسمعي بها. إنني لستُ طمَّاعاً. إذا ساعدتني فتاة كبيرة الحجم على العثور على تلك الطِّفلة المُشاغبة فسأقتسمُ معها مال العنكبوت».

- «حسبتك أجيرًا عند هذا التاجر».

- «حتى (وادي الغسق) فحسب. هيبالد بخيل قدر ما هو جبان، وهو جبان للغاية. ما قولك يا هذه؟».

ردت بإصرار: «لا أعرف سانزا ستارك تلك. إنني أبحث عن أختي، بنت رفيعة النسب...».

- «... ذات عينين زرقاوين وشعر كستنائي، نعم. أخبريني، من هذا الفارس الذي مع أختك؟ أم أنك قلت إنه مهرج؟»، ولم ينتظر السير شادريك إجابة منها، وهو ما ناسبها لأن لا إجابة لديها، وواصل: «ثمة مهرج معين اختفى من (كينجز لاندنج) ليلة مات الملك چوفري، رجل سمين له أنف مليء بالعروق الزرقاء، اسمه السير دونتوس الأحمر، الذي كان تابعاً لـ (وادي الغسق) فيما مضى. أتمنى ألا يخلط أحد بين أختك ومهرجها السكّير وبين سانزا ستارك والسير دونتوس. سيكون هذا مؤسفاً للغاية»، وهمز جواده الحربي وخبّ ساعياً إلى مقدّمة الرّكب.

حتى چايمي لانستر نفسه نادراً ما أشعر برّيان بهذا الحُقم. إنك لست الصيّادة الوحيدة في الغابة. كانت المرأة بريلا قد أخبرتها كيف جرّد چوفري السير دونتوس من فروسيته، وكيف توّسّلت سانزا إلى چوفري أن يُبقي على حياته، وعندما سمعت الحكاية حزمت برّيان أمرها قائلة لنفسها: لقد ساعدها على الهرب. إذا عثرتُ على السير دونتوس سأعثرُ على سانزا. كان حرياً بها أن تعلم أن آخرين سيتوصّلون إلى النتيجة ذاتها. وقد يكون بعضهم أقلّ كياسةً من السير شادريك. ليس في وسعها إلا أن تأمل أن يكون السير دونتوس قد أخفى سانزا جيّداً. لكن إذا فعلَ هذا فكيف سأجدها؟ وحتّ برّيان كتفيها وواصلت الطريق مقطّبةً.

كان الليل يتوغّل لدى وصولهم إلى الخان، وهو بناية طويلة من الخشب تطلُّ على ملتقى فرعي نهرٍ وتعلو جسراً حجرياً قديماً. قال لهم السير كرايتون إن هذا هو اسم الخان، (الجسر الحجري القديم)، وإن صاحب الخان صديقه، وأضاف مؤكداً: «ليس طاهياً سيّئاً، وليس في العُرف براغيث أكثر من معظم الخانات. من يرغب في فراشٍ دافئ الليلة؟».

قال السير إيليفر المُفلس: «ليس نحن، ما لم يكن صديقك يُؤجّرهما مجّانًا. لسنا نملك مالًا للغُرف».

قالت بريان: «يُمكنني أن أدفع لثلاثتنا». إنها لا تفتقر إلى التّقود، ففي جرابي سُرّجها وجدت صُرّةً متخمةً بالأياثل الفضيّة والنجوم النحاسيّة، وواحدةً أصغر محشوّّةً بالتنانين الذهبية، بالإضافة إلى رَقّ يأمر جميع رعايا الملك الأوفياء بمساعدة حاملته بريان التارثيّة التي تُمارس عملاً يخصُّ جلالته، وقد وقّعه بخطّه الطُفولي تومن الأول ملك الأنداليين والروينار والبشر الأوائل وسيدّ (الممالك السبع).

آثر هيبالد التوقّف أيضًا، وأمر رجاله بترك العربة قُرب الاسطبل. كان الضّوء الأصفر الدّافئ يسطع من وراء زُجاج النّوافذ ذي الشّكل الماسي، وسمعت بريان فحلًّا يصهل إذ اشتمّ رائحة فرسها، وبينما بدأت تخلع السّرج خرج صبي من باب الاسطبل قائلاً: «دعني أتولّي هذا أيها الفارس».

ردّت: «لستُ فارسًا، لكن يُمكنك أن تأخذ الفرس. احرص على إطعامها وسقايتها وتمشيّتها».

تورّد وجه الصّبي، وقال: «اعذّريني يا سيّدتي، حسبّت...».

قاطعته بريان: «إنه خطأ شائع»، وناولته العنان وتبعّت الآخرين إلى داخل الخان وقد حملت جرابي السّرج على كتفها ودست لفافة النّوم تحت إبطها. في الدّاخل كانت الأرضيّة مغطّاةً بنبشارة الخشب، والهواء نُفِعِمه روائح حشيشة الدّينار<sup>(1)</sup> والدُّخان واللّحم، وقد وُضِع فوق النّار تيس يُطَقِّق وينزّ الدّهْن، وإن غاب من يُتابعه في الوقت الحاضر، واستقرّ ستّة من السكّان المحليّين حول مائدة يتكلّمون، لكنهم قطعوا حوارهم ما إن دخل الغُرباء. أحسّت بريان بنظراتهم المسلّطة عليها، وعلى الرغم من قميصها المعدني ومعطفها وسُترتها الجِلديّة أحسّت كأنها عارية، ولمّا قال أحدهم: «انظروا»، علمت أنه لا يعني السير شادريك.

ظهر صاحِب الخان ممسكًا بثلاثة دوارق بكلّ يد ويسكّب الجوز مع كلّ خطوة، فسألّه التّاجر: «ألديك عُرف شاغرة أيها الرّجل الطيّب؟».

(1) حشيشة الدّينار نبات عُشبي معمرٌ تدخُل زهرته في صناعة البيرة. (المترجم).

أجابَ صاحبُ الخان: «ربما، لمن يملكون المال».  
لاحَ الاستياء على السير كرايتون لونجبو وهو يقول: «ناجل، أهكذا تُحيِّي  
صديقًا قديمًا؟ هذا أنا، لونجبو».

- «هو أنت بالفعل. إنك مدين لي بسبعة أيائل. أرني الفضة وسأريك  
السَّير»، ووضعَ صاحبُ الخان الدَّوارقَ واحدًا تلو الآخر، ساكبًا المزيد من  
المِزر على المائدة.

قالت بريان مشيرةً إلى السير كرايتون والسير إيليفر: «سأدفعُ ثمنَ عُرفةٍ لي  
وأخرى لرفيقي».

وقال التَّاجر: «وسأخذُ عُرفةً أيضًا، لي وللسير شادريك الكريم، وسينام  
خدمني في الاسطبل إذا كان هذا يُناسبك».

تطلع إليهم الرَّجل، ثم قال: «لا يُناسبني، ولكن ربما أسمحُ به. هل تُريدون  
عشاءً؟ عندي تيس جيّد جدًا على السَّيخ».

أعلنَ هيبالد: «سأحكمُ على جودته بنفسي، وسيكتفي رجالي بالخُبز  
ومرق الشَّواء».

وهكذا تناوَلوا عشاءهم، وجرَّبَت بريان التَّيسَ بنفسها بعد أن تبعَت  
صاحبَ الخان إلى الطَّابقِ العلوي ودسَّت بضعَ عُملاتٍ في يده ووضعت  
حاجياتها في ثاني عُرفةٍ أراها إياها. طلبت لحم التَّيسَ للسير كرايتون والسير  
إيليفر أيضًا، بما أنهما تقاسما معها سَمكهما، وشربَ الفُرسان المتجوِّلون  
والتَّاجر المِزر مع اللَّحم، في حين اكتفتَ بريان بكوبٍ من حليب الماعز، وقد  
أنصتت إلى الحديث الدَّائر حول المائدة أمله رغمَ ضَعف الأمل أن تسمع  
شيئًا يُساعدُها على التَّوصُّل إلى سانزا.

قال أحد المحلِّين لهيبالد: «إنكم قادمون من (كينجز لاندنج). أصحيحُ  
أن قاتِلَ الملك أصبحَ مُعاقًا؟».

أجابَ هيبالد: «صحيح، فقد يد سيفه».  
أضافَ السير كرايتون: «نعم، قضمها ذئب رهيب<sup>(1)</sup> كما سمعتُ، أحد تلك

---

(1) الذئب الرَّهيب حيوان حقيقي منقرض كان يقطن الأمريكتين قبل عشرة آلاف سنة.  
(المترجم).

الوحوش التي أتت من الشَّمال. لا خير يأتي من الشَّمال أبدًا. حتى ألهمتهم غريبة».

سمعتَ بريان نفسها تقول: «لم يكن ذئبًا. السير چايمي فقدَ يده بأمرٍ من مرتزقِ ذوهوري».

علّقَ الفأر المجنون: «ليس سهلاً أن يُقاتِلَ المرءُ بيدٍ لم تعرف التَّدريب». أطلقَ السير كرايتون لونججو صيحة استنكار، وقال: «يتصادفُ أنني أجيدُ القتال بـكلتا يدي».

قال السير شادريك: «أوه، لا أشكُّ في هذا»، ورفعَ دورقه على سبيل التَّحيّة.

تذكَّرتَ بريان قتالها مع چايمي لانستر في الغابة. يومها استنفرتَ قواها كلّها كي تتفادى سيفه. كان ضعيفاً بعد طول السَّجن ومعصماه مقيدين بالسَّلاسل. لا فارس في (الممالك السَّبع) بأسرها كان ليصمُدُ أمامه وهو بكامل قوَّته دون سلاسل تُعيقه. لقد اقرَّفَ چايمي شروراً كثيرةً، ولكن يا لبراعته في القتال! كان تشويبه قسوة ما بعدها قسوة، لكن أن تقتل أسدًا شيء وأن تبتُرَ كَفَّهُ وتتركه كسيرًا مبهورًا شيء آخر.

فجأة صارَ صحب القاعة العامّة يفوق تحمُّلها البقاء فيها لحظةً أخرى، فغمغمتَ متمنيّةً لهم ليلةً طيِّبةً وأخذتَ نفسها إلى الفراش. السَّقْف في عُرفتها واطع، وإذ دخلتَ بريان حاملّةً فتيلًا مكسوسًا بالشَّمع اضطرَّرتَ إلى الانحناء لثلاث تصدم رأسها. الأثاث الوحيد في المكان عبارة عن سرير واسع بما فيه الكفاية لنوم ستّة أفراد، بالإضافة إلى بقايا شمعةٍ من الشَّحم على عتبة النافذة، فأشعلتها بنار الفتيل وأنزلتَ مزلاج الباب وعلقتَ حزام سيفها من أحد أعمدة السرير. غمدها تقليدي تمامًا، خشب مغلف بالجلد البني المشقوق، وسيفها أكثر تقليديّةً، وقد ابتاعته في (كينجز لاندنج) بدلًا من السَّيف الذي سرقتَه رفقة الشُّجعان. سيف رنلي. ما زال يُؤلِّمها فقدانه.

على أن هناك سيفًا طويلًا آخر خبَّأته في لفافة النُّوم، وقد جلستَ على السرير وأخرجته، ليلتمع الذهب الأصفر والياقوت بالأحمر في ضوء الشمعة، وحين سحبتَ بريان (حافظ العهد) من غمده المنمَّق احتبستَ أنفاسها لمرأى التَّموجات السَّوداء والحمراء في أعماق الفولاذ. فولاذ فاليري، مطرَّق

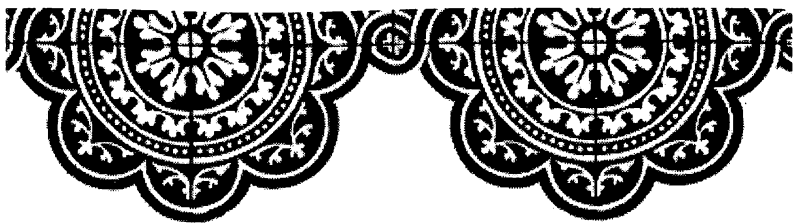
بالتعاوِذ. سيف يليق ببطل. في صغرها ملأت مرَّيتها أذنيها بحكايات البسالة وقصّت عليها المآثر النبيلة للسير جالادون المورني وفلوريان المهرج والأمير إيمون الفارس الثَّين وغيرهم من الأبطال، وكان لكلِّ رجل منهم سيف شهير، ولا بدُّ أن (حافظ العهد) يصلح لصحبتهم حتى إن لم تكن هي تصلح. «ستدافعين عن ابنة ند ستارك بفولا ند ستارك». هكذا وعدَّها چايمي.

ركعت بين السَّير والحائط ممسكةً بالسَّيف، ورددت صلاةً صامتةً لـ(العجوز) التي يُنير مصباحها الذهبي السَّيل للبشر في الحياة. أرشديني، أئيري طريقي وأريني كيف أصلُ إلى سانزا. لقد خذت رنلي وخذت الليدي كاتلين، ويجب ألا تخذل چايمي أيضًا. لقد اتَّمتني على هذا السَّيف، اتَّمتني على شرفه.

بعدها تمددت على السَّير قدر المستطاع، وعلى الرغم من اتَّساعه لم تجده طويلًا كفايةً، فنامت عليه بالعرض. تناهت إلى مسامعها قعقة الدَّوارق من الأسفل، والأصوات التي يحملها الهواء على السَّلام، ثم ظهرت البراغيث التي ذكرها لونجيو، فساعدها الحك على البقاء مستيقظةً. سمعت هيبالد يصعد الدَّرج، وبعد فترة الفُرسان بدورهم، وكان السير كرايتون يقول وهو يمرُّ: «... لم أعرف اسمه قطُّ، لكن كانت على تُرسه دجاجة حمراء قانية، ومن نصله يقطر الدَّم...»، ثم خبا صوته، وفي مكانٍ ما في الأعلى انفتح باب وانغلق.

احترقت شمعتها عن آخرها، واستقرَّ الظلام فوق (الجسر الحجري القديم)، وران على الخان صمت تام جعلها تسمع خرير مياه النَّهر، وعندها فقط نهضت بريان تجمع أغراضها. فتحت الباب برفق وأنصت لحظةً، ثم نزلت السَّلام بقدمين حافيتين، وفي الخارج انتعلت حذاءها وأسرعت إلى الاسطبل لتُجهز فرسها الكستنائية، قبل أن تمتطئها مستميحةً السير كرايتون والسير إيليفر عُذراً صامتاً. استيقظ أحد رجال هيبالد حين مرَّت به، لكنه لم يتحرَّك من مكانه ليمنعها، ورئت حوافر فرسها على حجارة الجسر القديم، وسرعان ما ابتلعها الأشجار السوداء كالقار الملائى بالأشباح والذكريات، وإذا انطلقت بريان في ظلِّمة اللَّيل قالت في أعماقها: إنني قادمة يا ليدي سانزا. لا تخافي، فلن أستريح حتى أجدك.





## سامويل

بينما يقرأ عن (الآخرين) رأى سام الفأر.  
كانت عيناه محمرّتين رطبتين، وكلّما فرّكهما قال لنفسه: ينبغي ألا أفرّكهما كثيراً. الغبار يُصيبهما بالحكّة ويجعلهما تدمعان، والغبار في كلّ مكان هنا، تملأ سحبه الصّغيرة الهواء متى قلب سام صفحةً، ويرتفع كغمام رمادي متى رفع كومةً من الكُتب ليرى ما قد يكون متوارياً في قاعها.

لا يدري كم مضى منذ نام آخر مرّة، لكن أقلّ من بوصة واحدة تبقى من الشّمعة الثّخينة المصنوعة من الشّحم، التي أشعلها حين بدأ مطالعة رزمة أوراق مخلوعة وجدها مربوطةً بخيط. كان منهكاً لأقصى درجة، إلا أن التّوقّف صعب، وفي البداية ظلّ يقول لنفسه: كتاب آخر ثم أتوقّف. ملزمة أخرى فقط. صفحة أخرى ثم أصدّد وأستريح وأكل. لكن هناك دائماً صفحة أخرى بعد تلك الصّفحة، ثم أخرى وأخرى، وكتاب آخر قابع تحت الكومة، فيخبر نفسه: سألقي نظرةً سريعةً فقط لأرى موضوعه، وقبل أن يدري يكون قد قرأ نصفه. لم يكن قد أكل شيئاً منذ حساء الفاصوليا واللحم المقدّد الذي تناوله مع بيپ وجرن. باستثناء الخبز والجبنة، لكنها كانت مجرد وجبة خفيفة. وتلك هي اللحظة التي رمق فيها الطّبّق الفارغ فأبصر الفأر يلتهم فُتات الخبز. لا يتجاوز الفأر نصف طول خنصره، وله عينان سوداوان وفرو رمادي ناعم، ويعلم سام أن عليه أن يقتله، فمع أن الفئران تُفضّل الخبز والجبنة فإنها تأكل الورق أيضاً، وقد وجد الكثير من فضلاتها وسط الرّفوف والأكوام، وبدا بعض أغلفة الكُتب الجلدية مقروصاً.

لكنه مخلوق ضئيل للغاية، وجائع. كيف يضمنُ عليه بالقليل من فُتات الخُبز؟ لكنه يأكل الكُتب...

بعد ساعاتٍ من الجلوس أصبحَ ظهر سام متيبسًا كلوح من الخشب وساقاه شبه نائمتين. يعرف أنه ليس سريعًا بما يكفي للإمساك بالفأر، ولكن ربما يستطيع أن يسحقه. عند مرفقه كانت تستقرُّ نسخة ضخمة مغلّفة بالجلد من (حوليات القنطور الأسود)<sup>(1)</sup>، تقرير السِّبتون چوركوين الذي يحوي أدقَّ تفاصيل السَّنوات التَّسع التي قضَّها أوربرت كازويل قائداً للحرس اللّيل، وفيه صفحة لكلِّ يومٍ من خدمته، كلُّ منها مستهلَّة بعبارة «استيقظ اللورد أوربرت في الفجر وأفرغ أمعائه»، باستثناء الصَّفحة الأخيرة التي تقول: «وُجد اللورد أوربرت وقد مات خلال اللّيل». ما من فَرِنْدٍ للسِّبتون چوركوين. هكذا أمسك سام الكتاب بيسراه بمتهى البُطء فوجده سميكاً ثقيلاً، ولَمَّا حاول أن يرفعه بيدٍ واحدة انزلقَ من أصابعه السَّمينة وسقطَ على المنضدة، وفي أقلِّ من لحظةٍ اختفى الفأر بمتهى السُّرعة. أحسَّ سام بالرَّاحة، فسحقه المخلوق الصَّغير المسكين كان يُصيبه بالكوابيس، وقال بصوتٍ مسموعٍ: «لكن لا يجدرُ بك أن تأكل الكُتب». ربما عليه أن يجلب معه القليل من الجُبنة عندما يأتي المرَّة القادمة.

أدهشهُ القليل الذي تبقي من الشَّمعة. هل كان حَساء الفاصوليا واللَّحم المقدد اليوم أم البارحة؟ البارحة، لا بدَّ أنه كان البارحة. جعله إدراك الوقت يتشاءب. مؤكَّد أن چون يتساءل عمَّا حلَّ به، وإن كان المايستر إيمون سيتفهَّم بالتأكيد. قبل أن يفقد بصره كان المايستر يحبُّ القراءة قدر ما يحبُّها سامويل تارلي، ويُدرك الطَّريقة التي يسقطُ بها المرء سقوطاً في الكُتب أحياناً، كأن كلَّ صفحةٍ فجوة تُفضي إلى عالمٍ آخر.

دفع سام نفسه عن المنضدة ناهضاً، والتوتَ قسماته من التَّمثيل في ربَلتي ساقيه. مقعده صُلب للغاية، وينغرس في لحم فخذيهِ من الخلف عندما ينحني فوق كتاب. عليَّ أن أذكُرَّ أن أجلب وسادة. بل ومن الأفضل أن ينام هنا، في الحُجيرة التي وجدها نصف متوارية وراء أربعة صناديق ملأى بالصَّفحات

(1) القنطور مخلوق أسطوري نصفه السُّفلي حسان والعُلوي إنسان. (المترجم).

المخلوعة من كُتبتها، لكنه لا يرغب في ترك المايستر إيمون وحده طويلاً، فقوى الرّجل بدأت تخور في الفترة الأخيرة وأصبح يتطلّب العون، خصوصاً في العناية بالغدّفان. صحيحٌ أن كلايداس يُساعد إيمون، لكن سام أصغر سنّاً وأمهَر في التّعامل مع الطيور.

بكومةٍ من الكُتب والمخطوطات تحت إبطه الأيسر وشمعةٌ في يده اليمنى شقّ سام طريقه عبر الأنفاق التي يُسمّيها الإخوة المسالك الدوديّة، وقد أنارَ خيط شاحب من الضّوء الدّرجات الحجريّة المرتفعة التي تقود إلى السّطح، فعرفَ أن النّهار طلع. ترك الشّمعة مشتعلةً في كُوّةٍ في الحائط وبدأ يصعد، وعند الدّرجة الخامسة كان يلهث، وعند العاشرة توقف لينقل الكُتب إلى ذراعه اليمنى.

خرَجَ تحت سماءٍ بلون الرّصاص الأبيض، فضيّق عينيه ورفعهما قائلاً لنفسه: سماءٌ ثلجيّة. أصابته الفكرة بالتوّثر، وتذكّر اللّيلة إياها على قمّة (قبضة البشّر الأوائل) حين أتت الجُثّ الحيّة والثلوج في آنٍ واحد. لا تكن جبناً هكذا. إخوتك المحلّفون يُحيطون بك، ناهيك بستانيس باراثيون وجميع فرسانه. من حوله ارتفعت حصون وأبراج (القلعة السّوداء)، وإن قرّمتها ضخامة (الجدار)، وقد لاحَ جيش صغير يزحف على الجليد في رُبع المسافة إلى أعلى، حيث ترتفع سلالم متعرّجة جديدة بتوّدة لتتصل ببقايا القديمة. على الجليد تردّدت أصداء مناشير ومطارق البنّائين الذين أمرهم چون بالعمل ليل نهار، وقد سمعَ سام بعضهم يشكو على العشاء، ويقول إن اللورد مورمونت لم يُجسّمهم مشقّة كهذه قط. ولكن من دون السّلالم الضّخمة ليست هناك وسيلة لبلوغ قمّة (الجدار) إلّا القفص المتحرّك، ومهما كره سامويل تارلي السّلالم فإنه يكره القفص أكثر، ودائماً يُغلق عينيه متى ركبه وفي نفسه يقين بأن السّلسلة على وشك أن تنكسر، وكلّما احتكّ القفص الحديد بالجليد يتوقّف قلبه عن الخفقان لحظةً.

وجدَ سام نفسه يُفكّر وهو يُشاهد القفص ينخفض ببطء: كانت توجدَ تنانين هنا قبل مئتي عام، تطير ببساطةٍ إلى قمّة (الجدار). لقد زارت الملكة أليسين (القلعة السّوداء) على متن تنيّتها، ولحقَ بها زوجها الملك چهيرس على تنيّته. أيّمكن أن سيلفروينج تركت بيضّة وراءها؟ أو هل وجدَ ستانيس

بيضةً في (دراجونستون)؟ حتى إذا كانت في حوزته بيضة، فكيف يجعلها نفقس؟ بيلور المبارك صلى على بيضاته، وغيره من آل تارجارين حاولوا جعل بيضهم يفقس بالسحر، فلم ينالوا إلا المهازل والمآسي.

قال صوت واجم: «سامويل، كنتُ قادمًا لإحضارك. قيل لي أن آخذك لحضرة القائد».

تساءل سام وندفة ثلج تحطُّ على أنفه: «چون يُريد أن يراني؟».

أجاب إد توليت الكئيب: «لا أدري. إنني لم أرغب في رؤية نصف الأشياء التي رأيتها، ولم أر نصف الأشياء التي رغبتُ في رؤيتها. لا أظنُّ أن للرغبة علاقة بالأمر. لكن من الأفضل أن تذهب. اللورد سنو يُريد الكلام معك ما إن يفرُّغ من زوجة كراستر».

- «جيلي».

- «بالضبط. لو كانت مُرضعتي تُشبهها لظلتُ أرضعُ حتى الآن. مُرضعتي كان لها شارب».

- «معظم الماعز له شوارب»، صاحَ پيپ إذ ظهرَ مع جرن عند أحد الأركان، وكل منهما يحمل قوسًا طويلًا في يده وجعبة سهام على ظهره. «أين كنت أيها القاتل؟ افتقدناك ليلة أمس على العشاء. ثمة ثورٌ مشوي كامل لم يأكله أحد».

- «لا تُنادني بالقاتل»، ردَّ سام متجاهلاً مزحة الثور، فهذا ديدن پيپ لا أكثر. «كنتُ أقرأ. كان هناك فأر...».

- «لا تدكرُ الفئران أمام جرن، إنه مرعوب منها».

أعلنَ جرنَ بغيظ: «غير صحيح!».

- «سيرعبك أن تأكل واحداً».

- «يُمكّني أن أكل فئرانًا أكثر منك».

تهدَّد إد الكئيب، وقال: «في صغري كنا نأكل الفئران في أيام الأعياد فقط. كنتُ الأصغر، فلم أتل إلا الذيل دائمًا. ليس هناك لحم في الذيل».

سألَ جرن: «أين قوسك الطويل يا سام؟ أولمر كان ينتظرك في ساحة التدريب». اعتادَ السير أليسر أن يُلقب جرن بـ«الثور»، ويبدو أن الاسم ينطبق عليه أكثر فأكثر كلَّ يوم. لقد أتى (الجدار) كبير الحجم لكن بطيئًا، برقية

غليظة وخصر ممتلئ ووجه أحمر وحركة خرقاء، ولئن كانت رقبته لا تزال تحمرُّ كلِّما أوقعه پيپ في حبال واحدٍ من دُعاباته، فإن ساعات التَّدريب الطَّويلة بالسَّيف والترس سوَّت بطنه وقوَّت ذراعيه وفلطحت صدره. إنه قويُّ حقًّا، وأشعث كالثيران.

ردَّد سام بارتباك: «أولمر». أول شيءٍ تقرِّبًا فعله چون سنو باعتباره القائد أنه قضى أن تكون تدريبات الرِّماية يوميَّةً لأفراد الحامية كلِّها، حتى الوُكلاء والطُّهاة، قائلاً إن حرس اللَّيل ركَّزوا أكثر من اللازم على السَّيف وأقلَّ من اللازم على القوس، وهو أثر باقٍ من الأيام التي كان فيها فارس من كلِّ عشرة إخوة بدلاً من كلِّ مئة. رأى سام ما في القرار من حصافة، لكنه يكاد يكره تدريبات الرِّماية بالقوس الطَّويل مثلما يكره صعود السَّلام. عندما يضع قُفازيه لا يستطيع أن يُصيب شيئاً أبداً، وعندما يخلعهما تتقرَّح أصابعه. تلك الأقواس خطيرة بحق، والدَّلِيل أن ساتان قطع نصف ظُفر إبهامه بوتر أحدها. «نسيْتُ».

قال پيپ: «كسرت قلب الأميرة الهمجيَّة أيها القاتل». في الفترة الأخيرة تعودتُ قال أن تُشاهدهم يتمرَّنون من نافذة عُرفتها في (بُرج الملك). «كانت تبحث عنك».

- «غير صحيح! لا تقل هذا!». لم يتكلَّم سام مع قال إلا مرَّتين، حين استدعاها المايستر إيمون لتتأكَّد من أن الرُّضيعين في صحَّة جيِّدة، والأميرة رائعة الجمال بحق، لدرجة أنه يجد نفسه يتلعثم ويتورَّد خجلاً في حضورها. قال پيپ: «ولمَ لا؟ إنها تُريد أن تحمل أطفالك. ربما علينا أن ندعوك بسام المُغوي».

احمرَّ وجه سام. إنه يعلم أن عند الملك ستانيس خُططاً لقال، أنها الأداة التي ينوي أن يُحكِّم بها السَّلام بين السُّماليين وشعب الأحرار. «لا أملك وقتاً للرِّماية اليوم. يجب أن أذهب لأرى چون».

- «چون؟ چون؟ هل نعرف أحداً اسمه چون يا جرن؟».

- يقصد حضرة القائد».

- «أووه، اللورد سنو العظيم، بالتأكيد. لماذا تُريد أن تراه؟ إنه لا يستطيع

هزهزة أذنيه»، وهزَّ پيپ أذنيه الكبيرتين المحمرَّتين من البرد ليُرِيهم أنه

يستطيع، وأضاف: «إنه اللورد سنو فعليًا الآن، أعلى نسبًا من أن يُجالس أمثالنا».

قال سام مدافعًا عنه: «چون عليه واجبات. (الجدار) تحت قيادته، وكل ما يتضمَّنه هذا المنصب».

- «والمرء عليه واجبات نحو أصدقائه أيضًا. لولانا لأصبح چانوس سلينت قائدنا. كان اللورد چانوس ليرسل سنو في جولة تفصُّ وهو عارٍ على ظهر بغل، ولقال له: اذهب إلى (قلعة كراستر) وعُد لي بمعطف وحذاء الدُّب العجوز. لقد أنقذناه من هذا، والآن واجباته أكثر من أن يشرب معنا كوبًا من النِّبِّد المتبَّل إلى جوار النَّار؟».

أيده جرنٍ بقوله: «واجباته لا تحول دون نزوله السَّاحة. ستجده يُبارز أحدهم هناك معظم الأيام».

أقرَّ سام مضطرًّا بصحَّة هذا. ذات مرَّة، عندما جاء چون يتشاور مع المايستر إيمون، سأله سام لماذا يقضي كلَّ هذا الوقت في تدريبات المبارزة، وأضاف: «الدُّب العجوز لم يعتد أن يتدرَّب كثيرًا حين كان قائدًا»، وهو ما أجاب عنه چون بأن وضع سيفه (المخلب الطَّويل) في يد سام وتركه يستشعر خفَّته وتوازنه، وجعله يدور النَّصل لتبرِّق تموُّجات المعدن الداكن كالِدُّخان، ثم قال: «هذا فولاذ فاليري، مطرَّق بالتعاويد وحاد كالموسى، يكاد يكون غير قابل للإتلاف. لا بُدَّ أن يكون حامل السَّيف بجودة سيفه يا سام. (المخلب الطَّويل) من الفولاذ الفاليري، أمَّا أنا فلا، وكان باستطاعة ذي النصف يد أن يقتلني بسهولة سحقك بعوضة».

أعاد سام السَّيف قائلاً: «كلِّما حاولتُ أن أسحق بعوضة طارت، فلا أفعل إلا أن أضرب ذراعي. شيء مؤلم».

أضحك قوله چون الذي ردَّ: «كما تُريد. كان باستطاعة كورين أن يقتلني بسهولة أكلك وعاء من الثَّريد». سام مولع بالثَّريد، خصوصًا المحلَّى بالعتسل. - «ليس عندي وقت لهذا»، قالها سام لأصدقائه وسقَّ طريقه إلى مستودع السَّلاح ضامًا كُتبه إلى صدره. أنا الدرَّع التي تقي بلدان البشَّر. تساءل عمَّا سيقوله هؤلاء البشَّر إذا أدركوا أن بلدانهم يقمها من على شاكلة جرنٍ وبيب وإد الكتيب.

(بُرج القائد) خَرَبته النَّارُ، و(بُرج الملك) اتَّخذَه ستانيس باراثيون مقرًّا لإقامته، ومن ثم استقرَّ چون سنو في مسكن دونال نوي المتواضع وراء مستودع السِّلاح. كانت جيلي مغادرةً حين وصلَ سام، جسدها ملفوف بالمعطف القديم الذي أعطاها إياه في أثناء فرارهما من (قلعة كراستر). كادت الفتاة تندفع متجاوزةً إياه، لكنه أمسك ذراعها لِيَسْقُطَ منه كتابان، وقال: «جيلي».

رَدَّتْ بصوتٍ مبحوح: «سام». لجيلي شَعْر داكن وجسد ناحل وعينان بَنِيَّتان واسعتان كعيني ظبية، وقد ابتلعَتْها طَيَّات معطف سام القديم وكاد وجهها يتوارى تحت قلنسوته، وإن كانت ترتجف على الرغم من هذا، ولاخ على ملامحها الخوف والامتقاع.

سألها سام: «ما الخطب؟ كيف حال الطِّفلين؟».

سحبت جيلي ذراعها منه مجيبةً: «بخير يا سام، بخير».

قال بلُطف: «عجيب أنك تستطيعين النَّوم في وجود الاثنين. مَنْ الذي سمعته يبكي ليلة أمس؟ حسبته لن يتوقَّف أبدًا».

غمغمت: «صبيٌّ دالا، دائمًا يبكي حين يُريد أن يرضع. أمَّا صبيِّي... صبيِّي يكاد لا يبكي أبدًا. أحيانًا يُقرِّق، ولكن...»، وبترت عبارتها واستطردت بعينين أغرقتهما الدموع: «يجب أن أذهب. تأخَّرتُ على إطعامهما. سأغرق نفسي باللبن إذا لم أذهب»، واندفعت تجتاز السَّاحة تاركةً سام حائرًا.

اضطرَّ إلى الرُّكوع على رُكبتيه ليلتقط الكتابين اللذين أسقطتهما. لم يكن ينبغي أن أجلب عددًا كبيرًا، قال لنفسه وهو يمسخ الوحل عن (خُلاصة اليشب) لكولوكو فوثار، المجلد السَّميك الذي يضمُّ حكايات وأساطير من الغرب وأمره المايستر إيمون بالعثور عليه. بدا الكتاب سليمًا، ولو أن الحظَّ نفسه لم يُحالف (عشيرة التنانين، تاريخ عائلة تارجارين من المنفى إلى التَّأليه، مع بحث في حياة التنانين وموتها) للمايستر ثوماكس. انفتح الكتاب إذ سقط، وتلوَّث بضع صفحاتٍ بالوحل، منها واحدة تحوي صورةً ممتازةً بالأحبار الملوَّنة للرُّعب الأسود بالريون. سَبَّ سام نفسه وخرَّقها وهو يُسوِّي الصَّفحات ويمسحها. دائمًا يُربكه وجود جيلي ويثير فيه... ما يُثيره! لا يجدرُ بأخ محلَّف في حرس الليل أن يشعُر بما تُشعره به جيلي، لا سيَّما حين تتكلَّم عن نُدييها و...

- «اللورد سنو ينتظرك». عند باب مستودع السلاح وقف حارسان متكئان على حربتيهما، كلاهما يرتدي معطفًا أسود ويعتمر خوذة قصيرة من الحديد. كان هال المشعر من تكلم، بينما ساعد مولي سام على النهوض، فتمتم شاكرًا وأسرع يتجاوزهما متشبثًا باستماتة بكومة الكُتب وهو يمرُّ بورشة الحدادة بسندانها وكيرها، وقد استقرَّ قميص نصف مكتمل من الحلقات المعدنية على طاولة العمل. رأى جوست تمتدًا أسفل السندان يقضم عظمة ثور ليصل إلى النخاع، ورفع الذئب الرهيب الأبيض الكبير عينيه حين مرَّ سام، وإن لم يُصدر صوتًا.

تقع حُجرة چون الشمسية وراء رفوف الجراب والتروس، ولدى دخوله ألفاه سام يقرأ رقا، وقد جثم غُداف اللورد مورمونت على كتفه محدقًا إلى الورقة كأنه يقرأها أيضًا، لكن حين أبصر الطائر سام بسط جناحيه وحلق صوبه صائحًا: «ذرة، ذرة!».

عدّل سام وضع الكُتب ودسَّ يده في الكيس المجاور للباب ليُخرج حفنة من الحبوب، فحطَّ الغُداف على معصمه والتقطَّ واحدة من كفه ناقرًا بقوة حدت بسام إلى الصياح وانتزاع يده بسرعة، وعادَّ الغُداف يُحلق وتناثرت الحبوب الصفرَاء والحمرَاء في كل مكان.

قال چون: «أغلق الباب يا سام. هل جرح المأفون جلدك؟». على وجنته لا تزال تلوح الندوب الباهتة التي خلّفتها محاولة نسر أن يفقأ عينه. وضع سام الكُتب برفق وخلع قفّازه، وأجاب شاعرًا بالدُّوار: «نعم، إنني أنزف!».

ردَّ چون: «كلنا ننزف من أجل حرس الليل. ارتد قفّازاتٍ أغلظًا، ودفع مقعداً بقدمه نحو سام مردفًا: «اجلس وألق نظرة على هذا»، وناولَه الرق. سأله سام بينما بدأ الغُداف يلتقط الحَبَّ من وسط الحصائر: «ما هذا؟». - «درع من ورق».

امتصَّ سام الدَّم من راحة يده وهو يقرأ، وقد تعرّف خطَّ المايستر إيمون بمجرد النّظر. للعجوز خط صغير دقيق، لكنه لا يرى المواضع التي يُلطّخ فيها الحبر الورقة، فيتّرك أحيانًا بقعًا قبيحة. «رسالة إلى الملك تو من؟». قال چون: «في (ويترفل) تبارز تو من وأخي بران بسيفين خشبيين. كان



يرتدي بطانةً سميكةً لدرجة أنه بدا كأوزةً محشوةً، وطرحه بران أرضاً، وذهب إلى النافذة مواصلاً: «ومع ذلك مات بران، والآن يجلس تومن السمين ذو الوجه المتورّد على العرش الحديدي، ووسط خُصلاته الذهبية يستقرُّ التاج».

أرادَ سام أن يقول: بران لم يمُت، بل ارتحل وراء (الجدار) مع ذي اليدين الباردتين، لكن الكلمات احتبست في حلقه. لقد أقسمتُ ألا أقول. «لم تَوْعِ الرّسالة».

- «الدّب العجوز توَسَّل العون من العرش الحديدي مئة مرّة، فأرسلوا له چانوس سلينت. لا رسالة من شأنها أن تجعل آل لانستر يحبّوننا أكثر ما إن يسمعوناً أننا ساعدنا ستانيس».

قال سام: «في الدِّفاع عن (الجدار) فقط، وليس في تمرّده»، وقرأ الرّسالة ثانيةً بسرّعة قبل أن يضيف: «هذا هو المكتوب هنا».

قال چون: «قد يغيب الفرق عن اللورد تايوين»، وتناول الرّسالة من سام متسائلاً: «لِمَ يُساعدنا الآن؟ إنه لم يفعلها من قبل قط».

- «لأنه لن يُريد أن يقول الناس إن ستانيس هبّ للدِّفاع عن البلاد بينما يلعب الملك تومن بلعبه. شيء كهذا سيؤدّي إلى السُّخرية من عائلة لانستر».

قال چون: «ما أريده لعائلة لانستر هو الموت والدِّمار»، ورفع الرّسالة وقرأ: «حرس اللّيل لا يتدخّلون في حروب (الممالك السبع). إننا نحلف أيماننا للبلاد، والبلاد في خطرٍ داهم الآن. ستانيس باراثيون يُساعدنا ضد أعدائنا من وراء (الجدار)، لكننا لسنا رجاله...».

قال سام بارتباك: «طيّب، نحن لسنا رجاله بالفعل، أليس كذلك؟».

- «لقد أعطيتُ ستانيس الطّعام والمأوى و(قلعة اللّيل)، بالإضافة إلى السّماح له بتوطين عددٍ من شعب الأحرار في (الهدية)، هذا كل شيء».

- «اللورد تايوين سيقول إن هذا كثيرٌ للغاية».

- «وستانيس يقول إنه لا يكفي. كلّمنا أعطيت ملكاً المزيد أراد أكثر. إننا نمشي على جسرٍ من الجليد على جانبيه هاوية. إرضاء ملكٍ واحد عسير بما فيه الكفاية، أمّا إرضاء اثنين فيكاد يكون مستحيلاً».

- «نعم، لكن... إذا كانت الغلبة لآل لانستر وقرّر اللورد تايوين أننا خنّا

الملك بدعمننا ستانيس فقد يعني هذا نهاية حرس الليل. إن وراءه آل تايرل وقوة (هاياردن) بأكملها، كما أنه هزم اللورد ستانيس في معركة (النهر الأسود).» ربما يُصيب منظر الدماء سام بالدوار، لكنه يعلم كيف تُربح الحروب. أبوه حرص على هذا.

- «(النهر الأسود) معركة واحدة. روب انتصر في معاركه كلها وفقد رأسه رغم ذلك. إذا استطاع ستانيس أن يحشد الشمال...».

أدرك سام أن چون يُحاول إقناع نفسه. لكنه غير قادر. لقد حلقت الغدافان من (القلعة السوداء) في عاصفة من الأجنحة السوداء، تستدعي لوردات الشمال لإعلان تأييدهم ستانيس باراثيون وضَمَّ قوّاتهم إلى قوّاته، وقد أرسل سام معظم الطيور بنفسه، وحتى الآن لم يرجع إلا واحد، الطائر الذي أرسلوه إلى (كارهولد)، وفيما عدا ذلك فالصمت يصم الآذان.

حتى إذا استطاع ستانيس أن يربح الشماليين في صفه، فسام لا يرى كيف يأمل في معادلة قوة (كاسترلي روك) و(هاياردن) و(التوأمتين) مجتمعة... لكن قضيته خاسرة لا محالة دون الشمال. خاسرة كحرس الليل إذا وصمنا اللورد تاويين بالخيانة. «آل لانستر معهم شماليون في صفوفهم، اللورد بولتون ونغله».

- «ستانيس معه آل كارستارك. إذا فاز بتأييد (الميناء الأبيض)...».

قاطع سام ضاغظاً على الكلمة: «إذا. وإذا لم يحدث... سيدي، حتى درع من ورق أفضل من لا شيء».

لوح چون بالورقة قائلاً: «أظنُّ هذا»، وتنهَّد ثم التقط ريشة وذيل الرسالة بتوقيعه، وقال: «أحضِر الشمع». وهكذا سخن سام قالباً من الشمع الأسود فوق شمعة وقطر القليل منه على الرق، ثم شاهد چون يضغظ ختم حرس الليل بقوة في الشمع الطري، قبل أن يقول أمراً: «خُذها إلى المايستر إيمون حين تُغادر وقل له أن يُرسل طائراً إلى (كينجز لاندنج)».

قال سام: «سأفعل»، وتردَّد لحظة ثم استطرَد: «سيدي، إذا سمحت لي بالسؤال... لقد رأيتُ جيلي وهي ذاهبة، وكانت مجهشة بالبكاء».

- «قال أرسلتها تتشفع لمانس مجدداً».

- «أوه». قال أخت المرأة التي اتَّخذها ملك ما وراء الجدار ملكة له،

ويُطلق عليها ستانيس ورجاله «الأميرة الهمجيّة»، وقد ماتت أختها دالا خلال المعركة، مع أن نصلًا لم يمسخها، بل فاضت نفسها وهي تلد ابن مانس رايدر. قريبًا سيتبعها رايدر نفسه إلى القبر، إذا صدقت الهمسات التي سمعها سام. «ماذا قلت لها؟».

أجاب جون: «إنني سأتكلم مع ستانيس، وإن كنت لا أظن أن كلامي سيؤثر فيه. أول واجبات الملك أن يُدافع عن بلاده، ومانس رايدر هاجم البلاد، وليس واردًا أن ينسى جلالته هذا. لقد اعتاد أبي أن يقول إن ستانيس باراثيون رجل عادل، لكن لا أحد قال قط إنه متسامح»، وصمت لحظةً مقطبًا وجهه قبل أن يتابع: «أوثر أن أقطع رأس مانس بنفسي، فقد كان رجلًا في حرس الليل ذات يوم، وبالحق يُفترض أن تكون حياته في أيدينا نحن».

- «بيب يقول إن الليدي مليساندرا تنوي أن تُحرقه لتصنع سحرًا ما».

- «على بيب أن يتعلم أن يصون لسانه. الكلام نفسه سمعته من آخرين. دم الملوك الذي من شأنه أن يُوقظ تينًا، لكن لا أحد يدري أين تحسب مليساندرا أنها ستجد تينًا نائمًا. إنها تُرهات. دماء مانس ليست أكثر ملكيةً من دمائي. إنه لم يعتمر تاجًا أو يجلس على عرشٍ قط. الرجل قاطع طريق لا أكثر، وليست هناك قوة في دماء قُطاع الطرق».

على الأرض رفع الغُدا ف عينيه وصرخ: «دماء!».

لم يُعره جون اهتمامًا، وقال: «سأصرفُ جيلي من هنا».

غمغم سام: «أوه»، وأومأ برأسه قائلاً: «حسنٌ، هذا... هذا جيّد يا سيّدي». أفضل شيءٍ لها أن تذهب إلى مكانٍ آمنٍ دافعٍ، بعيدًا عن (الجدار) والقتال.

- «هي والصبي. علينا أن نجد مُرضعةً أخرى لأخيه في الرضاعة».

- «لا بأس بحليب الماعز حتى تجدوا واحدةً. إنه أفضل للرضع من حليب الأبقار». كان سام قد قرأ هذا في مكانٍ ما. اعتدل في جلسته قائلاً: «سيّدي، بينما أقرأ الحوليّات عثرتُ على قائدٍ صبي آخر قبل أربعمئة عام من الغزوة. أوزريك ستارك كان في العاشرة من العمر حين اختير، لكنه خدم ستين عامًا. هكذا أصبحوا أربعةً يا سيّدي، أي أنك لست قريبًا حتى من أن تكون أصغر رجلٍ يُنتخب للقيادة. إنك الخامس حتى الآن».

- «والأربعة الأصغر كلهم أبناء أو إخوة أو نغول للملك في الشمال. أخبرني بشيء مفيد، حدثني عن عدونا».

قال سام: «(الآخرين)»، ولعق شفتيه مستدركا: «إنهم المذكورون في السجلات، وإن لم يكن بالكثرة التي حسبتها... في السجلات التي وجدتها وقرأتها بالأحرى، لكنني أعرف أن هناك المزيد مما لم أجده. بعض الكتب الأقدم متفسخ، والصفحات تفتتت حين أحاول أن أقلبها. وبالنسبة إلى الكتب العتيقة... إما أنها تفتتت تماما وإما أنها مدفونة في مكان ما لم أبحث فيه بعد، وربما... ربما لا تكون هناك كتب كهذه من الأصل ولم يكن لها وجود قط. أقدم التواريخ المدونة كان بعد مجيء الأنداليين إلى (وستروس)، بينما ترك لنا البشر الأوائل نقوشا على الصخور فحسب، لذا فإن كل شيء نظن أننا نعرفه عن عصر الأبطال والليل الطويل يأتي من حكايات كتبها سبتونات بعد آلاف الأعوام من تلك الأحداث، وهناك ما يسترر رؤساء في (القلعة) يُشككون فيها جميعا. تلك التواريخ القديمة ملأى بالملوك الذين حكموا مئات السنين، والفرسان الذين جابوا البلاد قبل ألف عام من وجود فرسان. أنت تعرف تلك الحكايات؛ براندون البناء وسيمون ذو العينين النجميتين وملك الليل... نحن نقول إنك القائد التسعمائة وثمانية وتسعون لحرس الليل، لكن أقدم قائمة وجدتها تضم ستمئة وأربعة وسبعين قائدا، وهو ما يفيد بأنها كتبت...».

قاطعَه چون: «منذ زمن طويل. ماذا عن (الآخرين)؟».

- «وجدت ذكرا الرجاج التنين. أطفال الغابة تعودوا أن يعطوا حرس الليل مئة خنجر من الرجاج البركاني كل عام خلال عصر الأبطال. معظم الحكايات متفق على أن (الآخرين) يأتون في البرد، أو أن البرد يأتي معهم. أحيانا يظهرون وقت العواصف الثلجية ويختفون حين تصفوا السماء، ويختبئون من ضوء الشمس ويخرجون ليلا... أو أن الليل يحل حين يخرجون. بعض القصص يتكلم عن ركوبهم الحيوانات الميتة؛ الدببة والثئاب الرهيبة والماموث والخيول، لا فرق ما دام الحيوان ميتا. الذي قتل پول الصغير كان يمتطي حصانا ميتا، فواضح أن هذا الجزء صحيح. بعض الحكايات يذكر عناكب جليدية أيضا، لكنني لا أدري ماهيتها. من يسقطون في المعركة أمام (الآخرين) لا بُد أن يحرقوا وإلا سينهض الموتى من جديد كعبيد لهم».

- «نعرف كل هذا. السؤال هو كيف نُقاتِلهم؟».

قال سام: «دروع (الآخرين) منيعة ضد معظم الأسلحة التقليدية، إذا صدقنا ما وردَ في الحكايات، وسيوفهم باردة للغاية لدرجة أنها تُحطِّم الفولاذ، لكنهم يهابون النار، ومن شأن زجاج التين أن يؤذيهم». تذكر (الآخر) الذي واجهه في (الغابة المسكونة)، وكيف بدا أنه يذوب ذوباً عندما طعنه بخنجر الزجاج البركاني الذي صنعه له چون. «وجدتُ حكايةً عن الليل الطويل تقول إن البطل الأخير قتل (الآخرين) بسيفٍ من فولاذ التين. المفترض أنهم لا يستطيعون الصمود أمامه».

قطب چون جبينه قائلاً: «فولاذ التين؟ الفولاذ الفاليري؟».

- «هذا أول ما خطر لي أيضاً».

- «إذن إذا استطعتُ أن أفنع لوردات (الممالك السبع) بإعطائنا سيوفهم المصنوعة من الفولاذ الفاليري فستتهي المشكلة؟»، وأطلق چون ضحكة خالية من المرح، وأردف: «هل عرفت من يكون (الآخرون)؟ من أين يأتون؟ ماذا يريدون؟».

- «ليس بعدُ يا سيدي، لكن لعلي كنتُ أقرأ الكتب الخطأ فقط. هناك مئات الكتب التي لم أفتحها حتى الآن. أعطني مزيداً من الوقت وسأجد كل ما يمكن إيجاده».

بنبرة حزينة قال چون: «ليس هناك مزيد من الوقت. عليك أن تحزم أغراضك يا سام، إنك راحل مع جيلي».

مرّت لحظة دون أن يستوعب سام، ثم قال: «راحل؟ أنا راحل؟ إلى (القلعة الشرقية) يا سيدي؟ أم... أين...».

- «(البلدة القديمة)».

- «(البلدة القديمة)؟!». خرجت الكلمة منه صرياً. (هورن هيل) قريبة

من (البلدة القديمة). الديار. مجرد الفكرة جعل رأسه يدور. أبي.

- «وإيمون أيضاً».

- «إيمون؟ المايستر إيمون؟ لكن... لقد تجاوزَ المئة بعامين يا سيدي،

ولا يقوى على... سترسله وترسلني أيضاً يا سيدي؟ ومن سيعتني بالغدافان؟ إذا مرضت أو جرحت، فمن...».

- «كلايداس، إنه مع إيمون منذ سنوات».

- «كلايداس مجرد وكيل، وبصره يزداد ضعفاً. أنت محتاج إلى مايستر. المايستر إيمون واهن، ورحلة في البحر...». فكَرَّ في (الكرمة) والسَّفينة (ملكة الكرمة) فكادَ يختنق بلسانه. «ربما... إنه شيخ، و...».

- «ستكون حياته في خطر، أدركُ هذا يا سام، لكن الخطر هنا أكبر. ستانيس يعرف من هو إيمون، وإذا كانت تعاويد المرأة الحمراء تقتضي دم الملوك...».

رَدَّ سام بوجهٍ شحَبَ: «أوه».

- «سينضمُّ داريون إليكم في (القلعة الشرقيَّة). أمني أن تُكسبنا أغانيه بعض الرِّجال في الجنوب. ستحملكم (الطَّائر الأسود) إلى (برافوس)، ومن هناك عليكم ترتيب رحلتكم إلى (البلدة القديمة). إذا كنت لا تزال تعتزم أن تُعلِن ابن جيلي نغلك، فأرسلها إلى (هورن هيل)، وإن لم يكن فسيجد لها إيمون عملاً كخادمة في (القلعة)».

- «ننغلي». لقد قال هذا، نعم، ولكن... كلُّ تلك المياه، يُمكن أن أغرق. السُّفن تغرق طوال الوقت، والخريف فصل عنيف العواصف. لكن جيلي ستكون معه، وسينشأ الطُّفل في أمان. «نعم، أنا... أمِّي وأخواتي سيُساعدن جيلي على العناية بالصَّبي». يُمكنني أن أرسل رسالة. لا حاجة إلى الذَّهاب إلى (هورن هيل) بنفسِي. «داريون يستطيع أن يصحبها إلى (البلدة القديمة) مثلي تمامًا. إنني... إنني أتمرَّن على الرِّماية كلَّ أصيل مع أولمر كما أمرت... إلَّا عندما أكون في القبو، لكنك قلت لي أن أكتشف ما يُمكن اكتشافه عن (الآخرين). القوس الطُّويل يُؤلم كتفِي ويجعل أصابعي تتقرَّح»، ورفع يده يُري چون أحد القروح المفتوحة مواصلاً: «لكني ما زلتُ أتمرَّن، وأستطيع أن أصيب الهدف معظم الوقت الآن، إلَّا أنني لا أزالُ أسوأ رام حمل قوسًا في العالم. لكني أحبُّ قصص أولمر. على أحدهم أن يُدوِّنها ويضعها في كتاب».

- «دوِّنها إذن. إن لديهم حبرًا وورقًا في (القلعة)، بالإضافة إلى الأقواس الطُّويلة. سأتوقَّع منك أن تُواصل تدريباتك. سام، في حرس الليل مئات الرِّجال الذين يستطيعون الرِّمي بالسَّهام، لكن ليس بينهم إلَّا شرذمة ممن يُجيدون القراءة والكتابة. أريدك أن تكون مايسترِي الجديد».

جعلته الكلمة يجفل. لا، أرجوك يا أبي، لن أتكلّم عن هذا ثانية، أفسمُ  
بالآلهة السبعة. أخرجني، أرجوك أخرجني. «سيّدي، أنا... إن عملي هنا.  
الكتب...».

- «ستكون هنا عندما تعود إلينا».

وضع سام يده على عنقه وهو يكاد يحسّ بالسلسلة حوله، تخنّقه. «سيّدي،  
(القلعة)... إنهم يجعلونك تُشرّح الجُثث هناك». إنهم يجعلونك تضع سلسلةً  
حول عنقك. إذا كنت تُريد سلسلةً فتعالَ معي. طيلة ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ ظلّ  
سام ينتحب حتى يغلبه النّوم وهو مقيدٌ بالأصفاد إلى الحائط، تُحيط بعنقه  
سلسلة مشدودة عن آخرها لدرجة أنها جرحت جلده، ومتى التفّ في اتّجاهٍ  
خاطيء في نومه انقطعت أنفاسه. «لا يُمكنني أن أضع سلسلةً».

- «بلي يُمكنك، وستفعل. المايستر إيمون عجوز كفيف وقوّته تتسرّب منه.  
من سيحلّ محلّه عندما يموت؟ المايستر مولين في (برج الظلال) مُقاتل أكثر  
من نطاسي، والمايستر هارميون في (القلعة الشّرقية) يسكر أكثر مما يستفيق».  
- «إذا سألت (القلعة) أن تُرسل المزيد من المايسترات...».

- «هذا ما أنتويه، فسنحتاج إلى كلّ واحدٍ منهم، لكن إيمون تارجارين لا  
يُستبدل بسهولة»، ولاحت الحيرة على جون وهو يُضيف: «كنت واثقًا بأن  
الأمر سيسرّك. في (القلعة) كتب أكثر مما يأمل أحد أن يقرأها كلّها. ستبلي  
بلاءً حسنًا هناك يا سام، أعلمُ هذا».

- «لا. يُمكنني أن أقرأ الكتب، لكن... على الممايستر أن يكون مُعالجًا  
أيضًا، والدّدم يُصيّني بالدّوار»، ورفع سام يداً مرتعدةً لچون مضيفًا: «أنا سام  
الخائف لا سام القاتل».

- «خائف؟ ممّ؟ توبيخ بضعة رجالٍ مسنّين؟ سام، أنت رأيت الجُثث  
الحية تجتاح (القبضة)، رأيت طوفانًا من الموتى الأحياء بأيّد سوداء وأعين  
زرقاء لامعة. لقد قتلت واحدًا من (الآخرين)».

- «قتله زُرُرُ جاج التّين وليس أنا».

- «صمتًا. لقد كذبت وتحايلت وتأمّرت لتجعلني القائد، ستطيعني إذن.  
ستذهب إلى (القلعة) وتكوّن سلسلةً، وإذا كان عليك أن تُشرّح الجُثث  
فليكن. على الأقل لن تعترض الجُثث في (البلدة القديمة)».

إنه لا يفهم. «سيدي، إن أأبي، اللورد راندل، إنه، إنه، إنه، إنه... حياة المايستر حياة خدمة». يعلم سام أنه يتكلم الآن كأنه يهذي، لكنه تابع: «لا أحد من أبناء عائلة تارلي يضع سلسلة حول عنقه أبداً. رجال (هورن هيل) لا ينحنون للوردات الأدنى ويُعظّمونهم». إذا كنت تُريد سلسلة فتعال معي. «چون، لا أستطيع أن أعصي أبي».

قال سام: «چون»، لكن چون لم يعد هناك، ومن يواجهه الآن هو اللورد سنو بعينه الرماديتين وصلابته الجليدية، وقد قال اللورد سنو: «أنت لا أب لك، بل إخوة فقط، نحن فقط. إن حياتك تنتمي إلى حرس الليل، فاذهب واحشر ثيابك الداخلية في جوالٍ ومعها كل شيء آخر تُريد أن تأخذه إلى (البلدة القديمة). ستُغادر قبل ساعة من الشروق. وهاك أمر آخر: من اليوم فصاعداً لن تنعت نفسك بالجبن. لقد واجهت في العام المنصرم أشياء أكثر مما يرى معظم الناس في حياتهم كلها. يُمكنك أن تُواجه (القلعة)، لكنك ستواجهها باعتبارك أخواً محلّفاً في حرس الليل. لا أستطيع أن أمرك بأن تكون شجاعاً، لكني أستطيع أن أمرك بأن تُخفي مخاوفك. لقد حلفت اليمين يا سام، أتذكر؟».

أنا السيف في الظلمات. لكنه أخرج تماماً في استعمال السيف، والظلمة تُخيفه. «س... سأحاول».

- «لن نُحاول، وإنما ستُطيع».

خفق غُداً مورمونت بجناحيه الأسودين الكبيرين مردّداً: «تُطيع!».

- «كما يأمر سيدي. هل... هل يعرف المايستر إيمون؟».

قال چون: «إنها فكرته قدر ما هي فكرتي»، وفتح له الباب مردّفاً: «لا وداع. كلّمنا قلّ عدد من يعلمون بالأمر كان أفضل. ساعة قبل طلوع الفجر في ساحة الأشنة<sup>(1)</sup>».

لا يذكّر سام أنه غادرَ مستودع السلاح، وإذا به يمشي متعثراً في الأوحال

(1) الأشنة كائنات تعاشية تتكوّن من ترافق بين الطحالب الخضراء أو الجراثيم الزرقاء والفطريات، وتنمو على الأبنية القديمة والقبور، ولذا يُطلق على ساحات المقابر هذا الاسم. (المترجم).



ورُفِعَ الثَّلْجُ القَدِيمَ إلى مَسْكَنِ المَيسِترِ إِيْمونَ. قالَ لِنَفْسِهِ: يُمَكِّنِي أَنْ أُحْتَبِيَ، يُمَكِّنِي أَنْ أُحْتَبِيَ فِي الأَقْبِيَةِ وَسَطِ الكُتُبِ، يُمَكِّنِي أَنْ أَعِيشَ هُنَاكَ مَعَ الفَأرِ وَأَتَسَلَّلَ إلى السَّطْحِ لِيلاً لِأَسْرِقَ الطَّعَامَ. يَعْلَمُ أَنَّهَا خَوَاطِرُ جَنوُنِيَّةٍ، عَدِيمَةُ الجَدوى قَدَرِ ما هِيَ يائِسَةٌ. سَتَكُونُ الأَقْبِيَةُ أَوَّلَ مَكَانٍ يَبْحَثُونَ عَنْهُ فِيهِ، أَمَّا آخِرُ مَكَانٍ يَبْحَثُونَ عَنْهُ فِيهِ فَوِراءُ (الجِدَارِ)، لَكِنَ هَذَا خَاطِرٌ أَكْثَرَ جَنوُنًا. رِيباً يَقْبِضُ عَلَيَّ الهَمَجُ وَيَقْتُلُونِي بِبُطْءٍ، رِيباً يُحْرِقُونِي حَيًّا كَمَا تَتَوَى المِراةُ الحِمرَاءُ أَنْ تُحْرِقَ مَانسَ رَايِدِرَ.

حِينَ وَجَدَ المَيسِترِ إِيْمونَ فِي المِغْدَفَةِ<sup>(1)</sup> أَعْطَاهُ رِسالَةَ جُونِ وَأَندَفَعَ يَبوَحُ بِمَخَوافِهِ بِكَلِمَاتٍ مَرْتَبِكَةٍ صَاخِبَةٍ وَهُوَ يَشعُرُ بِالعُثيانِ: «إِنَّهُ لَا يَفْهَمُ! إِذَا وَضَعْتُ سِلْسِلَةً فَإِنَّ السَيِّدَ وَووالِدِي س... س... س... سَوفَ...».

قالَ الشَّيْخُ: «أَبِي أَيْضًا أَبْدَى الاِحْتِجاجَ نَفْسَهُ حِينَ اخْتَرْتُ حَيَاةَ الخِدْمَةِ، وَكانَ أبُوهُ هُوَ مَن أَرْسَلَنِي إلى (القَلْعَةِ). لَقَدْ أُنْجِبَ المَلِكُ دَايروْنَ أَرْبَعَةَ أبناءَ، وَثَلَاثَةَ مَنهُمُ أُنْجِبُوا أبناءً. يَوْمَ وَدَّعُونِي سَمِعْتُ جَلالَتَهُ يَقولُ لِلسَيِّدِ وَالِدِي: التَّنائِينَ الأَكْثَرَ مِنَ الأَلْزَمِ خَطَرَةُ كالتَّنائِينَ الأَقْلَ مِنَ الأَلْزَمِ»، وَرَفَعَ إِيْمونَ يَدًا مَبقَعَةً إلى سِلْسِلَتِهِ ذاتِ المِعادِنِ العَدِيدَةِ الَّتِي تَدلِّي مَرْتخِيَةً حَوْلَ رِقْبَتِهِ الرِّفِيعَةِ، وَأَضَافَ: «السِّلْسِلَةُ ثَقِيلَةٌ يا سَامَ، لَكِنَ جَدِّي كانَ مَحَقًّا، وَكَذا اللوردُ سَنو».

تَمَتَّ أَحَدَ العِدْفانِ: «سَنو!»، وَرَدَّدَ آخَرَ: «سَنو!»، ثُمَّ اسْتَشْرَى الصَّياحَ بَيْنَ بَقِيَّةِ الطَّيُورِ الَّتِي رَاحَتْ تُرَدِّدُ: «سَنو، سَنو، سَنو، سَنو، سَنو، سَنو، سَنو، سَنو». سَامُ هُوَ مَن عَلَّمَهَا هَذِهِ الكَلِمَةَ. أَدْرَكَ أَنَّهُ لَنْ يَجِدَ مِسانِدَةً هُنَا، فَالمَيسِترِ إِيْمونَ مَغْلُوبٌ عَلَيَّ أَمْرُهُ مِثْلُهُ تَمَامًا، وَفَكَّرَ بِياَسٍ: سِيموتُ فِي البَحْرِ. إِنَّهُ أَكْثَرُ عَجْزًا مَن أَنْ يَحْتَمِلَ رِجْلَةَ كَتَلِك. وَقدِيموتُ ابْنَ جِيلي أَيْضًا. الصَّبِي لَيْسَ كَبيرًا وَقَوِيًّا كَابنِ دالَا. هَلْ يُرِيدُ جُونُ أَنْ يَقْتُلُنَا جَمِيعًا؟

فِي الصَّباحِ التَّالِيِ وَجَدَ نَفْسَهُ يَضَعُ السَّرَجَ عَلَيَّ الفَرَسِ الَّتِي رَكَبَهَا مَن (هُورن هِيل) وَيَقودُها إلى سَاحَةِ الأَسْنَةِ عَلَيَّ الطَّرِيقِ الشَّرْقيِّ، وَقدِ انْتَفَخَ جِرابُ السَّرَجِ بِالجُبْنَ وَالسُّجِقَ وَالبيضَ المِسلوقَ، بِالإِضَافَةِ إلى نِصْفِ فِخْذِ

(1) المِغْدَفَةُ عِبارَةٌ عَن قَفْصِ كَبِيرٍ بِمِثابَةِ عَشِّ لَطِيورِ العُدافِ. (المُترجم).

مملحة من لحم الخنزير أهدها له هوب ذو الثلاثة أصابع يوم ميلاده، وقال له الطاهي: «أنت رجل يُقدّر الطهو حقَّ قدره أيها القاتل. نحن محتاجون إلى المزيد من أمثالك». سيُساعدهم اللحم لا ريب، فبين هنا و(القلعة الشَّرقيَّة) طريق بارد طويل، وليست هناك بلدات أو خانات في ظلِّ (الجدار).

كانت السَّاعة السَّابقة للفجر مظلمة ساكنة، وعلى (القلعة السَّوداء) خيم صمت عجيب. في ساحة الأشنة انتظرتَه عربتان بعجلتين، ومعهما چاك بولوار الأسود ودسته من الجوّالة المخضرمين الأصلاب كخيولهم. أطلق كِدج ذو العين البيضاء سبابًا عاليًا عندما أبصرَ سام بعينه السَّليمة، فقال له چاك الأسود: «دعك منه أيها القاتل. لقد خسرَ رهانًا، قال إنه سيكون علينا أن نجرِّك صارخًا من تحت فراشٍ ما».

لأن المايستر إيمون أوهن من أن يركب حصانًا، فقد جُهِّزت له عربة وكوِّمت عليها الأغطية الفرو، وثبَّت فوقها مظلة جلد لتقيه من المطر والثلج. ستركب جيلي وطفلها مع المايستر، أمَّا العربة الثَّانية فتحمل ثيابهم وأغراضهم، بالإضافة إلى صندوقٍ من الكُتب القديمة النَّادرة التي خطرَ لإيمون أن (القلعة) قد تفتقر إليها، وكان سام قد أمضى نصف اللَّيل بحثًا عنها، وإن لم يعثر إلاَّ على كتابٍ واحدٍ من كلِّ أربعة. لا بأس، وإلاَّ كنا سنحتاج إلى عربةٍ أخرى.

عندما ظهرَ المايستر كان متدثرًا بفروة دُبِّ تفوقه حجمًا ثلاث مرَّات، وإذ قاده كلايداس إلى العربة هبَّت الرِّيح بقوة جعلت الرَّجل الهَرَم يترنَّح، فهرع إليه سام وطوَّقه بذراعه. هبةٌ أخرى كهذه كفيِّلة بأن تُطيِّره فوق (الجدار). «أمسك ذراعي أيها المايستر. العربة ليست بعيدة».

أومأ الرَّجل الكفيف برأسه بينما أزاخت الرِّيح قلنسوته عن رأسه، وقال: «الطقس دافئ دوماً في (البلدة القديمة). ثمة خان مُقام على جزيرةٍ في (نهر البتج) اعتدتُ الذهاب إليه وأنا مبتدئ شاب. سيكون جميلًا أن أجلس هناك ثَّانية وأشرب خمر التُّفاح».

لدى وضعهم المايستر على العربة كانت جيلي قد ظهرت بدورها حاملَّة الرِّضيع بين ذراعيها، وتحت قلنسوتها بدت عيناها حمراوين من البكاء. في الوقت نفسه وصلَ چون ومعه إد الكئيب، فناده المايستر إيمون قائلاً: «لورد

سنو، لقد تركتُ لك كتابًا في مسكنك، (خُلاصة اليَسْب) الذي كتبه المُغامر  
الهُولانتيني كولوكو فوثار، الذي سافرَ إلى الشَّرْق وزارَ جميع أراضي (بحر  
اليَسْب). هناك فقرة قد تُثير اهتمامك، قلتُ لكلايداس أن يُعلِّمها لك».   
رَدَّ چون سنو: «سأحرصُ على قراءتها».

سألَ خيط من المخاط السَّاحب من أنف المايستر إيمون، فمسحَه بظَهْر  
قُفَّازِه، وقال: «المعرفة سلاح يا چون، فسلِّح نفسك جيدًا قبل أن تخوض  
المعركة».

- «سأفعل». كان ثلج خفيف قد بدأ يسقط، تنزل رُقاقاتِه الكبيرة النَّاعمة  
بكسل من السَّماء، فالتفت چون إلى چاك بولوار الأسود قائلاً له: «أسرعوا  
قدر الإمكان، لكن لا داعي للمُخاطرات الحمقاء. إن معكم رجلًا عجوزًا  
وظفلاً رضيعًا. احرص على دفتهم وإطعامهم جيدًا».

قالت جيلي: «افعل المثل يا سيدي، افعل المثل مع الآخر، اعثر له على  
مُرْصِعةٍ كما قلت، لقد وعدتني بأنك ستفعل. الصَّبي... صبيِّ دالا... أعني  
الأمير الصَّغير... اعثر له على امرأةٍ صالحة ليكبر قويًا».   
قال چون سنو برصانة: «لكِ كلمتي».

- «إياكم أن تُسمِّوه، لا تفعلوا هذا قبل أن يتجاوزَ العامين. تسميتهم وهم  
ما زالوا يرضعون طالع سيِّئ. ربما لا تعرفون هذا أيها الغُربان، لكنه صحيح».   
- «كما تأمرين يا سيديتي».

اشتعلَ وجه جيلي غضبًا، وصاحت: «لا تُناديني بهذا. أنا أم ولستُ سيِّدة  
أحد، أنا زوجة كراستر وابنته، وأم».

أخذَ إد الكتيب الطَّفل فيما صعَدت جيلي إلى العربة وغطَّت ساقِها  
بالجلود الزَّنخة، وعندئذٍ كانت سماء الشَّرْق قد صارت رماديَّة أكثر من  
سوداء، وأبدى ليو الأعرس استعجاله الرَّحيل. ناولَ إد الطَّفل لجيلي فألقمته  
ثديها، وفكَّر سام وهو يمتطي فرسه: ربما تكون هذه آخر مرَّة أرى (القلعة  
السَّوداء). قدر ما كان يكره (القلعة السَّوداء) ذات يومٍ فإن فؤاده يتمزِّق الآن  
لتركها.

قال بولوار أمرًا: «هيا بنا»، وطرَّقَ سوطُ وبدأت العربتان تتحرَّكان بتؤدَّة  
على الطَّرِيق المحفر بينما نزلت الثلوج حولهم.

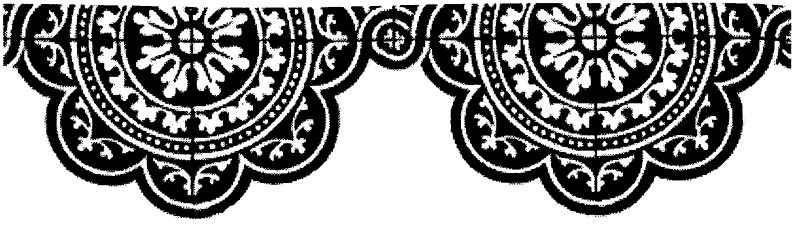
ظَلَّ سام إلى جوار كلايداس وإد الكئيب وچون سنو ليقول: «حسنٌ،  
وداعًا».

رَدَّ إد الكئيب: «ووداعًا لك يا سام. لا أظنُّ أن سفينتك ستغرق. السفن لا  
تغرق إلا عندما أكون على متنها».

قال چون وهو يُراقب العربتين: «أول مرّة رأيتُ جيلي كان ظهرها ملتصقًا  
بجدار (قلعة كراستر)، تلك الفتاة النَّحيلة ذات الشعر الدّاكن والبطن الممتفخ،  
منكمشة رُعبًا من جوست. كان قد افترسَ أرانبها، وأظنُّ أنها خافت أن يُمزَّق  
بطنها ويلتهم جنيها... ولكن الذُّب لم يكن ما عليها أن تخافه، أليس  
كذلك؟».

فكَّر سام: نعم. كراستر كان الخطر، أبوها. «إنها تمتلك شجاعةً أكثر مما  
تحسب».

قال چون: «وكذلك أنا يا سام. رحلةٌ سريعةٌ آمنةٌ، واعتنِ بها وبإيمون  
والطفّل»، وارتسمت على شفّتيه ابتسامة غريبة حزينة وهو يُضيف: «وارفع  
قلنسوتك. نُدف الثلج تذوب في شعرك».



## آريا

خافتاً بعيداً أتقد الضوء الواطئ في الأفق، يتلألاً متخللاً ضباب البحر.  
قالت آريا: «يبدو كنجمة».  
فقال دينيو: «نجمة الوطن».

كان أبوه يزعم ملقياً الأوامر، والبحارة يتحرّكون صاعدين ونازلين  
الصّواري الطويلة الثلاثة ويشدون الحبال ليطوا الأشعة الأرجوانية الثقيلة،  
وفي الأسفل يكدح المجذّفون على صفّي المجاذيف الكبيرين، فمالت  
الأسطح مصدرّة صريراً مع ميل القاليون<sup>(1)</sup> (ابنة المارد) إلى الميمنة توطئةً  
لتعديل اتجاهه.

نجمة الوطن. وقفت آريا عند المقدمة مريحةً يدها على التمثال المذهب  
الذي يتخذ شكل فتاةٍ تحمل وعاء فاكهة، وتركت نفسها تتظاهر لأقلّ من  
لحظةٍ بأن القابع أمامهم وطنها هي.

لكن هذا سُخف. وطنها ضاع، وأبواها ماتا، وإخوتها قُتلوا جميعاً باستثناء  
چون سنو على (الجدار)، وهو المكان الذي أرادت أن تذهب إليه، وهذا ما  
قالته للرّبّان، لكن حتى العُملة الحديد لم تُقنعه. يبدو أن آريا تعجز دائماً عن  
بلوغ الأماكن التي تُريد الذهاب إليها. لقد أقسم يورن على أن يوصلها إلى  
(ويترفل)، وانتهى بها المطاف في (هارنهال) وبيورن في قبره، وحين هربت  
من (هارنهال) ساعيةً إلى (ريشررن) أسرها ليم وأنجاي وتوم أبو السّبعات

(1) القاليون سفينة أكبر من القادس، أشرعتها مربّعة وثُبحر بصقّين أو ثلاثة من المجاذيف،  
وكانت تعدُّ أكبر سفن الأسطول العثماني. (المترجم).

وجرّوها إلى التّلّ الأجوف، ثم اختطفها كلب الصّيد وجرّها إلى (التّوأمتين)، قبل أن تتركه يُحتضّر عند النّهر وتتّجه إلى (الملاحات) أملة أن تستقلّ سفينة إلى قلعة حرس اللّيل الشّرقية على البحر، ولكن...

ربما لا تكون (برافوس) بذلك السّوء. سيريو كان من (برافوس)، وقد أجدّ چاكن هناك أيضاً. چاكن هو من أعطاه العُملة الحديد. لم يكن صديقها حقاً مثل سيريو، ولكن بَم نفعها الأصدقاء من قبل على كلّ حال؟ لستُ في حاجة إلى أصدقاء ما دامت إبرتي معي. مسّت قبعة السّيف الملساء بعقلة إبهامها وهي تتمنى أن... تتمنى أن...

الحقيقة أن آريا لا تدري ماذا تتمنى، تماماً مثلما لا تدري ما ينتظرها هناك تحت ذلك الضّوء البعيد. لقد سمح لها الرّبان بركوب السّفينة، لكنه لم يملك وقتاً للكلام معها، كما أن عدداً من أفراد الطّاقم تجنّبها، وإن كان بعضهم قد أعطاه هدايا، منها شوكة فضّة وقفازان بلا أصابع وقبّعة عريضة من الصّوف المرقع بالجلد، وأراها أحد الرّجال كيف تعمل العُقد الشّراعية، وصبّ لها آخر فناجين صغيرة من النّبيذ النّاري. الودودون منهم يقرّون على صدورهم مردّدين أسماءهم مراراً وتكراراً إلى أن تردّ بها آريا، ولو أن أحداً لم يسألها عن اسمها هي، وبدلاً من هذا يُسمونها «ملحة»، بما أنها ركبت معهم من (الملاحات) قُرب مصبّ (الثالوث)، وعلى ما تظنّ فلا فرق بينه وبين أيّ اسم آخر.

أختفى آخر نجوم اللّيل... كلّها باستثناء الاثنتين الثابتتين أمامهم مباشرة، فقالت: «إنهما نجمتان الآن».

قال دينيو: «عينان. (المارد) يرانا».

المارد البرافوسي. في (وينترفل) حكّت لهم العجوز نان عن (المارد)، وكيف أنه عملاق يُناهز الجبال طوياً، ومتى حاقّ الخطر بـ(برافوس) تدبّ فيه الحياة وتشتعل عيناه ناراً، وتصرّ أطرافه الصّخرية وتطّطق إذ يخوض في البحر ليسحق الأعداء. «البرافوسيون يُطعمونه لحم بنات عليّة القوم الطازج الغصّ». بهذه العبارة كانت نان تختتم حكايتها، فتصدّر سانزا صريراً خائفاً سخيفاً، لكنّ المايستر لوين قال إن (المارد) مجرد تمثال، وقصص العجوز نان ما هي إلّا قصص.

حدّث آريا نفسها مذكّرة: (ويتترفل) احترقت وسقطت. وغالبًا مات  
 المايستر لوين والعجوز نان، وسانزا أيضًا، ولن ينفعها أن تُفكّر فيهم. كلُّ  
 البشّر يُدرِكهم الموت. هذا ما تعنيه الكلمتان، الكلمتان اللتان علّمها چاكن  
 إياهما عندما أعطاهما العُملَة الحديد البالية. منذ رحلوا من (الملاحات)  
 تعلّمت المزيد من الكلمات البرافوسية أيضًا، مرادفات «من فضلك»  
 و«شكرًا» و«البحر» و«النجوم» و«النبيذ النَّاري»، لكنها آتتهم عالمة أن كلُّ  
 البشّر يُدرِكهم الموت. معظم طاقم (ابنة المارد) يعرف كلماتٍ متناثرة من  
 اللغة العامية لقضائهم ليالي وليالي على البرّ في (البلدة القديمة) و(كينجز  
 لاندنج) و(بركة العذارى)، وإن كان الرّبّان وأبناؤه يُجيدانها بما يكفي للكلام  
 مع آريا. دينيو أصغر الأبناء، غُلام ممتلئ بشوش في الثانية عشرة، يُعنى بقمرة  
 أبيه ويُساعد أخاه الأكبر في الحساب.

قالت له آريا: «أمل أن (المارد) ليس جائعًا».

ردّد حائرًا: «ليس جائعًا؟».

- «لا عليك». حتى لو كان (المارد) يأكل لحم البنات الطّازج الغصّ حقًا،  
 فأريا لا تخافه. إنها مخلوقة هزيلة، ليست وجبةً تصلح لعملاق، وعلى وشك  
 بلوغ الحادية عشرة من العمر، أي أنها -عمليًا- امرأة ناضجة. ثم إن ملحّة  
 ليست من بنات عليّة القوم. سألت: «هل (المارد) إله (برافوس) أم أنكم  
 تعبّدون الآلهة السّبعة؟».

يحبُّ ابن الرّبّان الكلام عن مدينته قدر ما يحبُّ الكلام عن سفينة أبيه  
 تقريبًا، وقد قال لها: «كلُّ الآلهة مكرّمون في (برافوس). سبتك لهم سبت  
 هنا، (سبت ما وراء البحر)، لكن البحّارة الوستروسيين وحدهم يتعبّدون  
 هناك».

ليسوا سبعتي. لقد كانوا آلهة أمّي، ومع ذلك تركوا آل فراي يغتالونها  
 في (التّوأمتين). تساءلت إن كانت ستجد في (برافوس) أيكة آلهة في قلبها  
 شجرة ويروود. ربما يعرف دينيو، لكنها لا تستطيع أن تسأله. ملحّة أتت من  
 (الملاحات)، وما الذي تعرفه فتاة من (الملاحات) عن آلهة الشّمال القديمة؟  
 قالت لنفسها: الآلهة القديمة ماتت، ماتت مع أمّي وأبي وروب وبران  
 وريكون، الموت أخذ الجميع. تذكّر أنها سمعت منذ زمنٍ طويل أباه يقول

إنه عندما تهبُّ الرِّيحُ الباردة يَنْفُقُ الذُّبُّ الوحيد وينجو القطيع. لم يعرف أن العكس هو الصَّحيح. آريا، الذُّبَّةُ الوحيدة، لم تزل حيَّةً، لكن ذئاب القطيع صيدت وقُتِلت وسُلِّخت.

قال دينيو: «شُدَّةُ القمر قادونا إلى هذا الملاذ، حيث لم تستطع تنانين (فاليريا) العثور علينا. معبدهم أعظم المعابد في المدينة. إننا نُبجِّلُ أبا المياه كذلك، لكن داره تُبنى من جديدٍ كلِّما اتَّخذ لنفسه عروسًا جديدةً، وبفِيَّةِ الآلهة تستوطن جزيرةً في منتصف المدينة معًا. هناك ستجدين الـ... الإله عديد الوجوه».

ازدادَ الألق في عيني (المارد) وبدتا أكثر تباعدًا الآن. لا تعرف آريا أيَّ إلهٍ عديد الوجود، لكن إذا كان يُجيب الدُّعاء فربما يكون الإله الذي تبحث عنه. السير جريجور، دانسن، راف المعسول، السير إلين، السير مرين، الملكة سرسي. ستَّة فقط الآن. چوفري مات، وكلب الصَّيد فتك ببوليقر، وآريا طعنت المُدغِغ بنفسها بالإضافة إلى المُرافق الأحمر ذي البثور. لم أكن لأقتله إذا لم يضع يده عليَّ. وكلب الصَّيد كان يلفظ أنفاسه القليلة الأخيرة حين تركته على ضفاف (الثالوث)، تحرقه الحُمَّى التي سببها جرحه. كان يجدر بي أن أعطيه هدية الرَّحمة وأغرس سكيَّني في قلبه.

أخذها دينيو من ذراعها ودورها صائحًا: «ملحة، انظري! هل ترين؟»، وأضاف مشيرًا: «هناك».

انجابَ الضُّباب أمامهم كستائر رماديَّة مهترئة تشقُّها مقدِّمة السَّفينة، وشقَّت (ابنة المارد) عباب المياه الخضراء الرَّماديَّة محلَّقَةً بأجنحة أرجوانيَّة منفوشة، وسمعت آريا صياح طيور البحر من فوقهم. هناك، حيث أشار دينيو، يرتفع صَفٌّ من الجروف الحجريَّة فجأةً من البحر، تُعْطِي منحدراتها الشَّاهقة أشجار الصَّنوبر الجُندي والثَّنوب الأسود، لكن أمامهم مباشرةً خرق البحر ثغرةً في الصَّخر، وفوق الماء يقف (المارد) بعينين متقدتين وشعرٍ أسود طويل يُرْفَرَف في الرِّيح.

ساقاه مفتوحتان فوق الثَّغرة، وقدماه مزروعتان على الجبلين على جانبيه، وترتفع كتفاه عن القمم المحرَّزة. قدماه منحوتتان من الحجر المصمت، من الجرانيت الأسود نفسه كالجبلين البحريَّين اللذين يقف عليهما، وإن كان



يرتدي حول وركيه تُوْرَةٌ مدرَّعَةٌ من البرونز المخضر، وواقِي صدره من البرونز أيضًا، وكذا رأسه في خوذته الصَّغيرة ذات الرِّيشة، أمَّا شعره المُرفرف فمن حبال القنب المصبوغة بالأخضر، وفي كهفي عينيه تشتعل بؤرتا نارٍ عظيمنتان. على القمَّة اليسرى تستريح يده وقد تكوَّرت أصابعه حول كتلةٍ من الحجر، ويده الأخرى مرفوعة في الهواء ممسكةً بمقبض سيفٍ مكسور.

قالت آريا لنفسها وهم لا يزالون بعيدين في البحر: إنه أكبر من تمثال الملك بيلور في (كينجز لاندنج) قليلاً فقط، لكن مع دنو القاليون من البُقعة التي تتكسَّر فيها الأمواج على خطِّ الجُروف تعاضم حجم (المارد). كانت تسمع أبا دينيو يرفع عقيرته العميقة بالأوامر، في حين بدأ الرِّجال يشدون الحبال لإنزال الأشرعة. سنمُّ من بين ساقِي (المارد). رأت آريا فتحات الرِّماية في واقِي الصِّدر البرونزي الضَّخم، والبُقع على ذراعي التَّمثال وكتفيه حيث تُعشش طيور البحر، ورجعت برأسها إلى الوراء قائلةً لنفسها: بيلور الميازك لا يبلغ طول رُكبتيه حتى. إنه يستطيع أن يخطو فوق أسوار (ويترفل) بكلِّ بساطة.

ثم أطلق (المارد) هديرًا عظيمًا.

صوته هائلٌ مثله، مزيجٌ شنيعٌ من الأنين والصَّيرير، هادرٌ لدرجة أنه طغى على صوت الرُّبان وارتطام الأمواج بتلك الجُروف المكسوَّة بالصَّنوبر. في لحظةٍ واحدةٍ حلَّت ألف من طيور البحر، وانكسَّمت آريا على نفسها إلى أن رأت دينيو يضحك وسمعته يصيح: «إنه يُخطِر (الترسانة) بوصولنا لا أكثر. لا داعي للخوف».

ردَّت صائحةً: «لم أكن خائفةً. الصَّوت عالٍ فقط».

الآن أصبحت (ابنة المارد) في قبضة الرِّياح والموج، فساقاها بسرَّعةٍ صوب المجرى، وبنعومةٍ تحركت صفاً مجاذيفها التي راحت تضرب المياه مكوَّنةً رغوةً بيضاء فيما سقط ظلُّ (المارد) عليهم. بدا لحظةً أنهم سيرتطمون حتمًا بالأحجار تحت ساقيه، وقد ربضت آريا عند المقدَّمة مع دينيو متذوِّقة الملح الذي تركه الرِّذاذ على وجهها. حنَّت رأسها تمامًا إلى الوراء لترى رأس التَّمثال، ومرةً أخرى سمعت العجوز نان تقول: «البرافوسيون يُطعمونه لحم بنات عليَّة القوم الطَّازج الغصُّ»، لكنها ليست بنتًا صغيرةً، ولن يُخيفها تمثال سخيف!

وعلى الرغم من هذا أبقت يدها على إبرتها وهم يمرّون من بين ساقيه.  
رأت المزيد من فتحات الرّماية المصطفة داخل الفخدين الحجريّتين  
العظيمتين، ولمّا لوت عنقها لتُشاهد منصّة المراقبة أعلى الصّاري تمرّ وفوقها  
عشر ياردات كاملة من الفراغ، لمحت عددًا من المزاغل<sup>(1)</sup> تحت تنورة  
(المارد) المدرّعة، ووجوهاً شاحبة تُحدّق إليهم من فوق من وراء قضبان  
حديدية.

ثم تجاوزوا التّمثال.

ارتفع الظل وتراجعت الجُروف المكسوة بالصنوبر على الجانبين وهدأت  
الريّح، ووجدوا أنفسهم يتحرّكون في هور<sup>(2)</sup> عظيم.  
أمامهم يقف جبل بحري آخر، كتلة من الصّخر تبرز من الماء كقبضة شائكة  
تنتشر عليها كالشعيرات المنتصبة المقاذيف والعرّادات<sup>(3)</sup> ونافثات اللهب.  
«إنها ترسانة (برافوس)»، قال دينيو بفخر كأنه سيّدها بنفسه. «يستطيعون أن  
ينبوا قادسًا حربيًا هنا في يوم واحد». رأت آريا عشرات القوادس المربوطة إلى  
المراسي والقابعة على أرصفة الإنزال، وطلّت المقدمات المطلية لقوادس  
أخرى من عددٍ لا يُحصى من السقائف الخشبية ككلاب صيدٍ في وجارها،  
رشيقة شرسة جائعة تنتظر أن يدوي بوق الصياد ويستدعيها. حاولت أن  
تُحصيها لكنها وجدتها كثيرةً للغاية، وهناك المزيد من الأحواض والسقائف  
والأرصفة حيث ينعطف خطّ السّاحل مبتعدًا.

كان قادسان قد خرجا للقائهم منزلقين على الماء بخفة اليعاسيب  
ومجاذيفهما الباهتة تومض في الضوء. سمعت آريا الرّبان يصيح لهما فيردّ  
رّباناهما الصّياح، لكنها لم تفهم الكلام. دوى نفيق قوي ومرّ القادسان على  
جانبيهم على مقربةٍ شديدة جعلتها تسمع دقات الطبول المكتومة الآتية من  
داخل بدنيهما الأرجوانيين، بوم بوم بوم بوم بوم بوم، كخفقان قلبٍ حي.

(1) المَزْغَل كلمة فارسيّة الأصل بمعنى منفذ، وهو عبارة عن فتحة ضيّقة في جدار الحصن  
لإلقاء الحجارة والزيت المغلي والقار وخلافه من أدوات الدّفاع. (المترجم).

(2) الهور بحيرة ضحلة تتصل بمياه البحر وتُحيط بها اليابسة. (المترجم).

(3) العرّادة ضرب من المنجنيق تُقذف به الأحجار والسّهام الكبيرة. (المترجم).

ثم أصبح القادسان وراءهم وكذا (التّرسانة)، وأمامهم امتدّت مساحة شاسعة من المياه الخضراء كالبالزلاء، تترقّق كلوح من الزُّجاج الملوّن، ومن قلبها البليل ترتفع المدينة نفسها، امتداد مترامي الأطراف من القباب والأبراج والجسور، رمادي وذهبي وأحمر. جُزر (برافوس) المئة في بحرها.

لقد دَرَسَ لهم المايستر لوين حقائق عن (برافوس)، لكن آريا نسيت معظم ما قاله. إنها مدينة مسطّحة، وباستطاعتها أن ترى هذا حتى من بعيد، على عكس (كينجز لاندنج) القائمة فوق تلالها الثلاثة العالية. التلال الوحيدة هنا هي تلك التي بناها الناس بالقرميد والجرانيت والبرونز والرّخام، وثمة شيء آخر غائب أيضًا، وقد استغرقت آريا عدّة لحظات حتى أدركته. المدينة بلا أسوار. لكن حين ذكرت هذا لدينيو ضحك منها، وقال: «أسوارنا من الخشب وملوّنة بالأرجواني. قوادسنا هي أسوارنا، ولسنا في حاجة إلى سواها».

صَرَ سطح السّفينة من ورائهما، والتفتت آريا لتجد أبا دينيو واقفًا فوقهما في معطفه الصّوف الأرجواني الطّويل. الرّبّان التّاجر ترنيسيو تيريس حليق الوجه ويحرص على العناية بشعره الأشيب القصير وتشذيبه، ليصنع إطارًا حول وجهه المربّع الذي لوّحته الرّيح. كثيرًا ما رأته خلال الرّحلة يمزح مع أفراد طاقمه، لكن حين يتجهّم يفرّ منه الرّجال كما يفرّون من عاصفة، والآن كان متجهّمًا وهو يقول لأريا: «رحلتنا في نهايتها. ستّجه إلى (المرفأ المربّع)، حيث سيصعد مأمورو جمارك أمير البحر إلى المتن لتفتيش مخازننا. سيقضون نصف يوم في العمل كالمعتاد، لكن ليس هناك ما يدعوك إلى انتظارك فروغهم. اجمعي حاجياتك، سأنزل قاربًا ليأخذك يوركو إلى البر».

عصّت آريا شفتها مفكّرة: البرّ. لقد عبرت (البحر الضيّق) كي تصل إلى هنا، لكن لو سألتها الرّبّان لقاتل إنها تريد البقاء على متن (ابنة المارد). ملحة أصغر حجمًا من أن تعمل على مجذاف، وهي تعلم هذا الآن، غير أن بإمكانها أن تتعلّم كيف تجدل الحبال وتثني الأشربة وتوجّه الدّفّة في البحار المالحة الفسيحة. في مرّة أخذها دينيو إلى منصّة المراقبة بالأعلى فلم تشعُر بأيّ خوف على الرغم من حجم سطح السّفينة الذي بدا ضئيلاً أسفلها. أجدد الحساب أيضًا، وتنظيف القمرات وتنسيقها.

لكن القاليون ليس في حاجة إلى عامل نظافة ثانٍ، ثم إن ما عليها إلّا أن

تَنْظُرُ إِلَى وَجهِ الرَّبَّانِ لِتَرَى رَغْبَتَهُ الْمَلْحَةَ فِي الْخِلاَصِ مِنْهَا، وَهَكَذَا اِكْتَفَتْ  
أَرِيَا بِالْإِيْمَاءِ، وَقَالَتْ: «الْبَرَّ»، مَعَ أَنَّ الْبَرَّ لَا يَعْنِي إِلَّا الْغُرْبَاءَ.

مَسَّ جَبْهَتَهُ بِإِصْبَعَيْنِ قَائِلًا: «قَالَار دُوهايرِس. أَرْجُو أَنْ تَتَذَكَّرِي تَرْنِيسِيو  
تِيرِيسِ وَالصَّنِيعَ الَّذِي أَسْدَأِكِ إِيَاهُ».

رَدَّتْ بِصَوْتٍ خَفِيفِضٍ: «سَأَفْعُلُ».

وَشَدَّتْ الرِّيحَ مَعْطَفَهَا بِإِصْرَارِ الْأَشْبَاحِ، وَعَلِمَتْ أَرِيَا أَنَّ وَقْتَ الرَّحِيلِ  
حَانَ.

قَالَ الرَّبَّانُ أَنَّ تَجْمَعِ حَاجَاتِهَا، لَكِنْ حَاجَاتِهَا قَلِيلَةٌ لِلغَايَةِ، لَيْسَتْ أَكْثَرُ مِنْ  
الثِّيَابِ عَلَى جَسَدِهَا وَصُرَّةِ النُّقُودِ وَهَدَايَا الطَّاقِمِ وَالخَنْجَرِ عَلَى وَرْكَهَا الْأَيْسَرِ  
وَ(الإِبْرَةِ) عَلَى الْأَيْمَنِ.

كَانَ الْقَارِبُ جَاهِزًا قَبْلَهَا، وَجَلَسَ يورْكَو عِنْدَ الْمَجْذَافَيْنِ بِالْفِعْلِ. هُوَ أَيْضًا  
ابْنُ الرَّبَّانِ، لَكِنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ دِينِيو وَأَقْلُ وَدَأً. فَكَّرَتْ وَهِيَ تَنْزِلُ لِتَنْضَمَّ إِلَيْهِ: لَمْ  
أُودِعْ دِينِيو، وَتَسَاءَلَتْ إِنْ كَانَتْ سَتَرِي الْغُلَامَ ثَانِيَةً. كَانَ عَلِيٌّ أَنْ أُوْدِعَهُ.

تَسَاءَلَتْ (ابْنَةُ الْمَارِدِ) وَرَاءَهُمَا بَيْنَمَا تَعَاظَمَتِ الْمَدِينَةُ مَعَ كُلِّ ضَرْبِ  
بِمَجْذَافِي يورْكَو، وَبَعِيدًا إِلَى يَمِينِهَا لَاحَ أَحَدُ الْمَوَانِي بِشَبْكَتِهِ الْمَعْقَدَةِ مِنْ  
الْأَحْوَاضِ وَالْأَرْصِفَةِ الْمَزْدَحْمَةِ عَلَيْهَا سُفْنُ صَيْدِ الْحَيْتَانِ كَبِيرَةِ الْبَطْنِ  
الْآتِيَةِ مِنْ (إِيْبِنِ) وَالسُّفْنِ الْبَجْعِيَّةِ مِنْ (جُزْرِ الصَّيْفِ) وَالْقَوَادِسِ الْأَكْثَرِ  
مِنْ أَنْ تُحْصِيَهَا الْفَتَاةُ. إِلَى يَسَارِهَا مِينَاءُ آخَرَ أَبْعَدَ، وَرَاءَ مَسَاحَةٍ غَائِضَةٍ مِنْ  
الْيَابِسَةِ تَرْتَفِعُ فِيهَا سَطُوحُ الْمَبَانِي شَبْهُ الْغَارِقَةِ فَوْقَ صَفْحَةِ الْمَاءِ. لَمْ تَرَ أَرِيَا  
كُلَّ هَذَا الْعَدَدِ مِنَ الْمَبَانِي الْكَبِيرَةِ مَعًا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ. فِي (كِينْجَزْ لَانْدَنْجِ)  
هِنَاكَ (الْقَلْعَةُ الْحَمْرَاءُ) وَ(سِبْتِ بِلُورِ الْكَبِيرِ) وَ(جُبُّ التَّنَّانِينِ)، فِي حِينِ يَبْدُو  
أَنَّ (بِرَافُوسَ) تَزْخُرُ بِعَشْرَاتِ الْمَعَابِدِ وَالْأَبْرَاجِ وَالْقُصُورِ الَّتِي تُعَادِلُ تِلْكَ  
الْبَنَائِيَاتِ الثَّلَاثِ أَوْ تَفُوقُهَا حَجْمًا. فَكَّرَتْ بِكَابَةِ: سَاعُودُ فَرًّا مِنْ جَدِيدٍ كَمَا  
كَتَبْتُ فِي (هَارِنْهَالِ) قَبْلَ أَنْ أَهْرَبَ.

مِنْ حَيْثُ يَقِفُ (الْمَارِدِ) بَدَتْ الْمَدِينَةُ كَجَزِيرَةٍ وَاحِدَةٍ كَبِيرَةٍ، لَكِنْ إِذْ دَنَا  
بِهِمَا يورْكَو رَأَتْ أَنَّهَا جُزُرٌ صَغِيرَةٌ عَدِيدَةٌ مِتْقَابِرَةٌ، تَرْبِطُ بَيْنَهَا الْجَسُورُ الْحَجْرِيَّةُ  
الْمَقْنَطَرَةُ الْمَمْتَدَّةُ فَوْقَ قَنَوَاتٍ لَا تُحْصَى. وَرَاءَ الْمِينَاءِ أَبْصُرْتَ شُورَاعَ مَنَازِلِهَا  
مِنْ الْأَحْجَارِ الرَّمَادِيَّةِ، مِتْدَانِيَّةٌ لِدَرَجَةٍ أَنْ بَعْضُهَا يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ، وَقَدْ بَدَتْ

غريبة المنظر في عيني آريا بطوابقها التي تَبْلُغُ أربعةً أو خمسةً وبنائها الرَّفِيعَ للغاية وسطوحها المكسوة بالقرميد والمدببة كالمبغات. لم ترَ قسماً على السطوح، ومن المنازل الخشبية التي تعرف مثلها في (وستروس) رأت القليل. تبينت أن لا أشجار في المدينة. (برافوس) كلها من الحجر، مدينة رمادية في بحر أخضر.

توجّه يوركو بهما شمال الميناء ودخلَ قناةً كبيرةً يقود مجراها الأخضر الواسع إلى قلب المدينة. مرّ تحت قناطر جسرٍ حجريٍّ نُقِشت عليه عشرات من أشكال السمك والسرطان والحبار، ثم ظهر أمامهم جسر ثانٍ منقوش بأشكال النباتات المعترشة المورقة، وبعده جسر ثالث يُحدّق إليهم من أعلى بألف عينٍ مرسومة. على جانبيهما تفتح مداخل قنواتٍ أصغر، ومنها تتفرّع قنوات أصغر فأصغر، ورأت آريا أن بعض المنازل مبني فوق المياه محوّلًا القنوات إلى أنفاقٍ بشكلٍ ما، وبين المنازل تتحرّك قوارب رقيقة على شكل أفاعٍ مائيّة برؤوسٍ ملوّنة وذبولٍ مرفوعة. تلك القوارب لا تتحرّك بالمجاديف وإنما بالعصي التي يدفعها رجال يقفون عند مؤخرة كلِّ قارب في معاطف تتراوح ألونها بين الرمادي والبني والأخضر الطحلي الداكن. رأت أيضًا صنادل ضخمة مسطّحة القيعان تتكدّس عليها عاليًا الأقفاص والبراميل ويدفع كلُّ منها عشرون رجلًا بعصيهم، ومنازل عائمة أنيقة ذات مصابيح من الزجاج الملون وستائر من المخمل وتمائيل مقدّمة نحاسية. بعيدًا، فوق القنوات والمنازل في آنٍ واحد، يرتفع ما يُشبه طريقًا ضخمًا من الحجر الرمادي، تحمله ثلاثة صفوف من القناطر الصلبة التي تبتعد جنوبًا لتغيب في الضباب، فسألَت آريا يونكو مشيرةً: «ما هذا؟»، وأجابها: «نهر المياه العذبة، يجلبها من البرّ الرئيس عبر السهول الطينية والمياه المالحة الصّحلة. مياه عذبة نقيّة للنوافير».

حين نظرت وراءها وجدت أن الميناء والهور قد غابا عن بصرها، وأمامها رأت صفًا من التماثيل الكبيرة الواقفة على ضفتي القناة، تماثيل لرجالٍ وقورين من الحجر يرتدون ثيابًا طويلةً من البرونز لطّختها فضلات الطيور البحرية، يحمل بعضهم كُتبًا وبعضهم خناجر أو مطارق، ويُمسك أحدهم نجمةً ذهبيةً بيده المرفوعة، ويقلب آخر إبريقًا حجريًا يتدفّق منه الماء في القناة بلا انقطاع. سألت آريا: «أهؤلاء آلهة؟».

أجابها يوركو: «أمراء بحر. (جزيرة الآلهة) أبعد قليلاً. هل ترينها؟ بعد ستة جسور على الضفة اليمنى. هذا (معبد سُداة القمر)».

كان أحد المعابد التي لمحتها آريا من الهور، كتلة هائلة من الرُخام الأبيض كالتلج تعلوها قبة مفضضة ضخمة، وتُظهر نوافذه المصنوعة من الزجاج اللبني أطوار القمر، وقد وقفت فتاتان من المرمر على جانبي بوابته، كلتاها طويلة كأمرء البحر ومعاً تدعمان عتبةً علياً على شكل هلال.

ووراءه يقف معبد آخر، صرح من الحجر الأحمر يبدو مهيباً كأبي قلعة، وعلى قمة بُرجة المربّع العظيم تشتعل النار في مستوقد حديدي عرضه عشرون قدماً، بينما تتقد ناران أصغر على جانبي بابه النحاسي. قال لها يوركو: «الرهبان الحمر يحبون النار. إله الضياء ربهم، راهلور الأحمر».

أعرف. تذكرت آريا ثوروس المايري بقطع الدروع القديمة التي يرتديها فوق ملابس بهتت لدرجة أنه بدا كراهب وردي لا أحمر، وعلى الرغم من ذلك أعادت قلبته اللورد بريك من الموت. شاهدت بيت الإله الأحمر يمر وهي تتساءل إن كان بإمكان رهبانه البرافوسيين أن يفعلوا الشيء نفسه.

بعده كان بناء ضخّم من القرميد تنبت على جدران الأُسنة، وكانت آريا لتظنّه مخزناً لولا أن يوركو قال: «هذا هو (الملاذ المقدّس)، حيث نُكرّم الآلهة الصّغيرة التي نسيها العالم. ستسمعين الناس يُسمّونه (جُحر الأرانب) أيضاً». بين جدران (جُحر الأرانب) العالية المغطّاة بالأُسنة تمضي قناة صغيرة، فوجه يوركو القارب يميناً ليمرّ من نفقٍ سرعان ما خرجا منه إلى الضّوء مجدّداً، ورأت آريا على جانبيهما مزيداً من المقامات، فقالت: «لم أكن أعلم أن هناك آلهة بهذه الكثرة».

أصدر يوركو خواراً، ودارا حول منعطفٍ ثم عبرا تحت جسرٍ آخر، وعلى يسارهما ظهرت هضبة صخرية مدوّرة يستقرّ على قمّتها معبد من الحجر الرمادي القاتم يخلو من النوافذ، وتقود درجات حجرية من بابه إلى مرسى مغطّى.

سحب يوركو المجذافين ليرتطم القارب برفق بالدعائم الحجرية، ومدّ يده يطبق على حلقة حديد مثبتة لإبقائهم في مكانهم، وقال لها: «هنا أتركك». رأت آريا المرسى مظلاً والسّلام عاليةً، وسقف المعبد المبني بالقرميد

الأسود يرتفع في قَمَّةِ حَادَّةٍ كالمنازل المطلَّة على القنوات، ومضغَت شفتها مفكَّرةً: سيريو أتى من (برافوس). ربما زارَ هذا المعبد، ربما تسلَّق هذه الدَّرجات، ثم أمسكت حلقةً ودفعَت نفسها إلى المرسي.

قال يوركو من القارب: «تعرفين اسمي».

- «يوركو تيريس».

قال: «فالار دوهايرس»، ودفعَ القارب بمجدافٍ وعادَ يَمُخِرُ المياه العميقة، وشاهدته آريا يعود أدراجه إلى أن غابَ في ظلِّ الجسر، وإذ تلاشى صوت المجدافين خُيِّلَ لها أنها تسمع نبض قلبها. فجأةً أضحت في مكانٍ آخر... في (هارنهال) مع جندي ربما، أو مع كلب الصَّيد في الغابة على ضفاف (الثالوث). قالت لنفسها: ملحة طفلة حمقاء. أنا ذئبة، ولن أخاف، وربَّيت على مقبض إبرتها طلبًا للحظِّ واندفعت وسط الظلال صاعدةً السَّلام درجتين درجتين كي لا يقول أحد أبدًا إنها خائفة.

عند القمَّة وجدت بابًا بمصراعين خشبيين يرتفعان اثني عشر قدمًا، الأيسر من خشب الويروود الشَّاحب كالعظام، والأيمن من الأبنوس اللامع، وفي منتصفهما نُقشَ وجه مستدير كالقمر، أبنوس على جانب الويروود وويروود على جانب الأبنوس. ذكَّرها شكله بعض الشيء بشجرة القلوب في أكلة الآلهة في (وينترفل)، وفكَّرت: الباب يُراقبني. دفعت المصراعين في آنٍ واحدٍ براحتي يديها المقفَّرتين لكنهما لم يتزحزحا. موصدان ومزَلجان. قالت للباب: «أدخلني أيها الأحمق. لقد عبرتُ (البحر الضيق)»، وكوَّرت قبضتها ودقَّت مواصلةً: «چاكن قال لي أن آتي. معي عملة حديد»، وأخرجتها من كيسها ورفعتها مضيفةً: «أترى؟ فالار مورجولس».

ولم يُجرِ الباب جوابًا إلا بالانفتاح.

انفتح المصراعان إلى الدَّاخل بصميت تام دون أن تُحرَّكهما يد إنسان، وتقدَّمت آريا خُطوةً ثم أخرى، قبل أن ينغلق الباب وراءها لتمضي لحظة وقد كَفَّ بصرها، ووجدت إبرتها في يدها وإن كانت لا تذكر أنها استلتها.

كانت شموع قليلة مشتعلة عند المُجدران، لكن ضوءها خافت للغاية حتى إن آريا لا ترى قدميها، وتناهى إلى مسامعها همس أحدهم بخفوتٍ شديد فلم تُميِّز الكلام. سمعت أيضًا بُكاء شخصٍ غيره، وخطوات خفيفة لقدمين

يحتك نعلهما الجلد بالأرض الحجرية، وباباً يفتح ويُغلق. وماء، أسمعُ  
خرير ماء أيضاً.

ببطءٍ تكيفت عيناها مع العتمة، وبدا المعبد من الداخل أكبر كثيراً مما بدا  
من الخارج. لسبتات (وستروس) سبعة جوانب وفي كل منها سبعة مذابح  
للسبعة آلهة، لكن الآلهة هنا أكثر من سبعة، تقف تماثيلها عند الجدران  
عملاقة متوعدة، وحول أقدامها يتذبذب ضوء الشموع الحمراء الخافت  
كالنجوم البعيدة. أقربها امرأة من المرمر طولها اثنا عشر قدماً، ومن عينيها  
تنضح عبرات حقيقية لتملأ الوعاء الذي تحمله بين ذراعيها، ووراءها رجل  
له رأس أسد جالس على عرش من الأبنوس، وعلى جانب الباب الآخر يرفع  
جواد من البرونز والحديد قائمته الأماميتين العظيمتين. على مسافة أبعد  
ميّزت وجهاً حجرياً كبيراً، ورضيعاً شاحباً في يده سيف، وكبشاً أسود أشعث  
بحجم ثور بري، ورجلاً مغطى الرأس يتكئ على عكاز، أما البقية فلاحت  
لها كمجرد أشكال غامضة شبه مرثية في العتمة. بين الآلهة ثمة فجوات في  
الجدران تملأها الظلال، وهنا وهناك شمعة موقدة.

بصمت الظلال سارت آريا بين صفين من الدكك الحجرية الطويلة  
وسيفها في يدها، وقالت لها قدمها إن الأرضية من الحجر الخشن وليس  
الرُخام المصقول كما في (سبت بيلور الكبير). مرّت بوضع نساء يتهامن  
وهي تحسّ بالهواء دافئاً ثقيلًا، ثقيلًا لدرجة أنها تئاءبت، واشتمت رائحة  
الشموع أيضاً، وإن كانت غير مألوفة لها، فقدّرت أنه نوع غريب من البخور،  
لكن مع توغلها في المعبد أكثر بدا كأن للشموع روائح الثلج وإبر الصنوبر  
والبخنة الساخنة. قالت آريا لنفسها: روائح طيبة، وأحسّت بشجاعة أكبر  
بعض الشيء، كفيّلة بأن تجعلها تدسّ إبرتها في غمدها.

في منتصف المعبد وجدت الماء الذي سمعت خريره، بركة عرضها عشرة  
أقدام سوداء كالحبر مُضاءة بالشموع الحمراء شاحبة الضوء، وإلى جوارها  
يجلس شاب في معطف يميل لونه إلى الفضي يبكي بصوت خافت. شاهدته  
يغمس يده في الماء صانعاً تموجات قرمزية على صفحة الماء، وحين سحبها  
راح يمسّ أصابعه واحداً تلو الآخر. لا بدّ أنه عطشان. على حافة البركة



أكواب حجرية، فملأت آريا أحدها وأخذته إليه ليشرب، وحمق الشاب إليها وهلةً طويلةً حين قدمته له، قبل أن يقول: «فالار مورجوليس».

ردت: «فالار دوهايرس».

عَبَّ الماء عبًا، ثم ترك الكوب يسقط في البركة محدثًا صوتًا خفيًا، ثم دفع نفسه إلى النهوض مترنحًا وقد وضع يده على بطنه، وحسبت آريا لحظة أنه سيقع. عندها فقط رأت البقعة الداكنة تحت حزامه تتسع، فاندفعت تقول: «أنت مطعون»، لكن الشاب لم ينتبه لها، وتحرك بلا ثبات نحو الجدار ودخل إحدى الفجوات ليمتد على سرير من الحجر القاسي. تطلعت آريا حولها فرأت مزيدًا من الفجوات، وفي بعضها ينام أناس مسنون.

ومن أعماق ذاكرتها سمعت صوتًا كأنه يهمس في رأسها قائلاً: لا، إنهم موتى، أو يموتون. انظري بعينيك.

ثم مسّت يد كتفها.

دارت آريا مبتعدةً، لكنها لم تجد إلا فتاة صغيرة شاحبة في رداء مزود بقلنسوة يكاد يتلعتها، أسود على اليمين وأبيض على اليسار، وتحت القلنسوة وجه ناعل مهزول وخذان أجوفان وعينان داكنتان تبدوان كبيرتين كصحون الفناجين. قالت آريا للقيطة محدرةً: «لا تُمسكيني. لقد قتلت آخر صبي أمسكني»، ولما ردت الفتاة بكلام لم تفهمه هزت رأسها وسألتها: «ألا تعرفين اللغة العامية؟».

قال صوت من ورائها: «أنا أعرفها».

لم ترق آريا الطريقة التي يُباغتونها بها. رأت رجلًا طويلًا تخفي وجهه قلنسوة رداثة الذي يعدُّ نسخة أكبر من الذي ترديه الفتاة، وتحت القلنسوة لا تلوح إلا لمعة الشموع الحمراء الخافتة المنعكسة في عينيه. سألته: «ما هذا المكان؟».

أجابها بصوتٍ رفيع: «مكان للسلام. أنتِ آمنة هنا. هذه هي (دار الأبيض والأسود) يا صغيرتي، وإن كنتِ أصغر من أن تشُدي هديّة الإله عديد الوجوه».

- «أهو كالإله الجنوبي ذي الوجوه السبعة؟».

- «سبعة؟ لا. إن وجوهه لا تُحصى أيتها الصغيرة، وجوه بعدد ما في

السَّماء من نجوم. في (برافوس) يتعبّد النَّاس كما يشاؤون... لكن في نهاية كلِّ طريق يقف هو ذو الوجوه العديدة منتظرًا. سيكون في انتظارك ذات يوم، لا تخافي، فلا تتعجّلي ضمّته».

- «لم أتِ إلَّا لأجدَ چاكنَ هاجار».

- «لستُ أعرفُ هذا الاسم».

قالت وقد غاصَّ قلبها بين قديميها: «إنه من (لوراث)، وشعره أبيض على جانب وأحمر على الآخر. قال إنه سيُعَلِّمني أسرارًا وأعطاني هذه». كانت تقبض على العُملة الحديد، وعندما فتحت أصابعها ظلَّت ملتصقةً بكفِّها المبلَّلة بالعرق.

أمعنَ الكاهن النَّظر إلى العُملة وإن لم يُحاول أن يلمسها، وتطلَّعت إليها اللَّقيطة ذات العينين الكبيرتين، وأخيرًا قال الرَّجل ذو القلنسوة: «أخبريني باسمك أيتها الصَّغيرة».

- «مِلحة. جنَّت من (الملاحات) على نهر (الثالوث)».

على الرغم من أنها لا ترى وجهه فإنها بشكلٍ ما أحسَّت به بيتسم وهو يقول: «لا. أخبريني باسمك».

أجابت هذه المرَّة: «الكتكوت».

- «اسمك الحقيقي أيتها الصَّغيرة».

- «أمِّي سمَّتي نان، لكنهم كانوا يدعونني بنت عرس...».

- «اسمك».

ابتلعت ريقها، وقالت: «آري، أنا آري».

- «اقتربت. والآن الحقيقة».

أخبرت نفسها: ضربة الخوف أمضى من السِّيف، ثم قالت: «آريا». في المرَّة الأولى همست بالاسم، وفي الثَّانية ألقت في وجهه: «أنا آريا سليلة عائلة ستارك».

قال: «أنتِ كذلك، لكن (دار الأبيض والأسود) ليست مكانًا لآريا سليلة عائلة ستارك».

- «أرجوك، ليس هناك مكان أذهب إليه».

- «هل تخافين الموت؟».

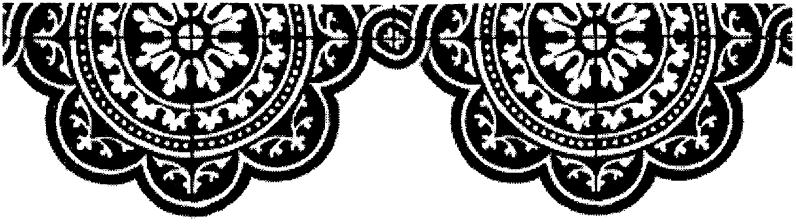
عَصَّتْ شَفْتَهَا مَجِيئَةً: «لا».

قال الكاهن: «لنرَ إِذْنَ»، وَأَنْزَلَ قَلَنْسُوتَهُ. تحتها لم يكن له وجه، وإنما جمجمة مصفرة ما زالت بعض رُقَعِ الجِلْدِ متشبَّهةً بوجنتيها، وثمة دودة بيضاء تَخْرُجُ متلويَّةً من أحد المحجرين الخاويين، وبصوتٍ جافٍ مبحوح كخشخشة الموت همسَ الرَّجُلِ: «قَبْلِيْني أَيَّتْهَا الصَّغِيرَةُ».

هل يُريدُ أَنْ يُخِيفَنِي؟ قَبْلَتَهُ آريَا حيثُ يُفْتَرَضُ أَنْ يَكُونَ أَنْفَهُ، وَالتَّقَطَّتْ دودة القبور من عينه لتأكلها، لكنها تَلَاشَتْ كظِلٍّ في يدها.

وتَلَاشَتْ الجمجمة الصَّفراءُ أَيضًا، وَأمامَ آريَا كان وجه أطيِّبٍ رَجُلٍ رَأَتْهُ في حياتها يبتسم لها قائلًا: «لم يُحَاوِلْ أَحَدٌ أَنْ يَأْكُلِ الدُّودَةَ من قَبْلِ. أَنْتِ جَائِعَةٌ أَيَّتْهَا الصَّغِيرَةُ؟».

أجَابَتْ في أعماقها: نعم، لكنه ليس جوعًا للطعام.



## سرسي

انهمرَ المطر البارد محيلاً لون أسوار القلعة ومتاريسها إلى حُمْرَة قانية كالدم، بينما أمسكت الملكة الملك من يده وقادته بحزم عبر السّاحة الملوّثة بالأوحال إلى حيث ينتظر الهودج ومُرافقه، لكن الصّبي قال معترضاً: «الخال چايمي قال إنه يُمكنني أن أركب حصاني وألقي البنسات للعامة».

- «هل تُريد أن تُصاب بالبرد؟». لن تُجازِف بحدوث ذلك، فتومن لم يكن قوياً كچوفري قَطُ. «كان جدُّك لُيريد أن يليق مظهرك بالملوك حين تحضر تأبينه. لن نظهر في (السّبت الكبير) مبتلئين متسخين». سيءٌ بما فيه الكفاية أن عليّ أن أرثدي ملابس الحداد ثانية. ليس الأسود باللون البهيج عليها البتّة، ومع بشرتها البضّة يجعلها هي نفسها تبدو أقرب إلى جثّة. كانت سرسي قد استيقظت قبل ساعة من الفجر لتستحمّ وتُصَفِّفَ شعرها، ولا تنوي أن تُترك المطر يُفسد جهودها.

داخل الهودج أسندت تومن ظهره إلى وسائده وتطلّعت إلى المطر السّاقط في الخارج قائلاً: «الآلهة تبكي جدّي. الليدي چوسلين تقول إن قطرات المطر دموعها».

- «چوسلين سويقت حمقاء. لو كانت الآلهة تبكي لبكت أخاك. المطر هو المطر. أغلق السّتارة قبل أن تُدخِل المزيّد. هذا المعطف من فرو السّمور، هل تُريده أن يبتل؟».

فعلت تومن كما أمرته، وإن أقلّقتها خنوعه. المفترض أن يكون الملك قوياً. كان چوفري ليُجادلني. إنه لم يكن سهل الإخضاع قَطُ. قالت لتومن: «لا

تجلس متراخياً هكذا، أعد كتفيك إلى الوراء واضبط تاجك. هل تُريد أن يقع من فوق رأسك أمام جميع لورداتك؟».

قال الصَّبي: «لا يا أمّاه»، واعتدل في جلسته ومدّ يده يضبط تاجه الذي اعتمره چوف من قبله، وإن كان كبيراً على تومن. لطالما مال جسد ابنها إلى الامتلاء، غير أن وجهه يبدو أنحل الآن. هل يأكل جيّداً؟ يجب أن تتذكّر أن تسأل الوكيل. لن تُخاطِر بأن يمرض تومن، خصوصاً مع وجود مارسلا في أيدي الدورنيين. مع الوقت سيكبر ويُناسبه تاج چوف. وحتى ذلك الحين فربما يحتاج إلى واحدٍ أصغر لا يُهدّد بابتلاع رأسه. ستُفَاتِح الصَّاعِة بالأمر. شقّ الهودج طريقه البطيء نازلاً (تل إجون العالي)، يتقدّمه رجلان من الحرس الملكي، فارسان أبيضان على حصانين أبيضين ومن أكتافهما يتدلّى معطفان أبيضان تشبعا بالماء، وفي المؤخرة خمسون من حرس لانستر يرتدون الذهبى والقرمزي.

اختلس تومن النّظر إلى الشّوارع الخالية من بين السّتائر، وقال: «حسبتُ أنه سيكون هناك ناس أكثر. حين مات أبي خرج الجميع ليُشاهدوا موكبنا».

- «المطر دفعهم إلى الدّخول». لم تحبّ (كينجز لاندنج) اللورد تاوين قطُّ. لكنه لم يرغب في الحُبّ على كلِّ حال. ذات مرّة سمعته يقول لچايمي: «لا يُمكنك أن تأكل الحُبّ، أو تبتاع به حصاناً، أو تُدفع به بيتك في ليلة باردة». حينئذٍ لم يكن أخوها أكبر من تومن.

عند (سپت بيلور الكبير)، ذلك البناء الرّخامي المهيب على قمّة (تل فيزينا)، بدت بوضوح قلة أعداد المعزّين مقارنةً بذوي المعاطف الذهبية الذين نشرهم السير آدم ماربراند في السّاحة. قالت الملكة لنفسها بينما ساعدها السير مرين ترانت على النزول من الهودج: سيظهر المزيد لاحقاً. ليس مسموحاً إلاّ للنبلاء وحاشيتهم بحضور مراسم العزاء الصّباحية، على أن تُقام مراسم أخرى للعوام بعد الظّهر، ثم تُفْتَح الصّلاة للجميع في المساء. على سرسي أن تعود لحضور الأخيرة كي يراها العامّة تندب الفقيد، فلا بدّ أن يُنصّب للغوغاء العرض الذي ينتظرونه. مسألة مزعجة. إن عليها أن تجد من يشغل المناصب الشّاغرة وتربح الحرب وتُحكّم المملكة، وكان أبوها ليتفهم هذا.

على قِمة الدَّرَج قابلهما السِّيتون الأعلى، رجل عجوز محني الظهر له لحية شائبة خفيفة، أثقل كاهله رداؤه المطرّز المنمّق لدرجة أن عينيه صارتا في مستوى نهدي سرسي... ولو أن تاجه بالغ الفخامة المصنوع من البلّور والذهب المغزول أضاف إلى طوله قدماً ونصفاً دُفعةً واحدةً. اللورد تايوين هو من أعطاه هذا التّاج بدلاً من الآخر الذي ضاعَ حينما قتل الرّاع السِّيتون الأعلى السّابق. يومها سحبوا الأحقق البدين من هودجه ومزّقه إرباً، اليوم نفسه الذي أبحرت فيه مارسلا إلى (دورن). الآخر كان نهماً سهل الانقياد، أمّا هذا... تذكّرت سرسي بغتةً أن السِّيتون الأعلى صنّعة تيريون، وأزعجتها الفكرة كثيراً.

بدأت يد العجوز المبقعة أشبه بمخلب دجاجة إذ مدّها من داخل كُمة المحلّي بزخارف قشرة الذهب والبلّورات الصّغيرة. ركعت سرسي على الرّخام المبتل وطلبت من تومن أن يحذو حذوها سائلةً نفسها: ما الذي يعرفه عني؟ بم أخبره القزم؟ ابتسم السِّيتون الأعلى وهو يقودهما إلى داخل السِّيت، لكن أهي ابتسامته تهديد من عليم بيواطن الأمور أم مجرد اختلاجةٍ بلهاء لشفتي العجوز المتغضّبتين؟ ليست الملكة متأكّدة من الجواب.

شقاً طريقهما ويد تومن في يدها عبر (بهو القناديل) تحت كُرات الزُّجاج المطلي بالرّصاص الملون، وقد سار ترانت وكتلبلاك على جانبيهما والماء يتقاطر من معطفيهما المبتلين ليكوّن برّكاً على الأرض، والسِّيتون الأعلى يتحرّك ببطءٍ متكئاً على عكّازٍ من خشب الويرود تُتوجّه كُرة من البلّور، وفي ضُحبتة سبعة من مجلس القانتين يتألّقون في ثيابهم المفصّلة من فُماش الفضة. كان تومن يرتدي فُماش الذهب تحت معطف فرو السّمور، والملكة فُستانتاً قديماً من المخمل الأسود الموشى بفرو القاقوم، فلم يكن هناك وقت لتفصيل واحدٍ جديد، ولا يُمكنها أن ترتدي الفُستان نفسه الذي حضرت به جنازة چوفري أو الذي ذهبّت تدفن روبرت فيه.

على الأقلّ لن ينتظر مني أحد أن أرتدي ثياب الحداد على تيريون. من أجله سأرتدي الحرير القرمزي وفُماش الذهب وأزبن شعري بالياقوت. لقد أعلنت أن من يأتيها برأس القزم سيرُفع إلى مرتبة لورد مهما كان مولده وعمله وضيعاً، والآن تحمل الغدبان وعدها إلى أرجاء (الممالك السبع) كلّها،

وقريبًا سيَعْبُرُ الخبر (البحر الضيق) وَيَبْلُغُ تسعة المُدُن الحُرَّة وما وراءها من بلدان. فليهرب العفرية إلى أقاصي الأرض، فلن يفلت مني.  
مرَّ الموكب الملكي من الباب الداخلي إلى قلب (السِّت الكبير) الفسيح، وقطع ممشى واسعًا هو واحد من سبعةٍ تلتقي تحت القبة. إلى اليمين واليسار ركعَ المعزَّون مع مرور الملك والملكة، وقد حضرَ كثيرون من حملة راية أبيها، بالإضافة إلى فرسان قاتلوا إلى جوار اللورد تاوين في معارك عدَّة، فأكسبها رؤيتهم مزيدًا من الثقة. لستُ بلا أصدقاء.

تحت قبة (السِّت الكبير) الشَّامخة المصنوعة من الذهب والبلُّور كان جثمان اللورد تاوين لانستر مسجى فوق منصبةٍ مدرجة من الرُّخام، عند رأسها يقف چايمي مؤدبًا شعيرة السَّهر<sup>(1)</sup> وتطوق يده السَّليمة مقبض سيفٍ عظيم من الذهب يستقرُّ رأسه على الأرض. المعطف ذو القلنسوة الذي يرتديه أبيض كالثلج الطَّازج، وحلقات سُترته المعدنية الطويلة من عرق اللؤلؤ المرصع بالذهب، وهو ما جعلَ سرسي تقول لنفسها: كان اللورد تاوين ليُرِيده أن يرتدي الذهبي والقرمزي كلانستر. لطالما أغضبه أن يرى چايمي مرتديًا الأبيض. كان أخوها قد بدأ يُطلق لحيته من جديد أيضًا، فغطَّى الرُّغب فكَّه ووجنتيه مضيفًا عليه مظهرًا خشنًا فظًا. كان يُمكنه أن ينتظر حتى يُدفن رُفات أينا تحت (الصَّخرة) على الأقل.

صعدت سرسي بالملك ثلاث درجاتٍ قصيرة ليركعًا إلى جوار الجثمان، ولمَّا رأت عيني تومن ممتلئين بالدموع مالت عليه قائلة: «ابك بصمت. أنت ملك لا طفل صارخ. لورداتك يُشاهدونك»، فمسح الصَّبي دموعه بظَّهر يده. إن له عينيها، عيين خضراوين كالزُّمرد وكبيرتين كعيني چايمي حين كان في سنِّه. لطالما كان أخوها صبيًّا جميل الطَّلعة... وإنما قوي أيضًا، قوي كچو فري، شبل ابن أسد. طوقت الملكة تومن بذراعها ولثمت خصلاته

(1) شعيرة السَّهر طقس ديني ترجع أصوله إلى اليهودية واستمرَّ مع المسيحية، وينصُّ على أن يقف شخص أو أكثر حراسةً على الميت تكريمًا له لمدةٍ معيَّنة، غالبًا من تمتدُّ من التَّابن وحتى الدفن. في ملة الآلهة السَّبعة في عالم الرواية يُؤدِّي هذه الشعيرة الفرسان أيضًا كجزء من طقوس تنصيهيم. (المترجم).

الدَّهْبِيَّةُ مَفْكَّرَةٌ: سيحتاج إليَّ كي أعلمه كيف يحكم وأحميه من أعدائه. ومنهم من يُحيطون بهما في هذه اللحظة، يتظاهرون بأنهم أصدقاء.

كانت الأخوات الصَّامتات قد ألبسن اللورد تايوين أفضل دروعه كأنما يستعدُّ لمعركةٍ أخيرة. هكذا ارتدى الفولاذ الثقيل المطلي بالمينا القرمزي القاني والمحلى بالزخرفة الذهبية على قفازيه وواقِي ساقيه وواقِي صدره، مع الأقراص الواقية ذات أشكال الشمس الذهب المتفجِّرة، وقد قبعت لبؤة ذهبية على كلِّ كتف، وأخذت ريشة الخوذة العظيمة الموضوععة إلى جوار رأسه شكل أسدٍ غزير اللَّبْدَة، وعلى صدره استقرَّ سيفه الطويل في قرابٍ مذهبٍ مرصعٍ بالياقوت، تُحيط يداه بمقبضه في قفازين من الحلقات المعدنيَّة المذهبة. حتى في الموت يبدو وجهه نبيلًا، مع أن فمه... كان رُكنا شفتي أبيها منحنيَّين إلى أعلى على نحوٍ طفيفٍ للغاية، لتبدو عليه سيماء الاستمتاع الغامض. لا يُفترَض أن يبدو هكذا. لامتَ پايسل الذي كان عليه أن يُخبر الأخوات الصَّامتات بأن اللورد تايوين لانستر لم يتسم قط. ذلك الرَّجُل عديم الفائدة كحلمتين على وافي الصِّدر. تلك الابتسامة الخافتة تجعل اللورد تايوين يبدو أقلَّ مهابةً بشكلٍ ما، بالإضافة إلى حقيقة أن عينيه مغلقتان. دائمًا كانت عينا أبيها مثيرتين للتوجُّس، لونهما الأخضر الشاحب يكاد يكون مضيئًا، وفيهما شذرات من الذهب، وكانت نظراته تسبر أغوارك وترى كم أنت ضعيف تافه قبيح من الدَّاخل. كنت تعرف حين ينظر إليك أن نظراته تخترقك.

بلا دعوةٍ استعادت ذكرى المأدبة التي أقامها الملك إيرس لدى مجيء سرسي إلى البلاط أول مرَّة، فتاة خضراء كالعُشب في الصَّيف. كان ميريويندر العجوز يُثرثر عن زيادة الجمارك على الخمر عندما قال اللورد ريكو: «إذا كنا نحتاج إلى الذهب فحريٌّ بجلالته أن يجلس اللورد تايوين على وعاء فضلاته»، فدوت ضحكات إيرس ومنافقيه، في حين حدَّق أبوها إلى ريكو من فوق كأسه، وطويلاً بعد خبؤ المرح ظلت نظراته مسلَّطة على ريكو الذي أشاح بوجهه ثم عاد ينظر في عيني أبيها، قبل أن يتجاهلهما ويشرب دورقًا من الوزر ويغادر بوجهٍ محتقنٍ وقد هزمته عينان لا تطرفان.

عينا اللورد تايوين هاتان انغلقتا إلى الأبد. الآن ستُجفلهم نظراتي أنا، وعليهم أن يخافوا عبوسي أنا. إنني أسد أيضًا.



مع تلبُّد السَّماء بالغيوم في الخارج كان الضَّوء معتمًا داخل السَّيِّت، لكن إذا توقفت الأمطار سيتدفق نور الشَّمس عبر البُلورات المعلقة ليكسو الجُثمان بأقواس قزح، وسيِّد (كاسترلي روك) يستحقُّ أقواس قزح. لقد كان رجلًا عظيمًا. لكنني سأكونُ أعظم. بعد ألف عام من الآن، حين يُدوّن المايسترات وقائع زماننا هذا، لن يتذكرك أحد إلا باعتبارك والد الملكة سرسي.

شدَّ تومن كُمها قائلاً: «أمِّي، ما هذه الرَّائحة؟».

قالت لنفسها: رائحة السيِّد والدي، وقالت له: «الموت». هي أيضًا تشمُّها؛ رائحة تعفنٍ ضعيفة جعلت أنفها يُريد أن يتقلَّص، لكن سرسي لم تُعرها اهتمامًا. كان السَّهتونات السَّبعة واقفين وراء النَّعش يتضرَّعون إلى (الأب في الأعلى) أن يحكِّم على اللورد تايوين بالعدل، وحين فرغوا اجتمعت سبع وسبعون سِبَّته أمام مذبح (الأم) وشرعن يترنَّمن متوسِّلاتٍ رحمتها. عندئذٍ كان تومن قد بدأ يتملِّم، وحتى الملكة نفسها بدأت رُكبتها تُولمَّانها. ألقت نظرةً نحو چايبي، فرأت توأمها واقفاً كأنه منحوت من الحجر، يرفُض أن تلتقي عيناه عينيها.

على الدَّك ركعَ عُمهما كيثان بكتفين محنَّيتين وإلى جواره ابنه. لانسل يبدو أسوأ من أبي. على الرغم من أن سنَّه لا تتعدَّى السَّابعة عشرة فمن الممكن أن تحسبه في السَّبعين، بوجهه المربد وهزاله وخدَّيه الأجوفين وعينه الغائصتين وشعره الأبيض الهش كالطُّباشير. كيف يظل لانسل بين الأحياء ويموت تايوين لانستر؟ هل فقدت الآلهة عقلها؟

راح اللورد جايلز يسعل أكثر من المعتاد ويُعطي أنفه بمنديلٍ مرَّبع من الحرير الأحمر. هو أيضًا يشمُّ الرَّائحة. وأغلق المايستر الأكبر پايسل عينيه. إذا غاب في النَّوم فأقسمُ أن أمر بجلده. إلى يمين النَّعش ركع آل تايرل؛ سيِّد (هايجاردن) وأمُّه الشَّنيعة وزوجته السَّمجة وابنه جارلان وابنته مارچري. أخبرت نفسها مذكرةً: الملكة مارچري. أرملة چوفري وعروس تومن المقبلة. تُشبه مارچري أخواها فارس الزُّهور كثيرًا، فتساءلت الملكة إن كانت ثمة أشياء أخرى مشتركة بينهما. وردتنا الصَّغيرة حولها ليديها عديدات يُحطن بها ليل نهار. إن معها الآن نحو دسِّتة منهن، وفي وجوههن نفرَّست سرسي متسائلة:

من أكثرهن خوفاً وأكثرهن استهتاراً وأكثرهن جوعاً للحظوة؟ من أكثر واحداً لسانها متبرئاً منها؟ عليها أن تحرص على معرفة الإجابات.

أراحها أن انتهت الترائيم أخيراً. الرائحة المنبعثة من جثة أبيها تبدو كأنها صارت أقوى، ولئن تحلّى أكثر المعزّين بالكياسة وتظاهروا بأن كل شيءٍ علي ما يرام، فقد رأت سرسي اثنتين من بنات عمومة الليدي مارچري تُقلّصان أنفيهما الصّغيرين، وبينما قطعت الممشى عائدةً مع تومن خيّل لها أنها سمعت أحدهم يُتمّم بكلمة «مرحاض» ويُطلق ضحكةً مكتومةً، لكن حين دوّرت رأسها لترى من تكلمّ وجدّت بحرّاً من الوجوه الوقورة التي ترُمّتها بخواء. ما كانوا ليَجسروا على التندّر عليه هكذا وهو لا يزال حيّاً. كان ليُحيل ما في أحشائهم إلى ماءٍ بمجرد نظرة.

في (بهو القناديل) احتشد المعزّون حولهما كالذبّاب الطنّان وكلّهم حماسة لإغراقها بالتعازي الفارغة. لثم التّوأمان رداً وبأبوهما وجنتها، ووعدها هالين الهايرومانسر<sup>(1)</sup> بأن يداً ناريةً ستضطرم في السّماء فوق المدينة يوم رحيل رُفات أبيها إلى الغرب، وبين سعلةٍ وسعلةٍ قال لها اللورد جايلز إنه استأجرَ واحداً من أساتذة النّحاتين ليصنع تمثالاً للورد تاويين سيسهر حراسةً إلى الأبد عند (بوابة الأسد)، وظهرَ السير لامبرت تِرنبري برُقعةٍ على عينه اليمنى مقسماً أنه سيضعها إلى أن يأتيها برأس أخيها القزم.

لم تكد الملكة تفرُّ من برائن ذلك الأحمق حتى وجدّت نفسها تحت حصار الليدي فاليس ابنة (ستوكورث) وزوجها السير بيرش، وهممّت فاليس قائلة: «السيدة والدتي تُبلغك اعتذارها يا جلالة الملكة. لوليس أخذت إلى الفراش لتضع طفلها وشعرت أمّي بالحاجة إلى البقاء معها. إنها تُناشدك أن تُسامحها، وقالت أن أسألك... لقد كانت أمّي معجبةً بأبيك الرّاحل أكثر من أيّ رجلٍ آخر، وإذا ولدّت أختي صبيّاً فإنها راغبة في أن نسميه تاويين، بعد... بعد إذنك».

حدّقت سرسي إليها مشدوهة، وقالت: «أختك البلهاء يغتصبها نصف أهل المدينة وتاندا تُفكّر في إطلاق اسم أبي على النّعل؟ لا أظنّ».

(1) الهايرومانسر كلمة يونانية تعني (كاهن النّار)، وكانت تُستخدَم قديماً للإشارة إلى كلِّ من يحترف فنّ التّعامل مع النّار لمختلف الأغراض. (المترجم).

جفَلت فليس كأنها صُفِعت، لكن زوجها اكتفى بالتَّمليس على شاربه  
الأشقر الكَثَّ بإبهامه قائلاً: «هذا ما قلته لليدي تاندا. سنجد اسمًا، آه...  
أنسب لنغل لوليس، لكِ كلمتي».

قالت سرسي: «أحرصوا على هذا»، والتفتت عنهما مبتعدةً، لترى أن  
تومن وقع في براثن مارجري تايرل وجدتها. لملكة الأشواك قامة قصيرة  
للغاية، حتى إن سرسي حسبَّتها طفلةً أخرى للحظة. قبل أن تستطيع إنقاذ ابنها  
من اللوردات دفعَ بها الزَّحام إلى مواجهة عمِّها، وعندما ذكَّرتَه بلقائهما لاحقًا  
أوماً السير كيثان برأسه بتعب واستأذنها في الانصراف، على أن لانسِلَ تلكَّاً  
وقد بدا نموذجًا لرجل قدمه في القبر. لكن أهو داخل أم خارج؟

أرغمت سرسي نفسها على الابتسام، وقالت: «لانسِل، يُسعِدني أن أراك  
أقوى كثيرًا. المايستر بالابار نقلَ لنا أخبارًا مؤسفةً وخشينا على حياتك. كنت  
لأحسبك في الطَّريق إلى (داري) الآن لتتولَّى لورديتك». كان أبوها قد رفعَ  
لانسِلَ إلى مرتبة لورد عقب معركة (النَّهر الأسود) استرضاءً لأخيه كيثان.

- «ليس بعدُ. هناك خارجون عن القانون في قلعتي». تكلمَّ ابن عمِّها  
بصوتٍ بالغ الخفَّة كذلك الشَّارب فوق شفته العُليا، وعلى الرغم من ابضاض  
شعره ظلَّ زغب شاربه محتفظًا بلونه الرَّملي. كثيرًا ما تطلَّعت سرسي إليه  
والصَّبي في داخلها يدفع نفسه جيئةً وذهابًا بطاعة. يبدو كالطخة تُراب فوق  
شفته. لقد اعتادت أن تُهدِّده بمسحه بالقليل من اللُّعاب. «أبي يقول إن أراضي  
النَّهر محتاجة إلى يدٍ قوية».

أرادت أن تقول: مؤسفٌ أنها ستنال يدك أنت، إلا أنها ابتسمت بدلًا من  
هذا، وقالت: «كما أنك ستزوّج أيضًا».

مرَّت على وجه الفارس الشاب السَّقيم نظرة كئيبة، ورَدَّ: «واحدة من بنات  
فراي، وليست من اختياري. إنها ليست عذراء حتى، بل أرملة من دم داري.  
أبي يقول إن هذا سيُسعِدني في التَّعامل مع الفلاحين، لكن الفلاحين كلِّهم  
ماتوا»، ومدَّ يده إلى يدها مواصلاً: «إنها قسوة يا سرسي. جلاتك تعلمين  
أنني أحبُّ...».

قاطعته منهيةً العبارة: «... عائلة لانستر. لا أحد يشكُّ في هذا يا لانسِل».

أتمنى أن تُنجب لك زوجتك أبناءً أقوياء». لكن خيرٌ لك ألا تدع جدّها يقيم الزّفاف. «أعرفُ أنك ستقوم بصنائع نبيلةً عديدةً في (داري)».

أوماً لانسِل برأسه والبؤس يبدو عليه بوضوح، وقال: «حين بدا أني سأموثُ جلبُ أبي السّبتون الأعلى ليُصلي لأجلي. إنه رجل صالح»، وتابع ابن عمّهما بعينين مبتلتين لامعتين كعيني طفل في وجه عجوز: «يقول إن (الأم) أبقت على حياتي من أجل هدفي سام، كي أتوب عن خطاياي».

تساءلت سرسي كيف ينوي أن يتوب عن خطاياها معها. تنصيه فارساً كان خطأً، ومضاجعته خطأً أكبر. لانسِل ضعيف لا يُعتمد عليه، ولا يُعجبها ورعه المستجدُّ هذا على الإطلاق، ثم إنه كان مسلماً أكثر بكثير عندما كان يُحاول أن يكون چايمي. ما الذي قاله هذا الأحمق الدّامع للسّبتون الأعلى؟ وماذا سيقول لابنة فراي وهما نائمان معاً في الظلام؟ إذا اعترف بمضاجعة سرسي فيمكنها أن تدحض هذا، فالرجال يكذبون بشأن النساء طوال الوقت، وتستطيع أن تعزو الأمر إلى صلف صبيّ غرقتة جمالها. لكن إذا تفوه بشيء عن روبرت والنبيذ القوي... قالت له سرسي: «أفضل السُّبل لنيل التوبة الصّلاة... الصّلاة الصّامته»، وتركته يُفكر في قولها وهيأت نفسها لمواجهة جيش تايرل.

عانقتها مارچري كأخت، وهو ما وجدته الملكة اجترأً، ولكن ليس هذا بالمكان المناسب لتوبيخها. قنعت الليدي آيري وبنات العُومة بلثم أصابعها، وطلبت الليدي جريسفورد الحُبلى إذن الملكة في تسمية وليدها تاويين إن كان صبيّاً أو لانا إن كانت بنتاً. كادت سرسي تُثنّ ضيقاً، وقالت لنفسها: واحد آخر؟ سيغرق من اسمهم تاويين البلاد، لكنها أبدت موافقتها بأكبر قدر ممكن من الكياسة وتظاهرت بالسُّرور.

من سرّتها حقاً هي الليدي ميريويدر، التي قالت ولكنها المايريّة المثيرة: «جلالة الملكة، لقد أرسلتُ خبراً لأصدقائي عبر (البحر الضيق)، أسألهم أن يقبضوا على العفريت في الحال إذا ظهرَ وجهه القبيح في المُدن الحرّة».

- «هل عندك أصدقاء كثيرون وراء البحر؟».

- «كثيرون في (مير)، وفي (ليس) أيضاً، و(تايروش). رجال ذوو نفوذ».

لم تجد سرسي عُسراً في تصديق هذا، فالمرأة المايريّة رائعة الجمال بحق،

طويلة الساقين وممتلئة النهدين، ولها بشرة زيتونيّة ملساء وشفّتان ناضجتان وعينان كحيلتان واسعتان للغاية وشعر أسود غزير يبدو دائماً كأنها نهضت لتوها من الفراش. بل وتضوع منها رائحة الخبيثة، كأنها زهرة لوتس غريبة. قالت المرأة بصوتٍ كخريز القِطط: «اللورد ميريويندر وأنا لا نتمنى إلا أن نخدم جلالتك والملك الصّغير». كانت على وجهها نظرة حُبلى بالإحياءات تكاد تنافس بطن الليدي جريسفورد المنتفخ.

ثم انقَص عليها سيّد (هايجاردن).

لا يكبر مايس تايرل سرسي إلا بأعوام عشرة، ومع ذلك تُفكّر فيه باعتباره في سنّ أبيها لا سنّها. ليس الرّجل طويل القامة كما كان اللورد تاويين، لكن بقيّة جسده أكبر، فصدره مكتنز وبطنه أكثر اكتنازاً، ولشعره لون الكستناء وإن بدأ الأبيض والرّمادي يشوبان لحيته، ويبدو وجهه محمراً أغلب الوقت. أعلن تايرل بلهجةٍ ثقيلة بعد أن قبّل كلتا وجنتيها: «اللورد تاويين كان رجلاً عظيماً، رجلاً فلتة، وأخشى أننا لن نرى مثيلاً له أبداً».

ردّت سرسي عليه في سريرتها: إنك تنظرُ إلى مثيلته أيها الأحمق. ابنته هي الواقعة أمامك، لكنها محتاجة إلى تايرل وقوّة (هايجاردن) لإبقاء تومن على عرشه، فاكنت بقولها: «سنتفقه كثيراً».

وضع تايرل يده على كتفها قائلاً: «لا رجل على قيد الحياة يصلح لأن يحلّ محلّ اللورد تاويين، هذا جلي، لكن البلاد باقية ولا بُدّ أن تُحكّم. إذا كان هناك ما يُمكنني أن أفعله على الإطلاق في هذه السّاعة السّوداء، فما على جلالتك إلا أن تطلبي».

فكّرت الملكة: إذا كنت تبغي أن تكون يد الملك ياسيّد فتحلّ بالشّجاعة وفلها، ورسمت على شفّتيها ابتسامةً مضيضةً لنفسها: فليستتج منها ما يُريد أن يستتجه، ثم إنها قالت: «مؤكّد أن هناك حاجة إلى سيّد في (المرعى)، أليس كذلك؟».

أجاب الرّجل رافضاً أن يلحظ تلميحتها الواضح تماماً: «ابني ويلاس فتى قدير. ربما تكون ساقه مشوّهة لكنه لا يفتقر إلى الذّكاء. قريباً سيستولي جارلان على (قلعة المياه الوضّاءة) أيضاً، وبين الاثنين سيصير (المرعى) في أيدي أمينة إذا دعت الحاجة إلى وجودي في مكانٍ آخر. لا بُدّ أن يأتي حُكم

البلاد أولاً كما اعتادَ اللورد تاويين أن يُرَدِّد، ويسرُّني أن أنقل لجلالتك خبراً طيباً في هذا الصِّدد. عمِّي جارث وافقَ على الخدمة أُمِيناً للنِّقد كما كان السيِّد والدك يرغب، وهو في الطَّرِيق إلى (البلدة القديمة) الآن ليستقلَّ سفينةً في صُحبة ابنه. كان اللورد تاويين قد ذكَّر شيئاً عن العثور على مكانين لهما أيضاً، في حرس المدينة ربما».

على وجه الملكة تجمَّدت ابتسامتها بشدَّةٍ لدرجة أنها خشيت أن تتشقَّق أسنانها. جارث السَّمين في المجلس الصَّغير وابناه مع ذوي المعاطف الذَّهبيَّة... هل يحسب آل تايرل أنني سأقدِّمُ لهم البلاد على طِيقٍ من ذهب بهذه البساطة؟ هذه الغطرسة تُدهلها حقاً.

كان تايرل يُواصل: «جارث أحسنَ خدمتي كقهرمان كما خدمَ أبي من قبلي. صحيحٌ أن الإصبع الصَّغير كان موهوباً في إيجاد الذهب، لكن جارث...».

قاطعته سرسي: «سيِّدي، أخشى أن في المسألة سوء فهم. لقد سألتُ اللورد جايلز أن يكون أمينَ نقدنا الجديد، وقد شرَّفني بالقبول».

حملقَ مايس إليها قائلاً: «روزبي؟ ذلك ال... السَّعال؟ لكن... لقد اتَّفقنا على الأمر. جارث في طريقه إلى (البلدة القديمة)».

قالت الملكة: «الأفضل إذن أن تُرسلَ غُداً إلى اللورد هايتاور وتطلُّب منه أن يحرص على عدم ركوب عمِّك السَّفينة. سنكره أن يُواجه البحر في الخريف بلا طائل»، وابتسمت له ببشاشة.

قال تايرل والأحمر يزحف على عنقه الثَّخين: «هذا... السيِّد والدك أكَّد لي...»، وبدأ يلفظ كلاماً مختلطاً غير مفهوم.

ثم ظهرت أمُّه وتأنَّبت ذراعه قائلةً: «يبدو أن اللورد تاويين لم يُطلع وصيِّتنا على العرش على حُططه، ولا أتصوِّر السَّبب. لكن الأمر منته، فلا داعي لإزعاج جلالتها. إنها محقَّة تماماً. عليك أن تكتب للورد لايتون قبل أن يستقل جارث السَّفينة. تعلم أن البحر سيُغيثه ويجعل فساه أسوأ»، ومنحت الليدي أولينا سرسي ابتسامة بلا أسنان متابعَةً: «ستكون رائحة قاعة مجلسك اللطيف في وجود اللورد جايلز، وإن كنتُ أظنُّ أن سُعاله كفيلاً بتشتيت انتباهي. كلُّنا مغرمون بالعم جارث العجوز العزيز، لكن الرَّجل متطبِّل البطن ولا أحد

يُنْكِرُ هذا. إنني أَمَقْتُ الرَّوَاحِ الكَرِيهَةَ حَقًّا، وَتَغَضَّنَ وَجْهَهَا المَتَغَضَّنُ أَكْثَرَ وَهِيَ تُضَيِّفُ: «لَقَدْ شَمَمْتُ رَائِحَةَ مَزْعَجَةٍ دَاخِلِ السَّبْتِ المَقْدَسِ فِي الحَقِيقَةِ. هَلْ شَمَمْتِهَا أَيْضًا؟».

أَجَابَتْ سَرَسِي بِبُرُودٍ: «لَا. تَقُولِينَ إِنَّهَا رَائِحَةٌ؟».

- «رَائِحَةُ كَرِيهَةٌ».

- «رَبْمَا تَفْتَقِدِينَ وَرَدِكِ الخَرِيفِي. لَقَدْ أَبْقَيْنَاكِ هُنَا أَطُولَ مِنَ اللَّازِمِ». كَلَّمَا عَجَلَتْ بِتَخْلِيصِ البَلَاطِ مِنَ الِليدي أُولَيْنَا كَانَ أَفْضَلَ، فَلَا سَكَّ أَنْ اللُّورْدُ تَايِرِلْ سَيُرْسِلُ عَدَدًا لَا بِأَسْ بِهِ مِنْ فُرْسَانِهِ لِيَصْحَبُوا أُمَّهُ بِأَمَانٍ إِلَى وَطْنِهَا، وَكَلَّمَا قَلَّ عَدَدُ رِجَالِ تَايِرِلْ فِي المَدِينَةِ سَتَعْرِفُ المَلِكَةَ نَوْمًا أَفْضَلَ.

قَالَتْ العَجُوزُ: «أَعْتَرَفْتُ بِأَنِّي مُشْتَاقَةٌ إِلَى عَطُورِ (هَائِيْجَارْدِن)، لَكِنِّي لَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَغَادِرَ بِالطَّبْعِ قَبْلَ أَنْ أَشْهَدَ زَفَافَ حُلُوتِي مَارْچَرِي إِلَى عَزِيْزِكِ الصَّغِيرِ تَوْمَن».

أَضَافَ تَايِرِلُ: «أَنَا أَيْضًا أَنْتَظِرُ ذَلِكَ اليَوْمَ بِلَهْفَةٍ. أَنَا وَاللُّورْدُ تَايَوِينِ كُنَّا عَلَيَّ وَشَكَّ تَحْدِيدَ مَوْعِدِ بِالفِعْلِ. رَبْمَا يُمَكِّنُنَا أَنْ نُنَاقِشَ هَذَا مَعًا يَا جَلَالَةَ المَلِكَةِ».

- «قَرِيبًا».

قَالَتْ الِليدي أُولَيْنَا مُتَنَشِّقَةً: «لَا بِأَسْ. هَيَا بِنَا يَا مَائِسْ، لِنَدْعُ جَلَالَتِهَا ل... حَزْنِهَا».

تَرَكَّتْ سَرَسِي مَلِكَةَ الأَشْوَاكِ تَبْتَعِدُ بَيْنَ حَارِسِيهَا الفَارَعِيِّينَ، رَجُلَيْنِ يَبْلُغُ كُلُّ مَنِهْمَا الأَقْدَامِ السَّبْعَةَ طَوْلًا وَيُرُوقُ المَرَأَةُ أَنْ تُسَمِّيَهُمَا شِمَالًا وَيَمِينًا، وَإِذْ شَاهَدَتْهَا تَبْتَعِدُ وَعَدَّتْ نَفْسَهَا: سَأَشْهَدُ مَوْتِكَ أَيَّتْهَا العَجُوزُ، وَسَنَرَى كَمْ سَتَكُونُ جَنَّتِكَ جَمِيلَةَ المَنْظَرِ. وَاضِحٌ تَمَامًا أَنَّ العَجُوزَ أَذَكِي مِنَ ابْنِهَا اللُّورْدِ مَرَّتَيْنِ.

أَنْقَذَتِ المَلِكَةَ ابْنَهَا مِنْ مَارْچَرِي وَبَنَاتِ عَمُومَتِهَا وَأَنْجَهَتْ بِهِ إِلَى البَابِ، وَفِي الخَارِجِ كَانَ المَطْرُ قَدْ تَوَقَّفَ أَحْيَرًا وَصَارَتْ لِهَوَاءِ الخَرِيفِ رَائِحَةٌ طَازِجَةٌ نَقِيَّةٌ. خَلَعَ تَوْمَنُ تَاجَهُ، لَكِنِ سَرَسِي قَالَتْ لَهُ أَمْرَةٌ: «ضَعَّهُ عَلَى رَأْسِكَ».

قَالَ الصَّبِيُّ: «إِنَّهُ يُؤَلِّمُ عُنُقِي»، لَكِنَّهُ أَطَاعَ الأَمْرَ، وَأَرْدَفَ: «هَلْ سَأَنْزِجُ قَرِيبًا؟ مَارْچَرِي تَقُولُ إِنَّنَا نَسْتَطِيعُ الذَّهَابَ إِلَى (هَائِيْجَارْدِن) حَالِمَا نَنْزِجُ».

رَدَّتْ سَرَسِي: «لَنْ تَذْهَبَ إِلَى (هَائِيْجَارْدِن)، لَكِنِ يُمَكِّنُكَ رُكُوبَ حِصَانِ

إلى القلعة»، وأشارت إلى السير مرين ترانت، وقالت له: «اجلب حصاناً لجلالته، واطلب من اللورد جايلز أن يُشرفني بالانضمام إليّ في الهودج». الأمور تمضي بسرعة أكبر مما توقّعت، وما من وقت بُدّد.

أسعدت تومن فكرة الرُكوب، وبالطبع شرّفت اللورد جايلز دعوتها... ولكن عندما سألته أن يكون أمين نقدها الجديد بدأ الرّجل يسأل بمتهمي العُنف، حتى إنها خشيت أن يموت هنا والآن، لكن (الأم) كانت رحيمةً وفي النهاية تعافى جايلز بما يكفي لأن يقبل المنصب، بل وبدأ يسأل أسماء الرّجال الذين يُريد استبدالهم، ومنهم قيّمو الجمارك ومصنّعو الأصواف الذين عيّنهم الإصبع الصّغير، بالإضافة إلى أحد حفظة المفاتيح.

- «سمّ البقرة التي تُريدها ما دامت تنضح حليباً. وإذا أثير السّؤال، فقد انضمت إلى المجلس البارحة».

- «البار...». انتابته نوبة من السّعال جعلته يلتوي على نفسه. «البارحة، بالتأكيد». يستخدم اللورد جايلز منديلاً من الحرير الأحمر يسأل فيه كأنما يُحاول إخفاء الدّم في لعابه، وهو ما تظاهرت سرسي بأنها لا تلاحظه.

حين يموت ساجدٌ أحداً غيره. ربما عليها أن تستدعي الإصبع الصّغير إلى البلاط. إنها لا تصوّر أن بيتر بايلش سيُسمح له بالبقاء حافظاً لـ(الوادي) طويلاً وقد ماتت لايسا آر، خصوصاً أن لوردات (الوادي) بدأوا يتحرّكون بالفعل إذا صحّ ما قاله بايسل. بمجرد أن يأخذوا منه ذلك الصّبي المأفون سيعود اللورد بيتر زحفاً.

- «جلالة الملكة»، قال اللورد جايلز وسعل ومسح فمه. «هل لي...»، وسعل ثانية. «... أن أسأل من...»، وعصفت به نوبة أخرى من السّعال قبل أن يتمالك نفسه ويكمل: «... من سيكون يد الملك؟».

أجابت بشرود: «عمّي».

تنفّست الملكة الصّعداء لرؤية أسوار (القلعة الحمراء) ترتفع عاليةً أمامها، وهناك عهدت بتومن إلى مرافقيه وخلّت إلى نفسها في مسكنها شاعرةً بالامتنان لفرصة الرّاحة.

لكن ما إن خلعت حذاءها حتى دخلت چوسلين على استحياءٍ لتقول إن



كايرن في الخارج ويلتمس المثلث أمامها، فقالت الملكة: «أدخِليه». الحكَّام لا يعرفون الرَّاحة.

كايرن عجوز، لكن ما زال الرَّماد يغلب الثلج في شَعْره، وتجاعيد الضَّحك حول فمه تجعله يبدو كجدِّ فتاة صغيرة المفضل. وإن كان جدًّا رثَّ الملبس. ياقة رداؤه مهترئة، وأحد كُمَيْه تمزَّق ورُتِقَ بلا براعة. قال لها: «أرجو من جلالتك ألا تُؤاخِذيني لمجيئي. كنتُ في الزَّنازين أحقُّقُ في هروب العِفرية كما أمرتِ».

- «والأمَّ توصَّلت؟»-

- «ليلة اختفاء اللورد فارس وأخوك اختفى رجل ثالث أيضًا».

- «نعم، السَّجَّان، ماذا عنه؟»-

- «الرَّجل اسمه روجن، مُشرف سَجَّانين كان مسؤولاً عن الزَّنازين السَّوداء. رئيس السَّجَّانين يصفه بأنه رجل ممتلئ طليق اللِّحية وجليظ الكلام. له، بالذَّات مع شغور الزَّنازين السَّوداء معظم الوقت في السَّنوات الأخيرة. يبدو أن باقي السَّجَّانين كانوا يخافونه، لكن لا أحد يعرف الكثير عنه. كان بلا أهل أو أصدقاء، ولم يعتد أن يشرب أو يتردَّد إلى المواخير. حُجيرة نومه رطبة موحَّشة، والقشُّ الذي كان ينام عليه متعفن، ووعاء فضلاته طافح».

- «أعرفُ كلَّ هذا». چايمي فحص حُجيرة روجن، ثم فحصها رجال

السير أدام مرَّةً أخرى.

قال كايرن: «نعم يا جلالة الملكة، لكن هل تعرفين أن تحت وعاء الفضلات المقرَّر هذا حجرًا مخلوعًا يسدُّ تجويفًا صغيرًا؟ إنه من تلك الأماكن التي يُخبئ فيها أحدهم مقتنياتٍ ثمينة لا يُريد أن يكتشفها أحد».

معلومة جديدة هذه. «مقتنياتٍ ثمينة؟ أتعني المال؟». طيلة الوقت كانت الشُّكوك تُخالجها في أن تيريون اشترى هذا السَّجَّان بوسيلةٍ ما.

- «قطعًا. صحيحٌ أنني وجدتُ التَّجويف خاليًا، فلا بدُّ أن روجن أخذ ثروته

الحرام معه حين هرب، ولكن بينما قرفصتُ فوق التَّجويف بمشعلتي رأيتُ شيئًا يلمع، فقبَّبتُ في التُّراب حتى أخرجته»، وفتح كايرن يده مضيفًا: «إنها عملة ذهبية».

هو ذهب، نعم، لكن لحظة أن التقطت سرسي العُملَة أدركت أنها ليست سليمةً. صغيرة ورفيعة للغاية. كانت قديمةً باليةً، على أحد وجهيها صورة جانبيةً لملك، وعلى الآخر نقش ليد. قالت: «هذا ليس تينًا».

أيدها كايرن قائلًا: «نعم. إنها تعود إلى ما قبل الغزوة يا جلالة الملكة. الملك هو جارث الثاني عشر، واليد رمز آل جاردرن».

سادة (هايجاردن). أغلقت سرسي يدها على العُملَة متسائلةً: أيُّ خيانةٍ هذه؟ مايس تايرل كان أحد قُضاة تيريون، ودعا إلى إعدامه على الملأ. أكانت مجرد حيلة؟ هل كان يتآمر مع العفریت طوال الوقت ويخططان لموت أي؟ مع وجود تايوين لانستر في القبر يُصبح اللورد تايرل الاختيار التلقائي لليدوية، ولو أن... قالت آمرة: «لن تذكر شيئًا عن هذا لأي أحد».

- «لك أن تثقي بكتماني يا صاحبة الجلالة. من يركب في صُحبة المرتزقة يتعلم أن يصون لسانه خشيةً ألا يحتفظ به طويلاً».

قالت الملكة: «وفي صُحبتَي أيضًا»، ووضعت العُملَة جانبًا مقررةً أن تُفكر في أمرها فيما بعد، ثم سألت: «ماذا عن المسألة الأخرى؟».

أجاب كايرن: «السير جريجور»، وهز كتفيه متابعًا: «لقد فحصته كما أمرت. السُم على حربة الأفعوان كان زُعاف مانتيكور<sup>(1)</sup> من الشرق، أراهن بحياتي على هذا».

- «بايسل ينفي هذا. قال لأبي إن زُعاف المانتيكور يقتل ما إن يبلغ القلب».

- «صحيح، لكن هذا الزُعاف مخفّف بوسيلةٍ ما ليُطيل احتضار الجبل».

- «مخفّف؟ مخفّف كيف؟ بمادّةٍ أخرى؟».

- «ربما يكون الأمر كما تقولين يا صاحبة الجلالة، ولو أن في معظم

الحالات لا تتسبّب إضافة موادٍ أخرى إلى السُموم إلا في الحدّ من مفعولها. قد يكون السبب... لنقل إنه أقلّ طبيعيّةً، تعويذة على ما اعتقد».

---

(1) المانتيكور في الأساطير الفارسيّة حيوان له رأس إنسان وجسم أسد وجناحان كالوطواط وثلاثة صفوف من الأسنان الحادّة كسمكة القرش. أمّا في عالم الرواية فيُطلَق على حشرة لها رأس شبيهة بالإنسان وذيل شائك مقوّس مليء بالسُم، وتستطيع أن تطوي أجنحتها كالجعمران. (المترجم).

أهذا الرَّجُلُ أَحْمَقُ كَبِيرٍ كِهَيْسَلٍ؟ «تقول لي إذن إنَّ الجبل يموت بالسَّحَرِ الأَسْوَدِ؟».

قال متجاهلاً التَّهَكُّمَ في صوتها: «إنه يموت بالزُّعافِ، ولكن ببطءٍ وبألمٍ لا يوصف. كجهودِ هَيْسَلٍ لم تُثْمِرْ جهودِي لتخفيف الألم شيئاً. أخشى أنَّ السير جريجور تعودُ تناوُلُ الخشخاش. مُرافقوه قالوا لي إنه مبتلى بالصُّدَاعِ العنيفِ، وكثيراً يجرع حليب الخشخاش كما يجرع الرُّجال الأصغر منه الميزر. أيّاً كان، لقد اسودَّت عروقه من رأسه إلى قدميه، وبوله ملوثٌ بالقحح، والزُّعاف جعلَ جانبه يتأكل صناعاً فجوةً بحجم قبضتي. وجود الرَّجُلِ على قيد الحياة حتى الآن أعجوبة في الحقيقة».

علَّقت الملكة بوجهٍ مقطَّب: «إنه حجمه. جريجور رجل كبير للغاية، وغبيٌّ للغاية أيضاً، أغبى من أن يعرف متى يموت على ما يبدو»، ورفعت كأسها لتملأها سينل مجدِّداً، وأردفت: «صُراخه يُخيف تومن، بل ويوقظني في اللَّيْلِ أيضاً أحياناً. رأيي أن الوقت حانٌ لاستدعاء إيلين باين».

قال كايبرن: «جلالة الملكة، هل تأذنين لي في نقل السير جريجور إلى الرِّزَّازين؟ لن يُزعجك صُراخه هناك، وسأتمكَّن من العناية به بحريَّة أكبر».

ردَّت ضاحكةً: «العناية به؟ دَع السير إيلين يعتني به».

- «إذا كانت هذه رغبة جلالتيك، لكن ذلك السُّم... سيكون من المفيد أن نعرف المزيد عنه، أليس كذلك؟ أرسلني فارساً ليقتل فارساً ورامياً ليقتل رامياً كما يقول العامَّة، ولمواجهة الفنون السُّوداء...»، ولم يتمَّ كايبرن كلامه واكتفى بالابتسام لها.

واضح أنه ليس هَيْسَلٍ. أمعنت الملكة النَّظْرَ إليه متسائلةً: «لماذا أخذت القلعة) سلسلتك؟».

- «رؤساء المايسترات كلُّهم جُبْناء في قلوبهم، خراف رماديَّة كما يدعوهم ماروين. كنتُ معالِجاً ماهراً كإيروز، لكنني طمحتُ إلى أن أتفوق عليه. طيلة مئات السِّنِّين ورجال (القلعة) يفتحون جُثث الموتى ليدرسوا طبيعة الحياة، في حين أردتُ أنا أن أدرس طبيعة الموت ففتحتُ أجساد الأحياء، ولهذه الجريمة وصمَّنتني الخراف الرَّماديَّة بالعار ودفعتني إلى المنفى... لكنني أفهمُ طبيعة الحياة والموت أفضل من أيِّ رجلٍ في (البلدة القديمة)».

أثارَ قوله اهتمامها، فقالت له: «حقاً؟ ليكن إذن، الجبل لك، افعل به ما تُريد، لكن احصُر دراساتك في نطاق الزنازين السوداء، ولَمَّا يموت اجلب لي رأسه، فقد وعدَ أبي بتسليمه لـ(دورن). لا سَكَّ أن الأمير دوران يُؤثر أن يُقتل جريجور بنفسه، لكن علينا جميعاً أن نُعاني خيبة الأمل في هذه الحياة». قال كايرن: «عظيم يا جلالة الملكة»، ثم تنحَّح قبل أن يُضيف: «لكنني أفتقرُّ إلى الإمكانيات المتوفِّرة لپايسل، ويجب أن أجهِّز نفسي ب...».

– «سأكلّف اللورد جايلز بتزويدك بذهبٍ يكفي احتياجاتك. اشترِ لنفسك ثياباً جديدةً أيضاً. إنك تبدو كأنك سعدت من (جُحر البراغيث)»، وتمعنَّت الملكة في عينيه متسائلةً إلى أيِّ مدى تستطيع الثَّقة به، وأضافت: «هل من داعٍ لأن أقول إن خيرًا لن يحدث لك على الإطلاق إذا تسرَّبت كلمة واحدة عن... عملك... إلى خارج هذه الجُدران؟».

منحها كايرن ابتسامةً مطمئنةً، وقال: «لا يا جلالة الملكة. أسراركِ آمنة معي».

بعد رحيله صبَّت سرسي لنفسها كأسًا من النبيذ القوي، وشرَّبتَها عند النَّافذة وهي تُشاهد الظلال تستطيل في السَّاحة وتُفكَّر في العُملة. ذهب من (المرعى). لماذا يملك مُشرف سجانين في (كينجز لاندنج) ذهبًا من (المرعى) ما لم يكن قد يُقدِّم إياه لمساعدته في موت أبي؟

مهما حاولت لم تستطع أن تتخيَّل وجه اللورد تايوين دون أن ترى تلك الابتسامة الصَّغيرة السَّخيفة وتذكَّر الرَّائحة التَّنَّنة المنبعثة من جُثته، وتساءلت إن كان تيريون وراء هذا أيضًا. حيلة حقيرة قاسيةٍ مثله. هل جعلَ تيريون پايسل أجيره؟ لقد أرسلَ العجوز إلى الزنازين السوداء، الزنازين نفسها التي كان روجن مسؤولاً عنها. الخيوط كلها متشابكة بطريقةٍ لا تُعجبها. تذكَّرت سرسي فجأةً أن السِّبَّتون الأعلى من مخلوقات تيريون أيضًا. وجُثمان أبي المسكين كان في عنايته من اللَّيل إلى الفجر.

وصلَ عمُّها بلا إبطاءٍ عند الغروب، يرتدي سُترَةً ضيِّقةً مبطنَّةً، صوفها فاحم مريدٌ كوجهه. ككلُّ بني لانستر للسير كيثان بشرة شاحبة وشعر أشقر، وإن كان قد فقدَ أكثره مع بلوغه الخامسة والخمسين، لكن ما من أحدٍ يُمكن أن يصفه بالوسامة، بخصره المكتنز وكثفيه المستديرتين وذقنه المربَّع البارز

الذي لم تُفْلِح لحيته الصَّفراء المشدَّبة في مواراته. إنه يُدكِّرها بكلبِ درواس عجوز... لكن درواسًا عجوزًا مخلصًا هو ما تتطلَّبه تحديدًا.

تناولا عشاءً بسيطًا من الشَّمندر والحُبز ولحم البقر الدَّامي مع النِّبذ الدورني الأحمر، ولم يتكلَّم السير كيثان إلَّا قليلًا وبالكدَّ مَسَّ كأسه. إنه واجم للغاية. لا بُدَّ من تكليفه بعمل كي يتجاوز حُرْنه. وهذا ما قالت له بعدما رُفِعَت أطباق الطَّعام وغادرَ الخدم. «أعرفُ كم كان أبي يعتمد عليك يا عمَّاه، والآن عليَّ أن أفعل مثله».

قال: «تحتاجين إلى يد، وچايمي رفض».

يتكلَّم بلا مواربة، ليكن. «چايمي... لقد شعرتُ بالضَّياع مع موتِ أبي، وكنتُ أجهلُ ما أقوله. چايمي شجاع، لكنه أحمق نوعًا، لكنك صُرحاء. تومن محتاج إلى رجل متمرَّس أكثر، شخص أكبر...».

- «مايس تايرل أكبر».

اتَّسعت طاقتا أنفها غضبًا، وقالت: «مستحيل»، وأزاحت خُصلة شعرٍ عن جبهتها مضيئةً: «آل تايرل يتخطون حدودهم».

قال السير كيثان: «ستكونين حمقاء إذا جعلتِ مايس تايرل يدا، لكن حمقاء أكبر إذا جعلته عدوِّك. لقد سمعتُ ما قيل في (بهو القناديل). كان حريًّا بمايس أن يكون أعقل من أن يفتح تلك المسائل علنًا، وعلى الرغم من هذا لم تكوني حكيمةً حين أهنته أمام نصف البلاط».

ردَّت وقد ضايقها تأنيبه: «أفضل من أن نسمح لتايرل آخر بدخول المجلس. روزبي سيكون أمين نقدٍ ملائمًا. أنت رأيت هودجه بزخارفه وستائره الحرير. خيوله كسوتها أفضل من ثياب معظم الفرسان. رجل بهذا الثراء لن يجد مشكلةً في العثور على الذهب. وبالنسبة إلى اليدوية... فمن أفضل لإتمام عمل أبي من الأخ الذي شاركه خُطه كلُّها؟».

- «كل رجل يحتاج إلى أحدٍ يثق به. كنتُ أنا هذا الشخص عند تايوين، ومن قبلي السيِّدة والدتك».

قالت سرسي رافضةً التَّفكير في العاهرة الميتة في فراشه: «لقد أحبَّها للغاية. أعرفُ أنهما معًا الآن».

قال السير كيثان: «هذا ما أتمناه»، وتفحص وجهها طويلاً قبل أن يُجيب:  
«إنك تسأليني الكثير يا سرسي».

- «ليس أكثر مما كان أبي يسألك».

التقطَ عُمها كأسه وأخذَ رشفةً، ثم قال: «أنا متعب. إن لي زوجةً لم أرها منذ عامين، وابناً ميتاً أريدُ أن أرثي له، وابناً آخرَ على وشك الزواج وتولي اللوردية. لا بُدَّ من تحصين (قلعة داري) من جديد، وحماية أراضيها وحرث وزراعة حقولها المحروقة. لانسل محتاج إلي عوني».

لم تكن سرسي تتوقع أن يتطَلَّب كيثان تملُّقاً، لكنها قالت: «وتومن أيضاً». إنه لم يدع الاستحياء مع أبي قط. «البلاد تحتاج إليك».

غمغم: «البلاد، أجل، وعائلة لانستر»، وأخذَ رشفةً أخرى من نبيذه، ثم قال: «ليكن. سأبقى وأخدمُ باعتباري اليد...»، فبدأت تقول: «عظيم...»، لكن السير كيثان رفعَ صوته وداهمها متابعاً: «... بشرط أن تُسميني وصياً على العرش بالإضافة إلى اليدوية وتأخذي نفسك وتعودي إلي (كاسترلي روك)».

للحظة لم تقوَ سرسي إلا على الحملقة إليه، قبل أن تقول مذكرةً: «أنا الوصيَّة على العرش».

- «كنت. تايوين لم ينتو أن تستمرِّي في هذا الدور، وأخبرني بخطئه لإعادتك إلي (الصخرة) وإيجاد زوج جديد لك».

أحسَّت سرسي بغضبها يتصاعدُ في أعماقها وهي تقول: «تكلّم عن هذا، نعم، وقلت له إنني لا أريدُ الزواج ثانية».

ردَّ عُمها بلا تأثر: «إذا كنتِ عازمةً على عدم الزواج ثانيةً فلن أجبرك، لكن بالنسبة إلى المسألة الأخرى... أنتِ سيّدة (كاسترلي روك) الآن، ومكانك هناك».

أرادت أن تصرّخ: كيف تجرؤ؟ لكنها بدلاً من هذا قالت: «أنا الملكة الوصيَّة على العرش أيضاً، ومكاني مع ابني».

- «ليس هذا ما ارتأه أبوك».

- «أبي مات».

- «ويا لحزني، وويل للبلاد كلّها. افتحي عينيك وانظري حولك يا سرسي. المملكة خراب. كان يُمكن لتايوين أن يُصحِّح الأوضاع، ولكن...».

صاحت سرسي: «سأصحح أنا الأوضاع!»، ثم خففت نبرتها مردفةً:  
«بمساعدتك يا عمّي. إذا خدمتني بإخلاصك نفسه لأبي...».

- «أنتِ لستِ أبكِ، ولطالما عدّ تايوين چايمي وريثه الشرعي».  
- «چايمي... چايمي حلفَ يمينًا. چايمي لا يُفكّر أبدًا، بل يسخر من كلِّ شخصٍ وكلِّ شيءٍ ويقول ما يعنُّ له أيًّا كان. چايمي أحمق وسيم».  
- «ومع ذلك كان اختيارك الأول ليد الملك، فماذا يجعلك هذا يا سرسي؟».

- «قلتُ لك إن الحُزن أسقمني ولم أفكّر...».  
- «نعم، ولهذا السبب يجدرُ بك أن ترجعي إلى (كاسترلي روك) وتتركي الملك مع من يُفكّرون».

نهضت سرسي زاعقةً: «الملك ابني!».  
قال عمّها: «أجل، وممّا رأيتُ من چوفري فأنتِ لا تصلحين للأومومة مثلما لا تصلحين للحُكم».

وألقت سرسي محتويات كأسها في وجهه مباشرةً.  
وبكرامةٍ نهض السير كيثان متناقلاً والنبيذ يسيل على وجنتيه ويقطر من لحيته المشدّبة، وقال: «هل تسمحين لي بالانصراف؟».  
- «بأيِّ حقٍّ تتجرأ وتُملي عليّ الشروط؟ إنك لست أكثر من واحدٍ من فرسان أبي».

- «لستُ أملك أراضِي، هذا صحيح، لكن عندي مصادر دخلٍ معيَّنة وصناديق من المال أحتفظُ بها جانبًا. أبي لم ينسَ أحدًا من أولاده حين مات، وتايوين كان يعرف كيف يُكافئ الخدمة الوفيّة. إنني أطعمُ مئتي فارسٍ وأستطيعُ مضاعفةَ هذا العدد إذا دعت الحاجة، وثمةُ مُحاربون غير نظاميين سيتبعون رايتي، كما أنني أملكُ الذهب لاستئجار المرتزقة. من الحكمة ألا تستخفي بي يا جلالة الملكة... وأكثر حكمةً ألا تصنعي مني خصمًا».  
- «هل تُهدّدي؟».

- «إنني أنصحك. إذا كنتِ لا تُريدين التنازل عن الوصاية لي فعينيني أمينًا للقلعة في (كاسترلي روك) واجعلي مائيس روان أو راندل تارلي يدًا للملك».

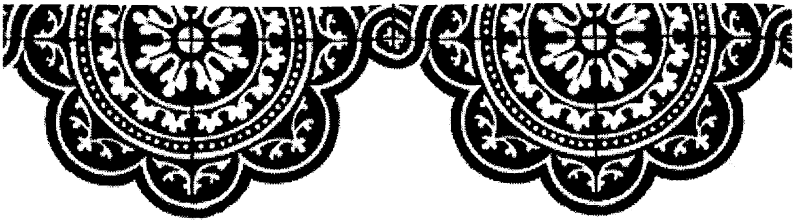
أخرسها الاقتراح. كلاهما من حملة راية تايرل. هل اشتروه؟ هل أخذ  
ذهب تايرل ليخون عائلة لانستر؟

واصل عمها الغافل عن خواطرها: «ماثيس روان متعقل وحكيم  
ومحبوب، ورائدل تارلي أبرع جندي في البلاد. إنه يد غير مناسب لزمان  
السّلام، لكن مع موت تايوين فلا رجل أفضل منه لإنهاء الحرب. لن يشعُر  
اللورد تايرل بالإهانة إذا اخترت أحد حملة رايته يدًا. تارلي وروان كلاهما  
رجل قدير... ومخلص، فعيني أحد الاثنين وستجعلينه رجلك، وبهذا تُقوِّين  
نفسك وتضعفين (هايجاردن)، ومع ذلك سيَشْكُرُكِ مايس غالبًا»، وهزَّ كتفيه  
مضيفًا: «هذه نصيحتي، خذها أو ارفضها. يُمكنك أن تجعلي فتى القمر يدًا  
ولن أبالي. لقد مات أخي يا امرأة، وسأخذه إلى الوطن».

خائن، مارق. تساءلت كم دفع له مايس تايرل. «تريد أن تتخلى عن ملكك  
وهو في أمس الحاجة إليك، تُريد أن تتخلى عن تومن».

قال السير كيثان: «تومن معه أمُّه»، ولاقت عيناه الخضراوان عينها دون  
أن تطرفا، وارتجفت قطرة أخيرة من النبيذ تحت ذقنه ثم سقطت أخيرًا، وأتبع  
هو بعد برهة صمت: «أجل، وأبوه أيضًا على ما أعتقد».





## چایمی

وقفَ السير چایمی لانستر مرتديًا أبيض على أبيض إلى جوار النَّعش الذي يحمل جُثمان أبيه، وقد أغلقَ أصابعه الخمسة على مقبض سيفٍ عظيم من الذهب.

مع حلول الغسق اتَّشح (سپت بيلور الكبير) من الدَّاخل بالعتمة والغموض، وتسرَّبت خيوط النَّهار الأخيرة من النَّوافذ العالية مضميفةً قتامةً حمراء على تماثيل الآلهة السَّبعة الذين تُومض الشُّموع المعطرَّة حول مذابحهم، فيما احتشدت الظُّلال الكثيفة في الأجنحة وزحفت بصمتٍ على الأرضيَّة الرُّخام، وخفَّت أصداء أناشيد المساء برحيل آخر المعزَّين.

مكث بالون سوان ولوراس تايرل بعد رحيل الآخرين، وقال السير بالون: «لا أحد يستطيع أن يقف ساهرًا سبعة أيام وسبع ليالٍ. متى نمت آخر مرَّة يا سيَّدي؟».

أجاب چایمی: «عندما كان السيِّد والدي حيًّا».

قال السير لوراس مقترحًا: «اسمح لي بالوقوف اللَّيلة بدلًا منك».

- «لم يكن أباك أنت». ولم تقتله، أنا قتلته. ربما أطلق تيريون سهم النَّشائيَّة الذي أزهق روحه، لكنني أطلقت تيريون. «اتركاني».

قال سوان: «كما يأمر سيَّدي».

لاح على السير لوراس أنه يُريد أن يُجادل أكثر، لكن السير بالون أخذه من ذراعه وسحبته مبتعدًا، وأصغى چایمی إلى أصداء حُطواتهما تخفت بدورها. هكذا عاد بمفرده مع السيِّد والده، وسط الشُّموع والبلورات ورائحة الموت العطرة المغثية. كان ظهره يُؤلِّمه بسبب وزن درعه، وساقاه شبه خدرتَيْن،

فعدّل وقفته بعض الشّيء وأحكّم إغلاق أصابعه على مقبض السّيف الذهبي .  
إنه لا يستطيع المبارزة بسيف، لكنه يستطيع أن يُمسكه . أحسّ بيده المفقودة  
تنبض، وهو ما يكاد يكون طريفاً، ففي الطرف الذي فقدّه إحساس أكثر من  
سائر الجسد الذي تبقى له .

يدي تشتهي السّيف . احتاجُ إلى أن أقتل أحداً، فارس كبداية، لكن عليّ  
أولاً أن أجد الصّخرة التي اختبأ تحتها . قال للجثمان: «أمرتُ الخصيَّ بأن  
يأخذه إلى سفينة، لا إلى غرفة نومك . يدها ملوّثتان بالدماء تماماً ك... كيدي  
تيريون» . كان يقصد أن يقول: يدها ملوّثتان بالدماء تماماً كيدي، لكن الكلمات  
احتبست في حلقة . أيّاً كان ما فعله فارس فأنا من جعله يفعله .

ليلتها انتظر في مسكن الخصيِّ، حين قرّر أخيراً ألا يدع أخاه الصّغير  
يموت، وبينما انتظر راح يشحذ خنجره بيد واحدة، مستمداً سلواناً غريباً من  
صوت الفولاذ إذ يحتك بالحجر ويحتك ويحتك . عندما سمع الخطوات  
وقف إلى جوار الباب، ودخل فارس وعلى وجهه المساحيق ومنه يفوح عبير  
الخزّامي، فخطا چايمي وراءه وركله في باطن ركبته، ثم جثم فوق صدره  
ودفع الخنجر تحت ذقنه الأبيض الناعم رافعاً رأسه، وقال له بأساير منبسطة:  
«أهلاً يا لورد فارس، عجيب أن ألتقيك هنا» .

قال فارس لاهثاً: «السير چايمي؟ أخفتني» .

- «هذا ما قصدته»، ودور چايمي الخنجر لتسيل قطرة من الدّم على نصله،  
وأردف: «كنت أفكر في أن تُساعِدني على انتزاع أخي من زنزانته قبل أن يقطع  
السير إلين رأسه . إنه رأس قبيح لا شك، لكنه لا يملك غيره» .

ردّ الخصيُّ: «نعم... حسن... إذا سمحت بأن... ترفع الخنجر... نعم،  
برفق بعد إذن سيّدي، برفق، أوه، لقد وخزني...»، ومسّ عنقه وحدّق إلى الدّم  
على أصابعه قائلاً «لطالما بغضتُ منظر دمائي» .

- «أسأريق المزيد لتبغضه حالاً ما لم تُساعِدني» .

اعتدلّ فارس جالساً بصعوبة وهو يقول: «أخوك... إذا اختفى العفريت بلا  
تفسير من زنزانته سثّار أ- أسئلة، وسأ- أخشى على حياتي...» .

- «حياتك ملكي . لا أبالي بالأسرار التي تعرفها . إذا مات تيريون فلن تبقى  
حيّاً بعده طويلاً، أعدك بهذا» .

امتصَّ الخصيَّ الدَّم من على أصابعه، وقال: «إنك تَطْلُب شيئًا فظيغًا... أن تُطْلِق سِراح العُفريت الذي قتل ملكنا المحبوب. أم أنك تعتقد أنه بريء؟». وبكل حماسة قال چایمی: «بريء أو مذنب، اللانستر يُسَدِّد ديونه». يا للسهولة التي أتته بها الكلمات.

منذ ذلك الحين لم ينم، والآن يُمكنه أن يرى أخاه، والطريقة التي ابتسم بها القزم تحت جدعة أنفه وضوء المشعل يلحق وجهه، وكيف زمجر بصوتٍ مثقل بالغل: «يا لك من مُعاق مسكين أعمى أحمق! سرسي عاهرة كذّابة، كانت تُضاجع لانسِل وأوزموند كِتِلبلاك وربما فتى القمر أيضًا. وأنا الوحش الذي يقولون. نعم، قتلْتُ ابنك الكريه».

لم يقل إنه ينوي أن يقتل أبانا. لو قالها لمنعته، ولأصبحتُ أنا لا هو قاتل الأقرين.

يتساءل چایمی أين اختبأ فارس. لم يرجع وليُّ الهامسين إلى مسكنه بالطبع، ولم يُسفر عنه تفتيش (القلعة الحمراء)، فربما إذن استقل الخصيُّ السفينة نفسها مع تيريون بدلًا من البقاء للإجابة عن الأسئلة المربكة. إذا كان هذا صحيحًا فالاثنان في عرض البحر الآن، يتقاسمان إبريقًا من نبيذ (الكرمة) الذهبية في قمرة قادس.

مالم يكن أخي قد قتل فارس أيضًا وترك جثته تتعفن تحت القلعة. قد تمرُّ سنوات كاملة هناك بالأسفل قبل أن يعثر أحد على عظامه. لقد قاد چایمی دسنة من الحرس إلى أسفل بالمشاعل والجبال والمصاييح، وطوال ساعاتٍ تلمسوا طريقهم عبر ممراتٍ ملتوية وسرايب ضيقة وأبواب خفية وسلالم سرّية وآبار قيعانها غارقة في الظلام الدامس. قلما شعر چایمی بكل هذا العجز. المرء يعدُّ أشياء كثيرة من المسلّمات حين يملك كلتا يديه، كالسّلالم على سبيل المثال. حتى الزحف لم يكن سهلًا عليه، فلا أحد يتكلّم عن الزحف «على يديه ورُكبتيه» عبثًا، ولا استطاع كذلك أن يحمل مشعلًا على السّلالم كالآخرين.

وكل هذا سُدى، فلم يجدوا إلا الظلام والتراب والجرذان. والتنانين أيضًا، تنانين كامنة بالأسفل. تذكر وهج الفحم البرتقالي الكئيب في فم التنين الحديدي الذي يتخذ شكله مستوقد يُدفعى هواء حُجرة في قرار بئرٍ تلتقي

فيه دستة من الأنفاق. على الأرض رأى رسمًا بالياً من الفُسيفساء الحمراء والسَّوداء لتنينٍ عاتلة تارجارينٍ ذي الثلاثة رؤوس، وبدا كأن الوحش يقول له: إنني أعرفك يا قاتل الملك، كنتُ هنا طيلة الوقت أنتظرُ أن تأتي، وخيّل لچايمي أنه يعرف الصَّوت، النَّبْرة الحديديَّة التي كانت سمة ريجار أمير (دراجونستون).

كان نهارًا قويَّ الرِّيح يوم ودَّع ريجار في ساحة (القلعة الحمراء)، وقد ارتدى الأمير درعه السَّوداء كالليل، وازدان صدره بالياقوت على شكل التَّنينِ ذي الرُّؤوس الثلاثة. ساعتها قال چايمي متوسِّلاً: «يا سموَّ الأمير، دَع داري يبقى لحراسة الملك هذه المرَّة، أو السير باريستان. إن معطفيهما أبيضان كمعطفي.»

هَزَّ الأمير ريجار رأسه، وقال: «والدي الملك يخشى أباك أكثر مما يخشى ابن عمو متنا روبرت. إنه يُريدك على مقريةٍ منه كي لا يستطيع اللورد تايوين أن يؤذيه، ولا أجرؤُ على أن أسلبه تلك الدِّعامة التي يستند إليها في ساعة كهذه.» ارتفع سُخط چايمي حتى بلغ حُلُقومه وهو يقول: «أنا لستُ دِعامةً، إنني فارس في الحرس الملكي.»

رَدَّ عليه السير چون داري بحدَّة: «احرس الملك إذن. حين ارتديت هذا المعطف أقسمت على الطَّاعة.»

ووضع ريجار يده على كتف چايمي قائلاً: «أنوي بعد أن تنتهي هذه المعركة أن أعقد مجلسًا. ستحدِّث تغييرات. لقد أردتُ أن أفعل هذا منذ فترةٍ طويلة، ولكن... لا داعي للكلام عن الطُّرق التي لم نسلُكها. ستحدِّث حين أُرجعُ.»

كانت تلك آخر كلماتِ قالها له ريجار تارجارين على الإطلاق. خارج الأسوار احتشد جيش، وفي الأثناء نفسها زحف جيش آخر إلى (الثالوث)، وهكذا اعتمر أمير (دراجونستون) خوذته السَّوداء الطَّويلة وركب إلى نهايته. كان على حقٍّ أكثر مما أدرك. حين انتهت المعركة حدثت تغييرات. قال لجنَّة أبيه: «إيرس ظنَّ أن أدَّى لن يمسه إذا أبقاني قريبًا منه، أليس هذا طريفًا؟». بدا أن هذا رأي اللورد تايوين أيضًا، إذ كانت ابتسامته متسعة الآن عن ذي قبل. كأنه مستمتع بكونه ميتًا.

الغريب أنه لا يشعُر بالحُزن. أين دموعي؟ أين غضبي؟ چايمي لانستر لم يفترق إلى طاقة الغضب قَط. قال للجنَّة: «أنت الذي قلت لي إن الدموع دلالة على ضَعْفٍ في الرَّجل، فلا تتوقَّع مني أن أبكيك».

ألف لورد وليدي أتوا في الصُّباح ليصطفوا في الطَّابور المار بالنَّعش، ثم عدَّة آلاف من العامَّة بعد الظَّهر، ثيابهم داكنة ووجوههم خاشعة، إلَّا أن چايمي ارتاب في أن كثيرين منهم مبتهجون في سريرتهم لمراى سقوط الرَّجل العظيم. حتى في الغرب كان اللورد تايوين محترمًا أكثر من محبوب، و(كينجز لاندنج) لم تزل تذكُر يوم النَّهب.

من بين جميع المعزَّين بدا المايستر الأكبر پايسل الأكثر اضطرابًا، وبعده الشَّعائر قال لچايمي وهو يتشَمَّم حول الجنَّة بريية: «لقد خدمتُ ستَّة ملوك، لكن ها هنا أمامنا يرقد أعظم رجل عرفته على الإطلاق. لم يكن اللورد تايوين يعتمر تاجًا، لكنه تحلَّى بكلِّ ما يجب أن يكونه الملك».

دون لحيته لا يبدو پايسل مسنًا فحسب بل وواهن أيضًا. حلاقة لحيته كانت أقسى ما يمكن أن يفعله تيريون به. يعلم چايمي معنى أن تفقد جزءًا منك، الجزء الذي يجعلك أنت، ولقد كانت لحية پايسل رائعة فعلاً، بيضاء كالثلج وناعمة كصوف الجملان، نبتة فاخرة غطت وجنتيه وذقنه وانسدلت طويلة حتى دانت حزامه، وقد اعتاد المايستر الأكبر أن يملس عليها وهو يتكلَّم بمنتهى الوقار، فمنحته سميت الحكماء وأخفت جميع أنواع المناظر المنفرة، من الجلد الرِّخو المتدلِّي تحت فكِّ العجوز، إلى الفم الصَّغير الرَّاجف والأسنان المفقودة، والثاليل والتجاعيد وبقع الشَّيخوخة الأكثر من أن تُحصى. حاول پايسل أن يُعيد تربية ما فقده، لكن محاولاته مُيَّت بالفشل، ولم ينبت من وجنتيه المتغضَّبتين وذقنه الضَّعيف إلَّا خيوط وشعيرات خفيفة للغاية، لدرجة أن چايمي يرى الجلد الوردى المبقع أسفلها.

قال العجوز: «سير چايمي، لقد رأيتُ أشياء رهيبه في حياتي، حروبًا ومعارك واغتيالات أئمة... كنتُ صبيًّا في (البلدة القديمة) عندما أتى الطَّاعون الأرمد على نصف المدينة وثلاثة أرباع (القلعة). حينها أحرق اللورد هايتاور كلَّ سفينة في الميناء وأغلق البوابات وأمر حُرَّاسه بقتل كلِّ من يُحاول الفرار، سواء أكان رجلاً أم امرأة أم حتى طفلاً رضيعًا. بعد أن جرى الطَّاعون مجراه

الطَّيِّعِي وانزاحَ قتلوه، في اليوم نفسه الذي أعادَ فيه فتح الميناء جرَّوه من على حصانه وذبحوه هو وابنه الشَّاب. حتى يومنا هذا يَبْصُقُ الجُهلاء في (البلدة القديمة) لسماع اسمه، لكن كويتون هايتاور فعلَ ما كان ضروريًّا. أبوك كان من هذا النوع من الرِّجال أيضًا، رجلًا يفعل ما هو ضروري».

- «ألهدا يبدو مسرورًا من نفسه؟».

قال پايسل والأبخرة المتصاعدة من الجُثة تُدْمِعُ عينيه: «اللَّحْم... مع جفاف اللَّحْم تشتدُّ العضلات وتسحب شفثيه إلى أعلى. هذه ليست ابتسامة وإنما... جفاف لا أكثر»، وأغمَضَ عينيه وفتحهما محاولًا منع الدَّموع، وأردف: «أرجو أن تَعذُرني، إنني مرهقٌ للغاية»، واثكأ بثقل على عُنَّازِه وتحركَ مغادرًا السَّيِّت على مهل. هذا الرَّجل على عتبة الموت أيضًا. لا غرو أن سرسي تقول إنه عديم الفائدة.

بالطبع تعتقد أخته العزيزة أن نصف من في البلاط إمَّا عديمو الفائدة وإمَّا خونة؛ پايسل والحرس الملكي وآل تايرل وچايمي نفسه... وحتى السير إلين باين، الفارس الصَّامت الذي يعمل جلاذًا. عند شغله منصب عدالة الملك أضحت الزَّنازين مسؤوليته، وبما أنه بلا لسانٍ فغالبًا ما ترك باين واجب إدارة تلك الزَّنازين لمرؤوسيه، غير أن سرسي تلومه هو على هرب تيريون رغم ذلك. كادَ يقول لها: كان هذا من صُنعي لا صنعه، لكنه وعدَ بدلًا من ذلك بأن يَحْصُلَ على ما يستطيع من إجاباتٍ من رئيس السَّجَّانين، وهو عجوز محنٍ الظَّهر اسمه رينيفر لونجوتترز.

قهقهة الرَّجل بصوتٍ كقفوأة الدَّجاج حين ذهبَ چايمي يستجوبه، وقال له: «أراك تتساءل عن اسمي هذا. إنه اسم قديم، هذا صحيح. لستُ أحبُّ التَّباهي، لكن في عروقي دمَاءٌ ملكيَّةٌ. إنني أنحدرُ من ذُرِّيَّةِ أميرة. أبي حكى لي الحكاية وأنا صبيٌّ صغير». لم يَعدْ لونجوتترز صبيًّا صغيرًا منذ سنين عدَّة كما يشي رأسه المبقع والشَّعر الأبيض النَّابت من ذقنه. «كانت أجمل كنوز (قفص العذراوات)، وسلبتُ الأميرال العظيم اللورد أوكنيفيست قلبه رغم أنه كان متزوجًا بأخرى. أطلقت على ابنتهما اسم الثُّغول «وتترز» تكريمًا لأبيه، وكبر الابن ليُصبح فارسًا عظيمًا، وكذا ابنه الذي وضع «لونج» في اسمه قبل

«وترز» ليعرف النَّاس أنه ليس ابن حرام عن نفسه، وهكذا هناك القليل من دم التَّنَّانين في عروقي».

رَدَّ چایمی: «نعم، كدْتُ أَحْسبكَ إِجُون الْفَاتِح». ووترز من أسماء النُّغول الشَّائِعة في منطقة (الخليج الأسود)، وعلى الأرجح جاء لونجوترز القديم من دُرِّيَّة أحد فُرسان العائلات الصَّغيرة لا من أميرة. «لكن يتصادف أن عندي اهتمامات أكثر إلحاحًا من نَسَبِكَ».

حتى لونجوترز رأسه قائلًا: «السَّجِين الضَّائع».

- «والسَّجَّان المفقود».

عَقَّب العجوز: «روجن، مُشرف سَجَّانين. كان مسؤولًا عن المستوى الثالث، الزَّنازين السَّوداء».

قال چایمی مرغمًا: «حدَّثني عنه». مهزلة لعينة. إنه يعلم هويَّة روجن، حتى إن كان لونجوترز يجهلها.

- «أشعث الشَّعر، طويل اللِّحية، فَظُّ الأسلوب. لم يكن الرَّجل يروقي، صحيح، أعترفُ بهذا. كان روجن هنا حين وصلتُ قبل اثني عشر عامًا. الملك إيرس هو من كلَّفه بوظيفته، ولكن يجب أن أقول إنه نادرًا ما ظهرَ هنا، وقد دَوَّنتُ هذا في تقاريري يا سيِّدي، أو كُذِّ لك وأعطيك كلمتي، كلمة رجلٍ في عروقه دماء ملكيَّة».

اذكُرْ تلك الدِّماء الملكيَّة مرَّةً أُخرى وسأريقُ القليل منها. «من رأى تلك التَّقارير؟».

- «بعضها ذهبَ إلى أمين النَّدد وبعضها إلى وليِّ الهامسين، وكلُّها إلى رئيس السَّجَّانين الأعلى وعدالة الملك. لطالما جرَّت الأمور على هذا المنوال في الزَّنازين»، وحكَّ لونجوترز أنفه متابعًا: «روجن كان يظهر عند الحاجة يا سيِّدي، لا مفرَّ من قول هذا. قليلًا ما تُستخدمُ الزَّنازين السَّوداء. قبل أن ينزل فيها أخو جنابكم الصَّغير قضى المايستر الأكبر بإيسل فترةً عندنا، وقبله اللورد ستارك الخائن، وكان هناك ثلاثة آخرون من العوام، لكن اللورد ستارك سلَّمهم لحرس الليل. لم أرَ إطلاق سراح أولئك الثلاثة خيرًا، لكن الأوراق كانت سليمة. هذا أيضًا دَوَّنته في التَّقارير، لك أن تثق بكلمتي».

- «حدَّثني عن السَّجَّانين اللذين راحا في النَّوم».

تَشْتَق لُونَجووترز قائلًا: «تقول سَجَانِين؟ لم يكونا سَجَانِين، بل مجردَ حاملِي مفاتيح. النَّاج يدفع أجور عشرين حامل مفاتيح يا سيِّدي، لكن طيلة خدمتي لم يزد عددهم على الاثني عشر. المفترَض أن يكون عندنا ستَّة مُشرفي سَجَانِين أيضًا، اثنان في كلِّ مستوى، لكن لا يوجد إلا ثلاثة.»  
- «أنت واثنان آخران؟».

عادَ لُونَجووترز يتَشَقق، وقال باعتداد: «أنا رئيسُ مُشرفي السَّجَانِين يا سيِّدي، أي أني أعلى من مُشرفي السَّجَانِين. إنني مكلفُ بمراجعة الدفاتر. إذا كان سيِّدي يرغب في إلقاء نظرةٍ عليها فسيُرى أن الأرقام كلها مضبوطة»، ثم إنه راجعَ الدفتر الصَّخْم المغلَّف بالجلد المفتوح أمامه، وأردفَ: «حاليًّا عندنا أربعة سُجناء في المستوى الأول وواحد في الثاني، بالإضافة إلى أخي جنابكم»، ثم قطَّب وجهه مضيئًا: «الذي فرَّ، هذا صحيح، سأشطبُ اسمه»، والتقطَ ريشةً كتابيةً وبدأ يسُنُّها.

فكَّر چايمي بجهامة: ستَّة سُجناء، بينما ندفع أجور عشرين حامل مفاتيح وستَّة مُشرفي سَجَانِين ورئيس مُشرفي سَجَانِين وسَجَانٍ وعدالة الملك. «أريدُ أن أستجوب حاملِي المفاتيح هذين.»

تخلَّى رينيفر لُونَجووترز عن سنِّ ريشته ورفعَ عينيه رامقًا چايمي بارتياح، ثم سألَ: «تستجوبهما يا سيِّدي؟»  
- «كما سمعتني.»

- «سمعتك يا سيِّدي، سمعتك بالتأكيد، ولكن... يستطيع سيِّدي أن يستجوب من يشاء، هذا صحيح، فليس لي أن أقول إنه لا يستطيع، ولكن أيها الفارس، إذا سمحت لي، لا أظنُّ أنهما سيُجيبان. إنهما ميتان يا سيِّدي.»  
- «ميتان؟! بأمر من؟»

- «بأمرك كما حسبتُ... أو ربما بأمر الملك؟ لم أسأل. ليس... ليس لي أن أراجع رجال الحرس الملكي.»

صَبَّ الجواب الملح على جرحه. لقد استخدمت سرسي رجاله ليقوموا بعملها الدَّامي، هُم وأعرَّأؤها الإخوة كِتلبلاك. بعدها، في الرُّزْزانة التي فاحت فيها رائحة الدِّماء والموت، زمجرَ چايمي



في بوروس بلاونت وأوزموند كِتلبلاك قائلًا: «أيها الأحمقان عديما العقل، ماذا حسبتما نفسيكما فاعلين؟».

أجاب السير بوروس الأقصر قامَةً من چايمي لكنه أثقل: «ليس أكثر مما قِيلَ لنا يا سيّدي. جلالتها أمرت بهذا، أختك».

ودسّ السير أوزموند إبهامه في حزام سيفه مضيّفًا: «طلبت أن يناما إلى الأبد، فحرصتُ وإخوتي عليّ هذا».

هذا ما حرصتم عليه حقًا. كانت إحدى الجثتين ملقاةً على وجهها على المائدة كرجل غابٍ عن الوعي في أثناء مأدبة، لكن ما تحت رأسه بركة من الدّم لا التّبيذ. أمّا حامل المفاتيح الثّاني فيبدو أنه استطاع أن ينهض من على الدّكة ويسحب خنجره قبل أن يغرس أحدهم سيفًا طويلًا في ضلوعه، فكانت نهايته الأطول والأكثر فوضى. قلتُ لفارس الأيمسّ الأذى أحدًا في تلك المسألة، ولكن كان عليّ أن أقول لأخي وأختي أيضًا. «أسأتم التّصرّف أيها الفارس».

هزّ السير أوزموند كتفيه قائلاً: «لن يفتقدكما أحد. أراهنُ أنهما لعبا دورًا في ما جرى، بالإضافة إلى الآخر المفقود».

كان يُمكن لچايمي أن يقول له: لا. فارس دسّ مخدّرًا في نيذهما ليناما، لكنه قال: «إذا صحّ هذا لكننا استطعنا انتزاع الحقيقة منهما»... كانت تضاجع لانسِل وأوزموند كِتلبلاك وربما فتى القمر أيضًا... «لو كنتُ ذا طبيعةٍ شكّاقة لتساءلتُ عن سبب استعجالكم التّأكد من عدم استجواب هذين الاثنين أبدًا. هل أردتم إخراسهما لإخفاء دوركم في المؤامرة؟».

ردّ كِتلبلاك مبعوثًا: «نحن؟ لم نفعل إلّا ما أمرت به الملكة، أقسمُ بكلمتي كأخيك المحلّف».

اختلجت أصابع چايمي الشّبحيّة وهو يقول: «أحضِر أوزني وأوزفريد ونظّفوا الفوضى التي صنعتموها، وعندما تأمرُك أختي المرّة القادمة بقتل أحدٍ تعال إليّ أولًا. فيما عدا هذا اغرُب عن وجهي أيها الفارس».

تردّدت أصداء الكلام في عقله وهو واقف في عتمة (سِبت بيلور)، وقد اسودّت النّوافذ كلّها من فوقه، وأصبح يرى ضوء النّجوم البعيدة الخافت إذ غابت الشّمس تمامًا. ما زالت رائحة الموت التّنتنة تزداد قوّة على الرغم من

الشُموع المعطّرة، وذُكّرت تلك الرَّائحة چایمی لانستر بالمرمر أسفل (النَّاب الذهبی) حیث حَقَّق نصرًا عظیمًا فی آیام الحرب الأولى. فی الصُّباح التَّالی للمعركة التهمت الغُربان وليمَةً من لحم المنتصرین والمهزومین علی حدِّ سواء، مثلما التهمت لحم ریحار تارجارین بعد (الثالوث). ما قيمة النَّاج إذا كانت الغُربان تتعشَّى بلحم الملوك؟

یظنُّ چایمی أن هناك غُربانًا تدور حول أبراج (سپت بیلور) السَّبعة وقُبَّته العظيمة الآن تحدیدًا، تضرب أجنحتها السُّوداء هواء المساء وهي تبحث عن سبیل للدُّخول. حریٌّ بكلِّ غُرابٍ فی (الممالك السَّبْع) أن یأتي ویُعرب عن تقدیره لك یا أبی. لقد أطعمتها جمیعًا، من (كاستامیر) إلى (النَّهر الأسود). سرَّت الفكرة للورد تایوین الذی اتَّسعت ابتسامته أكثر، ففكَّر چایمی: بحقِّ الجحیم، إنه یدو كحریس فی أثناء إضجاعه!

كان الخاطر شاذًا لدرجة أن چایمی أطلق ضحكةً عالیةً.

وتردَّد صداها فی الأجنحة والسرَّادیب والمُصلیات كأن الموتی المدفونین داخل الجُدران یضحكون أيضًا. ولمَ لا؟ الأمر أكثر عبثًا من مسرحیة هزلیة؛ وقوفي ساهرا على الأب الذی ساعدتُ علی قتله، وإرسالی رجلاً للقبض علی الأخ الذی ساعدتُ علی إطلاق سراحه... كان قد أمر السیر أدام ماربراند بتفتیش (شارع الحریر)، وقال له: «ابحثوا تحت كلِّ سریر. أنت تعلم غرام أخي بالمواخیر». سيجدُ ذوو المعاطف الذهیبیة أشياء أكثر إثارة للاهتمام تحت فساتین العاهرات مما سيجدون تحت أسرَّتهن، حتی إن چایمی یتساءل كم نغلاً سیولد من جرَّاء هذا البحث عديم الجدوى.

دون إرادةٍ منه انتقلت أفكاره إلى بریان التاریة. فتاة حمقاء عینة قبیحة. تُرى أین هی الآن؟ امنحها القوَّة یا ابیت. یکاد یكون دُعاء... لكن إلى الإله یتهل؟ إلى (الأب فی الأعلى) الذی یتألَّق تمثاله المذهب الشَّاهق فی ضوء الشُموع عبر المكان؟ أم أنه یُصلِّي للجُثمان المسجی أمامه؟ هل یهمُّ؟ كلاهما لم ینصت قطُّ. منذ كبر چایمی حتی استطاع حمل السیف كان (المُحارب) إلهه. قد یكون من عده من الرُّجال آباء وأبناءً وأزواجًا، أمَّا چایمی لانستر فلا. إنه الرُّجل ذو السیف الذهیبی كُشعره، مُحارب، وأبدًا لن یكون إلا هذا. یجدُر بی أن أخبر سرسی بالحقیقة، أن أعتزف بأنی من حرر أخانا الصَّغیر

من زنزانته. قول الحقيقة أتى بنتيجة رائعة مع تيريون في النهاية. قتلتُ ابنك الكريه، والآن سأذهبُ لأقتل أبانا أيضًا. سمعَ چايمي العفريت يضحك في العتمة، فالتفتَ ينظرُ لكن الصوت لم يكن إلا صدى ضحكته هو. أغلقَ عينيه، وبالسرعة نفسها فتحهما مجددًا. يجب ألا أنام. إذا نامَ فربما يحلم. أوه، يا لضحكة تيريون السّاخرة تلك... عاهرة كذّابة... تُضاجع لانسِل وأوزموند كِتبلاك...

في منتصف الليل صرّت مفصلات (باب الأب) مع دخول عدّة مئات من السّبتونات لإقامة صلواتهم، يرتدي بعضهم الأردية المفصّلة من قُماش الفضة ويعتمر الأكاليل البلّور التي تُميّز مجلس القانتين، في حين علّق إخوتهم الأذى شأنا بلوراتهم من سيورٍ حول أعناقهم وأوثقوا أرديتهم البيضاء بأحزمةٍ من سبع جدائل بسبعة ألوان مختلفة. من (باب الأم) دخلت السّبتوات من معزلهن، سبع يرتدين الأبيض ويمشين متجاورات ويترنّمن بنعومة، بينما نزلت الأخوات الصّامتات (سلالم الغريب) في طابور، وقد ارتدت وصيفات الموت الرّمادي الفاتح، وفوق رأس كل منهن قلنسوة وعلى وجهها لثام، فلا يُرى منها إلا عيناها. ظهرَ حشد من الإخوة أيضًا، يرتدون البني والعسلي والرّمادي الدّاكن، وحتى الخيش غير المصبوغ، ويشدّون ما يرتدونه على خصورهم بحبال القنب، ويُعلّق بعضهم مطرقة (الحدّاد) الحديد من الأعناق، وبعضهم أوعية الشّحاذة.

لم يُعر أحد من المصلّين چايمي اهتمامًا، بل داروا في محيط السّبت متعبّدين على كلّ من المذابح السّبعة تكريمًا لسبعة أوجه الإله، ولكلّ إلهٍ قدّموا قربانًا، ولكلّ واحدٍ أنشدوا لترتفع أصواتهم وقورًا عذبة. أسدلّ چايمي جفنيه ليُصغي، لكنه رفعهما من جديد لَمّا بدأ يتمايل. إنني مرهق أكثر مما حسبتُ.

لقد مضت سنوات منذ أدّى شعيرة السّهر آخر مرّة. كنتُ أصغر حينئذٍ، غلامًا في الخامسة عشرة. لم يكن يرتدي درعًا وقتها، بل مجرد سُترٍ بيضاء تقليديّة، ولم يبلغ السّبت الذي أمضى فيه الليل ثلث مساحة أيّ من أجنحة (سبت بيلور) السّبعة. ليبتها وضع چايمي سيفه على رُكبتَي (المُحارب) وكوم درعه عند قدميه وركع على الأرض الحجريّة الخشنة أمام المذبح، وحين بزغ

الفجر كانت رُكبته مسحوجتين دامتين، فقال له السير آرثر داين لَمَّا رآه: «لا مناص من أن ينزف كلُّ الفُرسان يا چايمي. الدَّم حَتَمَ إخلاصنا»، ثم إنه رفع سيفه (فجر) مرتبًا به على كتفي چايمي، وكان النَّصل الشَّاحب حادًا لدرجة أن تلك اللَّمسة الخفيفة للغاية شَقَّت سُترته ومن جديدٍ نَزَف... لكنه لم يَشْعُر بالجرح لحظةً. غلامًا ركَعَ، وفارسًا نهَضَ. الأسد الصَّغير لا قَاتِل الملك. لكن ذلك كان منذ زمن، والغلام مات.

لا يدري متى انتهت الصَّلوات. ربما نامَ وهو واقف. حين خرجَ المتعبدون عادَ السُّكون يُخَيِّم على (السَّيِّت الكبير)، والشموع كأنها حائط من النجوم المتقددة في الظلام، وإن ظلَّ الهواء يعبق بالموت. عدلَّ چايمي قبضته على السَّيف الذهبي العظيم. ربما كان عليه أن يدع السير لوراس يحل محله رغم كلِّ شيء. كانت سرسي لتكره ذلك. فارس الزُّهور ما زالَ نصف صبي، ومغرور متكبرٍ، لكنه يملك إمكانيةً أن يُصبحَ عظيمًا، أن يكون من أهل المآثر الكبرى التي تليق بـ(الكتاب الأبيض).

سيكون (الكتاب الأبيض) في انتظاره عندما ينتهي سهره، صفحته منه مفتوحة ترمقه بتأنيب صامت. سأمزقُ الكتاب اللعين إربًا قبل أن أملاه بالأكاذيب. لكن إذا كان لن يكذب، فماذا يكتب سوى الحقيقة؟ فجأةً وجدَّ امرأةً تقف أمامه.

المطر يسقط من جديد. رآها مبتلَّة تمامًا والماء يقطر من معطفها صانعًا بركةً عند قدميها. كيف دخلت؟ لم أسمعها تدخل. كانت ترتدي ثياب ساقية في حانة، معطفًا من الخيش الثقيل مصبوغًا بلا مهارةٍ بدرجات البني ومهترئ الحاشية، وقد أخفت قلنسوة وجهها لكنه رأى الشموع تتراقص في لُجتي عينيها الخضراوين، ولمَّا تحرَّكت عرفها.

- «سرسي». تكلم ببُطءٍ كرجلٍ صحا لتوه من حُلْمٍ وما زالَ يتساءل أين هو. «ما السَّاعة الآن؟».

أجابت أخته: «ساعة الذُّب<sup>(1)</sup>»، وأنزلت قلنسوتها وتقلَّص وجهها وهي

(1) في عالم الرُّواية ساعة الذُّب هي الفترة الأشدُّ حلَكَةً من اللَّيل، تسبقها ساعة البومة وتأتي بعدها ساعة العندليب، ثم الفجر. (المترجم).

تُضيف: «الذئب الغريق ربما»، ثم ابتسمت له بكلّ عذوية، وقالت: «هل تذكر أول مرة أتيتك هكذا؟ كانت في خانٍ كئيب عند (زُقاق بنات عرس)، وارتديت ثياب خادمةٍ لأمرٍ من حُرّاس أبي».

- «أذكرُ. كان في (زُقاق الحنشان)». تُريد مني شيئًا. «ماذا تفعلين هنا في هذه السّاعة؟ ماذا تُريدين مني؟». تردّدت كلمته الأخيرة في جنبات السّبت، مني - مني - مني - مني - مني - مني - مني - مني، وراحت تخفت حتى غدت همسةً، وللحظةٍ جرؤُ چايمي على أن يأمل أن كل ما تُريده سرسي هو الرّاحة بين ذراعيه.

- «تكلم بهدوء». كانت نبرتها غريبةً... لاهثةً، أقرب إلى الخوف. «چايمي، كيفان رفض، لن يتولّى اليدويّة. إنه... إنه يعلم بأمرنا، لمّح إلى هذا بوضوح».

قال مندهشًا: «رفض؟ وكيف يعلم؟ لا بُدّ أنه قرأ ما كتبه ستانيس، لكن ليس هناك...».

قاطعته: «تيريون كان يعلم. من يدري ماذا حكى ذلك القزم البغيض أو لمن؟ العمّ كيفان أقلّ المصائب... السّبتون الأعلى، تيريون هو من رقاّه إلى تاجه حين مات الآخر البدين. ربما يعلم أيضًا»، ودنت منه متابعه: «لا مفرّ من أن تكون يد تومن. إنني لا أثقُ بمايس تايرل. ماذا لو كانت له يد في موتِ أينا؟ ربما كان يتأمر مع تيريون. من الممكن أن يكون العفريت في طريقه إلى (هايجاردن)...».

- «غير صحيح».  
قالت متوسّلةً: «كُن يدي وسنحكّم (الممالك السّبع) معًا كملكٍ ومليكته».  
- «كنتِ مليكة روبرت، ولكنك تآبين أن تكوني مليكتي».  
- «كنتُ لأفعلها إذا جرؤتُ، لكن ابنا...».

قاطعها بقسوة: «تومن ليس ابني كما لم يكن چوفري. لقد جعلتهما ابني روبرت أيضًا».

جفلت أخته قائلةً: «لقد وعدت بأن تحبّني دائمًا، وليس من المحبّة أن تجعلني أتوسّل».

أفعمت أنف چايمي رائحة خوفها على الرغم من ننانة الجثّة، وأراد أن

يحتويها بذراعيه ويُقبَّلها، أن يدفن وجهه في خُصلاتها الذَّهب ويعدّها بأن لا أحد سيمسّها بسوءٍ أبداً... لكنه أخبر نفسه: ليس هنا، ليس هنا أمام الآلهة وأيينا، وقال لها: «لا، لا أستطيع، ولن أفعل».

قالت وهو يسمع المطر ينهمر على النوافذ بالأعلى: «إنني محتاجة إليك، محتاجة إلى نصفي الآخر. أنت أنا وأنا أنت. احتاجُ إليك إلى جواري، في داخلي، أرجوك يا چايمي، أرجوك».

نظرَ چايمي ليستوثق بأن اللورد تايوين لا ينهض في هذه اللَّحظة من على منصَّته غاضباً، لكن أباه ظلَّ متمدِّداً في مكانه، بارداً يتعفَّن. «لقد خلقتُ لميادين المعارك لا قاعة مجلس، والآن يبدو أنني لم أعد أصلحُ لذلك أيضاً». مسحتَ سرسي دموعها بكُمِّ بَنِي رَث، وقالت: «ليكن، إذا كانت ميادين المعارك ما تشتهي فيمادين المعارك ما سأعطيك»، ورفعتَ قلنسوتها بغضبٍ مردفةً: «كنتُ حمقاء لمجيئي، كنتُ حمقاء عندما أحببتك»، ورددتَ خطأها المبتعدة أصداءً عاليةً شقَّت الهدوء وتركتَ بقعاً مبتلَّةً على الأرض الرُّخام.

كادَ الفَجْر يأخذ چايمي على حين غرَّة، وإذ بدأ زُجاج القُبَّة يستنير راحتَ أقواس قزح تتلألأً على الجُدران والأرضيات والأعمدة، وغمرتَ جُثمان اللورد تايوين بسديمٍ من الضَّوء عديد الألوان. يد الملك يتعفَّن بوضوح، وقد شابَ وجهه اخضراراً خفيفاً وغاصتَ عيناه كثيراً فأصبحتا حُفرتين سوداوين عميقتين وبدأتَ وجنتاه تفتقان، بينما تسرَّب سائل أبيض كريبه من مِفصلاتٍ دِرعه الفاخرة بلونيهما الذهبي والقرمزي ليتجمَّع تحت جثته.

أول من رأى المنظر السَّهْبُونات عندما عادوا لأداء صلوات الفَجْر، فأنشدوا أناشيدهم ودعوا أدعيتهم وقلصوا أنوفهم، لكن رأس واحدٍ من القانتين دارَ لدرجة أنهم اضطروا إلى مساعدته على الخروج من السَّهْب، وبعدها بفترةٍ قصيرة دخلتَ جماعة من التَّلَامذة مؤرَّجحين المباخر، فأفعمَ البُخور الكثيف الهواء حتى بدا النعش ملتحمًا بالدخان، وغابتَ أقواس قزح كلها في ذلك الضُّباب المعطر، إلا أن الرَّائحة ظلَّت قويَّة، رائحة هي مزيج من العفن والسُّدا جعلتَ الرِّغبة في القيء تتاب چايمي.

عندما فُتحتَ الأبواب كان آل تايرل بين أول الدَّاخِلين بما يُناسب مكانتهم، وقد أحضرتَ مارچري باقةً كبيرةً من الورود الذَّهبيَّة وضعتَها بحركةٍ مسرحيَّة

عند قدم نعش اللورد تايوين، وإن احتفظت بوحدة أبقته تحت أنفها وهي تتخذ مقعدها. إذن الفاتاة ذكية كما هي جميلة. إنها أفضل من كثيرات غيرها كملكيتة لتومن. ملوك قبله تزوجوا من هن أسوأ.

حدت ريفقات مارچري حدوها، أما سرسي فانظرت حتى أخذ الباكون أماكنهم كي تدخل وإلى جوارها تومن، يصاحبهما السير أوزموند كتبللاك في درعه البيضاء المطلية بالمينا ومعطفه الصوف الأبيض.

- «... كانت تضاجع لانسل وأوزموند كتبللاك وربما فتى القمر أيضًا...».

رأى چایمی كتبللاك عارياً في الحمام، ورأى الشعر الأسود على صدره وذلك الأشبه بالقش الخشن بين ساقيه، وتخيل ذلك الصدر مضغوطاً إلى صدر أخته وذلك الشعر يحك جلد ثديها الناعم. ما كانت لتفعل شيئاً كهذا. العفريت كاذب. الذهب المغزول والشعر الأسود مشتبان، يتصيان عرقاً، وقلقتا مؤخرة كتبللاك الضيقتان تنضمآن كلما دفع نفسه في داخلها، ويسمع چایمی أنين أخته. لا، إنها كذبة.

بعينين محمرتين ووجه ممتقع صعدت سرسي الدرجات وركعت إلى جوار أبيهما وسحبت تومن ليركع معها. تراجع الصبي لمراى المنظر لكن أمه أطبقت على معصمه قبل أن يبتعد، وهمست له: «صل»، فحاول تومن أن يطيع الأمر، غير أنه مجرد طفل في الثامنة واللورد تايوين رعب حقيقي. نفس يائس واحد من الهواء وأجهش الملك بالبكاء. قالت سرسي: «كف عن هذا!»، ودور تومن رأسه وانثنى على نفسه مفرغاً معدته، وسقط تاجه ليتدحرج على رُحام الأرض. تراجع أمه باشمزاز، وفي غمضة عين كان الملك يركض إلى الباب بأقصى سرعة تُتيحها له ساقاه ذاتا الأعوام الثمانية. قال چایمی بحدة بينما التفت كتبللاك ليطارد التاج: «سير أوزموند، خذ مكانى»، وناول الرجل سيفه الذهبى وهرع وراء مليكه. في (بهو القناديل) لحق به أمام أعين دستة من السبتوات الجافلات، وقال تومن باكياً: «إنني آسف. سأبلي بلاء أحسن غداً. أمي تقول إن على الملك أن يري الناس الطريق، لكن الرائحة قلبت معدتي».

لن يصلح هذا. آذان مرهفة كثيرة وأعين ثرّاب. قال چایمی: «الأفضل أن نخرج يا جلالة الملك»، وقاد الصبي إلى الخارج حيث الهواء نظيف نقي

قدر المستطاع في مدينة كـ(كينجز لاندنج). رأى أربعين من ذوي المعاطف الذهبية منتشرين في الساحة لحراسة الخيل والهوادج، فأخذ الملك جانباً على مسافة لا بأس بها من الجميع، وأجلسه على الدرجات الرخام، حيث قال الصبي بإصرار: «لم أكن خائفاً، الرائحة قلبت معدتي. ألم تقلب معدتك أيضاً؟ كيف تحتملها يا خالي الفارس؟».

لقد شممتُ يدي وهي تتعفن عندما جعلني فارجو هوت أعلقها كقلادة. قال چايمي لابنه: «الرجل يستطيع أن يحتمل أي شيء إذا لزم الأمر». لقد شممتُ رائحة شواء رجل طهاه الملك إيرس في درعه. «العالم مليء بالأهوال يا تومن، فإمّا أن تُقاومها وإمّا أن تنتظر دون أن ترى... تنسحب داخل نفسك». ففكر تومن لحظة، ثم قال بنبرة اعتراف: «كنت... كنت أنسحبُ داخل نفسي أحياناً عندما كان چوفي...».

- «چوفري». كانت سرسي وافقةً فوقهما والريح تضرب ساقها بتنورها. «أخوك كان اسمه چوفري، وما كان ليخزيني هكذا».

- «لم أقصد، لم أكن خائفاً يا أمي، لكن رائحة السيد والدك كانت سيئة...».

قالت: «هل تظنُّ أنني شممتُ رائحةً أفضل؟ إن لي أنفاً أيضاً»، وأمسكتُ أذنه وسحبته ليقف مضيفةً: «اللورد تايرل له أنف. هل رأيتَه يتقياً في السبت المقدس؟ هل رأيتَ الليدي مارچري تنوح كالرُضع؟».

قام چايمي قائلاً: «سرسی، كفى».

اشتعل الغضب على مُحياها، وقالت: «ماذا تفعل هنا أيها الفارس؟ لقد أقسمت أن تسهر على جثة أينا حتى ينتهي التآيين على ما أذكر».

- «التآيين انتهى. اذهبي وانظري إليه».

- «لا. سبعة أيام وسبع ليالٍ كما قلت. مؤكّد أن حضرة القائد يعرف كيف يعدُّ إلى سبعة. خذ عدد أصابعك وأضف اثنين».

كان آخرون قد بدأوا يتدفقون من الدّاخل إلى السّاحة هاربين من الرّائحة الشّنيعة، فقال لها چايمي محدّراً: «سرسی، اخفضي صوتك، اللورد تايرل يقترب».



سَبَرَتْ كلماته غضبتها وسحبت الملكة تومن إلى جانبها، وانحنى مايس تايرل أمامهما قائلاً: «أرجو أن يكون جلالته بخير».

قالت سرسي: «حزن الملك غلبه لا أكثر».

- «كما يغلبنا جميعاً. إذا كان هناك ما بإمكانني أن أفعله...».

بعيداً بالأعلى أطلق غراب صرخة مرتفعة وهو جاثم على تمثال الملك بيلور ويتبرّز على الرأس المقدّس.

قال چايمي: «هناك الكثير جداً بإمكانك أن تفعله من أجل تومن يا سيّدي. هلاً شرفت جلالتها بتناول العشاء معها بعد صلوات المساء؟».

رمته سرسي بنظرة تُذبل الزرع، لكنها تعقّلت وحفظت لسانها هذه المرّة، في حين بدا تايرل مندهشاً، وقال: «العشاء؟ أظنّ... بالطبع، سنتشرف بهذا أنا والسيدة زوجتي».

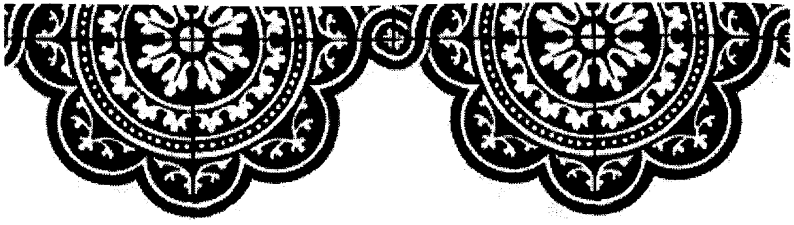
أجبرت الملكة نفسها على الابتسام وردّدت كلاماً فارغاً عن سرورها، لكن حين انصرف تايرل وصُرف تومن مع السير أدام ماربراند التفتت إلى چايمي ساخطة، وقالت: «أنت سكران أم تحلم أيها الفارس؟ أخبرني من فضلك، لماذا أتناول العشاء مع هذا الأحمق الجشع وزوجته البلهاء؟»، وحركت هبة ریح شعرها الذهبي وهي تُضيف: «لن أعينّه يداً إذا كان هذا ما...».

قاطعها: «أنت في حاجة إلى تايرل، ولكن ليس هنا. سليه أن يستولي على (ستورمز إند) من أجل تومن. أطري عليه وقولي له إنك تحتاجين إليه في الميدان بدلاً من أبي. مايس يتخيّل نفسه مُحارباً مغواراً، فإمّا يُسلمك (ستورمز إند) وإمّا يُفسد الأمر ويبدو كالحمقى. في الحاليتين أنتِ الرابحة».

لاحت أمارات التفكير على سرسي وهي تقول: «(ستورمز إند)؟ نعم، ولكن... اللورد تايرل جعل من الواضح تماماً أنه لن يبرح (كينجز لاندنج) قبل أن يتزوَّج تومن مارچري».

تنهّد چايمي، وردّ: «دعيهما يتزوَّجان إذن. ستمضي سنوات قبل أن يكبر تومن ويستطيع إتمام الزيجة، وحتى ذلك الحين فإبطالها متاح دائماً. أعطي تايرل زفافه وأرسله يلعب لعبة الحرب».

زحفت ابتسامة حذرة على وجه أخته، وغمغمت: «حتى الحصار له أخطاره، بل وربما يفقد سيّد (هايجاردن) حياته في مغامرة كتلك». أيدها قائلاً: «تلك المخاطرة واردة، خصوصاً إذا نفذ صبره هذه المرّة واختار اقتحام البوابة». ثبّتت سرسي عينيها عليه لحظات، ثم قالت: «أتدري؟ للحظة كنت تتكلم كأنك أبونا بالضبط».



## بريان

كانت بَوَّابة (وادي الغسق) مغلقةً موصدةً. في عتمة ما قبل الفجر التمعت أسوار البلدة بشحوب، وعلى متاريسها تحركت خيوط الضباب كحُرَّاسٍ شبحيين، فيما توقفت عربات اليد والعربات التي تجرُّها الثيران خارج البوابة منتظرةً شروق الشمس. أخذت بريان مكانها وراء عربيةٍ محملةٍ باللُّفت، ولمَّا كانت رَبلتا ساقِها تُؤَلِّمانها فقد أراحها أن تترجَّل وتفردهما. لم يمضِ وقت طويل قبل أن تُقبِلَ عربية يدٍ أخرى من الغابة، وحين بدأت السماء تُنير كان الطَّابور يمتدُّ رُبع ميل.

حدجها المزارعون بنظراتٍ فضوليَّةٍ وإن لم يُخاطبها أحد. قالت لنفسها: عليّ أنا أن أخاطبهم، لكن الكلام مع الأعراب كان صعبًا عليها دومًا. حتى في صغرها كانت خجولًا، ولم تُفْلِح سنوات السُّخريَّة الطويلة إلا في جعلها أكثر خجلًا. يجب أن أسأل عن سائز، وإلا كيف سأجدها؟ تنحنحت وقالت للمرأة الجالسة على عربية اللُّفت: «أيتها العقيلة، هل عساك رأيت أختي على الطريق؟ إنها بنت في الثالثة عشرة، جميلة الملامح ولها عينان زرقاوان وشعر كستنائي. ربما تكون راكبةً مع فارس سَكَّير».

هزَّت المرأة رأسها نفيًا، لكن زوجها قال: «أراهنُ إذن أنها لم تُعد بنتًا. ما اسم المسكينة؟».

وجدت بريان رأسها خاليًا. كان عليّ أن أختلق لها اسمًا. أيُّ اسمٍ على الإطلاق يصلح، إلا أنها لم تنجح في التفكير في واحد.

- «لا اسم؟ طيب، الطرق مليئة بالبنات اللاتي بلا اسم».

أضافت زوجته: «وساحات الأشنة أكثر امتلاءً».

مع بزوغ الفجر ظهر الحرس في الشرفات، فصعد المزارعون إلى عرباتهم وهزوا أزرمة دوابهم، وامتطت بريان فرسها أيضًا وألقت نظرة وراها. معظم من في الطابور المنتظر دخول (وادي الغسق) مزارعون بأحمالٍ من الخضراوات والفواكه في طريقها إلى البيع، ووراءها بنحو دسنة من المنتظرين ثمة اثنان من رجال البلدة الأثرياء يركبان حصانين أصيلين، وعلى مسافة أبعد لمحت صبيًا نحيلًا على حصانٍ أرقط تقليدي، لكنها لم تر أثرًا للفارسين المتجولين أو السير شادريك الفأر المجنون.

لوح الحرس للعربات بالمرور دون أن يكلفوا أنفسهم مجرد النظر، ولكن حين بلغت بريان البوابة جعلتهم يعدلون عن وتيرتهم، وصاح قائدهم: «توقفي يا هذه!»، وقاطع رجلان يرتديان الحلقات المعدنية حربتيهما ليسدا طريقها، بينما أضاف القائد: «أفصحي عن غرضك هنا».

- «أبحث عن سيد (وادي الغسق) أو مايستره».

ثبت القائد نظرتة على ترسها قائلاً: «خفاش لوشتون الأسود، رمز سيي السُّمعة».

- «ليس رمزي، وأنوي أن أعيد طلاء الترس».

حكَّ القائد ذقنه المغطى بالرَّغْب، وقال: «حقًا؟ أختي تُزاول هذا العمل بالمناسبة. ستجدينها في المنزل ذي الباب الملوّن، قبالة (السُّيوف السَّبعة)»، وأشار إلى الحارسين مردفًا: «دعاها تمرُّ. إنها فتاة».

ينفتح مبنى البوابة على ميدان السُّوق، حيث يُفرِّغ من سبقوها إلى الدخول حملواتهم من اللفت والبصل الأصفر والشعير لينادوا عليها، بينما يبيع آخرون أسلحةً ودروعًا، وبأسعار رخيصة للغاية أيضًا كما تشي الأرقام التي سمعتهم يزعقون بها وهي تمرُّ. مع غربان الجيف يأتي اللصوص بعد كل معركة. مضت بريان بفرسها لتشهد قمصانًا حلقاتها المعدن لا تزال ملوثةً بالدماء البنية وخوذاتٍ منبعجةً وسيوفًا طويلةً ثلمةً، بالإضافة إلى الثياب المعروضة للبيع التي تضمُّ أحذيةً جلد ومعاطف فرو وستراتٍ متسخة فيها تمزقات في بقاعٍ مريبة. تعرّفت عددًا كبيرًا من الشارات، كالقبضة المقفزة

بالحلقات المعدنيّة والموظ<sup>(1)</sup> والشّمس البيضاء والبلطة ذات النّصلين. كلُّها رموز شماليّة، غير أن رجال تارلي لقوا حتفهم هنا أيضًا، وكثيرين من أراضي العواصف كذلك، إذ رأت تفاحًا أحمر وأخضر، وتُرسًا عليه صواعق عائلة لا يوجد الثّلاث، وكسوة حصانٍ مزركشة بنمل عائلة أمبروز، كما ظهر سيّاد اللورد تارلي طويل القدمين على كثرةٍ كاثرة من الشّارات والدّبائيس والسّترات. عدوًّا كان أم صديقًا، الغربان لا بُدّ لي.

وجدت بريان تُروسا من خشب الصّنوبر وخشب الرّيزفون تُشترى بينسات معدودة، لكنها تجاوزتها بلا اكتراث، إذ تنوي الاحتفاظ بالترس البلوط الثّقيل الذي أعطاهها چايمي إياه وحمله بنفسه من (هارنهال) إليّ (كينجز لاندنج). للترس المصنوع من خشب الصّنوبر مميّزاته، فهو أخف وزناً ومن ثم أسهل في الحمل، ومن شأن الخشب الطّريّ أن يجعل سيف الخصم أو فأسه ينغرس فيه فلا يستطيع انتزاعه، على أن البلوط يحمي حامله أكثر إذا كان قويًّا كفايةً لاحتمال وزنه.

(وادي الغسق) مبنية حول مينائها. شمال البلدة ترتفع جُروف الطّباشير، وإلى الجنوب بقي لسان أرضٍ صخريّة السّفن الرّاسية من العواصف الهابّة من (البحر الضيق)، في حين تطلّ القلعة على الميناء وتُمكن رؤية حصنها المربّع وأبراجها المستديرة من أيّ مكانٍ في البلدة. ألقت المشي أسهل من الرّكوب في الشّوارع المرصوفة المزدهمة، فتركت بريان فرسها في اسطبل وواصلت الطّريق على قدميها، وقد علّقت ترسها على ظهرها ودست لفافة النّوم تحت إبطها.

لم يكن العثور على أخت القائد صعبًا، فالسّيوف السّبعة) أكبر خانٍ في البلدة، بناء من أربعة طوابق يرتفع فوق جيرانه، ويُقابله منزل بابه من مصراعين مزيّنين برسّم رائع الجمال لقلعةٍ في غابةٍ خريفية، أشجارها ملوّنة بدرجات الخمري والأذهبي، ويزحف اللّباب على جذوع السّنديانات العجوز، وحتى أشجار البلوط مرسومة بعنايةٍ وشغف، ولما أمعنت بريان النّظر رأت

(1) الموظ أحد أنواع الأيتال، له عُتق قوي وقرنان جريديّان، ويألف العيش في الغابات والمستنقعات. (المترجم).

مخلوقاتٍ وسط ورق الشجر، منها ثعلب أحمر مكار وعصفوران على فرع،  
غير ظلّ الذبّ البادي وراء الأوراق.

قالت للمرأة داكنة الشعر التي فتحت الباب حين دقته: «بابك جميل. أيُّ  
قلعة هذه؟».

أجابت أخت القائد: «جميع القلاع. الوحيدة التي أعرفها هي (قلعة التبة)  
عند الميناء. الأخرى اختلقتها من خيالي، ما ينبغي لقلعة أن تبدو. إنني لم أر  
تنبأ من قبل كذلك، ولا جريفين<sup>(1)</sup> أو يونيكورن<sup>(2)</sup>». كانت تتكلم بأسلوب  
مرح، لكن عندما أرته بريان الترس أظلم وجهها، وقالت: «أمي العجوز  
اعتادت أن تقول إن الخفافيش العملاقة تطير من (هارنهال) في الليالي غير  
المقمرة، لتحمل الأطفال سيئي الخلق إلى دائل المجنونة لتطبخهم. أحياناً  
أسمعها تُخربش مصاريع النوافذ»، ثم شفطت أسنانها مصدرة صوتاً حاداً  
وفكرت لحظة قبل أن تسأل: «ماذا تريد من مكانه؟».

رمز عائلة تارث أربعة مربعات، اثنان لونهما وردي واثنان أزرق سماوي،  
وعليه شمس صفراء وهلال، لكن ما دام الناس يعتقدونها قاتلة فيريان لا  
تجرؤ على حمل هذا الرمز. هكذا قالت: «بابك ذكرني بترس قديم رأيتُه مرّة  
في مستودع سلاح أبي»، ووصفته لها قدر ما أسعفتها الذاكرة.

أومأت المرأة قائلة: «أستطيع أن أرسمه في الحال، لكن الطلاء سيحتاج  
إلي وقتٍ ليحفظ. خذي غرفة في (السيف السبعة) إذا أردتِ وسأجلب لك  
الترس في الصباح».

لم تكن نيّة بريان أن تقضي الليل في (وادي الغسق)، ولكن قد يكون هذا  
خيرًا، فهي لا تدري إن كان سيّد القلعة موجودًا، وإن كان سيوافق على رؤيتها.  
شكرت الرّسامة وعبرت الشارع إلى الخان الذي تتأرجح فوق بابه لافتة  
عليها سبعة سيوف خشبية معلقة من مسمار كبير من الحديد، وعلى الرغم  
من أن الجير الذي رُسمت به السيوف يبدو مشققًا متقشرًا فإن بريان تعرف

(1) الجريفين مخلوق أسطوري له جسم أسد ورأس وجناح عقاب. (المترجم).

(2) اليونيكورن مخلوق أسطوري عبارة عن حصان له قرن واحد ويتمتع بقدرات سحرية.  
(المترجم).

معنى اللَّافِتة، وأن السُّيوف ترمز إلى أبناء عائلة داركلين السَّبعة الذين ارتدوا معاطف الحرس الملكي البيضاء. لا عائلة أخرى في البلاد كُلِّها يُمكنها أن تتباهى بهذا العدد. كانوا مفخرة عائلتهم، والآن غدوا لافِتةً فوق باب خان. دفعت الباب داخلةً القاعة العامَّة وطلبت من صاحب الخان عُرفةً وحمَّامًا. أنزلها في عُرفةٍ في الطَّابق الثَّاني، وأحضرت لها امرأة ذات وحمية بلون الكبد على وجهها حوضًا خشبيًّا، ثم جلبت الماء سطلًا سطلًا. سألتها بريان وهي تضع جسدها في الحوض: «هل تبقى أحد من آل داركلين في (وادي الغسق)؟».

أجابَت المرأة: «هناك آل دارك. أنا منهم عن نفسي. زوجي يقول إنني كنتُ منهم قبل زواجنا ولذا سوِّدتُ معيشته بعد الزَّواج»، وضحكت مضيفةً: «لا يُمكنك أن ترمي حجرًا في (وادي الغسق) دون أن تُصيبي أحدًا من آل دارك أو داركوود أو دارجود، لكن لوردات آل داركلين بادوا عن آخرهم. اللورد دينس كان الأخير، ذلك الشَّاب الأحمق الجميل. هل تعلمين أن آل داركلين كانوا ملوكًا في (وادي الغسق) قبل مجيء الأنداليين؟ لن تُخمَّني هذا من مجرد النَّظر إليَّ، لكن في عروفي دماء ملكيَّة، هل ترين؟ المفترَض أن أجعلهم يقولون: كوب آخر من المزريا صاحبة الجلالة، وعاء الفضلات في حاجةٍ إلى إفراغٍ يا صاحبة الجلالة، واجلبي لي المزيد من الحطب، النَّار تكاد تهمد يا صاحبة الجلالة اللِّعينة»، وضحكت ثانيةً وأفرغت آخر قطرات الماء من السَّطل، وقالت: «هاك. هل الماء ساخن كفاية؟».

أجابَت وهي جالسة في الماء الفاتر: «لا بأس به».

- «كنتُ لأجلب المزيد، لكنه سينسكب من فوق الحافة. فتاة بحجمك تملأ حوضًا كهذا».

فقط لأنه حوض صغير ضيق. في (هارنهال) كانت الأحواض ضخمةً ومصنوعةً من الحجارة، وامتلاً الحمَّام بالبُخار المتصاعد من الماء الساخن، وأتى چايمي يخترق تلك الغشاوة عاريًا كيوم مولده، يبدو نصف جثةٍ ونصف إله. قالت لنفسها متذكرةً ووجهها يتورَّد: يومها نزل إلى الحوض معي. أطبقت على قطعةٍ من صابون القلي الصُّلب وحكَّت بها إبطيها محاولةً أن تستدعي وجه رنلي إلى الذَّاكرة مرَّةً أخرى.

مع برود الماء كان جسدها قد صارَ نظيفًا تمامًا، فعادت ترتدي الملابس نفسها التي خلعتها وأوثقت حزام سيفها حول وركيها، وإن تركت قميصها المعدني وخوذتها كي لا يبدو منظرها مهذبًا في (قلعة التبة). أراحها أن تفرد ساقيها، وعند بوابة القلعة وجدت حارسين يرتديان سترتين من الجلد على كلٍ منهما شارة تُظهر مطرقتين حريبتين متقاطعتين على صليبٍ مائل. قالت لهما: «أريدُ أن أتكلّم مع سيّدكما».

ضحك أحدهما قائلاً: «الأفضل أن تزعي إذن».

وقال الثاني: «اللورد ريكور خرج إلى (بركة العذارى) مع راندل تارلي وترك السير روفوس ليك أمينًا للقلعة، ليعتني بالليدي ريكور والصغار».

وإلى ليك اصطحبها، فوجدت السير روفوس رجلًا قصيرًا مكتنزًا أشيب اللحية، تنتهي ساقه اليسرى بجذعة. قال لها: «أرجو أن تعذّرني لعدم نهوضي». أخرجت بريان رسالتها ليقرأها، لكن لأن ليك أميٌّ فقد أرسلها إلى المايستر الأصلع ذي فروة الرأس المنمّشة والشارب الأحمر اليباس.

بدا أن وجهها وشى بها، وحين سمع المايستر اسم هولارد قطب وجهه ضيقًا، وقال: «كم مرّة عليّ أن أكرّر هذا الكلام؟ هل حسبت أنك أول من جاء يبحث عن دونتوس؟ إنك الأولى بعد العشرين على الأقل. ذوو المعاطف الذهبية كانوا هنا في غضون أيام بعد اغتيال الملك ومعهم تفويض اللورد تايوين. ماذا تحمّلين أنتِ يا تُرى؟».

أرته بريان الرسالة الممهورة بختم تومن وتوقيعه الطفولي، وهمهم الرجل ودمدم وهو يفحص الشمع قبل أن يُعيدها إليها أخيرًا، ويقول: «تبدو سليمة»، ثم جلس على كرسيٍّ وأشار لبريان بالجلوس على آخر مردفًا: «لم أعرف السير دونتوس قط. كان صبيًا عندما رحل من (وادي الغسق). آل هولارد كانوا عائلة نبيلة، هذا صحيح. هل تعرفين رمزهم؟ أحمر توتي ووردي، مع ثلاثة تيجان ذهبية على شريطٍ أزرق. كان آل داركلين ملوكًا صغار الشان خلال عصر الأبطال، وثلاثة منهم اتخذوا زوجاتٍ من عائلة هولارد. لاحقًا ابتلعت الممالك الأكبر مملكتهم الصغيرة، لكن آل داركلين استمروا وخدمهم آل هولارد... نعم، حتى في التحدّي. هل تعرفين القصة؟».



- «بعض الشَّيء». كان مايسترها يقول إن تحدِّي (وادي الغسق) هو ما قاد الملك إيرس إلى الجنون.

- «ما زالوا يحبُّون اللورد دينس في (وادي الغسق) على الرغم من الولايات التي جلبها عليهم. إنهم يصبُّون اللُّوم على الليدي سيرالا، زوجته المايريَّة الملقبة بالأفعى الحريريَّة. لو كان اللورد دينس قد تزوَّج واحدة من نبات ستوتون أو ستوكوورث... تعلمين كيف يتمادى العامَّة في الكلام. يقولون إن الأفعى الحريريَّة وسوست في أذن زوجها وملاَّتْها بالسُّم المايري إلى أن هبَّ اللورد دينس ضد مليكه وأخذَه أسيرًا، وخلال عمليَّة الأسر نفسها قتل قيِّم سلاحه السير سايمون هولارد السير جواين جونت رجل الحرس الملكي. طوال نصف عام ظلَّ إيرس حبيس هذه الجُدْران، بينما جلس يد الملك خارج (وادي الغسق) على رأس جيشٍ جرَّار، وكان اللورد تايوين يملك قوَّةً كافيةً لاقْتحام البلدة في أيِّ وقتٍ يشاء، لكن اللورد دينس أرسل له يقول إنه سيقتل الملك مع أول بادرة هجوم».

تذكَّرت بريان ما جرى بعدها، وقالت: «وتحرَّر الملك، السير بارستان أنقذه وأخرجه».

قال المايستر: «نعم، وما كادَ اللورد دينس يفقد رهينته حتى فتح بواباته وأنهى التحدِّي بدلًا من أن يدع اللورد تايوين يأخذ بلدته، وركع وتوسَّل الصَّفح، لكن الملك لم يكن في مزاج متسامح. فقد اللورد دينس رأسه، بالإضافة إلى إخوته وأخته وأعمامه وأولادهم، آل داركلين قاطبةً. أمَّا الأفعى الحريريَّة فقد أحرقت حيَّة، تلك المسكينة، لكنهم قطعوا لسانها أولًا، وأعضاءها الأنثويَّة التي يُقال إنها أسرت زوجها بها. حتى الآن سيقول لك نصف أهل (وادي الغسق) إن إيرس ترفق بها كثيرًا».

- «وآل هولارد؟».

- «أدينوا واستؤصِلت شأفتهم. كنتُ أكوِّن سلسلتي في القلعة في ذلك الحين، لكنني قرأت تقارير محاكمتهم وعقوباتهم. السير چون هولارد الوكيل كان زوج أخت اللورد دينس ومات مع أخته، وكذا ابنهما الشَّاب الذي كان نصف داركلين. روبن هولارد كان مُرافقًا، ولمَّا قبض على الملك راح

يَرُقْصُ حوله ويشدُّ لحيته، فماتَ على المِخلعة<sup>(1)</sup>. والسير سايمون هولارد قتلَه السير باريستان خلال هروب الملك. هكذا صودرت أراضي آل هولارد وهدمت قلعتهم وأحرقت قراهم، وكعائلة داركلين فنت عائلة هولارد.

- «باستثناء دونتوس».

- «صحيح. دونتوس الصَّغير كان ابن السير ستفون هولارد، توأم السير سايمون الذي مات قبل التَّحدِّي بسنواتٍ ولم يكن له دور فيه. أرادَ إيرس أن يضرب عُقَّ الصَّبي رغم ذلك، لكن السير باريستان سأله أن يعفو عنه، فلم يستطع الملك أن يرفض طلب الرَّجل الذي أنقذه، فأخذَ دونتوس إلى (كينجز لاندنج) كمُرافق، وعلى حدِّ علمي لم يرجع إلى (وادي الغسق) قط. ولم يفعل؟ إنه لا يملك أراضي هنا وليس له أهل أو قلعة. إذا كان دونتوس وتلك الفتاة الشَّمالية قد لعبا دورًا في اغتيال ملكنا الحبيب، فيبدو لي أنهما سيرغبان في أن يفصل أكبر عددٍ ممكن من الفراسخ بينهما وبين العدالة. ابحثي عنهما في (البلدة القديمة) إذا لزم الأمر، أو عبر (البحر الضيق)، ابحثي عنهما في (دورن) أو على (الجدار)، ابحثي في مكانٍ آخر»، ونهض المايستر مضيفًا: «أسمع غِدْفاني تصيح. أرجو أن تُعذِّريني وطاب يومك».

بدأت لها مسيرة العودة إلى الخان أطول من مسيرة الدَّهاب إلى (قلعة التَّبة)، وإن كان السَّبب مزاجها على الأرجح. واضح الآن أنها لن تجد سانزا ستارك في (وادي الغسق)، وإذا أخذها السير دونتوس إلى (البلدة القديمة) أو عبرَ بها (البحر الضيق) - كما يظنُّ المايستر - فمهمَّة بريان مستحيلة. قالت لنفسها: وما لها في (البلدة القديمة)؟ المايستر لا يعرفها أكثر مما يعرف هولارد. ما كانت لتذهب إلى غرباء.

في (كينجز لاندنج) وجدت بريان وإحدى من وصيفات سانزا السَّابقات تعمل غسَّالة في ماخور، وقالت لها المرأة بريلا شاكيةً بمرارة: «خدمتُ اللورد رنلي قبل الليدي سانزا، وكلاهما تحوَّل إلى خائن. لا أحد من السَّادة سيمسني الآن، لذا عليَّ أن أغسل ثياب المومسات»، لكن حين سألتها بريان

---

(1) المِخلعة آلة تعذيب تعود إلى العصور القديمة، بحيث يُربط الشَّخص على لوح خشبي وتشدُّ أطرافه بالحبال حتى تتفكك مفاصله وتمزق عضلاته. (المترجم).

عن سانزا أجاّبت: «سأقول لك ما قتله للورد تايوين. تلك الفتاة كانت تُصَلِّي دائماً، اعتادت أن تذهب إلى السِّبْت لِتُشْعِل شموعها كما يليق بكلّ ليدي، لكنها كانت تذهب إلى أَيْكَة الآلهة أيضاً كلّ ليلة تقريباً. لقد عادت إلى الشَّمال، إلى الشَّمال. إن آلهتها هناك».

على أن الشَّمال شاسع، وبريان تجهل من من حملة راية أبيها تميل سانزا إلى الثِّقة به أكثر من غيره. أم عساها سعت إلى لحمها ودمها؟ على الرغم من أن إختوتها قتلوا جميعاً، فبريان تعلم أن لسانزا عمّاً وأخاً نغلاً يخدمان في حرس اللّيل على (الجدار)، وهناك أيضاً خالها إدميور تلي الأسير في (التوأمتين)، لكن عمّه السير برايندن ما زال مسيطراً على (ريفررن)، وأخت الليدي كاتلين الصّغيرة تحكّم في (الوادي). الدّم يُنادي الدّم. ربما هرعت سانزا إلى أحدهم بالفعل، لكن إلى أيّهم؟

(الجدار) بعيد جداً من غير ريب، ثم إنه مكان كثيب موحش، وكي تبلغ الفتاة (ريفررن) عليها أن تقطع أراضي النّهر التي مزقتها الحرب وتمرّ من خطوط حصار لانستر. (العش) الخيار الأسهل، ولا بدّ أن الليدي لايسا سترحّب بابنة أختها...

أمامها انعطفت الرُّقاق. بشكل ما سلكت بريان مساراً خاطئاً، فوجدت نفسها في طريق مسدود، فناء صغير موحل تُنقّب فيه ثلاثة خنازير عن الطّعام حول بئر حجرية واطئة. قبع أحدها لمرآها، ورمقتها عجوز تسحب الماء بشكّ سائلة: «ماذا تريدين؟».

- «أبحث عن (السُّيوف السّبعة)».

- «عودي من حيث أتيت، يساراً عند السِّبْت».

قالت بريان: «أشكرك»، والتفتت لتعود أدراجها... وارتطمت مباشرة بشخص كان يُسرّع ليدور حول المنعطف. طرحته الصّدمة أرضاً، ووقع على مؤخرته في الوحل، فتمتمت: «معذرة». وجدته مجرد صبيّ نحيل له شعر خفيف مفروود ودُمّل تحت عينه. أضافت: «هل تأذيت؟»، ومدت يدها تُعاونه على النهوض، لكن الصّبي تراجع متملّصاً منها على كعبيه ومرفقيه. لا يُمكن أن سنّه تتجاوز العاشرة أو الثانية عشرة، على الرغم من أنه يرتدي سُترة من الحلقات المعدنيّة وعلى ظهره سيف طويل في غميدٍ جلدي. سألته بريان:

«هل أعرفك؟». بشكلٍ ضبابي يبدو وجهه مألوفاً، وإن لم تستطع أن تتذكَّر أين رآته من قبل.

قال: «لا، لا تعرفيني، إنك لم...»، ونهَضَ مواصلاً: «سسسامحيني يا سيديتي. لم أكن أنظرُ، أعني أُنِي كُنْتُ أنظرُ ولكن إلى أسفل، كنتُ أنظرُ إلى أسفل، إلى قدمي»، وأطلقَ ساقيه للريحِ عائداً إلى حيث جاء.

شيء ما فيه أثارَ شكوكَ بريان، غير أنها لم تكن لتُطارده في شوارع (وادي الغسق) بالطَّبع. ثم إنها تذكَّرت. خارج البوابة هذا الصَّبَاح، هناك رأيتَه. كان يمتطي حصاناً أرقط. ويُخَيِّلُ لها أنها رآته في مكانٍ آخر أيضاً، لكن أين؟

عندما عادت بريان إلى (السُّيوف السَّبعة) كانت القاعة العامَّة قد ازدحمت.

قُرب النَّار تجلس أربع سَيِّتوات في أُرديَّة لوثها وترَّبها الطَّرِيق، وفي باقي المكان يملأُ أهل البلدة الدُّكك ويُغمِّسون يخبنة السَّرطان البحري السَّاخنة بقطع من الخُبز. جعلت الرِّائحة بطنها يُقرقر، لكنها لم ترَ مقاعد شاغرة، ثم قال صوت من خلفها: «سيديتي، تفضُّلي، خُذي مكاني». حتى وثب من على الدُّكَّة لم تُدرك بريان أن المتكلِّم قزم. لا يبلُغ الرَّجُل الصَّغير الأقدام الخمسة طوِّلاً، وله أنفٌ منتفخ معرَّق وأسنانٌ محمَّرة من مضغ التَّبغ المُمر، ويرتدي الخيش البني كالإخوة المتديِّنين، ومن عنقه الثَّخين تتدلى مطرقة (الحدَّاد). قالت: «احتفظ بمقعديك. أستطيعُ الوقوف مثلك تماماً».

- «نعم، لكن رأسي ليس قميماً بأن يخبط السَّقْف». يتكلَّم القزم بخشونةٍ وإنما بكياسة، ورأت بريان قَمَّة رأسه التي حلقها كثيرٌ من الإخوة المتديِّنين الذين يُيقون هذه البُقعة جرداء. في مرَّةٍ قالت لها السَّيِّتة رويل إن الغرض من هذا أن يروا أنهم لا يُخفون شيئاً عن (الأب)، فسألتهَا بريان: «ألا يستطيع (الأب) أن يرى عبر الشَّعر؟». سؤاَلٌ سخيف. لطالما كانت طفلةً بطيئة الفهم، وكثيراً ما ردَّدت السَّيِّتة هذا، والآن تكاد تُشعرُ بالسَّخافة نفسها، ولذا أخذت مكان الرَّجُل الصَّغير في طرف الدُّكَّة وأشارت طالبةً اليخبنة، ثم التفتت تُشكِّر القزم، وقالت: «هل تخدم في دار عبادةٍ في (وادي الغسق) أيها الأخ؟».

أجاب الرَّجُل وهو يقضم من رغيفٍ من الخُبز: «كنتُ أخدمُ قُرب (بركة العذارى) يا سيديتي، لكن الذُّئاب أحرَّقوا المكان. أعدنا البناء قدر الإمكان، إلى أن أتى بعض المرتزقة. لا أدري رجال من كانوا، لكنهم أخذوا خنازيرنا

وقتلوا الإخوة. دسستُ نفسي في جذع شجرة أجوف واختبأتُ، لكن الآخرين كانوا أكبر حجمًا من أن يفعلوا مثلي. استغرقتُ وقتًا طويلًا حتى دفتهم جميعًا، لكن (الحدّاد) مدّني بالقوّة، وحين فرغتُ نَقَبْتُ عن القليل من المال الذي أخفاه الأخ الكبير وخرجتُ وحدي».

- «التقيتُ عددًا من الإخوة الذاهبين إلى (كينجز لاندنج)».

- «نعم، هناك مئات على الطُّرق، وليسوا إخوةً فقط، بل سِبتونات وعوام أيضًا، كلُّهم عصافير. ربما أكون عُصفورًا أيضًا. لقد خلقتني (الحدّاد) صغيرًا، وفهقه الرّجل الصّغير، وأردف: «وما حكايتكِ الحزينة يا سيّديتي؟».

- «أبحثُ عن أختي. إنها رفيعة النّسب، في الثالثة عشرة فقط، بنت جميلة لها عينان زرقاوان وشعر كستنائي. لعلّك رأيتها مسافرةً مع رجل، فارس أو ربما مهرّج. هناك ذهب لمن يُساعدني على العثور عليها».

منحها الأخ ابتسامَةً حمراء، وقال: «ذهب؟ يكفيني وعاء من هذه اليخنة كمكافأة، لكنني أخشى أنني لا أستطيعُ مساعدتكِ. من المهرّجين قابلتُ الكثير، لكن من البنات الحسنאות فلا»، ثم مالَ برأسه إلى الجانب وتفكّر لحظةً، ثم أضاف: «تذكّرتُ الآن أنني رأيتُ مهرّجًا في (بركة العذارى). كان يرتدي أسمالاً متسخةً على حدِّ ما رأيتُ، لكن تحت الوسخ ارتدى ثياب مهرّجين».

هل كان دونتوس هو لارد يرتدي ثياب المهرّجين؟ لا أحد قال لبريان إنه يرتديها... لكن لا أحد قال لها العكس كذلك. لكن لماذا يرتدي الرّجل الأسمال؟ هل حاقت به بليّة ما هو وسانزا بعدما قرأ من (كينجز لاندنج)؟ وارد جدًّا في ظلّ الأخطار التي تكتنف الطُّرق. وربما لم يكن هو أصلًا. «هل كان لهذا المهرّج أنف أحمر مليء بالعروق الزّرقاء؟».

- «لا يمكنني أن أجزم بذلك. الحقيقة أنني أعرتّه انتباهًا قليلًا. لقد ذهبتُ إلى (بركة العذارى) بعد أن دفنتُ إخوتي مفكّرًا أنني قد أجدُ سفينةً تحملني إلى (كينجز لاندنج)، ورأيتُ المهرّج أول مرّة على أرصفة الميناء. كان له طابع ماكر، وحرص على أن يتحاشى جنود اللورد تارلي، وبعدها صادفته ثانية في (الإوزة التّنتة)».

ردّدت حائرة: «(الإوزة التّنتة)؟».

أجاب القرم: «مكان كريه. رجال اللورد تارلي يقومون بدوريات حول

الميناء في (بركة العذارى)، لكن (الإوزة) مليئة بالبحّارة دومًا، والبحّارة معروفون بتهريب النَّاس على أسطح سُفنهم إذا كان الثَّمَن مناسبًا. المهرِّج كان يبيح عن مسلكٍ لثلاثة عبر (البحر الضيّق). كثيرًا ما رأيتُه هناك يتكلم مع ملاحِي القوادس، وأحيانًا كان يُعنيّ أغاني طريفةً.

- «يبحث عن مسلكٍ لثلاثة لا اثنين؟».

- «ثلاثة يا سيّدي، أقسمُ على هذا بالآلهة السّبعة».

ثلاثة، سانزا والسير دونتوس... ومن الثالث؟ العفريت؟ «هل وجد المهرِّج سفينة؟».

قال لها القزم: «لا أدري، لكن في ليلة زار بعض جنود اللورد تارلي الحانة يبحثون عنه، وبعدها بأيام قليلة سمعتُ رجلًا يقول مزهواً إنه خدع مهرِّجًا وإن معه الذهب الذي يُبْتُّ هذا. كان سكران وبيتاع المِرز للجميع».

- «خدع مهرِّجًا. ماذا يعني؟».

- «أجهل الإجابة، لكن اسمه ديك الرّشيق، أذكرُ هذا»، وبسطَ القزم كفيه، وقال: «أخشى أن هذا هو كلُّ ما أستطيعُ أن أقدمه لك، بالإضافة إلى دعوات رجل صغير».

مُصدّقًا لكلمتها اشتريت له بريان وعاءً من يخنة السّرطان السّاخنة، بالإضافة إلى خُبز طازج وكوبًا من النّبِيذ، وإذ أكل الرّجل وهو واقف إلى جوارها فكّرت مليًا في ما أخبرها به. أيُمكن أن العفريت انضمَّ إليهما؟ إذا كان تيريون لانستر وليس دونتوس هولارد وراء اختفاء سانزا، فمن المنطقي أن يلوذا بالفرار عبر (البحر الضيّق).

حين فرغ الرّجل الصّغير من وعاء الخينة أنهى ما تبقى في وعائها أيضًا، وقال لها: «المفترض أن تأكلي أكثر. امرأة كبيرة مثلك عليها الاحتفاظ بطاقتها. المسافة إلى (بركة العذارى) ليست طويلةً، لكن الطّرق محفوفة بالمخاطر هذه الأيام».

أعرفُ على هذا الطّريق تحديدًا مات السير كليوس فراي وأسرّها الممثلون السّفّاحون مع السير چايمي. حاولَ چايمي أن يقتلني على الرغم من وهنه وهزاله والأصْفاد التي قيّدت معصميه. ومع كلِّ هذا كادَ يغلبها، لكن ذلك كان قبل أن يبتُر زولو يده. كان زولو ورورچ وشاجويل ليغتصبوها

نصفمئة مرّة لولا أن السير چایمی قال لهم إنها تستحقّ وزنها من الياقوت الأزرق.

قال القزم: «سیدتی؟ تبدين حزينه. هل تُفكرين في أختك؟»، وربّت على يدها، وأتبع: «(العجوز) ستُتير طريقك إليها، لا تخافي، و(العدراء) ستحفظها».

- «أدعو أن تكون محقّاً».

ردّ: «إني محقٌّ»، ثم انحنى قائلاً: «لكن عليّ الآن أن أنصرف. ما زال أمامي طريق طويل قبل أن أبلغ (كينجز لاندنج)».

- «هل تملك حصاناً؟ أو بغلاً؟».

ضحك الرّجل الصّغير، وجاوب: «بغلان، ها هما ذان في طرفي ساقي. إنهما يوصّلا نني إلى حيث أبغي الذهاب»، وانحنى ثانية ثم أتجه إلى الباب متميّلاً مع كلّ خطوة.

ظلتّ جالسةً إلى المائدة بعد ذهابه وقد أطرقت ومعها كوب من النّبيذ المخفّف بالماء. لا تشرب بريان النّبيذ كثيراً، وإن وجدت من فترة طويلة إلى فترة طويلة أنه يُساعد على تهدئة معدتها. سألت نفسها: وأين أريدُ أنا أن أذهب؟ إلى (بركة العذارى) لأبحث عن رجلٍ اسمه ديك الرّشيق في مكانٍ اسمه (الإوزة النّتنة)؟

حين رأت (بركة العذارى) آخر مرّة كانت البلدة خراباً، وكان سيدها حبيس قلعته وأهلها موتى أو هربوا أو مختبئين. تذكّرت المنازل المحروقة والشوارع الخالية والبوابات المحطّمة والكلاب الضّارية التي مشّت خلسةً وراء خيولهم، بينما طفّت الجُثث المنتفخة كزنايق ماءٍ شاحبة ضخمة على سطح البركة التي يُغذيها ينبوع واستمدّت البلدة منها اسمها. چایمی غنى (ست عذارى في بركة)، وضحك حين طلبتُ منه أن يصمّت. ثم إن راندل تارلي في (بركة العذارى) الآن أيضاً، وهو سبب آخر لتحاشي البلدة. ربما الأفضل لها أن تستقلّ سفينةً إلى (بلدة النّوارس) أو (الميناء الأبيض). ويُمكّني أن أفعل هذا وذاك، أزور (الإوزة النّتنة) وأتكلّم مع المدعو ديك الرّشيق، ثم أجد سفينةً هناك تأخذني شمالاً أكثر.

بدأت القاعة العامّة تفرّغ، ومزّقت بريان قطعةً من الخبز نصفين وأصغّت

إلى الكلام الدائر على الموائد الأخرى، والذي كان معظمه عن موت اللورد تايوين لانستر.

قال أحد سُكَّانِ البلدة يبدو من منظره أنه إسكافي: «يقولون إن ابنه قتله، ذلك القزم الصَّغير الآثم».

أضافت كُبرى السَّبتوات الأربع: «والملك مجرد صبي صغير. مَنْ سيحكِّمنا حتى يبلغ؟».

قال أحد الحرس: «أخو اللورد تايوين، أو ربما اللورد تايرل، أو قاتل الملك».

أعلن صاحب الخان: «ليس هو، ليس ذلك الحانث بالقسم»، وبصق في النار.

أفلتت بريان الخبز من يديها ومسحت الفُتات على سراويلها ونهضت. لقد سمعت ما فيه الكفاية.

ليلتها في المنام رأت نفسها في خيمة رنلي ثانية. الشموع كلها تنطفئ والبرد قارس حولها، وثمة شيء ما يتحرك في الظلمة الخضراء، شيء كريبه مربع ينقض على مليكها. أرادت أن تحميه، لكنها أحست بأطرافها يابسة متجمدة، ومجرد رفع يدها تطلب قوة أكبر مما تملك، وحين شقَّ السيفُ الظلُّ وافي العنق الفولاذي الأخضر وبدأت الدماء تتدفق رأت أن الملك المحتضر ليس رنلي على الإطلاق وإنما چايمي لانستر، ولقد خذلته.

وجدتها أخت قائد البوابة في القاعة العامة تشرب كوبًا من الحليب المخلوط بالعسل وثلاث بيضات نيئة، وعندما أرتها المرأة الترس المطلي قالت لها: «عمل جميل». المرسوم أقرب إلى صورة من رمز، وقد أعادها منظرها عبر السنين الطوال إلى ظلام مستودع سلاح أبيها البارد، وتذكرت كيف مررت أناملها على الطلاء الباهت المتشقق، على أوراق الشجرة الخضراء وعلى مسار نجم هوى.

زادت بريان الرَّسامة نصف الأجر الذي اتفقتا عليه، وعلقت الترس على كتفها حين غادرت الخان، بعد أن ابتاعت القليل من الخبز الجامد والجبن والطحين من الطاهي، ثم إنها خرجت من البلدة من البوابة الشماليَّة وركبت



على مهل وسط الحقول والمزارع التي دارَ فيها السَّواد الأفتح من القتال حين هاجمَ الذُّئاب (وادي الغسق).

حينئذٍ كان اللورد راندل تارلي يقود جيش چوفري المكوّن من رجال الغرب وأراضي العواصف وفُرسان (المرعى)، ومَن ماتوا من رجاله هنا حُمِلوا إلى داخل البلدة ليستريحوا في قبور الأبطال تحت سِبتات (وادي الغسق)، أمّا موتى الشماليين فُدْفِنوا في مقبرة جماعيّة تطل على البحر، وفوق الرُّكام الذي يُعيّن مكان رقودهم رفع المنتصرون لافتةً تقليديّةً من الخشب كُتِبَ عليها «هنا يرقد الذُّئاب» لا غير. توقّفت بريان إلى جوار المقبرة وردّدت صلاةً صامتةً لهم ولليدي كاتلين ستارك وابنها روب وجميع من ماتوا معهما. عادت بذاكرتها إلى الليلة التي بلغ فيها الليدي كاتلين خبر موت ابنيها، الصّبيّين الصّغيرين اللذين تركتهما في (ويتترفل) حفاظًا على أمنهما. ساعتها علمت بريان أن حدثًا جلدًا قد وقع، وسألّت الليدي كاتلين إن كانت هناك أنباء عن ابنيها، فأجابّت: «ليس لي أبناء غير روب». تكلمت كأنما يتلوى سكين في أعماقها، ومدّت بريان يدها عبر المائدة رغبةً في مواساتها، لكنها توقّفت قبل أن تمسّ أصابعها أصابع المرأة التي كانت تكبرها سنًا. قلبت الليدي كاتلين يديها لتريها الندوب في كفيها وأصابعها حيث انغرس خنجر في عمق لحمها، ثم شرعت تتكلّم عن ابنتها، فقالت: «سانزا ليدي صغيرة، شديدة الكياسة دائمًا وتواقّة لإسعاد من حولها، ولم تُغرَم بشيء قط كغرامها بحكايات الفُرسان ومآثرهم الشجاعة. ستكبر لتصبح امرأة أجمل مني بكثير، وهذا واضح في ملامحها. كثيرًا اعتدتُ أن أصفّف شعرها بنفسي. شعرها كسنتائي، وشديد الكثافة والنُعمة... ما فيه من أحمر يعكس ضوء المشاعل فيتألّق كالنحاس».

تكلمت أيضًا عن آريا، ابنتها الصّغرى، لكن آريا مفقودة، وعلى الأرجح ماتت، أمّا سانزا... أقسمت بريان لشبح الليدي كاتلين القلق: سأعثرُ عليها يا سيديتي. لن أكفّ عن البحث أبدًا. سأدفعُ حياتي ثمنًا إذا لزم الأمر، سأتخلّى عن شرفي وعن أحلامي كلّها، لكنني سأعثرُ عليها. وراء أرض المعركة يمتدُّ الطريق موازيًا للسّاحل، بين البحر الأخضر الرّمادي بأواجه المتلاطمة وخطّ تلال الجير المنخفضة. ليست بريان

وحدها المسافرة على الطَّرِيق، فهناك فُرى صيد تنتشر على السَّاحل لعدَّة فراسخ، وَيَسْلُك الصَّيَّادون هذا الطَّرِيق ليأخذوا أسماكهم إلى السُّوق. قابلت بائعة سَمَك وبناتها وهن عائدات إلى بيتهن وقد حملن السَّلال الفارغة على الأكتاف، وبسبب دِرْعها حسبنها فارسًا حتى رأين وجهها، ثم راحَت الفتيات يتهاَمسن ويَرْمُقنها بنظراتٍ فضوليَّة، لكنها سألتهن: «هل رأيتن بنتًا في الثالثة عشرة على الطَّرِيق؟ بنتًا رفيعة النَّسب بعينين زرقاوين وشعر كستنائي؟». لقد دفعها السير شادريك إلى توخِّي الحذر، ولكن لم يزل عليها أن تُحاول. «ربما كانت مسافرةً مع مهرِّج». لم تُجرِ الفتيات جوابًا غير هَزْرؤوسهن نفيًا والضَّحك منها من وراء ظَهرها.

في القرية الأولى جرى الصَّيبة حُفاة الأقدام إلى جوار فرسها، وكانت قد اعتمرت خوذتها متألِّمة من ضحك الصَّيَّادات، فحسبها الآخرون رجلاً. عرض أحد الصَّيبة أن يبيعه المحار، وعرض آخر السَّرطان، وعرض ثالث أخته.

اشترت بريان ثلاثة سرطانات من الصَّيبي الثاني، ولدى خروجها من القرية كان المطر قد بدأ يسقط والريِّح تشتدُّ، فألقت نظرةً صوب البحر مفكِّرةً: ثمة عاصفة وشيكة. دقت قطرات المطر فولاذ خوذتها ورنَّت في أذنيها وهي راكبة، إلا أن هذا ما زال أفضل من أن تكون على قاربٍ في البحر الآن.

بعد ساعةٍ من توغُّلها شمالاً وجدت الطَّرِيق ينقسم عند كومةٍ من الحجارة تنمُّ عن كونها أطلال قلعةٍ صغيرة. يمضي الفرع الأيمن مع السَّاحل ويتعرَّج نحو (الرَّأس المتصدِّع)، وهي منطقة موحشة مملأى بالمستنقعات وأراضي الصَّنوبر القاحلة، والفرع الأيسر يشقُّ التلال والحقول والغابات إلى (بركة العذارى). كان المطر ينهمر بغزارةٍ أكثر عندئذٍ، فترجَّلت بريان وقادت فرسها بعيداً عن الطَّرِيق لتجد مأوى بين الأطلال. ما زالت حدود أسوار القلعة قابلةً للتمييز وسط العَلْيِق والحشائش وشجر الدردار البرِّي، لكن الأحجار التي شيدت بها قديمًا متناثرة الآن بين الطَّرِيقين كمكعبات الأطفال، وإن ظلَّ جزء من الحصن الرِّئيس قائمًا، أبراجه الثلاثة من الجرانيت الرِّمادي كالأسوار المهذومة، وشُرَّافاتها<sup>(1)</sup> من الحجر الرَّملي الأصفر، وإذ تطلعت إليها بريان

(1) الشُّرَّافات هي الزُّوائد الحجرية التي تُبنى وبينها فراغات على قمم الأبراج والأسوار والحصون. (المترجم).

أدرکت کنهها وفکرت: ثلاثة تيجان، ثلاثة تيجان ذهبية. كانت هذه قلعة عائلة هولارد، وغالباً وُلِدَ السير دونتوس هنا.

قادت الفرس وسط الدبش إلى مدخل الحصن الرئيس. من الباب لم يتبقي إلا المفصلات الحديد الصلدة، لكن السقف لا يزال سليماً، والمكان جاف في الداخل. ربطت بريان الفرس بحامل مشاعل في الجدار وخلعت خوذتها ونفضت شعرها، وكانت تبحث عن حطب جاف لإشعال نار حين سمعت صوت حصانٍ آخر يقترب. دفعتها غريزة ما إلى التراجع بين الظلال حيث لا يراها أحد من الطريق. إنه الطريق عينه الذي وقعت عليه في الأسر مع السير چايمي، ولا تنوي أن تسمح لهذا بالتكرار.

تبينت أن الراكب رجل صغير الحجم، وما إن رآته فكرت: الفأر المجنون، تبني بوسيلة ما. امتدت يدها إلى مقبض سيفها، ووجدت نفسها تتساءل إن كان السير شادريك يخالها لكمة سائغة لمجرد أنها امرأة. لقد ارتكب أمين قلعة اللورد جرانديسون الخطأ نفسه من قبل. كان اسمه همفري واجستاف، عجوز متكبر في الخامسة والستين له أنف كمنقار الصقر ورأس أصلع مبقع، ويوم خطبتهما حذر بريان قائلاً إنه يتوقع منها أن تكون امرأة قويمة فور أن يتزوجا، وأضاف: «لن أسمح للسيدة زوجتي بأن تعبت وتلهو مرتدية دروع الرجال. في هذا ستطعينني وإلا أجبرني على تأديبك».

كانت في السادسة عشرة آنذاك وليست السيف غريبة عليها، ولكن خجلت أيضاً على الرغم من براعتها الفائقة في الساحة، ومع هذا وجدت بطريقة ما الشجاعة الكافية لأن تقول للسير همفري إنها لن تقبل التأديب إلا من رجل قادر على هزيمتها في النزال، فاربذ وجه الفارس العجوز لكنه وافق على ارتداء درعه ليُعَلِّمها مقام النسوة، وتنازل الاثنان بأسلحة المباريات الثلثة، فاستخدمت بريان هراوة بلا بروزات. يومها كسرت رقوة السير همفري واثنين من ضلوعه واضعة بهذا نهاية خطبتهما، وكان الرجل زوجها المنظور الثالث والأخير، ولم يصر أبوها ثانية على زواجها.

إذا كان السير شادريك هو من يتعقبها فعلاً فلربما تكون على وشك القتال. إنها لا تنوي أن تُشارك الرجل بحثه عن سانزا أو تتركه يتبعها إليها.

إنه يتَّسم بتلك الغطرسة التي تتاب المهرة في السَّلاح بسهولة، لكن حجمه صغير. مدى ذراعي أوسع منه، ولا بُدَّ أنني أقوى أيضًا.

بريان قويَّة كأكثر الفُرسان، وقد اعتادَ قِيَم السَّلاح الذي علَّمها قديمًا أن يقول إنها أسرع مما يُمكن أن تكون أيُّ امرأةٍ بحجمها، كما أن الآلهة أنعمت عليها بقوة الاحتمال أيضًا، وهو ما عدَّه السير جودوين موهبةً ثمينةً، فالقتال بالسَّيف والثُّرس عمل متعب، وكثيرًا ما ينال النُّصر من يتمتَّع بجِلْدٍ أكثر. علَّمها السير جودوين أن تُقاتل بحذر، أن تدَّخر طاقتها بينما تتركُ خصومها يستهلكون طاقتهم في الهجمات الضَّارية، وقال لها: «سيبخس الرُّجال قدرك دومًا، وستجعلهم كبرياؤهم يرغبون في هزيمتك سريعًا خشية أن يُقال إن امرأةً أرهقتهم ودوَّختهم». تعلَّمت بريان حقيقة تلك المقولة حالما خرجت إلى العالم، وحتى چايمي هاجمها بتلك الطَّريقة في الغابة قُرب (بركة العذارى)، وإذا شاءت الآلهة سيقع الفأر المجنون في الخطأ ذاته. قالت لنفسها: ربما يكون فارسًا متمرِّسًا لكنه ليس چايمي لانستر، واستلَّت سيفها من غِمده.

لكن الذي توقَّفت عند مفترق الطَّريق ليس جواد السير شادريك الحربي الكستنائي، وإنما حصان أرقط عجوز بائس يمتطيه صبيُّ نحيل، ولَمَّا رأت بريان الحصان تراجعت بارتباكٍ مفكِّرةً: مجرد صبي، إلى أن لمحت الوجه تحت القلنسوة. الصَّبي الذي ارتطم بي في (وادي الغسق)، إنه هو.

لم يرفع الصَّبي ناظره إلى القلعة المتهدِّمة على الإطلاق، بل تطلَّع إلى أحد الطَّريقين ثم الثاني، وبعد هنيهة تردَّد وجه الحصان نحو التلال وعاد يتحرَّك، وبينما شاهدته بريان يختفي في المطر المنهمر تذكَّرت بغتة أنها رأت ذلك الصَّبي في (روزبي). إنه يتبعني خلسةً، لكنها لُعبة يستطيع أن يلعبها اثنان. هكذا حلت رباط فرسها وامتطتها وتحركت وراءه.

أبقى الصَّبي عينيه على الأرض وهو راكب، يُحدِّق إلى الحُفر في الطَّريق وهي تمتلئ بالماء. كتم المطر صوت حوافر فرسها، ولا بُدَّ أن قلنسوة الصَّبي لعبت دورًا أيضًا، فلم ينظر وراءه ولو مرَّة، حتى لحقت به بريان وضربت حصانه على الكفل بالجانب المسطح من سيفها الطَّويل، ليرفع الحصان قائمته الأماميتين ويطيِّر راكبه من فوق متنه ومعطفه يُرفرف كجناحين على جانبيه. سقط الصَّبي في الوحل، ثم رفع وجهه وبين أسنانه الأوساخ والعُشب

البني الميت ليجد بريان واقفة فوقه. أدركت أنه الصبي نفسه دون شك وقد تعرّفت الدُمَل تحت عينه، فسألته: «من أنت؟».

تحرك فم الصبي بلا صوت، واتسعت عيناه حتى صارتا كبيضتين، ولم يستطع أن يقول إلا: «پوه، پوه»، وارتجف لتخشخش سترته المعدنية وهو يكرّر: «پوه، پوه».

قالت بريان: «ماذا تقول؟»، ووضعت رأس سيفها على تفاحة حلقة مردفة: «أرجوك أخبرني من أنت ولم تتبعني».

دس الصبي إصبعًا في فمه ونقر كتلة من الطين، ثم قال: «پوه-پوه-پود، اسمي، پوه-پوه-پودريك، پوه-پاين».

خفضت بريان سيفها وقد غمرها التعاطف مع الصبي، وتذكرت يومًا في (بهو المساء) وفارسًا شابًا بوردة في يده. أحضر الوردة ليُعطيني إياها. أو أن هذا ما أخبرتها به سيبتها. لم يكن عليها سوى أن تُرحّب به في قلعة أبيها. كان في الثامنة عشرة، وله شعر أحمر طويل ينسدل على كتفيه، وكانت هي في الثانية عشرة، ترتدي فستانًا يابسًا جديدًا محكمًا على جسدها ويُرّين صدره العقيق الأحمر. الاثنان كان طولهما واحدًا تقريبًا، إلا أنها لم تستطع أن تنظر في عينيه أو تُردّد الكلام البسيط الذي علّمتها سيبتها إياه. سير رويت، مرحبًا بك في دار السيد والدي. يسرّني أن أرى وجهك أخيرًا.

سألت الصبي: «لماذا تتبني؟ هل قيل لك أن تتجسّس عليّ؟ هل تخدم فارس أم الملكة؟».

- «لا، لا هذا ولا تلك، لا أحد».

قدّرت بريان أنه في العاشرة، وإن كانت خائبة تمامًا في تقدير أعمار الأطفال، ولطالما حسبتهم أصغر من سنّهم الفعلية، ربما لأنها كانت أكبر حجمًا من سنّها طيلة حياتها، «كبيرة على نحوٍ ممسوخ ومسترجلة» على حدّ تعبير السبّته رويل. قالت له: «هذا الطريق أخطر من أن يسلكه صبي بمفرده».

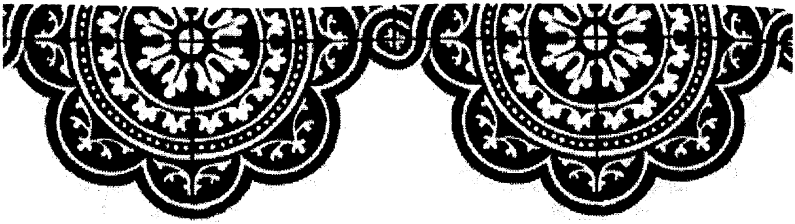
- «ليس إذا كان مرافقًا. إنني مرافقه، مرافق اليد».

أعمدت بريان سيفها متسائلة: «اللورد تاوين؟».

- «لا، ليس ذلك اليد، الذي قبله، ابنه. لقد قاتلت معه في المعركة، وصحت: النصف رجل! النصف رجل!».

مُرافق العفريت. كانت بريان تجهل أن عنده واحدًا، فتيريون لانستر ليس فارسًا. من الوارد على ما تعتقد أن يكون عنده خادم أو اثنان يُلبَّيان طلباته، ووصيف وساقية وأحد يُساعده على ارتداء ثيابه... لكن مُرافق؟ «لماذا تتبعني؟ ماذا تُريد؟».

نهض الصَّبي قائلاً: «لأجدها، سيِّدته التي تبحثين عنها. بريلا قالت لي. إنها زوجته، الليدي سانزا لا بريلا، فخطر لي أنك ربما تُعثرين عليها...»، والتوت قسماته بأسى مفاجئ، وكرّر والمطر يسيل على وجهه: «إنني مُرافقه... لكنه تركني!».



## سانزا

ذات مرّة في طفولتها مكث مغنّ متجول معهم في (ويتترفل) نصف عام. كان عجوزًا مبيض الشعر له وجنتان لوّحتهما الرّيح، لكنه غنى عن الفُرسان والمغامرات والحسناوات، ولمّا حان وقت رحيله بكت سانزا بمرارة وتوسّلت إلى أبيها ألا يسمح له بالذهاب، إلّا أن اللورد إدارد قال لها برّفق: «الرّجل غنى لنا كلّ أغنيّة يعرفها أكثر من ثلاث مرّات، ولا يُمكنني أن أبقيه هنا ضد إرادته. لكن لا داعي لبكائك. أعدك بأن مغنّين آخريّن سيأتون».

لكن أحدًا لم يأت طيلة عام أو أكثر. صلّت سانزا للآلهة السبعة في سبّتها ولآلهة شجرة القلوب القديمة سائلة إياها أن تُعيد العجوز، أو - وهذا أفضل - أن تُرسل مطربًا آخر شابًا ووسيمًا، لكن الآلهة لم تُجب، وظلّ الصّمت يُخيّم على قاعات (ويتترفل).

كان ذلك وهي فتاة صغيرة حمقاء، أمّا الآن فهي شابّة في الثالثة عشرة تفتّحت زهرتها، تمتلئ لياليها كلّها بالأغاني، وبالنهار تُصليّ مستجدية الصّمت.

لو كانت (العُش) كسائر القلاع لما سمع غناء الرّجل الميّت إلّا السّجّانون والجرذان، فجدران الرّنازين التّقليديّة سميكة بما يكفي لا ابتلاع الأغنيّات والصّرخات على حدّ سواء، على عكس زنازين السّماء التي لها جدار من الهواء، ولذا تنساق كلّ نغمة يعزفها الرّجل الميّت حرّة لتتردّد أصداؤها على مناكب الجبل المسمّى (رُمح العملاق). والأغاني التي يختارها... دائمة يُعنى عن رقصة التّنانين وعن چونكويل ومهرّجها، عن چيني بنت (الحجر

العتيق) وأمير (قلعة اليعاسيب)، عن خياناتٍ واغتيالاتٍ أئمة ورجالٍ معلّنين من المشائق وانتقاماتٍ دامية، يُعني عن الحُزن واللوعة.

أينما ذهبَت في القلعة لا تجدُ سانزا مفراً من الموسيقى. دوماً تنجرف من أسفل وتصعد سلالم البرج الملتفة، فتجدها عاريةً في حمامها، وتتناوَل معها العشاء عند الغسق، وتتسلل إلى عُرفة نومها حتى عندما تُحَكِم إغلاق النافذة. تأتيها الموسيقى محمولةً على الهواء البارد، وكالهواء تبعث جسدها على القشعريرة. على الرغم من أن الثلج لم يسقط على (العُش) منذ يوم سقوط الليدي لايسا فالليالي كلها هنا قارسة البرودة.

صوت المغني قويٌّ وعذب، وتظنُّ سانزا أنه أفضل من قبل أيضاً، أنه بشكل ما أغنى، مفعم بالألم والخوف والاشتياق، لكنها لا تفهم لماذا وهبت الألهة صوتاً كهذا لرجل شريرٍ مثله، واضطرت إلى أن تُذكر نفسها قائلة: كان سيأخذني عنوةً ونحن في (الأصابع) لولا أن بيتر كلّف السير لو ثور بالعناية بي، وعزفَ موسيقاه لتطغى على صرخي حين حاولت الخالة لايسا أن تقتلني.

لكن هذا لم يجعل سماع الغناء أسهل، حتى إنها قالت للورد بيتر متوسّلةً: «أرجوك، ألا يمكنك أن تجعله يتوقّف؟».

- «لقد أعطيتُ الرجل كلمتي يا حلوتي»، قالها بيتر بايلش، سيّد (هارنهال) وسيّد أراضي (الثالوث) الأعلى والورد حافظ (العُش) و(وادي آرن)، ورفع عينيه عن الرسالة التي يكتبها. كان قد كتب زهاء مئة رسالة منذ سقطة الليدي لايسا، ورأت سانزا الطيور تُحلّق من المغدفة وإليها. «أفضّل أن أتحمّل غناه على أن أسمع نحيبه».

الأفضل أن يُعني، نعم، ولكن... «أ يجب أن يظلّ يعزف طيلة الليل يا سيدي؟ اللورد روبرت لا يستطيع النوم. إنه يبكي...».

قاطعها بيتر: «... أمّه، ولا شيء يُمكننا أن نفعله حيال هذا. المرأة ماتت»، وهزّ كتفيه مضيئاً: «لن يطول الأمر كثيراً. اللورد نستور سيصعد الجبل غداً». التقت سانزا اللورد نستور رويس مرّةً من قبل بعد زفاف بيتر وخالتها. رويس هو وليُّ (بوابات القمر)، القلعة العظيمة القائمة عند سفح الجبل وتحرس الدراجات الصاعدة إلى (العُش)، وقد نزلَ حاضرو الرّفاف ضيوفاً



عنده ليلة قبل أن يبدأوا رحلة الصعود. ليلتها لم يُكَلِّف اللورد نستور نفسه النظر إليها مرتين، لكن فكرة مجيئه هنا تُرعبها. إنه وكيل (الوادي) الأعلى أيضًا، تابع جون آرن والليدي لايسا المؤتمن. قالت: «إنه لن... إنك لن تدع اللورد نستور يرى ماريليون، أليس كذلك؟».

لا بُدَّ أن رُعبها لاح على وجهها، لأن بيتر وضع ريشة الكتابة، وقال: «بالعكس، سأصرُّ على أن يراه»، وأشار لها بالجلوس على مقعد مجاور له، وتابع: «أنا وماريليون عقدنا اتفاقًا. من شأن مورد أن يكون مقنعًا للغاية في الحقيقة، وإذا خيَّب مطربنا العزيز أملنا وغنى أغنيته لا تُريد أن نسمعها، فما عليّ أنا وأنتِ إلا أن نقول إنه كاذب. من تخالين اللورد نستور سيُصدِّق؟».

قالت سانزا وهي تتمنى لو تتأكَّد: «نحن؟».

- «بالطبع، لأن كذبنا سيُفيده».

كانت الغرفة الشمسية دافئة والنار تُطقطق على نحو مبهج، لكن سانزا ارتجفت رغم ذلك، وقالت: «نعم، لكن... ماذا لو...».

قال بيتر: «ماذا لو وضع اللورد نستور الشرف فوق المصلحة؟»، ووضع ذراعه حولها مواصلاً: «ماذا لو أنه يبغى الحقيقة والعدالة لسيدته القتيلة؟»، وأضاف مبتسمًا: «إنني أعرف اللورد نستور يا حلوتي. أتصورين أنني سأسمح له بإيذاء ابنتي؟».

لستُ ابنتك، إنني سانزا ستارك ابنة اللورد إدارد والليدي كاتلين ودم (وينتر فل). لكنها لم تقل هذا. لولا بيتر بايلش لكانت سانزا نفسها التي هوت ستمئة قدم في فراغ السماء الزرقاء الباردة إلى ميتة حجرية بدلًا من لايسا آرن. يالجرأته. تتمنى سانزا لو أنها تتحلَّى بشجاعته، لكنها لا تُريد إلا أن تعود إلى الفراش وتختبئ تحت دثارها وتغيب في نوم عميق. إنها لم تنم ليلة كاملة منذ ماتت لايسا آرن. «ألا يمكنك أن تقول للورد نستور إنني متوعدة... أو...».

- «سيريد أن يسمع شهادتك على موت لايسا».

- «سيدي، إذا... إذا قال ماريليون الحق...».

- «تعنين إذا كذب؟».

- «كذب؟ نعم... إذا كذب، إذا كانت كلمتي ضد كلمته ونظر اللورد

نستور في عيني ورأى كم أنا خائفة...».

- «لن تكون لمحة من الخوف في غير محلّها يا إليني. لقد رأيت شيئاً مخيفاً، وسيتأثر نستور»، وتفرّس بيتر في عينيها كأنه يراها للمرة الأولى، وأردف: «إن لك عيني أمك، عينين صادقتين بريئتين، زرقاوين كبحر تُثيره الشمس. عندما تكبرين قليلاً سيغرق رجال كثر في هاتين العينين». لم تدرِ سانزا بم تردّد، وأكمل هو: «ما عليك إلا أن تحكي للورد نستور الحكاية نفسها التي حكيتها للورد روبرت».

روبرت مجرد صبي صغير سقيم. اللورد نستور رجل ناضج، صارم وشكّاك. روبرت ليس قويّاً ولا بُدّ من حمايته، حتى من الحقيقة، وكان بيتر قد قال لها مطمئناً إن بعض الأكاذيب حُب، فذكرته بهذا الآن قائلة: «عندما كذبنا على اللورد روبرت كان هذا لنغنيه عن الألم».

قال بيتر: «وهذه الكذبة تُغنينا أيضاً عنه، وإلا سنُغادر أنا وأنتِ (العُش) من الباب نفسه كلايسا»، وعادَ يلتقط ريشته مضيقاً: «سنسقيه الأكاذيب ونبيذ (الكرمة) الذهبي وسيشرب ويطلب المزيد، هذا وعد».

أدركت سانزا أنه يسقيها الأكاذيب أيضاً، وإن كانت أكاذيب مريحة، وتحسب أن النية منها الرّافة. ليست الأكاذيب بهذا السوء ما دامت النية منها الرّافة. ليتها فقط تُصدّقها...

لا تزال الأشياء التي قالتها خالتهما قبيل سقوطها تُزعج سانزا، لكن بيتر وصفها بالهذيان، وقال: «زوجتي كانت مجنونة وقد رأيت هذا بنفسك». وهو ما رآته سانزا بالفعل. كل ما فعلته أني بنيت قلعة من الثلج، وأرادت هي أن تدفعني من (باب القمر). بيتر نجدني. لقد أحبّ أمي كثيراً،... ويحبّها؟ كيف يُخالجها شكّ في هذا؟ لقد أنقذها.

همس صوت في داخلها: لا، بل أنقذ إليني ابنته. لكنها سانزا أيضاً... وأحياناً يترأى لها أن حضرة اللورد الحافظ شخصان أيضاً. إنه بيتر، حاميتها الودود الطريف الرقيق، لكنه الإصبع الصّغير كذلك، اللورد الذي عرفته في (كينجز لاندنج)، يتسم بخبث ويملس على لحيته وهو يهمس في أذن الملكة سرسي... والإصبع الصّغير ليس صديقها. حين جعلهم چوف يضرّبونها دافع عنها العفريت لا الإصبع الصّغير. حين حاول الدّهماء اغتصابها حملها إلى الأمان كلب الصّيد لا الإصبع الصّغير. حين أكرهها آل لانستر على الزّواج

بتيريون واساها السير جارلان الهمام لا الإصبع الصغير. الإصبع الصغير لم يرفع ولو إصبعه الصغير ليساعدها قط.

إلا عندما أخرجني. هو من فعل هذا من أجلي. ظننتُ السير دونتوس وراء الأمر، فارسي فلوريان العجوز السكير البائس، لكنه كان يبتز طوال الوقت. الإصبع الصغير لم يكن أكثر من قناع عليه أن يضعه. على أن التمييز بين الرجل والقناع يستعصي على سانزا أحياناً، ذلك أن الإصبع الصغير وبيتر بايلش متشابهان لأقصى درجة. ربما كانت لتفر من الاثنين لو أن هناك مكاناً تذهب إليه. (وينترفل) احترقت وهجرت، وبران وريكون جثتان باردتان، وروب غدير به واغتيل في (التوأمتين) مع السيِّدة والدتهم، وتيريون أُعِدِمَ بتهمة قتل چوفري، وإذا عادت إلى (كينجز لاندنج) ستضرب الملكة عنقها بدورها، والخالة التي أملت أن تحفظ سلامتها حاولت قتلها بدلاً من ذلك، وخالها إدميور أسير آل فراي، وعمُّه السمكة السوداء تحت الحصار في (ريفررن). بتعاسة قالت سانزا لنفسها: لا مكان لي إلا هنا، ولا صديق حقيقياً إلا بيتر.

ليلتها غنى الرجل الميت (يوم شنقوا روبين الأسود) و(دموع الأم) و(أمطار كاستامير)، ثم توقفت فترة، ولكن بينما أثقل الوسن رأس سانزا عاد الغناء مجدداً، وغنى الرجل (سنة أحزان) و(الأوراق الساقطة) و(أليسين). أغاني حزينة كلها. لما أغلقت عينها رأت في زنانه السماوية رابضاً في الركن بعيداً عن السماء السوداء الباردة تحت غطاء من الصوف ويوسد قيثارته الخشبية صدره. يجب ألا أشفق عليه. لقد كان مغروراً قاسياً، و قريباً سيموت. إنها لا تستطيع إنقاذه، ولماذا قد ترغب في ذلك؟ ماريليون حاول أن يغتصبها، وبيتر أنقذ حياتها مرتين لا واحدة. بعض الأكاذيب يجب أن يُقال. لم يُحافظ على حياتها في (كينجز لاندنج) إلا الأكاذيب، ولو لم تكذب على چوفري لضربها رجال الحرس الملكي حتى أراقوا دماءها.

بعد (أليسين) توقفت المغني ثانية لتختطف سانزا ساعة من الراحة، ولكن إذ بدأت خيوط الفجر الأولى تنفذ من خصائص نافذتها سمعت أنغام (ذات صباح غائم) الناعمة تتصاعد من أسفل، واستيقظت في الحال. المفترض أنها أغنية نسائية، مرثاة تُغنيها أم في الفجر التالي لمعركة رهيبة بينما تبحث

بين القتلى عن جثة ابنها الوحيد. الأم تُعني عن حرقها على ابنها الميت، لكن ماريليون حزين على أصابعه، وعلى عينيه.

طفت الكلمات من أسفل كالسهم، وفي الظلام طعنتها.

أوه، أيها الفارس الكريم

هل رأيت ولدي؟

إن شعره بني كالكستناء

وقد وعدني بالعودة

إلي وإلى ديارنا

التي في (بلدة ونديش)

غطت سانزا أذنيها بوسادة محشوة بريش الإوز لتجنب عنهما بقية الأغنية، ولكن بلا جدوى. لقد طلع النهار واستيقظت، واللورد نستور رويس يصعد الجبل.

بلغ الوكيل الأعلى ومجموعته (العش) في أواخر الأصيل، وقد صبغ الذهبي والخمري الوادي أسفلهم واشتدت الرياح، ومعه جاء ابنه السير ألبار ودسته من الفرسان وعشرون من الجنود. غرباء كثيرون جداً. تطلعت سانزا إلى وجوههم بقلق متسائلة إن كانوا أصدقاء أم أعداء.

رحب بيتر بزواره مرتدياً ستره من المخمل الأسود لها كمان رماديان كسراويله الصوف، فأضفى اللون نوعاً معيناً من الظلمة على عينيه الخضراوين الرماديتين. إلى جواره وقف المايستر كولمون وحول عنقه الطويل الرفيع ترخي سلسلته ذات المعادن العديدة، وعلى الرغم من أن المايستر أطول الرجلين قامه فاللورد الحافظ هو من لفت الأنظار. يبدو أنه تخلى عن تبسمه المعتاد اليوم، فأصغى بوقارٍ واللورد رويس يُقدّم الفرسان الذين رافقوه، ثم قال: «مرحباً بكم أيها السادة. إنكم تعرفون المايستر كولمون بالطبع. لورد نستور، هل تذكر ابنتي الطبيعية<sup>(1)</sup> إليني؟».

- «بالتأكيد». للورد نستور مظهر صارم ورقبة غليظة وصدر عريض، يزحف على رأسه الصلح ويخبط الشيب لحيته، وقد حنى رأسه نصف بوصة كاملاً تحية لها.

(1) الطفل الطبيعي مصطلح من القرون الوسطى يُطلق على الأولاد غير الشرعيين. (المترجم).

انحَت سانزا بدورها خائفةً أن تنطق فتقول شيئاً خطأ، ثم سحبها بيتر من يدها قائلاً: «كوني فتاةً مهذبةً يا حلوتي واجلبي اللورد روبرت إلى (القاعة العالية) ليستقبل ضيوفه».

- «حاضر يا أبي». بدا صوتها ربيعاً مشدوداً، وبينما أسرعَت تصعد الدَّرَج وتعبَّر الشُّرفة إلى (بُرج القمر) قالت لنفسها: صوت كاذبة، صوت مذبذبة. كانت جرتشل ومادي تُساعِدان اللورد روبرت على ارتداء سراويله عندما دخلت عُرفة نومه. كان سيّد (العُش) يبكي ثانيةً، كما تنمَّ عيناه المحمرَّتان الرطبتان وأهدابه اليابسة وأنفه المنتفخ السائل، وقد التمَّع خيط من المُخاط تحت أحد منخريه ولوَّث الدَّم شفته السُّفلى حيث عضها. فكَّرت سانزا بقنوط: يجب ألا يراه اللورد نستور هكذا، وطلبت من جرتشل أن تُحضِر الطست، ثم أخذت الصبي من يده وسحبته من على الفراش قائلةً: «هل نام عُصفوري الجميل جيِّداً ليلة أمس؟».

أجاب متنشِّقاً: «لا، لم أنم إطلاقاً يا إليني. كان يُغني ثانيةً، ووجدتُ بابي موصداً. ناديتهم ليُخْرِجونني لكن لا أحد أتى. أحدهم حبسني في عُرفني».

- «يا لهم من أشرار». غمست قُماشة ناعمة في الماء الدافئ وشرعت تُنظِّف وجهه... برفقٍ شديد، بمنتهى منتهى الرِّفق. إذا حكَّت جسد روبرت بقوة أكبر من اللازم فربما يبدأ في الارتجاف. الصبي هُش، وصغير للغاية بالنسبة إلى سنِّه. أي نعم هو في الثامنة، لكن سانزا عرفتُ أطفالاً في الخامسة أكبر منه حجماً.

ارتعشت شفة روبرت، وقال: «كنتُ ساتي لأنام معك».

أعرفُ هذا. لقد اعتادَ العُصفور الجميل النَّوم إلى جانب أمِّه إلى أن تزوّجت اللورد بيتر، ومنذ موت الليدي لايسا عمد الصبي إلى التَّجوال في أنحاء (العُش) بحثاً عن أسرةٍ أخرى، وأكثر ما راقه منها سرير سانزا... ولهذا السبب طلبت من السير لوثور برون أن يُوصد بابه ليلة البارحة. ما كانت تُمانع لو أنه ينام فقط، لكنه يُحاول دوماً أن يُمرِّغ أنفه في ثديها، ثم إنه غالباً ما يُبلل الفراش عندما تُصيبه نوبة الرِّجفة.

قالت سانزا وهي تمسح تحت أنفه: «اللورد نستور صعَد من (بوَّابات القمر) ليراك».

- «لا أريد أن أراه. أريدُ قصَّةً، واحدةً عن الفارس المجنَّح».

- «فيما بعدُ. أوَّلاً عليك أن ترى اللورد نستور».

قال روبرت: «اللورد نستور لديه شامة. مامي قالت إنه شنيع». إنها تعلم أن الصَّبي يخاف من لهم شامات.

سوَّت سانزا شعره قائلةً: «عُصفوري الجميل المسكين. أعرفُ أنك تفتقدها. اللورد بيتر يفتقدها أيضًا. لقد أحبَّها مثلما تحبُّها تمامًا». تلك أكذوبة، لكن الغرض منها الرَّأفة. المرأة الوحيدة التي أحبَّها اللورد بيتر في حياته هي أم سانزا القتيلة، وقد اعترفَ بهذا لليدي لايسا قبل أن يدفعها من (باب القمر) مباشرةً. كانت مجنونةً وخطرةً. لقد قتلت السيّد زوجها، وكانت لتقتلني أيضًا لو لم يأت بيتر ويغيثني. لكن روبرت ليس في حاجةٍ إلى معرفة ذلك. إنه مجرد صبيٍّ صغير مريض أحبَّ أمه. قالت: «هكذا يليق مظهرك باللوردات. مادي، أحضري معطفه». المعطف من صوف الحملان، ناعم ودافئ وأنيق بلونه الأزرق السَّماوي الذي أبرز لون سُترة الصَّبي القشدي، وثبَّتته سانزا على كتفيه بدبوسٍ فضيٍّ على شكل هلال، ثم أخذته من يده فمضي معها بخنوع هذه المرَّة.

ظلَّت (القاعةُ العالية) مغلقةً منذ سقطت الليدي لايسا، وقد بعثَ دخولها ثانيةً في سانزا القشعيرية. إنها تراها طويلةً فخمةً جميلةً، لكنها لا تحبُّ وجودها هنا في هذا المكان الشَّاحب الذي تسوده البرودة حتى في أحسن الأوقات، حيث تبدو الأعمدة الرِّفيعه كعظم الأصابع وتُدكِّرك العروق الزَّرقاء في الرُّخام الأبيض بالعروق في ساق حيزبون هرمة. على الرغم من اصطفاغ خمسين حامل فضيٍّ على الجُدران فالمشاعل الموقدة تقل عن دسسته، فراحت الظلال تتراقص على الأرضية وتحتشد في كلِّ رُكنٍ بينما تردَّدت أصدااء خُطواتهم على الرُّخام وسمعت سانزا الرِّيح ترُج (باب القمر)، فأخبرت نفسها: يجب ألا أنظر إليه وإلاَّ اعترتني رجفة عيفة مثل روبرت.

بمساعدة مادي أجلست روبرت فوق كومةٍ من الوسائد على عرشه المصنوع من خشب الويرود، ثم أرسلت خبرًا بأن حضرة اللورد مستعدٌّ لاستقبال ضيوفه، ففتح حارسان في معطفين من الأزرق السَّماوي الباب في

طُرف القاعة القصبي، ليقود بيتر الضيوف إلى الدّاخل على البساط الأزرق الطويل الممتد بين صفين من الأعمدة البيضاء كالعظام.

حيّا الصّبي اللورد نستور بأسلوب كيّس وصوت كالصّريير ولم يذكّر شامته، وعندما سأله الوكيل الأعلى عن السيّدة والدته سرّت في يدي روبرت رعشة طفيفة، وقال: «ماريليون أذى أمّي، ألقاها من (باب القمر)».

- «هل رأى حضرة اللورد هذا بنفسه؟»، سأل السير ماروين بلمور، وهو فارس طويل نحيف له شعر بني محمرّ، كان قائد حرس لايسا إلى أن عين بيتر السير لوثر برون بدلاً منه.

أجاب الصّبي: «إليني رأيت، والسيّد زوج أمّي».

رمقها اللورد نستور، ووجدتهم ينظرون إليها، السير أبار والسير ماروين والمياستر كولمون، الجميع. كانت خالتي لكنها أرادت أن تقتلني، جرّتني إلى (باب القمر) وحاوكت أن تدفعني منه. لم أرغب في تلك القبلة قط. كنت أبني قلعة في الثلج. احتضنت سانزا نفسها لتمنعها من الارتجاف.

قال بيتر بهدوء: «سامحوها أيها السّادة، إنها لا تزال ترى ذلك اليوم في الكوايبس. لا عجب أنها لا تطيق الكلام عنه»، ثم وقف وراءها ووضع يديه بخفية على كتفيها قائلاً: «أدرك صعوبة الأمر عليك يا إليني، لكن يجب أن يسمع أصدقاؤنا الحقيقة».

أحسّت بحلقها جافاً مشدوداً لدرجة أن الكلام كاد يُؤلّمها وهي تقول: «نعم، رأيت... كنتُ مع الليدي لايسا عندما...»، وسألت دمعة على وجنتها ففكّرت: جيّد، جيّد أن تنزل مني دمعة، وواصلت: «... عندما... دفعها ماريليون»، وحكّت الحكاية ثانية وهي تكاد لا تسمع الكلمات التي تدفقت منها.

قبل أن تبلّغ منتصف الحكاية بدأ روبرت يبكي، ومالت الوسائد على نحوٍ خطر تحته إذ صاح: «لقد قتل أمّي. أريده أن يطير!»، واشتدّت رجفة يديه وبدأت ذراعه ترتجفان أيضاً، ثم انتفض رأس الصّبي بحركةٍ عنيفة وراحت أسنانه تصطك وضربت ذراعه وساقاه الهواء بضراوة وهو يصرخ: «يطير، يطير، يطير!»، فأسرع لوثر برون إلى المنصة في الوقت المناسب ليلقف الصّبي الذي انزلت ساقطاً عن عرشه، ووراءه بخطوة واحدة المياستر كولمون، وإن لم يكن هناك ما يُمكنه أن يفعله.

عاجزةً كالآخرين، وقفت سانزا وشاهدت حتى جرت النوبة مجراها. ركلت إحدى ساقي روبرت السير لوثر في وجهه، فأطلق سباباً وإن ظلّ متمسكاً بالصّبي وهو يرتجف ويتشنج ويبلل نفسه، في حين لم ينبس أيّ من زائريهم بكلمة، فاللورد نستور عليّ الأقل شهد تلك الثّوبات من قبل. لحظات طويلة مرّت قبل أن تهمد تشنجات روبرت، بل وبدت أطول من هذا كذلك، وفي النّهاية كان اللورد الصّغير واهناً عاجزاً حتى عن الوقوف، فقال اللورد بيتر للمايستر: «الأفضل أن تأخذ حضرة اللورد إلى فراشه وتعلّق له العلق». هكذا حمل برون الصّبي بين ذراعيه وخرّج به من القاعة، وتبعه المايستر كولمون بوجه متجهم.

حين تلاشت خطوات أقدامهما ران صمت تام على قاعة (العش) العالية، وسمعت سانزا رياح المساء تنثّن في الخارج وتخمش (باب القمر)، وتساءلت شاعرةً ببرّد وإرهاقٍ شديدين: أيجب أن أحكي الحكاية ثانية؟ لكن لا بُدّ أنّها أحسنت حكايتها، لأن اللورد نستور تنحّخ ودمدم: «ذلك المغنيّ لم يُعجّبني من البداية. لقد حثتّ الليدي لايسا على صرفه، عدّة مرّات ألححتُ عليها».

قال بيتر: «لطالما مددتها بالنصائح السّديدة يا سيّدي». ردّ رويس بتدّمّر: «لكنها لم تُصغ، سمعتني كرهاً على كرهٍ ولم تُصغ». قال بيتر بحنانٍ بالغ كان ليُجعل سانزا تُصدّق أنه أحبّ زوجته حقّاً: «سيّدتِي كانت أسرع ثقةً من أن يستأهلها هذا العالم. لم يكن بمقدور لايسا أن ترى الشّرّ في البشّر، بل الخير فقط. كان ماريليون يُعنيّ أعذب الأعاني، واعتقدت أن تلك طبيعته».

قال السير ألبار رويس: «لقد دعانا بالخنازير». بملامحه الصّارمة وكتفيه العريضتين يبدو السير ألبار نسخةً أصغر سنّاً من أبيه، وقد حلّق الفارس ذقنه وإن أطلق شعر وجنتيه الأسود الكثيف ليصنع إطاراً كسيّاج من الشّجيرات حول وجهه التّقليدي. «ألف أغنيّة عن خنزيرين يرعيان حول جبل ويأكلان فضّالة صقر، وبهذا كان يعيننا نحن، لكن حين قلت له هذا ضحك مني، وردّ: إنها مجرد أغنيّة عن زوجين من الخنازير أيها الفارس!».



أضفَ السير ماروين بلمور: «وسخرَ مني كذلك، سمَّاني السير جلاجل، ولَمَّا أفسمتُ أن أقطع لسانه هرغ إلى الليدي لايسا واختبأ وراء ثُورتها». قال اللورد نستور: «كما تعودُ أن يفعل. الرَّجل كان جبَّانًا، لكن تحيُّزُ الليدي لايسا له أصابه بالخطرسة. لقد ألبسته كاللوردات، وأهدت إليه خواتم ذهبيةً وحزامًا مرصعًا بأحجار القمر».

عقب فارس على سُترته شموع عائلة واكسلي البيضاء السَّت: «وحتى صقر اللورد چون المفضل، ولكم أحبُّ حضرة اللورد ذلك الصَّقر. لقد أهداه الملك روبرت إليه».

زفرَ بيتر بايلش، وقال مؤيدًا: «لم يكن الوضع يليق، وقد وضعتُ نهايةً له. لايسا وافقت على صرفه، ولذا التقتُه هنا يومها. كان عليَّ أن أكون معها، لكني لم أتخيَّل قطُّ أن... لو لم أصمِّم... أنا الذي قتلتها».

فكرت سانزا بهلع: لا، لا تقل هذا، لا تُخبرهم، لا تفعلها، لكن أبار رويس هز رأسه قائلاً: «لا يا سيدي، يجب ألا تلوم نفسك». ووافقَه أبوه بقوله: «المغني هو من فعلها. فلتأت به أيها اللورد بيتر، دَعونا نكتبُ نهايةً لهذه القصة المؤسفة».

بجنانٍ ثابت قال بيتر بايلش: «كما تشاء يا سيدي»، والتفت إلى حارسه وألقى أمرًا، وجيء بالمغني من الرنازين. جاء معه السَّجان مورد ذو الملامح الوحشية والعينين السوداوين الصَّغيرتين والوجه المائل الشَّاه. في معركة ما طارت إحدى أذنيه وجزء من وجنته، وإن ظلت في جسده أكوام من اللحم الأبيض الممتقع، وقد ارتدى ثيابًا لا تُناسب مقاسه وفاحت منه رائحة منقرَّة. على النَّقيض بدا ماريليون أقرب إلى الأناقة. وقد حمَّمه أحدهم وألبسه سراويل من الأزرق السَّماوي وسُترَةً قصيرةً فضفاضةً بكُميين منفتحين، مربوطَةٌ بزناير فضِّي كان هديَّةً من الليدي لايسا، بينما غطَّى يديه قُفَّازان من الحرير الأبيض، وأغنت عصابة حريرية بيضاء السَّادة الحاضرين عن رؤية منظر عينيه.

وقفَ مورد وراءه حاملًا كُرباجًا، وحين نكزه السَّجان في ضلوعه هوى المغني على رُكبته قائلاً: «أتوسَّل مغفرتكم أيها السَّادة». سأله اللورد نستور بعبوس: «هل تعترف بجريمتك؟».

كان صوت المغنّي القويّ الواثق ليلاً راجحاً هامساً الآن وهو يُجيب:  
«لو أن لي عينين لبكيتُ. لقد أحببتها كثيراً، ولم أحتمل أن أراها بين ذراعي  
رجلٍ آخر، أن أعلم أنها تُشاركه فراشه. لم أكن أنوي أن أمسّ سيّدتي الجميلة  
بأذى، أقسمُ على هذا، وأوصدتُ الباب فقط كي لا يُزعجنا أحد بينما أعترفُ  
لها بعاطفتي، لكن الليدي لايسا كانت باردةً للغاية معي... لمّا قالت لي إنها  
تحمل طفل اللورد بيتر... تملّكني الجنون...».

حدّقت سانزا إلى يديه وهو يتكلّم. مادي البدينة زعمت أن مورد بتر  
ثلاثة من أصابعه، كلا الخنصرين وإحدى السبّابتين، وبشكل ما بدا إصبعاه  
الصغيرين أكثر تبيساً من البقية بالفعل، لكن من الصعب أن تتيقن في وجود  
هذين القفازين. ربما لا تكون أكثر من قصّة مختلّقة. وما أدري مادي؟

قال المغنّي الأعمى: «اللورد بيتر تكرّم وترك لي قيثارتي، قيثارتي و...  
لساني... كي أعني. كم كانت الليدي لايسا مولعةً بأغاني...».

قال اللورد نستور بغلظة: «خذوا هذا المخلوق من هنا وإلّا قتلته بنفسه.  
مجرّد النظر إليه يُغثيني».

خاطبَ بيتر السجّان قائلاً: «مورد، أعده إلى زنارته».

ردّ مورد: «نعم سيّدي»، وأمسكَ ماريليون من ياقته بخشونة، وقال له:  
«لا مزيد كلام». حين تكلمتْ رأت سانزا -لدهشتها- أن أسنان السجّان من  
الذهب، وشاهدته مع الآخرين وهو يجرُّ المغنّي ويدفعه نحو الباب.  
أعلنَ ماروين بلمور عقب خروجهما: «لا بُدّ أن يموت هذا الرّجل. كان  
ينبغي أن يتبع الليدي لايسا من (باب القمر)».

أضافَ السير البار رويس: «دون لسانه، دون هذا اللّسان الكاذب السّاخر».   
بلهجة اعتذارية قال بيتر بايلش: «أعرفُ أنني ترفقتُ به كثيراً. الحقيقة أنني  
أشفقُ عليه. لقد قتل من أجل الحُب».

قال بلمور: «من أجل الحُب أو الكراهية، لا بُدّ أن يموت».  
قال اللورد نستور بفضاظة: «قريباً. لا أحد يبقى طويلاً في زنازين السّماء.  
سوف يُناديه الأزرق».

قال بيتر بايلش: «ربما، لكن سواء أأجابَ ماريليون النّداء أم لم يُجبه فهو  
وحده يعرف»، وأشار ليفتح حارساه الباب في نهاية القاعة، واستطرد: «أيها

الفرسان، لا بُدَّ أنكم متعبون من صعودكم. لقد أعددنا غُرْفًا لكم جميعًا لقضاء الليل، والطعام والتبئذ في انتظاركم في (القاعة السفليَّة). أوزويل، أَرهم الطريق واحرص على تلبية احتياجاتهم كلِّها»، ثم التفت إلى نستور رويس قائلاً: «هلاً تناولت معي كأسًا من التبئذ في غُرْفتي الشمسيَّة يا سيِّدي؟ إليني يا حلوتي، تعالي وُصِّبِي لنا».

كانت نار خافتة مشتعلةً في الغُرْفَة الشمسيَّة حيث ينتظرهم إبريق من التبئذ. نبئذ ذهبي من (الكرمة). وملأت سانزا كأس اللورد رويس فيما حرَّك بيتر الحطب بمسعرٍ حديدي.

جلس اللورد نستور إلى جوار النَّار، وقال لبيتر كأن سانزا ليست موجودة: «لن تكون هذه النَّهاية. ابن عمِّي ينوي استجواب المغنيِّ بنفسه».

دفع بيتر قطعةً من الحطب جانبًا قائلاً: «يون البرونزي لا يثق بي».

- «إنه يُزِمع المجيء على رأس قوَّة، وسينضمُّ إليه سايموند تمپلتون، إياك أن تشكَّ في هذا، والليدي واينود أيضًا كما أخشى».

- «واللورد بلمور واللورد هنتر الشَّاب وهورتون ردفورت، وسيجلبون معهم سام ستون القوي وآل توليت وآل شت وآل كولدووتر وعدداً من آل كوربراي».

- «أنت واسع الاطلاع. مَنْ مِن آل كوربراي؟ اللورد لايونل؟».

- «لا، أخوه. السير لين لا يحبُّني لسبب ما».

قال اللورد نستور بإصرار: «لين كوربراي رجل خطير. ماذا تنوي أن تفعل؟».

ردَّ بيتر: «وما الذي بإمكانني أن أفعله إلَّا التَّرحيب بهم إذا أتوا؟»، وحرَّك المسعر ليُزكي النَّار أكثر ثم وضعه.

- «ابن عمِّي ينوي أن يخلعك من منصب اللورد الحافظ».

- «إذا كان هذا صحيحًا فليس بمقدوري أن أمنعه. إنني أحتفظُ بحامية لا تزيد على العشرين رجلاً، واللورد رويس وأصداؤه يستطيعون حشد عشرين ألف»، وذهب بيتر إلى الصُّندوق البلوط الموضوع أسفل النَّافذة، وأضاف وهو يركع أمامه: «يون البرونزي سيفعل ما يُريد أن يفعله»، ثم فتح الصُّندوق

وأخرج رَقًا ملفوفًا وناولَ اللورد نستور إياه قائلاً: «سيدي، هذه أمانة على الحُبِّ الذي كانت سيديتي تُكِنُّه لك».

شاهدت سانزا رويس يسط الرِّقَّ ويقول: «هذا... هذا غير متوقَّع يا سيدي»، وأذهلها أن ترى في عينيه دموعًا.  
- «غير متوقَّع لكنه ليس غير مستحق. لقد قدَّرتك سيديتي أكثر من سائر حملة رايتهَا، وقالت لي إنك صخرتها».

قال اللورد نستور بوجهٍ تورَّد: «صخرتها. هي قالت هذا؟».  
أجاب بيتر: «مرازا»، وأشارَ إلى الورقة مستدرِّكًا: «وها هو ذا الدليل».  
- «هذا... يسرُّني أن أعرف هذا. أعلمُ أن چون آرن كان يُقدِّر خدمتي، لكن الليدي لايسا... لقد استخفَّت بي حين أتيتُ أخطبُ ودَّها، وخشيتُ أن...»، وعقدَ اللورد نستور حاجبيه مغمغمًا: «أرى أنه يحمل ختمَ آرن، لكن التوقيع...».

- «لايسا قُتِلت قبل أن تُقدِّم لها الوثيقة لتوقِّعها، فوقَّعتها باعتباري اللورد الحافظ. أعلمُ أنها كانت لترغب في هذا».

قال اللورد نستور: «مفهوم»، وطوى الرِّقَّ متابعًا: «أنت... وفيَّ يا سيدي، نعم، ولا تعوزك الشَّجاعة. سيقول بعضهم إن هذه المنحة لا تليق ويلومونك على تقديمها. منصب الوليِّ لم يكن متوارثًا قطُّ. آل آرن هُم من شيّدوا (بوابات القمر) في إبانَ اِعتمارهم تاج الصَّقر وحُكمهم ملوكًا في (الوادي). كانت (العُش) مقرَّهم الصَّيفي، لكن مع بدء سقوط الثلوج اعتادَ البلاط أن ينزل الجبل. ستجد من يقولون إن (بوابات القمر) لا تنقلُ ملكيَّة عن (العُش)».  
علَّق بيتر بايلش: «لم يعد هناك ملك في (الوادي) منذ ثلاثمئة سنة».

أيده اللورد نستور قائلاً: «حين أتى التَّنانين، لكن حتى بعدها ظلَّت (بوابات القمر) قلعةً تابعةً لعائلة آرن. چون آرن نفسه كان وليَّ البوابات في حياة أبيه، وبعد توليِّه الحُكم كَرَّم أخاه رونل بالمنصب، ولاحقًا دينس ابن عمِّه».

- «اللورد روبرت بلا إخوة، وأبناء عمومته بعيدون».  
أطبَّق اللورد نستور على الوثيقة، وقال: «صحيح. لن أقول إنني لم أتمنَّ هذا. حين كان اللورد چون يحكُّم البلاد بصفته يد الملك وقعَ على عاتقي أن

أحكم (الوادي) من أجله، وفعلتُ كلَّ ما طلبه مني ولم أسأله شيئاً لنفسِي، لكنني استحققتُ هذا بحقِّ الآلهة!». .

قال بيتر: «استحقته بالفعل، واللورد روبرت ينام بارتياح أكثرَ عالمًا أنك موجود دائماً، صديق صدوق عند سَفْح جبله»، ورفع كأسه مردفاً: «إذن... لنشرب نخبًا يا سيّدي. في صحّة آل رويس أولياء (بوّابات القمر)... الآن وإلى الأبد».

ردّد رويس: «الآن وإلى الأبد، أجل!»، وتقرّعت الكأسان الفضيّتان. لاحقًا، بعدها بوقتٍ طال، بعد أن فرغَ إبريق نبيذ (الكرمة) الذهبي، استأذَن اللورد نستور في الانصراف لينضمَّ إلى رِفقة فرسانه من جديد، وعندئذٍ كان النعاس يُغالب سانزا الواقفة بلا رغبةٍ إلّا في الذهاب إلى فراشها، لكن بيتر أمسك معصمها قائلاً: «أترين الأعاجيب التي يصنعها الكذب ونبيذ (الكرمة) الذهبي؟». لماذا تُريد أن تبكي إذن؟ من الجيّد أن نستور رويس معهما. سألته: «أكان كلُّ ما قيلَ كذب؟».

- «ليس كلّه. كثيرًا ما دعّت لايسا اللورد نستور بالصّخرة، وإن كنتُ لا أظنُّ أنها قصّدتها كإطراء، وتعوّدت أن تدعو ابنه بكُتلة الطّين. كانت تعلم أن اللورد نستور يحلُم بالانفراد بحُكم (بوّابات القمر)، أن يكون لورد حقيقةً لا اسمًا فقط، لكن لايسا كانت تحلُم بإنجاب أبناء آخرين وانتوت أن تذهب القلعة إلى أخي روبرت الصّغير»، ونهض بيتر سائلًا إياها: «هل تفهمين ما حدث هنا يا إليني؟».

تردّدت سانزا برُهةً، ثم قالت: «منحت اللورد نستور (بوّابات القمر) لتتأكّد من دعمه لك».

- «نعم، لكن صخرتنا من آل رويس، أي أنه شديد الاعتداد بالنفس وسريع الغضب. لو كنتُ سألتُه عن سِعره لانتفخَ كضفدع غاضب لإهانتِي شرفه، أمّا بهذه الطّريقة... الرّجل ليس غيبًا تمامًا، لكن الأكاذيب التي قدّمها له أحلى من الحقيقة. إنه يُريد أن يُصدّق أن لايسا قدرته أكثر من بقية حملة رايتها، فأحد هؤلاء الآخرين يون البرونزي في النهاية، ونستور يعي جدًّا حقيقة أنه من فرع أدنى لعائلة رويس، ويرغب في المزيد لابنه. الشرفاء يفعلون في سبيل أولادهم أشياء ما كانوا ليُفكروا في فعلها لأنفسهم بتاتًا».

أومأت برأسها متفهمةً، وقالت: «التوقيع... كان يُمكنك أن تجعل اللورد روبرت يُوَقِّع الوثيقة ويختمها، لكن بدلاً من هذا...».

- «... وقعتها بنفسى باعتبارى اللورد الحافظ. لماذا؟».

- «لأن... فى حالة إزاحتك أو... أو قتلك...».

- «... سيُصبح امتلاك اللورد نستور (بوابات القمر) فجأةً محلَّ شك. أوكد لك أن شيئاً كهذا لم يفتنه. براعة منك أن تلحظى، وإن لم أتوقع أقل من هذا من ابنتى».

- «أشكرك»، قالت شاعرةً بفخرٍ شديدٍ باستنتاجها السليم، ولو أن فخرها امتزج بالهيرة. «لكنى لست ابنتك، ليس حقاً. أعنى أننى أظاهرُ بكونى إبنى، لكنك تعلم...».

وضع الإصبع الصَّغير إصبه على شفيتها، وقال: «أعلم ما أعلم وتعلمين ما تعلمين. الأفضل ألا يُقال بعض الأشياء يا حلوتى».

- «حتى ونحن وحدنا؟».

- «بالذات ونحن وحدنا، وإلا قد يأتى يوم ويدخل خادمُ غرفةٍ دون تنبيه أو يسمع حارس على الباب شيئاً لا ينبغي أن يسمعه. هل تُريدين المزيد من الدماء على يديك الجميلتين يا عزيزتى؟».

رأت وجه ماريليون يسبح فى الهواء أمامها وعلى عينيه العصابة الباهتة، ووراءه رأت السير دونتوس وسهام النشائية مغروسة فى جسده. هكذا قالت سانزا: «لا، أرجوك».

- «وددت لو أقول إننا لسنا فى لُعبةٍ يا بنيتى، لكنها كذلك بالطبع. إنها لُعبة العروش».

لم أطلب أن ألعب قطُّ. واللُعبة محفوفة بالمخاطر. زلَّة واحدة وأموت. «أوزويل... سيدي، أوزويل جدف بي من (كينجز لاندنج) ليلة هروبي. لا بدُّ أنه يعرف هويَّتى الحقيقية».

قال: «مؤكد أنه يعرفها إذا كان يملك نصف ذكاء خروف، والسير لوثور يعرف أيضاً، لكن أوزويل يعمل فى خدمتى منذ زمنٍ طويل، وبرون كتوم بطبعته. كتلبلاك يُراقب برون من أجلى، وبرون يُراقب كتلبلاك. ذات مرَّة قلتُ لإدارد ستارك ألا يثق بأحد، لكنه أبى أن يُصغى. أنتِ إبنى، ويجب أن

تكوني إليني طوال الوقت»، ووضع إصبعين على ثديها الأيسر متابعًا: «حتى هنا، في قلبك. هل يُمكنك أن تفعلي هذا؟ هل يُمكنك أن تكوني ابنتي في قلبك؟».

- «إليني...». كادَت تقول: لا أدري يا سيدي، لكن ذلك ليس ما يُريد أن يسمعه، فقالت لنفسها: الأكاذيب ونبذ (الكرمة) الذهبي، وأجابته: «إليني إليني يا أبي، ومن غيرها؟».

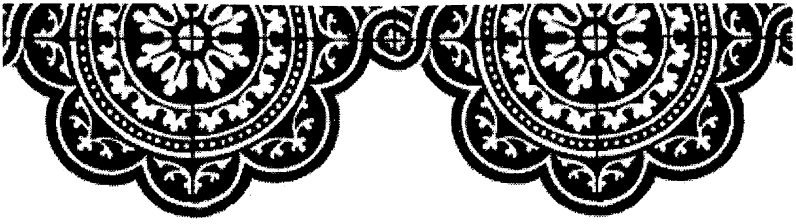
لثم اللورد الإصبع الصَّغير وجتتها، وقال: «بعقلي وجمال كات سيكون العالم ملك يمينك يا حلوتي. والآن إلى الفراش». وجدَّت سانزا أن جرتشل أشعلت نارًا في مستوقدها ونفشت حشية فراشها الرِّيش، فخلعت ثيابها ودخلت تحت الأغطية، وترجَّت في قرارة نفسها: لن يُغني اللَّيلة في وجود اللورد نستور والآخرين في القلعة، لن يجرؤ، وأسدلت جفنيها.

وفي هزيع ما من اللَّيل استيقظت إذ انضمَّ إليها روبرت الصَّغير في الفراش. نسيتُ أن أقول للسير لو ثور أن يحسه ثانية. لم يكن هناك ما يُمكنها أن تفعله، فطوّفته بذراعها قائلة: «عُصفوري الجميل، يُمكنك أن تبقى، لكن حاول ألا تتقلّب. أغلق عينيك ونم أيها الصَّغير».

قال: «حاضر»، والتصق بها ووضع رأسه بين ثديها، وسألها: «إليني، أنتِ أمِّي الآن؟».

أجابته: «أظنُّ هذا».

لا أذى في أكذوبة النية منها الرَّافة.



## ابنة الكراكن

ضجّت القاعة بصخب رجال هارلو السكرانين، كلهم من أبناء خؤولتها، وكلُّ لورد منهم يُعلّق رايته وراء مجموعة الدّك التي يجلس عليها رجاله، وقد تطلّعت آشا جرايچوي إليهم من الشّرفة مفكّرة: قلة قليلة للغاية، قلة لا تُذكر. ثلاثة أرباع الدّك كان شاغراً.

كارل البكر قال ما مؤدّاه الخُلاصة نفسها وهما على متن (الريّح السّوداء) المقبلة من البحر، إذ أحصى السّفن الطّويلة الرّاسية أسفل قلعة خالها، ثم زَمَ فاه معلقاً: «لم يأتوا، أو لم يأتِ عدد كافٍ». لم يكن مخطئاً، إلا أن آشا لم تستطع أن تُؤمّن على كلامه في مكانٍ مفتوح حيث يُمكن أن يسمعها أفراد طاقمها. إنها لا تشك في إخلاصهم، لكن حتى حديدَيّ الميلاذ يتردّدون في بذل حياتهم في سبيل قضيةٍ من الجليّ للعيان أنها خاسرة.

أصداقائي قلائل لهذه الدّرجة حقاً؟ ضمن الرّايات رأيت سمكة آل بوتلي الفضية، وشجرة آل ستونترى الحجرية، ولويانان آل فولمارك الأسود، وأناشيط آل ماير. أمّا البقية فمناجل آل هارلو. يضع بورموند منجله على خلفيّة زرقاء شاحبة، ومنجل هوثو محاط بإطارٍ له شكل شرفات الحصن، والفارس أضاف إلى منجله الطّاووسين المبهرجين رمز عائلة أمّه، علاوةً على راية سيّجفريد ذي الشّعر الفضيّ التي تُظهر منجلين متعارضين على خلفيّة مقسومة بميلٍ إلى لونين. وحده اللورد هارلو على رايته منجل فضيّ خالص على خلفيّة بسواد الليل، تماماً كما كانت تخفق في فجر الزّمان. إنه رودريك الملقّب بالقارئ، سيّد (البروج العشرة) وسيّد (هارلو)، زعيم عائلة هارلو في (هارلو)... والمفضّل عندها من بين أشقاء أبيها وأمّها.



كان مقعد اللورد رودريك العالي شاعرًا أيضًا، وقد تقاطع فوقه منجلان من الفضة المطرقة، هائلان حتى إن واحداً من العمالقة أنفسهم كان ليجد عُسرًا في حملهما، لكن تحتهما تستقرُّ الوسائد خاليةً. لم تندهش آشا، فالمأدبة انتهت منذ مدةٍ طويلة، وعلى الموائد لم يتبقَّ غير العظام والأطباق المتسخة بالدهون. الآن ليس هناك في المكان إلا من يشربون، وخالها رودريك لم يكن مياًً لقطاً إلى صُحبة السَّكاري المشاكسين.

التفتت إلى ذات الثلاث أسنان، امرأة في أزدل العُمر تعمل وكيلةً لخالها منذ كانت تُدعى ذات الاثنتي عشرة سن، وسألتها: «خالتي مع كُتبه؟».

- «نعم، وهل هناك غيرها؟». المرأة طاعنة في السنٍّ لدرجة أن أحد السِّبتونات قال في مرّةٍ إنها حتماً أرضعت (العجوز)، لكن ذلك كان في عهد التسامُح مع عقيدة الآلهة السبعة على الجُزر. الآن يحتفظ خالها بعددٍ من السِّبتونات في (البروج العشرة)، ليس من أجل خلاص روحه وإنما من أجل الكُتب. «مع الكُتب وبوتلي. هو أيضاً كان معه».

راية بوتلي أيضاً معلقة في القاعة، سرب من السمك الفضي على خلفيّة خضراء باهتة، وإن لم ترَ آشا سفينته (الزَّعنفه السريعة) وسط السُّفن الطويلة الأخرى. قالت: «سمعتُ أن عمِّي عين الغُراب أغرقَ العجوز ساوان بوتلي».

- «أقصد اللورد تريستيفر بوتلي».

تريس. تساءلت عمّا جرى لابن ساوان الأكبر هارن. لاشكَّ أنني سأعرفُ قريباً. لن يكون موقفاً مريحاً. إنها لم ترَ تريس بوتلي منذ... لا، يجب ألاَّ تُسهب في التّفكير في ذلك. «والسيّدة أمِّي؟».

- «في فراشها في (برج الأرملة)».

نعم، وهل هناك مكان غيره؟ الأرملة التي استمدَّ البرج منها اسمه هي خالتها الليدي جوينيس، التي أتت ترثي زوجها الذي مات عند (الجزيرة القصية) خلال تمردِّ بالون جرايچوي الأول، ومعلوم أنها قالت لأخيها: «سأبقى حتى ينتهي حدادي فقط، مع أن المفترضُ حقاً أن تكون (البروج العشرة) لي، لأنني أكبرك بسبعة أعوام». سنوات طويلة مرّت منذ ذلك الحين، وظلت الأرملة في حدادها، وبين الآن والآخر تُتمّيم أن القلعة من حقّها. والآن عند اللورد رودريك أخت أرملة شبه مجنونية أخرى تحت سقفه. لا عجب أنه يسعى إلى

العزاء وسط كُتبه. حتى الآن يَصْعَبُ استيعاب أن الليدي الأليس السَّقِيمَة الهَشَّة حَيَّة بينما ماتَ زوجها اللورد بالون الذي بدا شديد القوَّة والصَّلابة. عندما أَبْحَرَتْ أَشَا إلى الحرب كان قلبها مثقلًا بالهَمِّ، وتخشى أن تموت أمُّها قبل عودتها، ولم يَخْطُر لها مرَّةً أن أباهَا سيموت أولاً. الإله الغريق يُمَارِز حنا مزاحًا قاسيًا، لكن البَشْر أَشَدُّ قسوةً. عاصفة مفاجئة وحبل مقطوع ألقيا بالون جرايچوي إلى مصرعه. أو هكذا يَزْعُمون.

أخِر مرَّةٍ رأت أمُّها كانت حين تَوَقَّفت في (البروج العشرة) لتعبئة المياه العذبة وهي في الطَّرِيق شمالًا لمهاجِمة (ربوة الغابة). لم تتمتع الأليس هارلو قَطُّ بنوع الجمال الذي يُثَمِّنه المغنون، لكن لطالما أَحَبَّت ابنتها ملامحها الحادَّة القويَّة وعينيها الضَّحوكتين، على أنها في تلك الزَّيارَة الأخيرة وجدَّت الليدي الأليس جالسةً على مقعدٍ مجاور للنَّفْذَة تحت كومةٍ من الفرو، تُحدِّقُ إلى البحر، وتذكُر أَشَا أنها تساءلت في نفسها وهي تُقَبَّلُ وجنتها: أهذه أمِّي أم شبَّحها؟ كان جِلْد أمُّها رقيقًا كورق الرُّقوق وشعرها الطَّويل مبيضًا، ولئن تبقى شيء من الكبرياء في الطَّرِيقَة التي ترفع بها رأسها، فقد بدَّت عيناها منطفتين غائمتين، واختلجَ فيها وهي تسأل عن ثيون قائلة: «هل أتيتَ باني الصَّغير؟». كان ثيون في العاشرة من العُمُر حينما أُخِذَ رهينةً إلى (ويتترفل)، ويبدو أنه سيظلُّ هكذا دومًا في مخيِّلة الليدي الأليس. أجابتها أَشَا مضطَّرَّة: «ثيون لم يأت. أبي أرسله يُغيِّر على (السَّاحل الحجري)»، فلم تردَّ الليدي الأليس، بل اكتفَتْ بالإيماء برأسها ببطء، وإن كان الجرح البليغ الذي أصابها به كلمات ابنتها جليًّا تامًا.

والآن عليٌّ أن أخبرها بموت ثيون وأغمد في فؤادها خنجرًا آخر. ثمَّة سكينان مغروسان هناك بالفعل، وعلى نصليهما يُفَش اسمارودريك ومارون، وكثيرًا ما يُمَرِّقان نياط قلب أمُّها في جوف الليل. قالت أَشَا لنفسها متعهَّدة: سأراها غدًا. لقد قطعَت رحلةً طويلةً مرهقةً، وليس بمقدورها أن تُواجه أمُّها الآن.

خاطبت ذات الثلاث أسنان قائلة: «يجب أن أتكلَّم مع اللورد رودريك. اعطني بأفراد طاقمي بمجرد أن ينتهوا من تفريغ حمولة (الريِّح السَّوداء). سيكون معهم أسرى. أريدهم أن يناموا في أسرَّةٍ دافئة ويأكلوا وجبةً ساخنة».

ردَّت العجوز: «هناك لحم بقري بارد في المطابخ، وخردل في جرّة حجريّة كبيرة من (البلدة القديمة)»، وجعلها ذكر ذلك الخردل تبتسم، لتلوح بينُ بنّية طويلة واحدة متمسّكة بلثتها.

قالت آشا: «لن يصُلح هذا. رحلتنا كانت شاقّة، وأريدُ شيئًا ساخنًا في بطونهم»، ودسّت إبهامها في الحزام المرصّع بالحديد المحيط بوركيها، وأضافت: «يجب ألا يعوز الليدي جلوثر وصغيريها الطّعام أو الدّفء أبدًا. ضعيعهم في بُرج وليس في الزّنازين. الرّضيعة مريضة».

- «الرّضّع يمرضون طول الوقت، ويموت معظمهم ويَشعرُ النَّاسُ بالأسف. سأسأل سيّدي أين أضعُ قوم الذّئاب هؤلاء».

أمسكت أنف العجوز بين إبهامها وسبّابتها وقرصته قائلةً بغلظة: «ستفعلين كما أقول، وإذا ماتت هذه الرّضيعة فلن يأسف أحد أكثر منك»، فصاحت ذات الثلاث أسنان بحدّة ووعدت بأن تُطيع، إلى أن أطلقت آشا سراحها وذهبت إلى خالها.

جميل أن تمشي في هذه الأروقة من جديد، فلطالما عدّت آشا (البروج العشرة) بيتها أكثر من (بايك)، وعندما رأتها أول مرّة فكّرت: ليست قلعةً واحدةً وإنما عشر قلاع منحشرة معًا. لا تزال تذكّر سباقات لاهثةً على السّلام وبطول مماشِي الأسوار والجسور المغطّاة، وصيد الأسماك على الرّصيف الحجري الطويل،؛ وأيامًا وليالي أمصّتها مستغرقةً في ثروة خالها من الكتّب. جدُّ جدّه هو من أقام القلعة التي تعدُّ الأجدد علي الجزر، وكان للورد ثيومور هارلو ثلاثة أبناء ماتوا في المهّد، وقد ألقي اللوم على الأقبية المغمورة والأحجار الرّطبة والنّطرون الفاسد في (بهو هارلو) العريق، أمّا (البروج العشرة) فأحسن تهويةً وأكثر راحةً وأفضل موقعًا... لكن اللورد ثيومور كان رجلًا متقلّب الأطوار كما كانت أيُّ من زوجاته لتشهد، وقد كانت له ستُّ منهن، كلهن متباينات كأبراجه العشرة.

(برج الكتّب) أوسع العشرة، مثمّن الأضلاع ومشيّد بقوالب ضخمة من الحجارة المنحوتة، وسلامه مبنيةً داخل الجُدُران السّميكة. صعّدت آشا مسرعةً إلى الطّابق الخامس حيث الغُرْفَة التي يقرأ فيها خالها. ولو أنّه لا توجد غُرْف لا يقرأ فيها. نادرًا ما يرى اللورد رودريك دون كتابٍ في يده،

سواء أكان هذا في المرحاض أم على سطح سفينته (أغنية البحر) أم في أثناء مقابلاته، وكثيراً ما رآته أشأ يقرأ على مقعده العالي تحت المنجلين الفضيين، فيُنصت إلى كلِّ حالة تُطرح عليه ويُصدر حُكمه... ثم ينال قسطاً من القراءة بينما يذهب قائد حرسه للإتيان بالملتبس التَّالي.

وجدته مائلاً على منضدةٍ عند نافذة، تُحيط به مخطوطات ربما أتت من (فاليريا) نفسها قبل هلاكها، وكُتبت ثقيلة مغلَّفة بالجلد ولها مشابك من البرونز والحديد، وعلى جانبيه تشتعل شموع سميكة طويلة كذراع رجل في شمعدانات حديدية منمَّقة. ليس اللورد رودريك هارلو بديناً أو نحيفاً، ولا طويلاً أو قصيراً، ولا قبيحاً أو وسيماً، وله شعر بني كعينيه، وإن شابت اللحية القصيرة المشدَّبة التي تعود العناية بها. إجمالاً يبدو الرَّجل تقليدياً، ولا يُميِّزه إلاَّ حُبُّه للكلمة المكتوبة، وهو ما يعده كثيرون جدًّا من حديديّ الميلاد تخشاً وانحرافاً.

أغلقت الباب وراءها قائلة: «خالي، ما القراءة العاجلة التي تجعلك تترك ضيوفك بلا مضيف؟».

قال: «(كتاب الكُتب المفقودة) للمايستر الرَّئيس ماروين»، ورفع ناظره عن الصَّفحة يرمِّقها متابعاً: «هو ثو أحضر لي نسخةً من (البلدة القديمة). إن له ابنة يُريدني أن أنزَّوجها»، ونقر اللورد رودريك على الكتاب بظفر طويل، وأردف: «انظري هنا، ماروين يزعم أنه عثر على ثلاث صفحات من (علامات وآيات)، الرُّوى التي دوَّنتها ابنة إينار تارجارين العذراء قبل أن يأتي الهلاك (فاليريا). هل تعرف لاني أنك هنا؟».

لاني هو اسم التَّدليل الذي يُطلِّقه على أمِّها، ووحده القارئ يدعوها به. أجابت أشأ: «ليس بعدُ. دَعها تستريح»، ونقلت كومةً من الكُتب من على كرسيٍّ وجلست مستطردة: «يبدو أن ذات الثلاث أسنان فقدت سنين أخريين. هل تدعوها بذات السنِّ الواحدة الآن؟».

- «نادراً ما أدعوها على الإطلاق. تلك المرأة تُخيفني. ما السَّاعة الآن؟»، ونظر اللورد رودريك من النَّافذة إلى البحر الذي أنارَه القمر، ثم أردف: «حَلِّ الظَّلام بهذه السَّرعة؟ لم ألاحظ. لقد تأخَّرت، انتظرنا مجيئكِ منذ أيام».

- «كانت الرِّيح ضدنا وقلقتُ على أسراي، زوجة روبت جلوثر وطفلاه.

الصُّغرى لا تزال رضيعَةً، ولبن الليدي جلو فر جَفَّ خلال رحلتنا، فلم أجد خيارًا إلا الرِّسوب (الرَّيح السَّوداء) على (السَّاحل الحجري) وإرسال رجالي للعثور عليّ مرصعة، وبدلاً من هذا وجدوا عنزةً. الفتاة ليست في صحَّةٍ طيِّبة. هل هناك أم تُرضع في القرية؟ (ربوة الغابة) مهمَّةٌ لخُططي».

- «يجب أن تتبدَّل خُططك. لقد أتيت متأخِّرةً كثيراً».

قالت: «متأخِّرةٌ وجائعةٌ»، ومدَّت ساقها الطَّويلتين تحت المنضدة وقلبت صفحات أقرب كتاب إليها، محاضرة أحد السِّبتونات عن حرب ميغور المتوحِّش على جماعة الصَّعاليك، وأضافت: «أوه، وظمأى أيضًا. لا بأس بقرني من المِزر الآن يا خالي».

رَمَّ اللورد رودريك شفتيه قائلاً: «تعلمين أنني لا أسمحُ بالطَّعام والشَّراب في مكتبتني. الكُتب...».

أكملت آشا عبارته ضاحكةً: «... ربما يُصيبها أذى».

قطب خالها جبينه، وقال: «تحيَّين استفزازي حقًّا».

- «أوه، لا تبدو متضرِّراً هكذا. إنني لم ألتق رجلاً لم أستفزّه قطُّ، والمفترض أنك تعلم هذا جيِّدًا. لكن كفى كلامًا عني. هل أنت بخير؟».

هزَّ كتفيه مجيبًا: «بخير بما فيه الكفاية. نظري يَضَعُف. بعثتُ إلى (مير) أطلبُ عدسةً تُساعدني على القراءة».

- «وكيف حال خالتي؟».

تنهَّد اللورد رودريك، وقال: «ما زالت تكبرني بسبع سنوات ومقتنعةٌ بأن (البروج العشرة) يجب أن تكون لها. أصبحت جوينيس كثيرة النسيان، لكن هذا ما لا تساه أبدأ. إنها ترثي زوجي الميت بالحرارة نفسها كيوم موته، مع أنها لا تتذكَّر اسمه دائماً».

قالت آشا: «لستُ واثقةٌ بأنها كانت تعرف اسمه أصلاً»، وأغلقت كتاب السِّبتون بقوةً متسائلةً: «هل قُتِلَ أبي؟».

- «هذا ما تعتقده أمك».

ثمَّة أوقات معيَّنة كان يُسعدُها فيها أن تقتله بنفسها. «وما الذي يعتقدُه خالي؟».

- «بالون هوى إلى موته عندما انقطعَ جسر من الحبال من تحته. كانت

العاصفة نائرةٌ والجسر يتمايل ويتلوى مع كلِّ هبةِ ريحٍ»، وعادَ رودريك يهزُّ كتفيه مضيئاً: «أو أن هذا ما قيل لنا. أمك وصل إليها طائر من المايستر ويندامير».

سحبتَ أشا خنجرها من غمده وطفقتَ تُنظف ما تحت أظفارها من وسخ، وقالت: «يغيب عين الغراب ثلاثة أعوام ثم يعود يوم موت أبي تحديداً».

- «في اليوم التالي كما سمعنا. (الصمت) كانت لا تزال في البحر عندما مات بالون، أو أن هذا ما يقال، ومع ذلك أويديك في أن عودة يورون... لنقل إنها كانت في حينها».

علقتَ أشا: «لم أكن لأصفها هكذا»، ثم إنها غرست رأس خنجرها في المنضدة، وقالت: «أين سُفني؟! لقد أحصيتُ نحو أربعين من السفن الطويلة الراسية بالأسفل، ليس عددًا يكفي ولو بعض الشيء لإزاحة عين الغراب عن كُرسی أبي».

- «لقد أرسلتُ الاستدعاءات باسمك لأجل ما أكنه لك ولأمك من حُب. عائلة هارلو اجتمعت، وكذا عائلتا ستونتري وفولمارك وبعض عائلة ماير...».

- «كلهم من (هارلو)... جزيرة واحدة من سبع. رأيتُ راية بوتلي وحيدة من (بايك) في القاعة. أين سفن سولتكليف وأوركوود؟ أين سفن (ويك القديمة) و(ويك الكبرى)؟».

- «بيلور بلاكتايد أتى من (بلاكتايد) يتشاور معي وسرعان ما رحل من جديد»، وأغلقَ رودريك (كتاب الكتب المفقودة) مضيئاً: «إنه في (ويك القديمة) الآن».

- «(ويك القديمة)؟». كانت أشا تخشى أن يقول إنهم ذهبوا جميعاً إلى (بايك) ليُبايعوا عين الغراب. «لماذا (ويك القديمة)؟».

- «حسبتك سمعت. آرون ذو الشعر الرطب دعا إلى انتخاب ملك».

ألقتَ أشا رأسها إلى الورا ضاحكةً، ثم قالت: «لا بُدَّ أن الإله الغريق دسَّ سمكةً شائكةً في دُبر العم آرون. انتخاب ملك؟ أهذه دُعابة أم أنه يعني ما يقول حقاً؟».

- «ذو الشعر الرطب لم يمزح قط منذ غرق، ثم إن الرهبان الآخرين تبؤوا الدعوة؛ بيرون بلاكتايد الأعمى وتارل الغارق ثلاثاً... حتى النورس الرمادي

العجوز ترك الصخرة التي يعيش عليها ليُبشّر بهذا الانتخاب في أنحاء (هارلو). الرّبانة يجتمعون في (ويك القديمة) حالياً.

سألته أشا مندهشة: «هل وافق عين الغراب على حضور تلك المهزلة المقدسة والإذعان لقرارها؟».

- «عين الغراب لا يُطلِعني على قراراته. منذ استدعاني إلى (بايك) لأبّيعه لم تصلني أخبار من يورون».

انتخاب ملك. شيء جديد هذا... أو بالأحرى شيء قديم للغاية. «وعمي فيكتاريون؟ ما رأيه في فكرة ذي الشعر الرطب؟».

- «فيكتاريون أعلم بموت أبيك، و بانتخاب الملك إياه أيضاً لا ريب، لكني لا أدري أكثر من هذا».

مجيء ملك بالانتخاب أفضل من مجيئه بالحرب. قالت أشا: «أعتقد أنني سأقبلُ قدمي ذي الشعر الرطب رغم رائحتهما الكريهة وألتقطُ طحالب البحر من بين أصابعهما»، وانتزعتُ خنجرها من خشب المنضدة ودستته في الغمد مضيفة: «انتخاب ملكٍ لعين!».

- «في (ويك القديمة)، وإن كنتُ أصليّ ألاً يكون لعيناً. كنتُ أراجعُ (تاريخ حديديّ الميлад) لهايرج. عندما اجتمع الملوك الملحيون والملوك الصخريون آخر مرّة في انتخاب ملكٍ أطلقَ أوروون ابن (أوركمون) رجاله حاملي الفؤوس بينهم واصطبغتُ ضلوع ناجا بحمرة الدماء، وبعد ذلك اليوم الملعون حكمت عائلة جرايآيرون غير مختارة طيلة ألف عامٍ إلى أن جاء الأنداليون».

- «يجب أن تُعيرني كتاب هايرج هذا يا خالي». عليها أن تتعلم كل ما يُمكنها عن انتخابات الملوك قبل وصولها إلى (ويك القديمة).

ردّ: «يُمكنك قراءته هنا. إنه قديم وهش»، وأمعن النظر إليها عاقداً حاجبيه، وقال: «المايستر الرّئيس ريجني كتب يقول إن التاريخ عجلة، لأن سليقة الإنسان لا تتغير أبداً، وإن ما حدث من قبل سيحدث ثانية بالضرورة. كلما تأملتُ في طبيعة عين الغراب فكّرت في هذه المقولة. إن ليورون جرايچوي وقفاً على هاتين الأذنين العجوزين لا يختلف عن أوروون جرايآيرون. لن أذهب إلى (ويك القديمة)، ولا ينبغي لك أن تذهبي كذلك».

ابتسمت آشا قائلة: «وفوتني أول انتخاب ملكٍ يُعقد منذ... منذ متي يا خالي؟».

- «أربعة آلاف عام إذا صدقنا هايرج، أو نصف تلك المدة إذا قبلنا حُجج المايستر دنستان في (الأسئلة). الذهاب إلى (ويك القديمة) لن يُجدي نفعًا. ذلك الحُلم بالملك جنون في دمناء، وهذا ما قلته لأبيك حين تمرّد أول مرّة، وكلامي أصدق الآن مما كان آنذاك. إننا في حاجةٍ إلى الأرض لا التيجان، ومع تنافس ستانيس باراثيون وتايوين لانستر على العرش الحديدي أماننا فرصة نادرة لتحسين أوضاعنا. لنأخذ هذا الجانب أو ذاك ونُعينه على النّصر بأساطيلنا ونحْصِل على الأراضي التي نحتاج إليها من ملكٍ شكور».

- «قد تستحقّ هذه الفكرة التّفكير حالما أجلسُ على كرسي حجر اليم». تنهّد خالها، وقال: «لن تُريدي أن تسمعي هذا يا آشا، لكنك لن تُختاري. لم يحدث قطُّ أن حكمت امرأة حديديّ الميлад. جوينيس تكبرني بسبع سنوات بالفعل، لكن حين مات أبي انتقلت (البروج العشرة) إليّ، وسيحدث المثل معك. أنت ابنة بالون لا ابنه، ولك ثلاثة أعمام».

- «ثلاثة أعمام وخال».

- «ثلاثة أعمام كراكن. أنا لا أحسب».

- «أنت محسوب عندي. ما دام معي خالي سيّد (البروج العشرة) فمعي (هارلو)». ليست (هارلو) أكبر (جُزر الحديد)، لكنها الأغنى والأكثر عمارًا بالسُّكّان، وسطوة اللورد رودريك لا يُستهان بها. ليس لهارلو من منافسٍ في (هارلو)، وصحيحٌ أن آل فولمارك وستون تري لهم أملاك كبيرة على الجزيرة ويتباهون بربابنة مشاهير ومُحاربين أشدّاء من بين ظهرانيهم، لكن حتى أقواهم ينحني تحت رمز المنجل، أمّا عائلتا كنينج وماير اللتان كانتا عدوين لدودين في الماضي فقد هُزمتا منذ زمنٍ طويلٍ وتحولّ أولادهما إلى أتباع.

قال اللورد رودريك: «أبناء عمومتي مدينون لي بالطاعة، وفي الحرب تكون سيوفهم وأشراعتهم تحت إمرتي، أمّا في انتخاب الملك...»، وهزّ رأسه مستدركًا: «تحت عظام ناجا يقف جميع الرّبابنة سواسيةً. ربما يهتف بعضهم باسمك، لا أشكُّ في هذا، ولكنهم لن يكفوا، وحين يُدويّ الهتاف لفيكتاريون



أو عين الغراب سينضمُّ بعض مَنْ يشربون الآن في قاعتي إلى البقيّة. أقولُ لك ثانيةً ألا تُبحري إلى تلك العاصفة. معركتكِ يائسة.

- «لا معركة يائسة إلى أن تُخاض. الدّعوى الأفضل دعواي. إنني وريثة بالون ومن صُلبه».

- «ما زلتِ طفلةً عنيدةً. فكّري في أمكِ البائسة. لم يتبقَّ للاني إلّاك. سأضرمُ النَّارَ في (الريّح السّوداء) إذا لزم الأمر لأُبقيكِ هنا».

- «وتجعلني أسبحُ إلى (ويك القديمة)؟».

- «ستكون سباحةً طويلةً باردةً من أجل تاج لا تستطيعين الاحتفاظ به.

أبوكِ كان يتمتّع بالشّجاعة أكثر من الحكمة. لقد نفع النّهج القديم جُزئنا حين كنا مملكةً واحدةً صغيرةً من بين كثيرات، لكن غزوة إجون وضعت نهايةً لذلك. بالون رفض أن يرى الجليّ أمامه، أن النّهج القديم مات مع هارن الأسود وأبنائه».

- «أعرفُ هذا». لقد أحبّت آشا أباهما لكنها لم تُحاول أن تُصلّل نفسها، ذلك أن بالون كان أعمى في بعض النّواحي بالفعل. رجل شجاع لكن حاكم سيئ. «أيعني هذا أن علينا أن نعيش ونموت خدماً للعرش الحديدي؟ إذا كانت هناك صخور إلى ميمنة السّفينة وعاصفة إلى ميسرتها فالرّبّان الحكيم يختار مسارًا ثالثًا».

- «أريني ذلك المسار الثالث».

- «سأفعل... في انتخاب الملكة. خالي، كيف نُفكّر مجرد تفكيرٍ في عدم الحضور؟ سيكون هذا تاريخًا حيًّا...».

- «أفضّل التّاريخ ميتًا. التّاريخ الميت مكتوب بالحبر، أمّا الحي فبالدم».

- «أتريد أن تموت عجزًا جبانًا في سريرك؟».

قال اللورد رودريك: «وهل هناك غير هذا؟ ولكن ليس قبل أن أفرغ من القراءة»، ثم ذهب إلى التّأفذة مردفًا: «لم تسألني عن السيّدة والدتك».

كنتُ خائفةً. «كيف حالها؟».

- «أقوى. ربما تظلُّ حيّةً بعد موتنا جميعًا، ومؤكّد أنكِ ستموتين قبلها إذا

أصررتِ على هذه الحماقّة. إنها تأكل أكثر مما كانت عندما أتت هنا، وكثيرًا ما تنام اللّيل بطوله».

- «عظيم». في سنينها الأخيرة في (بايك) جافى النّوم الليدي ألانيس، واعتادت أن تجوب الأروقة والأبهاء ليلاً بحثاً عن أبنائها، فتُنادي بصوتٍ حاد: «مارون؟ رودريك، أين أنت؟ ثيون يا صغيري، تعالَ إلى أمك». مرّاتٍ عديدة شاهدت أشا بينما أخرج المايستر الشّطايا من كعبي أمها في الصّباح بعد أن عبرت الجسر الخشبي المتمايل إلى (بُرج البحر) بقدمين حافيتين. «سأراها في الصّباح».

- «ستسأل عن ثيون».

أمير (وينترفل). «ماذا قلت لها؟».

أجاب: «أقلّ القليل. لم يكن هناك ما يُقال»، وتردّد لحظةً قبل أن يسألها: «أأنتِ واثقة بأنه مات؟».

- «لستُ واثقةً بشيء».

- «هل وجدتُم جثةً؟».

- «وجدنا أجزاءً من جُثثٍ كثيرة. الذّئاب سبقتنا إلى هناك... ذئاب من النّوع ذي الأربع سيقان، لكنها لم تُبدِ تقديرًا لأقربائها ذوي السّاقين. كانت عظام القتلى متناثرةً في كلِّ مكانٍ ومكسورةً لاستخلاص النّخاع. أعترفُ بأن معرفة ما حدث هناك عصيّة. لقد بدا كأن الشّماليين قاتلوا بعضهم بعضًا».

قال اللورد رودريك: «الغريبان تتقاتل على لحم الموتى ويقتل بعضها بعضًا من أجل التهام أعينهم»، وحدّق إلى البحر مشاهدًا تراقص نور القمر على الأمواج، وأردف: «كان لنا ملك واحد ثم خمسة، والآن لا أرى إلّا غريبانًا تتنازع على جثة (وستروس)»، وأغلق النّافذة مضيّفًا: «لا تذهبي إلى (ويك القديمة) يا أشا، ابقِي مع أمك. أخشى أنها لن تظلّ معنا طويلاً».

اعتدلت أشا في جلستها، وقالت: «أمِّي ربّنتني على أن أكون جريئةً. إذا لم أذهب سأقضي بقيّة حياتي أسأئل نفسي عمّا كان ليحدث لو ذهبتُ».

- «إذا ذهبتِ فربما تكون بقيّة حياتك أقصر من أن تقضيها في التّساؤل».

- «ذلك أفضل من أن أظلّ أشكو ما تبقى لي من عمري من أن كُرسِي حجر

اليم حقّي. إنني لستُ جوينيس».

جعل قولها ملامحه تتقلّص انزعاجًا، وقال: «أشا، ابناي الطّويلان تحوّلوا

إلى طعام اللسراطين عند (الجزيرة القصية)، وليس محتملاً أن أتزوج ثانية.  
ابقي وأسأميك وريثة لـ(البروج العشرة). اقنعي بهذا».

- «(البروج العشرة)؟». ليتني أستطيع. «لن يروق هذا أبناء عمومتك؛  
الفارس وسيجفريد العجوز وهو ثو الأحذب...».

- «إن لهم أراضيهم ومقراتهم الخاصة».

صحيح. (بهو هارلو) الرطب العطن ينتمي إلى العجوز سيجفريد هارلو  
ذي الشعر الفضي، وهو ثو الأحذب مقره في (برج البريق) فوق جرف على  
الساحل الغربي، والفارس السير هاراس هارلو بلاطه في (الحديقة الرمادية)،  
وبورموند الأزرق يحكم من على قمة (تل هاريدان)، لكن جميعهم خاضع  
للورد رودريك. قالت آشا: «بورموند عنده ثلاثة أبناء، وسيجفريد ذو الشعر  
الفضي عنده أحفاد، وهو ثو عنده طموحات. كلهم يسعون إلى خلافتك، حتى  
سيجفريد. ذلك الرجل ينوي أن يعيش إلى الأبد».

ردّ خالها: «الفارس سيصبح سيّد (هارلو) من بعدي، لكنه يستطيع أن  
يحكم من (الحديقة الرمادية) بالسهولة نفسها. قدمي للسير هاراس فروض  
الولاء من أجل القلعة وسيحميك».

قالت: «يمكنني أن أحمي نفسي. إنني كراكن يا خالي، آشا سليلة عائلة  
جرايچوي»، ونهضت مضيفة: «أريد كُرسِيَّ أبي لا كُرسِيَّك. منجلاك هذان  
يبدوان خطرين، وقد يسقط أحدهما ويقطع رأسي. لا، سأجلس على كُرسِي  
حجر اليم».

قال اللورد رودريك: «إذن فأنت مجرد غرابٍ آخر يصرخ مريداً الجيفة»،  
وعادَ يجلس مردفاً: «اذهبي. أريد أن أعود إلى ماروين وبحثه».

- «أعلمني إذا عثر على صفحةٍ أخرى». خالها هو خالها ولن يتغير أبداً،  
لكنه سيأتي إلى (ويك القديمة) بغض النظر عن كلامه.

لا بُدَّ أن أفراد طاقمها يتناولون طعامهم في القاعة الآن، وتعلم آشا أن  
عليها أن تنضمَّ إليهم لتتكلم عن هذا الاجتماع في (ويك القديمة) وما يعنيه  
لهم. سيقف رجالها وراءها راسخين، لكنها ستحتاج إلى البقية أيضاً، أبناء  
خوولتها من عائلة هارلو وآل فولمارك وآل ستونترتي. هؤلاء من يجب أن

أَكْسِبَهُمْ. سَيَنْفَعُهَا انْتِصَارُهَا فِي (رَبْوَةِ الْغَابَةِ) حَالَمَا يَبْدَأُ رِجَالُهَا فِي التَّفَاخُرِ بِهِ، وَهِيَ تَعْرِفُ أَنَّهُمْ سَيَفْعَلُونَ. يَجِدُ رِجَالُ طَاقِمِ (الرَّيْحِ السَّوْدَاءِ) نَوْعًا مَنَحْرَفًا مِنَ الْفَخْرِ بِمَآثِرِ رُبَانَتِهِمْ. نِصْفُهُمْ يَحِبُّهَا كَابْنَةِ وَالنِّصْفِ الْآخَرَ يُرِيدُ أَنْ يَفْتَحَ سَاقِيهَا، لَكِنْ كَلَا الصَّنَفَيْنِ مُسْتَعِدٌّ لِلْمَوْتِ مِنْ أَجْلِهَا. وَأَنَا مِنْ أَجْلِهِمْ، قَالَتْ لِنَفْسِهَا وَهِيَ تَخْرُجُ مِنَ الْبَابِ عِنْدَ قَاعِدَةِ السَّلَالِمِ إِلَى السَّاحَةِ الْمَضَاءِ بِنُورِ الْقَمَرِ.

وهناك خرج ظلُّ من وراء البئر قائلاً: «أشأ؟».

ذهبت يدها إلى خنجرها من فورها... ثم إن نور القمر حوّل التكوين الأسود إلى رجل في معطفٍ من جلد الفقمات. شبح آخر. «تريس، حسبتي سأجذك في القاعة».

- «أردتُ أن أراك».

قالت بابتسامةٍ عريضة: «أيّ جزءٍ مني يا تُرى؟ حسن، هأندي، بالغة راشدة. انظر كما تشاء».

دنا منها قائلاً: «امرأة، وجميلة».

امتلاً جسد تريستيفر بوتلي منذ آخر مرّةٍ رآته، ولكن ما زال له الشعر الأشعث نفسه الذي تذكّره، والعينين الواسعتين الصادقتين كعيون كلاب البحر. عينان طبيّتان بحق. وتلك مشكلة تريستيفر المسكين، أنه أطيّب قلباً من أن يكون من بني (جزر الحديد). أصبحت ملامحه وسيمةً. في صباه ابتلي تريس بالبثور، وقاست أشأ البلوى نفسها، ولعلّ هذا ما اجتذب كلاهما إلى الآخر.

قالت: «أسفتُ لَمَّا سمعتُ بما جرى لأبيك».

- «وأنا حزين على أبيك».

كادت تسأله: لماذا؟ بالون هو من صرف الصّبي من (بايك) ليغدو ريبب بيلور بلاكتايد. «أصحيحُ أنك اللورد بوتلي الآن؟».

- «اسمًا على الأقل. هارن مات عند (خندق كايلن)، أحد شياطين

المستنقعات أصابه بسهم مسموم. لكنني لا أتسيّد شيئاً. عندما أنكرَ أبي حقَّ عين الغراب في كُرسِي حجر اليم أغرقه وجعل أعمامي يُقسِمون له على

الولاء، وحتى بعد ذلك صَمَّ نِصف أراضِي أبي إلى (الأجمة الحديدية)، لأن اللورد وينش كان أول من يركع له ويدعوه بالملك».

لعائلة وينش نفوذ في (بايك)، لكن آشا حرصت على عدم إظهار انزعاجها وهي تقول: «وينش لم يتحلَّ بشجاعة أبيك قطُّ».

قال تريس: «عمُّك اشتراه. (الصَّمْت) عادت بمخازن مكتظة بالكنوز؛ دروع ولآلي، زمرد وياقوت، صفيِّر بحجم البيض، أجولة من العملة ثقيلة لدرجة أن لا رجل يستطيع أن يرفعها... عين الغراب يشتري رجالاً ذات اليمين وذات الشمال. عمِّي جرmond يُسمِّي نفسه اللورد بوتلي الآن، ويحكُّم في (لوردزپورت) باعتباره رجل عمِّك».

قالت له مطمئنةً: «أنت اللورد بوتلي الشرعي. بمجرد أن أجلس على كرسي حجر اليم سأعيد أراضِي أبيك».

- «إذا أردتِ. الأمر لا يعني في شيء. تبدين رائعة الجمال في نور القمر يا آشا. إنك امرأة بالغة الآن، لكنني أذكرُ عندما كنت فتاة نحيلة بوجه مليء بالبثور».

لماذا يصرون على ذكر البثور دومًا؟ «أذكرُ هذا أيضًا». وإنما ليس بالحنين ذاته مثلك. من بين الصبية الخمسة الذين جلبتهم أمُّها إلى (بايك) لتربيتهم -بعد أن أخذت ستارك ابنها الحي الأخير رهينة- كان تريس الأقرب إلى آشا في السن. لم يكن أول صبيِّ قبَلته، لكنه كان أول من يحلُّ أربطة سترتها ويدسُّ يده المبللة بالعرق ليتحسَّس ثديها الصغيرين.

كنتُ لأسمح له بتحسُّس المزيد لو تجرأ كفايةً. لقد أزهرت في أثناء الحرب واستيقظت رغبتها، لكن حتى قبل ذلك كانت آشا تحسُّ بالفضول. كان موجودًا، كان في سنيِّ وراغبًا... هذا كلُّ ما في الأمر... بالإضافة إلى التزييف القمري. وعلى الرغم من ذلك سمَّته حُبًّا، إلى أن راح تريس يتكلَّم عن الأبناء الذين ستحملهم له، دسته منهم على الأقل... أوه، وبعض الفتيات أيضًا، إلا أنها قالت له مذعورةً: «لا أريدُ أن أنجب دسته من الأبناء، أريدُ أن أخوض مغامرات». لم يمض وقت طويل بعدها حتى ضبَّطهما المايستر كالن يلعبان، وأرسل تريسيفر بوتلي الصغير إلى (بلاكتايد).

قال: «كُتِبَتْ لِكَ رَسَائِلٌ، لَكِنِ الْمَاسِطَرِ چوزران رَفَضَ أَنْ يُرْسِلَهَا. فِي مَرَّةٍ نَقَدْتُ مَلَّاحًا عَلَي سَفِينَةٍ تِجَارِيَّةٍ مَتَّجِهَةً إِلَى (لوردزپورت) أَيْلًا فُضِّيًّا وَوَعَدَنِي بِأَنْ يَضَعَ الرِّسَالَةَ فِي يَدِكَ».

- «المَّلَّاحُ خَدَعَكَ وَأَلْقَى رَسَائِلَكَ فِي الْبَحْرِ».

- «هَذَا مَا خَشِيتَهُ. إِنَّهُمْ لَمْ يُعْطُونِي رَسَائِلِكَ كَذَلِكَ».

لَأَنِّي لَمْ أَكْتُبْ أَيَّ رَسَائِلٍ. الْحَقِيقَةُ أَنَّهَا أَحْسَنَتْ بِالرَّاحَةِ عِنْدَمَا صُرِفَ تَرِيسٌ، فِي ذَلِكَ الْحِينِ كَانَتْ قَدْ بَدَأَتْ تَشْعُرُ بِالْمَلَلِ مِنْ عِبْتِهِ بِصَدْرِهَا، لَكِنِ ذَلِكَ لَيْسَ بِالشَّيْءِ الَّذِي يَرِغِبُ فِي سَمَاعِهِ، وَهَكَذَا قَالَتْ: «أَرُونَ ذُو الشَّعْرِ الرِّطْبِ دَعَا إِلَى انْتِخَابِ مَلِكٍ. هَلْ سَتَأْتِي وَتَتَحَدَّثُ نِيَابَةً عَنِّي؟».

- «سَأَذْهَبُ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ مَعَكَ، لَكِنِ... اللُّورْدُ بَلَكَتَايِدِ يَقُولُ إِنَّ انْتِخَابَ الْمَلِكِ هَذَا حِمَاقَةٌ خَطِرَةٌ، وَيَظُنُّ أَنَّ عَمَّكَ سَيُهَاجِمُهُمْ وَيَقْتُلُهُمْ جَمِيعًا كَمَا فَعَلَ أَوْرُونَ».

إِنَّهُ مَجْنُونٌ بِمَا يَكْفِي لِأَنْ يَفْعَلَهَا. «إِنَّهُ لَا يَمْلِكُ الْقُوَّةَ».

- «لَكِنِّكَ تَجْهَلِينَ قُوَّتَهُ. إِنَّهُ يَجْمَعُ الرِّجَالَ فِي (بَايِك). أَوْرَكَوود سَيِّدِ (أَوْرَكَمونت) جَلَبَ لَهُ عِشْرِينَ سَفِينَةً طَوِيلَةً، وَچُون مَائِرِ ذُو الْوَجْهِ الْمَسْحُوبِ دِسْتَةً. لُوكَاسُ كُودِ الْأَعْسَرِ مَعَهُمْ، وَهَارِنُ النُّصْفِ هُورٌ، وَالْمَلَّاحُ الْأَحْمَرُ، وَكِيمِيَتِ بَايِكِ النَّعْلِ، وَرُودْرِيكَ الْمَوْلُودُ حُرًّا، وَتُورُوُولِدُ ذُو السِّنِّ الْبَنِيَّةِ...».

قَالَتْ أَشَا الَّتِي تَعْرِفُهُمْ جَمِيعًا: «رِجَالُ ضَيْلُو الشَّانِ، أَبْنَاءُ الرِّوَجَاتِ الْمَلْحِيَّاتِ وَأَحْفَادُ الْأَقْنَانِ. آلُ كُود... هَلْ تَعْرِفُ كَلِمَاتِهِمْ؟».

أَجَابَ تَرِيسٌ: «مَعَ أَنَّ كُلَّ النَّاسِ يَحْتَقِرُونَنَا... لَكِنِ إِذَا أَوْقَعُوكَ فِي شِبَاكِهِمْ فَسَتَمُوتِينَ كَمَا لَوْ أَنَّهُمْ مِنْ سَادَةِ التَّنَّانِينِ. وَثَمَّةُ مَا هُوَ أَسْوَأُ. عَيْنُ الْغُرَابِ جَلَبَ مَعَهُ وَحُوشًا مِنَ الشَّرْقِ... نَعَمْ، وَسِحْرَةٌ أَيْضًا».

- «لَطَالَمَا كَانَ عَمِّي مَوْلَعًا بِالسُّوْخِ وَالْحَمَقَى. كَثِيرًا مَا تَشَاجَرَ أَبِي مَعَهُ فِي هَذَا الصَّدْدِ. دَعِ السَّحْرَةَ يَبْتَهَلُونَ لِأَلْهَتِهِمْ وَسَيَبْتَهَلُونَ ذُو الشَّعْرِ الرِّطْبِ لِأَلْهِنَا وَيُغْرِقُهُمْ. هَلْ سَأَحْظِي بِصَوْتِكَ فِي انْتِخَابِ الْمَلِكَةِ يَا تَرِيسُ؟».

- «سَتَحْظِينَ بِي كَلِّي. إِنَّنِي رَجَلِكُ إِلَى الْأَبَدِ. أَرِيدُ أَنْ أَتَرَوَّجَكَ يَا أَشَا. لَقَدْ وَافَقَتِ السَّيِّدَةُ وَالذَّنْكَ بِالْفِعْلِ».

كتمت آهة استنكارٍ مفكّرة: كان يُمكنك أن تسألني أولاً... مع أن الجواب لم يكن ليروقك.

واصل هو: «لم أعد ابناً ثانياً. إنني اللورد بوتلي الشرعي كما قلتِ بنفسك، وأنتِ...».

- «ما سأكونه أنا سيتحدّد في (ويك القديمة). تريس، إننا لم نعد طفلين يلعبان ويحاولان أن يريا ماذا يوضع أين. إنك تحسب أنك تُريد أن تتزوّجني، لكنك لا تُريد حقاً».

- «لكني أريد. إنني لا أحلمُ بسواك. آشا، أقسمُ بعظامِ ناجا أنني لم ألمس امرأةً أخرى».

- «أذهب والمس واحدةٌ إذن... أو اثنتين، أو عشرًا. عن نفسي لمستُ رجالاً أكثر مما أستطيعُ أن أحصي، بعضهم بشفتي والمزيد بفأسي». في سنّ السادسة عشرة سلّمت آشا بتولتها لبَحَارٍ أشقر جميل الطلعة على سفينة تجاريّة من (ليس). لم يكن يعرف إلا كلماتٍ ستاً من اللغة العاميّة، لكن «مضاجعة» كانت واحدةً منها، الكلمة التي أملت أن تسمعها تحديداً. بعدها تصرّفت بعقلٍ وذهبت إلى ساحرة غابية أرزتها كيف تعدُّ شاي القمر كي لا ينتفخ بطنها.

حملت بوتلي إليها كأنه لم يستوعب ما قالتها، وقال: «أنتِ... خلّتكِ ستنتظرين. لماذا...»، وفركَ فمه سائلاً: «آشا، هل كنتِ مرغمة؟».

- «كنتُ مرغمةً لدرجة أنني مرّقتُ سُترته. لست تُريد أن تتزوّجني، ثق بكلمتي. أنتِ صبيٌّ طيبٌ ولطالما كنت كذلك، لكني لستُ بنتاً طيِّبةً. إذا تزوّجنا فسرعان ما ستكرهني».

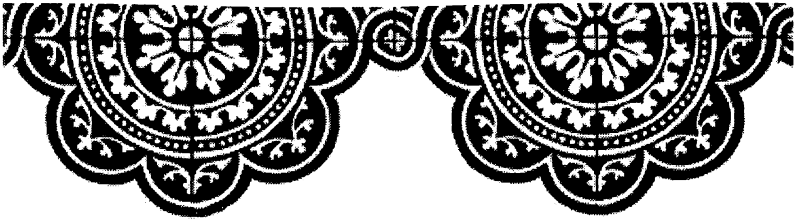
- «مستحيل. لقد آلمني الاشتياق إليك يا آشا».

قرّرت أنها سمعت ما فيه الكفاية. أم مريضة وأب قتيل ووبال من الأعمام، كلُّ هذا يكفي أيّ امرأةٍ ويزيد، وليست في حاجةٍ إلى جرو أضناه الغرام أيضاً. هكذا قالت: «أذهب إلى ماخور يا تريس وسيعالجك هناك من هذا الألم».

هزّ تريسيفر رأسه نفيّاً قائلاً: «لا يُمكنني أبداً أن... أنا وأنتِ قدرنا أن نكون معاً يا آشا. لقد علمتُ دوماً أنكِ ستصيرين زوجتي وأمِ أبنائي»، وأطبّق يده على عضدها.

وفي غمضة عينٍ كان خنجرها على حلقه وكلماتها في أُذنيه: «ارفع يدك وإلا لن تعيش لتُنَجِّبَ أيَّ أبناء، الآن»، ولَمَّا فعَلَ خَفَضَتِ السَّلَاحَ قَائِلَةً: «تُريد امرأة، لا بأس، سأضعُ واحدةً في فراشك اللَّيْلَةَ. تظاهر بأنها أنا إذا كان هذا سيسرُّك، لكن إياك أن تتجرأ وتضع يدك عليّ ثانيةً. إنني ملكتك لا زوجتك، تذكَّر هذا»، وأعمدَت أشأ خنجرها وتركته واقفاً هناك بقطرة كبيرة من الدَّم تسيل على عنقه، سوداء في نور القمر الشَّاحِبِ.





## سرسي

قالت چوسلين سويفت وهي تعقد أربطة فُستان الملكة: «أوه، أرجو ألا تجعل الآلهة المطر يسقط على زفاف الملك».

- «لا أحد يُريد المطر». عن نفسها تُريد سرسي ثلوجًا وجليدًا، ريحًا تعوي ورعدًا يرحُّ أحجار (القلعة الحمراء) ذاتها، تُريد عاصفة تُضاهي الثورة في داخلها. قالت لچوسلين: «أكثر، أحكمي شدَّ الأربطة أكثر أيتها البلهاء المتملِّقة».

الزُفاف مصدر غضبها الحقيقي، وإن كانت ابنة سويفت بطيئة البديهة تُشكِّل هدفًا أكثر أمنًا تصبُّ عليه هذا الغضب. قبضة تومن على العرش الحديدي ليست مُحكمة بما يكفي لأن تُقدِّم على إهانة (هايجاردن)، ليس وستانيس باراثيون لم يزل مسيطرًا على (دراجونستون) و(ستورمز إند)، و(ريفررن) مستمرَّة في تحدِّيها، والحديديون يجوبون البحار كالذئاب. هكذا على چوسلين أن تأكل الوجبة التي كانت سرسي تُؤثِّر أن تُقدِّمها لمارچري تايرل وجدَّتْها المتغضِّنة المقيتة.

من أجل إفطارها أرسلت الملكة إلى المطابخ تطلُّب بيضتين مسلوقتين ورغيفًا من الخبز ووعاء من العسل، لكن حين قشَّرت أول بيضة ووجدت في داخلها كتكوتًا داميًا نصف مكتمل التكوين انقلبت معدتها، وقالت لسينل: «خُذي هذا وأحضري لي نبيدًا متبلاً ساخنًا». كان البرد في الهواء ينخر عظامها، وما زال أمامها يوم طويل كربه.

كما أن چايمي لم يُساعد على تحسين مزاجها عندما جاء مرتديًا الأبيض دون أن يحلق لحيته، ليُحدِّثها عن التدابير التي اتَّخذها للحيلولة دون

تسميم ابنها، فقال: «سأضع رجالاً في المطبخ يُراقبون بينما يعدُّ كلُّ صنف، وسيصحب رجال السير أدام الخدم وهم يحملون الطَّعام إلى الموائد ليتأكَّدوا من عدم التَّلَاعِبِ به في الطريق، والسير بوروس سيتذوَّق كلَّ صنفٍ قبل أن يضع تومن لُقمةً في فمه. وإذا لم ينجح شيء من هذا سيكون المايستر بالابار جالساً في نهاية القاعة ومعه عقاقير مطهَّرة وترياقات لعشرين نوعاً معروفاً من السُّموم. أعدك بأن تومن سيكون آمناً».

- «آمناً». كان للكلمة مذاقٌ مُرٌّ على لسانها. چايمي لا يفهم، لا أحد يفهم. وحدها ميلارا كانت موجودةً في الخيمة لتسمع العجوز السَّمطاء تُلقِي تهديداتها بنبرة كالنَّعيق، وميلارا ماتت منذ زمنٍ طويل. «تيريون لن يُقتل بالوسيلة نفسها مرَّتين، إنه أمكر من أن يفعل ذلك. ربما يكون تحت الأرضية الآن تحديداً، يتنصَّت على كلِّ كلمةٍ يقولها ويُخَطِّط لذبح تومن».

قال چايمي: «لنفترض جدلاً أن هذا صحيح. أيًّا كانت الخُطط التي يضعها سيظلُّ صغيراً قصيراً، وتومن سيكون محاطاً بخيرة فُرسان (وستروس). رجال الحرس الملكي سيعمونه».

نظرت سרسي إلى حيث طُوي كُثمُّ سُرّة أخيها الحرير البيضاء وُثِّبَتْ بدبُّوسٍ فوق جدعته، وردَّت: «أذكُر كم أحسن فُرسانك المغاوير هؤلاء حماية چو فري. أريدك أن تبقى مع تومن طوال الليل، مفهوم؟».

- «سأضع حارساً أمام باب».

أطبقت على ذراعه قائلةً: «لا حُرَّاس، أنت، وداخل غرفة نومه».

- «في حال خروج تيريون من المستوقد؟ لن يحدث».

- «هذا ما تقوله أنت. هل ستُخبرني بأنك عثرت على جميع الأنفاق الخفية وراء هذه الجُدران؟». كلاهما يعلم أن ذلك مستبعد. «لن أسمح لمارچري بالانفراد بتومن ولو لجزءٍ من لحظة».

- «لن يكونا وحدهما، بنات عمومتها سيكن معهما».

- «وأنت أيضاً. أمرك بهذا باسم الملك».

لم تكن سרسي تُريد أن ينام تومن وزوجته في فراشٍ واحد على الإطلاق، إلَّا أن آل تايرل أصرُّوا، وقالت ملكة الأشواك: «المفترض أن ينام الزَّوج

والزوجة معاً حتى إذا لم يفعل ما هو أكثر من النوم. مؤكّد أن سرير جلالته يسع اثنين، أليس كذلك؟».

أيدت الليدي آيري حماتها قائلة: «دعي الطفلين يستدفي كلاهما بالآخر في الليل، سيجعلهما هذا أقرب. كثيراً ما تُشارك مارچري بنات عمومتهما فراشها، ويُغَيّن ويلعبن ويتهاَمسن الأسرار بعدما تنطفئ الشموع». ردّت سرسي: «يا للبهجة. يُمكنهن الاستمرار في هذا بالطبع... في (ققص العذراوات)».

قالت الليدي أولينا لليدي آيري: «أنا واثقة بأن جلالتها تعرف الأصلاح. إنها أم الصّبي في النهاية، ونحن من هذا متأكّدون. لا بُدّ أننا نستطيع الاتّفاق على ليلة الرّفاف على الأقل، أليس كذلك؟ لا ينبغي أن ينام العريس وعروسه منفصلين ليلة زفافهما. فال سيّ لزواجهما أن يفعلا».

تعهدت الملكة في نفسها: يوماً ما سأعلّمكِ معنى الفأل السيّ، لكنها وجدت نفسها مرغمة على أن تقول: «يُمكن لمارچري أن تنام في عُرفة تومن تلك اللّيلة فقط، لكن ليس أكثر من ذلك».

ردّت ملكة الأشواك: «جلالتكِ شديدة الكرم»، وتبادل الجميع الابتسامات.

كانت أصابع سرسي مغروسة في ذراع چايمي بقوة كفيّلة بترك كدمات وهي تُواصل: «أريدُ عينين داخل تلك العُرفة».

- «الرؤية ماذا؟ خطر الجِماع ليس وارداً لأن تومن صغير للغاية».

- «وأوسيفر بلوم كان ميتاً للغاية، لكن هذا لم يمنعه من إنجاب طفل!».

لاحت الحيرة على أخيها إذ قال: «من أوسيفر بلوم؟ هل كان أبا اللورد

فيليب أم... من؟».

يكاد يكون جاهلاً كروبرت. عقله كلّه كان في يد السيّف. «انس بلوم.

تذكّر فقط ما قلته لك. أقسم لي أنك ستبقى إلى جانب تومن حتى تُشرق الشّمس».

قال بلهجة تُوحى بأنه يرى مخاوفها بلا مبرّر: «كما تأمرين. أما زلتِ

تنتوين المضيّ في إحراق (بُرج اليد)؟».

- «بعد المأدبة». إنه الجزء الوحيد من احتفالات اليوم الذي تعتقد سرسي

أنها ستستمتع به. «السيد والدنا قُتل في هذا البرج ولا أطيعُ النظر إليه. إذا شاءت الآلهة ستدفع النار بعض الجرذان إلى الخروج من الأنقاض».

دور چایمی عینیه قائلًا بملل: «تعین تیریون».

- «هو واللورد فارس وذلك السجان».

- «لو كان أيهم مختبئًا في البرج لوجدناه. لقد كلفتُ جيشًا صغيرًا بالتنقيب فيه بالماحول والمطارق، وهدمنا جدرانًا وحطّمنا أرضياتٍ واكتشفنا عشرات الممرات السريّة».

- «وربما تكون هناك عشرات الممرات الأخرى». بعض الأنفاق السريّة وجدوه صغيرًا للغاية، حتى إن چایمی لجأ إلى عددٍ من الخدم وصبيان الاسطبلات لاستكشافها، وأسفر البحث عن ممرٍ إلى الزنازين السوداء وبئرٍ حجرية تبدو بلا قرار، بالإضافة إلى حُجرةٍ مملأى بالجماجم والعظام المصفرة، وأربعة أجولةٍ من العملات الفضية المعيوبة من عهد الملك فسيرس الأول، ناهيك بالآلاف الجرذان... لكن لا تيريون ولا فارس كانا بينها، وفي النهاية أصرَّ چایمی على وضع نهايةٍ للبحث. أحد الصبية انحسر في ممرٍ ضيقٍ واضطروا إلى سحبه من قدميه وهو يصرخ، وآخر سقط في بئرٍ سُلّم وكسر ساقه، واختفى حارسان بينما يستكشفان نفقًا جانبيًا. أقسم بعض الحراس الآخرون أنهم سمعوا صياحهما الخافت عبر الأحجار، لكن حين هدم رجال چایمی الجدار لم يجدوا على الجانب الآخر إلا التربة والرُكام. «العفريت صغير أريب، وربما لا يزال مختبئًا بين الجدران. إذا كان كذلك فستُجبره النار على الخروج».

- «حتى إذا كان تيريون ما زال مختبئًا في القلعة فلن يكون في (برج اليد). إننا لم نُبقي منه إلا هيكله».

- «لينا نستطيع أن نفعل المثل ببقية هذه القلعة الكريهة. بعد الحرب أنوي أن أبني قصرًا جديدًا وراء النهر». لقد حلمت به ليلة أول من أمس، بصرح أبيض بديع تُحيط به الغابات والبساتين ويبعد فرائخ طويلاً عن (كينجز لاندنج) بضوضائها وروائحها المقرفة. «هذه المدينة مجرور. مقابل

نصف جروت<sup>(1)</sup> يُمكنني أن أنقل البلاط إلى (لانسپورت) وأحكم البلاد من (كاسترلي روك)».

- «تلك حماقة أكبر من إحراق (بُرج اليد). ما دامَ تو من جالسًا على العرش الحديدي ستراه البلاد الملك الحقيقي، لكن خبيثه تحت (الصخرة) وسيصبح مجرد مُطالب آخر بالعرش لا فرق بينه وبين ستانيس».

بحدّة قالت الملكة: «أعي هذا. قلتُ إنني أريدُ أن أنقل البلاط إلى (لانسپورت) وليس إنني سأفعلها حقًا. هل كنت بطيء الفهم هكذا دومًا أم أن فقدانك يدك أصابك بالغباء؟».

تجاهل سؤالها قائلاً: «إذا انتشر اللهب بعيدًا عن نطاق البُرج فربما ينتهي بك الأمر وقد أحرقت القلعة حقًا سواء أقصدت أم لم تقصدي. النار الشعواء<sup>(2)</sup> خدّاعة».

منذ أسبوعين ورابطة الخيميائيين تُصنّع نارا شعواء طازجة. «اللورد هالاين أكّد لي أن الپايرومانسرات يستطيعون التّحكّم في النار. فلتَرَ (كينجز لاندنج) كلها اللهب، سيكون درسًا لأعدائنا».

- «الآن تتكلّمين كأنك إيرس».

ردّت غاضبة: «احفظ لسانك أيها الفارس».

- «أنا أيضًا أحبّك يا أختي الجميلة».

بعد أن رحل سألّت نفسها: كيف أحببتُ هذا المخلوق التّعس يومًا؟ وهمس صوت آخر في داخلها مجيبًا: كان توأمك، ظلّك، نصفك الآخر، فجوابته: ربما فيما مضى، لكنه لم يعد كذلك. لقد أصبح غريبًا عني.

مقارنةً بزفاف چوفري كان زفاف الملك تو من صغيرًا متواضعًا. لا أحد أراد احتفالًا باذخًا آخر، لا سيّما الملكة، ولا أحد أراد أن يدفع تكلفته، لا سيّما آل تايرل، وهكذا اتّخذ الملك الصّغير مارچري تايرل زوجة له في سبت

---

(1) الجروت عملة كانت متداولة قديمًا في إنجلترا وأيرلندا وسكوتلندا، وتساوي أربعة بنسات. (المترجم).

(2) تُعرّف النار الشعواء في عالم الواقع باسم نار الإغريق، وهي سائل حارق سريع الاشتعال تكرر استخدامه في المعارك البحرية قديمًا، ولا أحد يعرف مكوناته على وجه الدقّة. (المترجم).

(القلعة الحمراء) الملكي، في حضور أقل من مئة ضيفٍ بدلاً من الآلاف الذين شهدوا قران أخيه بالمرأة نفسها.

بدأت العروس رائقةً مرحةً جميلةً، والعريس لا يزال طفوليَّ الوجه ممتلئًا، وقد ردَّد نذوره بصوتٍ صبياني مرتفع، واعدًا ابنة مايس تايرل المترملةً مرتين بحبه وإخلاصه، فيما ارتدت مارچري الفُستان ذاته الذي ارتدته يوم زفافها إلى چوفري، بتصميمه الرقيق من الحرير العاجي الشفاف وشرائط الزينة المايرية واللاكي الصغرة. أمَّا سرسي نفسها فما زالت ترتدي الأسود علامةً على رثائها ابنها البكري القليل. ربما يحلو لأرملته أن تضحك وتشرّب وترقص وتزيح ذكري چوف برمتها من عقلها، لكن أمّه لن تنساه بهذه البساطة.

فكرت سرسي: ليس هذا سليمًا. لقد تعجّلوا جدًّا. عام، عامان، كان ذلك ليكفي. كان على (هايجاردن) أن تقنع بالخطبة فقط، وألقت نظرةً وراءها إلى حيث يقف مايس تايرل بين زوجته وأمّه، وقالت له: أنت الذي أجبرتي على مهزلة الزفاف هذه يا سيدي، ولن أنسى هذا في أيّ وقتٍ قريب.

لما أنّ أوان تبادل المعطفين نزلت العروس على ركبتيها بحركة رشيقة أنيقة، وكساها تومن بالداهية الثقيلة المفصلة من فُماش الذهب التي البس روبرت سرسي إياها يوم زفافهما، المعطف الذي خيطَ وعل باراثيون على ظهره بحبات الجزع. أرادت سرسي أن ترتدي مارچري المعطف الحريري الأحمر الناعم الذي استخدمه چوفري، وشرحت لآل تايرل قائلة: «إنه المعطف الذي استخدمه السيّد والدي حين تزوّج السيّدة والدتي»، لكن ملكة الأشواك عارضتها في هذا أيضًا، وقالت الحيزبون: «ذلك الشيء القديم؟ إنه يبدو لي مهترئًا بعض الشيء... وأجسرُ على أن أقول إنه... منحوس أيضًا. وأن يكون الوعل أليق بابن الملك روبرت الشرعي؟ في زمني كانت العروس ترتدي ألوان زوجها لا ألوان السيّدة والدته».

بسبب ستانيس ورسالته القذرة ثمة شائعات كثيرة للغاية بالفعل تحوم حول نسب تومن، فلم تجرؤ سرسي على صبّ المزيد من الزيت على النار بأن تُصمّم على أن يلبس ابنها عروسه معطف لانستر القرمزي، وهكذا رضخت بقدر ما أمكنها من كياسة، وإن كان منظر كل هذا الذهب والجزع يُفعمها بالسخط. كلّمّا أعطينا آل تايرل طالبونا بالمزيد.

لدى فروغهما من ترديد النُذُور خطا الملكة والملكة إلى خارج السِّبْت ليتلقيا التَّهاني، وقال لهما السير لايل كراكهول بصوتٍ جهوري: «(وستروس) لها ملكتان الآن، والصَّغيرة جميلة كالكبيرة». كراكهول هذا فارس مَافون يُدكّر سرسي كثيرًا بزوجها الرَّاحل غير مأسوفٍ عليه، وقد أرادت أن تصفعه لحظتها. حاول جايلز روزبي أن يلثم يدها ولم ينجح إلا في السُّعال على أصابعها، ولثمها اللورد ردواين على وجنتها ومايس تايرل على كلتا الوجنتين، وقال لها المايستر الأكبر پايسل إنها لم تفقد ابناً بل كسبت ابنةً، لكنها على الأقل لم تُبتلِّ بأحضان الليدي تاندا الدَّامعة، إذ لم تظهر أيُّ من نساء ستوكورث، وهو ما أشعر الملكة بالامتنان.

بين أواخر المهنتين كان كيثان لانستر، الذي قالت له الملكة: «بلغني أنك ستترُكنا لتحضر زفافاً آخر».

- «الحجر الصُّلب أجلى الرِّجال المكسورين من (قلعة داري). عروس لانسل تنتظرنا هناك».

- «هل ستنضمُّ إليك السيِّدة زوجتك لحضور الزَّفاف؟»  
 - «ما زالت أراضي النَّهر محفوفةً بالأخطار. حُثالة فارجو هوت طُلُقاء، وبريك دوندايون يشق أبناء فراي. أصحِّح أن ساندور كليجاين انضمَّ إليه؟».

كيف عرفَ هذا؟ «هكذا يقول بعضهم. التَّقارير مرتبكة». كان الطَّائر قد وصلَ ليلة البارحة من سِبتري<sup>(1)</sup> على جزيرةٍ عند مصبِّ (الثالوث) مباشرةً، والأخبار أن بلدة (الملاحات) القريبة تعرَّضت إلى غارةٍ ضارية من جماعةٍ من الخارجين عن القانون، ويدَّعي بعض النَّاجين أن شخصاً وحشياً يعتمر خوذةً على شكل كلب صيِّد كان بين المُغيرين، ويُفترَض أنه قتلَ دسنةً من الرِّجال واغتصبَ فتاةً في الثانية عشرة. «لا شكَّ أن لانسل يتوق إلى القبض على كليجاين واللورد بريك ليسود سلام الملك أراضي النَّهر من جديد».

حدَّق السير كيثان إلى عينيها وهلةً، ثم قال: «ابني ليس الرِّجل المناسب للتَّعامل مع ساندور كليجاين».

(1) إذا كان السِّبْت معادلاً للكنيسة في عالم الواقع، فالسِّبْتري يُعادل الدَّير. (المترجم).

هذا على الأقل نتفق عليه. «قد يكون أبوه كذلك».

ضغطاً عمَّها فكَّية قائلاً: «مادامت خدمتي ليست مطلوبةً في (الصَّخرة)...». خدمتك كانت مطلوبةً هنا. عيّنت سرسي داميون لانستر ابن خُوولتها أميناً للقلعة في (كاسترلي روك)، وابن خالٍ آخر هو السير دافن لانستر حاكماً للغرب. للعجرفة ثمنها يا عمَّاه. «اثبتنا برأس ساندور وأعلم أن جلالته سيكون في غاية الامتنان. ربما كان الرَّجل يروق چوف، لكنه لطالما أخافَ تو من... ولسببٍ وجيه على ما يبدو».

قال السير كيثان: «عندما يُسيء الكلب التَّصرُّف فاللَّوم على سيِّده»، ثم دارَ على عقبيه وابتعد.

رافقها چايمي إلى (القاعة الصُّغرى) حيث يجري تجهيز المأدبة، وبينما يمشيان همست له: «إنني ألوِّمك أنت على كلِّ هذا. قلت أن أدعهما يتزوَّجان. المفترض أن تكون مارچري في حدادٍ على چوفري لا أن تتزوَّج أخاه، المفترض أن تكون غارقةً في الأحزان مثلي. لا أصدِّق أنها عذراء. رنلي كان له قضيب، أليس كذلك؟ لقد كان أخا روبرت، فمؤكَّد أنه كان له قضيب. إذا كانت تلك الحيزيون العجوز المقزَّزة تظنُّ أنني سأسمح لابني ب...».

قاطعها چايمي بهدوء: «قريباً جداً ستتخلصين من الليدي أولينا. إنها راحلة إلى (هايجاردن) غداً».

قالت سرسي التي لا تثق بأَيٍّ من وعود آل تايرل: «هكذا تقول». ردَّ بإصرار: «إنها راحلة. مايس سيأخذ نصف قوَّات تايرل إلى (ستورمز إند)، والنَّصف الثاني عائد إلى (المرعى) مع السير جارلان ليأخذ حقَّه في (قلعة المياه الوضاء). بضع أيامٍ أخرى ولن تتبقَّى في (كينجز لاندنج) ورود إلا مارچري ورفيقاتها وحُرَّاس قلائل».

- «والسير لوراس، أم أنك نسيت أخاك المحلَّف؟».

- «السير لوراس فارس في الحرس الملكي».

- «السير لوراس ينتمي إلى آل تايرل لدرجة أنه يتبول ماء ورد. لم يكن

ينبغي أن يُعطى معطفاً أبيض».

- «لم أكن لأختاره، هذا صحيح، لكن أحداً لم يستشرنني. أظنُّ أن لوراس

سيُلبى بلاءاً حسناً. المعطف الأبيض يُغيِّر الرَّجل حالما يرتديه».



- «لقد غيرك بالتأكيد، وليس إلى الأفضل».

قال: «أنا أيضًا أحبُّك يا أختي الجميلة»، وفتح لها الباب وسارَ معها إلى المائدة العالية حيث مقعدها إلى جوار الملك، بينما ستجلس مارچري على جانب تومن الآخر في موضع الشرف. حين دخلت الملكة متأبطة ذراع الملك الصغير تعمّدت أن تتوقّف لتلثم سرسي على وجنتيها وتُعانقها، وبجرأة برّاقة كالنحاس الأصفر المصقول قالت الفتاة: «جلالة الملكة، أشعرُ كأن لي أمًا ثانية الآن. أدعو الآلهة أن نكون قريبتين للغاية ويوحّد بيننا حبنا لابنك الجميل».

- «لقد أحببتُ كلا ابني».

قالت مارچري: «چوفري في صلواتي أيضًا. لقد أحببته حبًا جمًّا مع أنني لم أنل فرصة معرفته».

كاذبة. لو أحببته ولو لحظةً لما استعجلت الزواج بأخيه على هذا النحو المخزي. إنك لم تُريدي إلا تاجه. مقابل نصف جروت كانت سرسي لتضع العروس على وجهها المتورّد في مكانها على المنصّة على مرأى من نصف البلاط.

على غرار المراسم كانت مآدبة الزّفاف متواضعةً. الليدي آيري هي من قامت بالتّرتيبات كلّها، إذ لم تكن لدى سرسي أدنى رغبة في مواجهة تلك المهمة الجسيمة ثانيةً بعد الطّريقة التي انتهت بها زفاف چوفري. لم يُقدّم أكثر من سبعة أصناف، وسلّى برميل الزّبدة وفتى القمر الضّيوف بين كل طبق وطبق، فيما عزفَ الموسيقيّون وهم يأكلون، فاستمعوا إلى المزمارة والكمنجة والعود والنّاي والقيثارة السّامية<sup>(1)</sup>. المغني الوحيد في الحفل كان أحد المفضّلين عند الليدي مارچري، شاب متأنق مختال كالطاووس ثيابه كلّها درجات من اللازورد ويدعو نفسه بالشاعر الأزرق، وقد غنى عددًا من أغاني الحبّ ثم انسحب، فقالت الليدي أولينا متبرّمة بصوتٍ مسموع: «يا لها من خيبة أمل. كنتُ أرجو أن أسمع (أمطار كاستامير)».

متى نظرت سرسي إلى الحيزبون رأّت وجه ماجي الصّفدعة سابقًا في

(1) آلة موسيقيّة من خيال المؤلّف. (المترجم).

الهواء أمامها بتجاعيده وبشاعته وحكمته. حاولت أن تُطمئن نفسها قائلة: كل العجائز يتشابهن، هذا كل ما هنالك. والحقيقة أن المشعوذة ذات الظهر المحني لم تكن تُشبه ملكة الأشواك على الإطلاق، ومع ذلك ظلَّ منظر ابتسامة الليدي أولينا البغيضة كفيلاً بإعادتها إلى خيمة ماجي من جديد. ما زالت تذكُر رائحتها العابقة بالتوابل الشَّرقيَّة الغريبة، وطراوة لثة ماجي إذ امتصَّت الدَّم من إصبعها، وكيف وعدتها العجوز والدَّم لا يزال يُبلِّل شفثيها ويلتصع عليهما: ملكةٌ ستكونين، إلى أن تأتي أخرى أصغر منك وأجمل، لتطَّيح بك وتسلِّبك كلَّ ما تعدَّينه عزيزاً.

تجاوزت سرسي تومن بصرها لترمق مارچري الجالسة تضحك مع أيها، وقالت لنفسها: حُسنها لا بأس به، لكن معظمه شباب. حتى بنات الفلاحين يكن حسناوات في سنِّ معيَّته، وهن لا يزلن يافعات بريئات عفيفات، وأكثرهن لهن نفس العيون البنيَّة والشعر البنيِّ مثلها. لا أحد يدعي أنها أجمل مني إلا وكان أحمق. غير أن العالم مليء بالحمقى، وكذا بلاط ابنها.

لم يتحسَّن مزاجها عندما نهضَ مايس تايرل ليُبادر برفع الأنخاب، فرفع كَأْساً ذهبيةً عاليًا وهو يبتسم لابنته الحسناء، وبصوتٍ مدوِّ قال: «نخب الملك والملكة!»، وتعالى نغاء الخرفان وهي تفرغ الكؤوس وتُرَدِّد: «الملك والملكة! الملك والملكة!». لم تجد سرسي خيارًا إلا أن تُشاركهم الشُّرب بينما تمنى في أعماقها لو أن جميع الضيوف لهم وجه واحد كي تُلقِي نبيذها في أعينهم وتُذكِّرهم بأنها هي الملكة الحقيقية. الوحيد الذي بدا أنه يتذكَّرها على الإطلاق من بين مُداهني تايرل هو باكستر ردواين، إذ نهضَ يرفع نخبه وجسده يترنح بعض الشيء، وصاح بمرح: «نخب ملكيتنا! نخب الملكة الصَّغيرة والكبيرة!».

شربت سرسي عدَّة كؤوس من النبيذ وراحت تُحرِّك طعامها في طبقٍ ذهبي، أمَّا چايمي فأكل أقلَّ منها، ونادرًا ما حاول احتلال مقعده على المنصَّة. أدركت الملكة أنه متوترٌ مثلها تمامًا وهي تُشاهده يذرع القاعة جيئةً وذهابًا، يُزيح المعلقات بيده السليمة ليتأكد من أن لا أحد مختبئ خلفها. إنها تعلم أن رجال لانستر حاملي الحِراب منتشرون حول المبنى، بينما يحرس السير أوزموند كتلبلاك أحد البابين والسير مرين ترانت الثاني، وقد وقف بالون

سوان وراء مقعد الملك ولوراس تايرل وراء مقعد الملكة، وتعلم كذلك أن الشيوف الوحيدة المسموح بها في المأدبة هي تلك التي يحملها رجال الحرس الملكي.

قالت لنفسها: ابني آمن. لا أذى يُمكن أن يمسه، ليس هنا، ليس الآن، ورغم ذلك كلِّمًا نظرت إلى تومن رأت چوفري يخمش حلقه، ولَمَّا بدأ الصَّبِي يسْعَلُ توقَّف قلب الملكة عن الخفقان لحظةً، وفي خضمِّ استعجالها بلوغه أوقعت إحدى الخادِمات.

طمأنتها مارچري تايرل قائلةً: «لقد شرق بالقليل من النَّبِيذ لا أكثر»، والتقطت يد تومن وقبَّلتها مضيئةً: «على حببي الصَّغير أن يأخذ رشفاتٍ أصغر. انظر، كدت تُخيف السيِّدة والدتك حتى الموت». قال تومن بخجل: «آسفٌ يا أمِّي».

كان الموقف يفوق احتمال سرسي، وحين أحسَّت بالدُّموع تترقِّق في عينيها قالت لنفسها: لا يُمكنني أن أدعهم يرون دموعي، وتحركت مازَّةً بالسير مرين وخرجت إلى الرَّواق الخلفي، وعندما باتت بمفردها تحت شمعةٍ من الشَّحم سمحت لنفسها بانتحايةٍ راجفة، ثم أخرى. يُمكن للمرأة أن تبكي، ولكن ليس الملكة.

قال صوت من ورائها: «جلالة الملكة، هل أنطفئُ عليك؟».

صوت امرأةٍ هو، منكَّه بلكنات الشَّرْق، وللحظةٍ خشيت سرسي أن ماجي الضَّفدعة تُكلِّمها من القبر، لكن المرأة لم تكن إلَّا زوجة ميريويدنر، الجميلة داكنة العينين التي تزوجها اللورد أورتون في منفاه وأخذها معه إلى دياره في (الطاولة الطويلة). سمعت سرسي نفسها تقول: «هواء (القاعة الصَّغرى) فاسد. الدُّخان أدمع عيني».

- «وعيني أيضًا يا جلالة الملكة». تُضاهي زوجة ميريويدنر الملكة طولًا، لكنها سمراء بدلًا من بيضاء، شَعرها أسود كريش الغدْفان وبشرتها زيتونيَّة وتصغرها بعقدٍ كامل، وقد قدَّمت للملكة منديلًا أزرق باهتًا من الحرير المؤرَّط بشرائط الزينة قائلةً: «إن لي ابنًا أيضًا، وأعرفُ أنني سأبكي أنهارًا يوم زفافه».

مسحت سرسي وجنتيها وقد أحنتها أن يرى أحد دموعها، وقالت بجمود:

«أشكرك».

قالت المرأة المايريّة: «جلالة الملكة، إنني...»، وخفّضت صوتها مكملّة: «ثمّة شيء يجب أن تعرفيه. وصيفتك مرتشية، إنها تُخبر الليدي مارچري بكلّ شيءٍ تفعلينه».

- «سينل؟». تلوّت ثورة مفاجئة في بطن سرسي. ألا يوجد من يُمكنها الثّقة به؟ «أأنتِ متأكّدة؟».

- «مُري أحدهم بأن يتبعها. مارچري لا تلتقيها وجهاً لوجه أبداً، لكن بنات عمومتهن هن غدفانها ويحملن إليها الرّسائل. أحياناً إلبينور، أحياناً آلا، أحياناً ميجا. كلهن قريبات من مارچري كأنهن أخواتها. إنهن يلتقينها في السّبت ويتظاهرن بالصّلاة. ضعي أحد رجالك في الشرفة غداً وسيرى سينل تهمس لميجا عند مذبح (العدراء)».

- «إذا كان هذا صحيحاً فلماذا تُخبريني؟ إنك واحدة من رفيقات مارچري، فلم تخونينها؟». لقد تعلّمت سرسي الارتياح وهي لا تزال تجلس على رُكبة أبيها. ربما يكون هذا فخاً، كذبة تزرع الخلاف بين الأسد والوردة. أجابت المرأة ملقياً شعرها الأسود إلى الوراء: «ربما تكون (الطّاولة الطّويلة) مقسمة على الولاء ل(هايجاردن)، لكنني من (مير)، وولائي لزوجي وابني، ولا أريدُ إلاّ الأفضل لهما».

- «مفهوم». في الممرّ الضيّق أفعم أنف الملكة عطر المرأة الأخرى، أريج كالمسك هو مزيج من رائحة الطّحالب والتّربة والأزهار البرّيّة، وتحتته شمّت سرسي رائحة الطّموح. قالت لنفسها وقد تذكّرت فجأةً: لقد شهدت في محاكمة تيريون، رأيت العفريت يضع السّم في كأس چوف ولم تخف أن تتكلّم. وعدتها قائلةً: «سأنظر في هذه المسألة، وإذا كان ما تقولينه صحيحاً فستنالين مكافأةً». وإذا كنتِ تكذّبين عليّ فسأقطعُ لسانك وأصاдрُ أراضِي زوجك وذهبه أيضاً.

قالت الليدي ميريويدر: «جلالتك لطيفة، وجميلة أيضاً»، وابتسمت لتلوح أسنانها البيضاء بين شفّتيها الممتلئتين الدّاكتين.

حين عادت الملكة إلى (القاعة الصّغرى) ألّفت أخواها يمشي جيئةً وذهاباً بتوتّر، وقال لها: «مجرّد رشفةٍ من النّبذ جعلته يشرّق، لكنها أفرعتني أيضاً».

دمدمت في وجهه: «بطني مقلوب لدرجة أنني لا أستطيعُ الأكل، والتبيد مذاقه كالمرّة. هذا الزّفاف غلطة».

- «هذا الزّفاف ضروري. الصّبي في أمان».

قالت: «أحمق. لا أحد يعتمر تاجًا في أمانٍ أبدًا»، وجاست بنظرها في القاعة لترى ميس تايرل يضحك وسط فرسانه، واللوردين ردواين وروان يتكلمان بصوتٍ خفيض، والسير كيفان جالسًا بوجوم مع كأسه في نهاية القاعة، بينما يهمس لانسل بشيءٍ ما لأحد السّبتونات، وتتحرك سينل بطول المائدة ماثلة كؤوس بنات عمومة العروس بنبيذ أحمر كالدم، في حين غاب الجايستر الأكبر پايسل في النّوم. فكّرت بكآبة: لا أحد بإمكانه الاعتماد عليه، ولا حتى چايمي. عليّ أن أزيح كلّ هؤلاء وأحيط الملك بأناسي.

لاحقًا، بعدما قدّمت الحلويات والمكسّرات والجبنة ورُفعت، بدأت مارچري وتومن الرّقص، وقد بدوا على قدرٍ لا بأس به من السّخف وهما يدوران. ابنة تايرل تفوق زوجها الصّغير بقدّم ونصف طولًا، وتومن راقص أحرق في أحسن أحواله، لا يملك أيًا من رشاقة چوفري التلقائية، وإن بذل قصارى جهده وبدا غافلًا عن الفرجة التي صنعها من نفسه... ولم تكذ العذراء مارچري تفرّغ منه حتى انقضّت عليه بنات عمومتهما واحدة تلو الأخرى مصمّياتٍ على أن يرقص صاحب الجلالة معهن أيضًا. فكّرت سرسي بامتعاضٍ وهي تُشاهد: سيجعلنه يتعثّر ويترنّح لِمَا يفرّغن منه. نصف البلاط سيتهكّم عليه من وراء ظهره.

بينما أخذت كل من آلا وإلينور ومجا دورها مع تومن، رقصت مارچري مرّة مع أبيها ثم مع أخيها فارس الزهور، الذي ارتدى الحرير الأبيض وأوثق حول خصره حزامًا من الورود الذهبية وثبت معطفه بدبوسٍ على شكل وردة من اليشب. فكّرت سرسي وهي تُشاهد هما: كأنهما توأمان. يكبر السير لوراس أخته بعام، لكن كليهما له العينان البيتان الواسعتان نفسهما والشعر البني الكثيف الذي ينسدل في حليقاتٍ طبيعيةٍ على أكتافهما، وكذا البشرة الملساء التي لا تشوبها شائبة. قدر وافر من البثور سيعلّمهما شيئًا من التواضع. لوراس أطول قامه وله زغب بنيّ ناعم خفيف على وجهه، ومارچري لها جسد امرأة،

لكن فيما عدا ذلك فإنهما متشابهان أكثر من سرسي وچايمي، وهو ما أثار استياءها أيضًا.

قطع توأمها أفكارها بقوله: «هل تسمح صاحبة الجلالة بتشريف فارسها الأبيض برقصة؟».

حدجته بنظرة مُهلكة قائلة: «وأتركك تتلمّسن عبتاً بهذه الجدعة؟ لا. لكنني سأتركك تملأ كأسِي، إذا كنت تحسب أنك تقدر دون أن تسكّب النبيذ». ردّ: «مُعاق مثلي؟ لا أظنُّ»، وابتعد وعادَ يدور في أرجاء القاعة، وملأت هي الكأس بنفسها.

رفضت سرسي أن ترقص مع مايس تايرل ثم لانسل، ففهم الآخرون التلميح ولم يطلب أحد آخر الرقص معها. أصدقاؤنا الصديقون ولورداتنا المخلصون. إنها لا تستطيع الثقة بالغربيين منهم حتى، حملة راية أبيها ورجاله المقسمين على الولاء، لا تستطيع إذا كان عمُّها ذاته يتأمّر مع أعدائها...

كانت مارچري ترقص مع ابنة عمومها آلا، ومجا مع السير تالاد الطويل، وابنة العمومة الأخرى إلينور تشرب كأساً من النبيذ مع أوران ووترز، نغل (دريفتمارك) الوسيم. ليست هذه أول مرّة تلحظ الملكة ووترز، الشاب النحيل ذي العينين الخضراوين الضاربتين إلى الرمادي والشعر الطويل الذهبي المائل إلى الفضي. حين رأته للمرّة الأولى كادت تحسب لأقلّ من لحظة أن ريجار تارجارين قد عادَ من الرماد. قالت لنفسها: شعره السبب. إنه ليس ينصف الوسامة التي كانها ريجار، ووجهه ضيقٌ للغاية وهناك ذلك الشقُّ في ذقنه. على أن آل فيلاريون ينحدرون من دُرِّيَّة فاليريّة قديمة، ولبعضهم الشعر المائل إلى الفضي الذي كان لملوك التنانين القدامى.

عادَ تو من إلى مقعده ليقضم من كعكة تفّاح، ونظرت الملكة إلى مقعد عمِّها لتجده شاغراً، وأخيراً وجدته في رُكن يتكلم باهتمام بالغ مع ابن مايس تايرل جارلان. عمّ يتكلمان؟ ربما يُلقَّب أهل (المرعى) السير جارلان بالهُمام، لكنها لا تثق به أكثر من مارچري أو لوراس. إنها لم تنسَ العملة القديمة التي اكتشفها كايرن تحت وعاء فضلات السجّان. يد ذهبية من (هايجاردن)، ومارچري تتجسّس عليّ. عندما ظهرت سينل لتملأ كأسها قاومت الملكة مضطّرةً رغبتها الملحّة في أن تقبض على رقبتها وتخفّفها،

وقالت لها في سريرتها: لا تتظاهري بالتبسّم لي أيتها الحقيرة الخائنة.  
ستوسلّين مني الرّحمة قبل أن أفرغ منك.  
سمعت شقيقها چايمي يقول: «أظنّ أن صاحبة الجلالة شرّبت نبيذاً بما  
يكفي الليلة».

لا، كل ما في العالم من نبيذ لن يكفي لأن أتحمّل هذا الرّفاف. نهضت  
بسُرعة جعلتها تُوشك على السقوط، لكن چايمي أمسكها من ذراعها وثبّتها،  
فانتزعت الذراع منه وصفقت لتتوقّف الموسيقى وتصمّت الأصوات،  
وبصوت عالٍ قالت سرسي: «أبها السّادة والسّيّدات، أرجو أن تفضّلوا  
وتخرّجوا معي لنشعل شمعة احتفالاً باتّخاذ (هايجاردن) و(كاسترلي روك)  
وبعصر جديد من السّلام والرّخاء لممالكنا السّبع».

مظلمًا كثيبًا وقف (برج اليد)، تحتلّ الفتحات الواسعة مكان أبوابه البلوط  
الثقيلة ومصاريع نوافذه، لكن حتى في خرابه وتجرّده من زينته ظلّ مرتفعًا  
فوق السّاحة الخارجيّة، ومرّ ضيوف الرّفاف في ظلّه إذ خرجوا من (القاعة  
الصّغرى). حين نظرت سرسي إلى أعلى رأّت سُرافات البرج تنهش قمر  
الصّيّادين<sup>(1)</sup>، وتساءلت كم يداً لكم ملك قطن في هذا المكان على مرّ القرون  
الثلاثة المنصرمة.

على بُعد مئة ياردة من البرج أخذت نفساً عميقاً لتوقّف رأسها عن الدّوران،  
وصاحت: «لورد هالاين، يُمكنك أن تبدأ!».

قال هالاين الهايرومانسر: «هممممم»، ولوّح بالمشعل الذي يحمله،  
فلقّم الرّماة على الأسوار أقواسهم وأطلقوا دسّة من السّهام النّارية عبر  
النّوافذ المفتوحة.

وشبّت النّار في البرج بصوتٍ كالفحيح. خلال أقلّ من لحظة دبّت  
الحياة في داخله بالأحمر والأصفر والبُرْتقالي... والأخضر، أخضر داكن  
يُنذر بالويل، لون الجرّة واليشب وبول الهايرومانسرات. يُسمّيها الخيميائيون

---

(1) في عالم الواقع قمر الصّيّادين هو أول قمر مكتمل يتلو قمر الحصاد في فترة الاعتدال  
الخريفي، وغالبًا يطلع في شهر سبتمبر أو أكتوبر ويكون لونه بُرتقاليًا لاقترابه الشّديد من  
الأفق. (المترجم).

«المادّة»، لكن العامّة يُطلقون عليها «النَّار الشَّعواء»، وقد وُضِعَت خمسون جرّةً منها داخل (بُرج اليد)، بالإضافة إلى الحطب وبراميل القار والسّواد الأعظم من مقتنيات قزم اسمه تيريون لانستر.

شعرت الملكة بحرارة اللهب الأخضر. يقول الهايرومانسرات إن أشياء ثلاثة فحسب أشدُّ حرارةً من مادّتهم: لهب التنانين والنَّار في باطن الأرض وشمس الصَّيف. شهقت بعض الليدييات عندما ظهر اللهب في النوافذ يلعق الجُدران من الخارج كألسنة خضراء طويلة، في حين هلل آخرون ورفعوا الأنخاب.

قالت لنفسها: جميلة، جميلة كجوفري حين وضعوه بين ذراعي. لم يُسعرها رجل قطُّ بذلك الاستمتاع الذي أحسَّت به عندما التقم حلمتها ليرضع.

حدق تومن إلى النيران بعينين متسعيتين، مفتونًا بقدر ما هو خائف، إلى أن همست مارجري في أذنه بشيء جعله يضحك، وبدأ بعض الفرسان يتراهنون على الفترة التي سيستغرقها البُرج قبل أن ينهار، بينما وقف اللورد هالاين يُهمهم لنفسه ويتأرجح على كعبه.

فكرت سرسي في جميع أيادي الملوك الذين عرفتهم على مرّ السنين؛ أوين ميرويذر، وچون كوننجتون، وكارلتون تشيلستد، وچون آرن، وإدارد ستارك، وشقيقها تيريون... وفي أبيها اللورد تاويين لانستر، في أبيها على وجه الخصوص. قالت لنفسها مستمتعةً بالفكرة: كلهم يحترقون الآن، موتى ويحترقون جميعًا ومعهم مخططاتهم ومؤامراتهم وخياناتهم. لقد أتى زماني. هذي قلعتي وهذي مملكتي.

أصدر (بُرج اليد) قعقعةً مبالغتةً دوت بشدّة لدرجة أن المحادثات جميعها توقفت دُفعةً واحدةً، وتشققت الحجارة وتصدعت وهوى جزء من الشرفة العليا وخطّ بارتظام صمّ الأذان ورجّ التلّ كثيرًا سحابةً من الغبار والدخان، وإذ تدفق الهواء الطلق من الثغرات الجديدة في الحجر تأججت النار أكثر واندفعت إلى أعلى، لتنب ألسنة اللهب الأخضر في السّماء ويدور بعضها حول بعض. نكص تومن، إلّا أن مارجري أمسكت يده قائلةً: «انظر، اللهب يرقص كما كنا نرقص يا حبيبي».



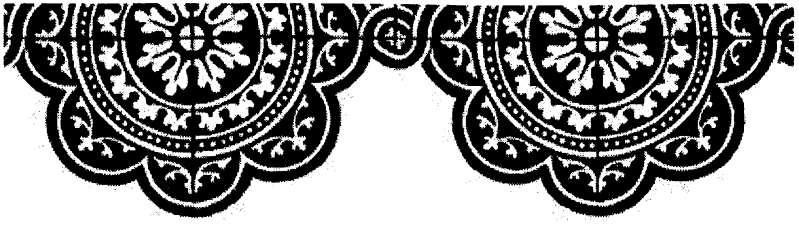
رَدَّ بصوتٍ أفعَمَتَه الدَّهْشَةُ: «نعم. أمِّي، انظُرِي، اللَّهَبُ يَرُقُصُ».  
- «أراه. لوردها لاين، كم ستبقى النَّارُ مشتعلة؟»  
- «طوال اللَّيْلِ يا مولاتي».

قالت أولينا تايرل المستندة إلى عُكَّازها بين حارسِها شِمالَ ويمين:  
«شمعةٌ جميلةٌ بالفعل، مضيئةٌ بما يكفي لأن نَخْلُدَ إلى النَّومِ في أمانٍ علي ما  
أظنُّ. العظامُ العجوزُ تتعب، وهذان الصَّغيرانِ شهدا إثارةً تكفي هذه اللَّيلة.  
حانَ الوقتُ لأن يذهبَ الملكُ والملكةُ إلى الفراشِ».  
قالت سرسي: «نعم»، وأشارت إلى چايمي مردفةً: «حضرة القائد،  
اصحب جلالته وملكته الصَّغيرةُ إلى فراشهما إذا سمحت».  
- «كما تأمرين. وأنتِ أيضًا؟».

- «لا داعي». تحسُّ سرسي بحيويَّةٍ لا تحتاج معها إلى النَّومِ. النَّارُ الشَّعواءُ  
تُظهِرُها، تحرقُ غضبها وخوفها كلَّه وتملأها بالعزيمة. «اللَّهبُ جميلٌ للغاية.  
أريدُ أن أشاهده فترةً».

قال چايمي بتردُّدٍ: «لا ينبغي أن تكوني وحدك».  
- «لن أكونَ وحدي. السير أوزموند يُمكنه أن يبقى ويحميني، أخوك  
المحلَّف».

قال كِتْلِبلاك: «إذا كان هذا يسرُّ صاحبةَ الجلالة».  
ردَّت: «يسرُّني»، وتابَّطت ذراعه، وجنَّبًا إلى جنبٍ شاهدَا النَّيرانِ تستعُرُّ.



## الفارس الملوّث

اللَّيْلَةُ باردة على غير العادة، حتى بالنسبة إلى الخريف، وفي الأزقة تلتف دَوَامَاتُ الرِّيحِ البليلة السريعة محرّكةً أتربة النهار. ريح شمالية مشبعة بالبرودة. رفع السير أريس أو كهارت فلنسوته ليخفي وجهه، فليس في صالحه أن يتعرّفه أحد. قبل أسبوعين ذُبح تاجر في مدينة الظلّ، رجل مسالم أتى (دورن) لأجل فواكهها وبدلاً من الثّمور وجدّ نحبه، وجريته الوحيدة أنه كان من (كينجز لاندنج).

سيجدني الرّعاء خصماً أشدّ بأساً. الحقيقة أنه يكاد يُرحّب باعتدائه عليه. تحرّكت يده تتحسّس بخفةٍ مقبض السيف الطويل شبه المتواري بين طيّات ملابسه الكتّان التي يرتدى طبقتين منها، المعطف الخارجي بخطوطه الفيروزية وصفوف الشّمس الذهبية، والداخلي الأخف بلونه البُرْتقالي. الثياب الدورنية مريحة، إلا أن أباه كان لينزعج أيّما انزعاج لو أنه عاش ليرى ابنه يرتديها. إنه من أبناء (المرعى)، والدورنيون أعداؤه منذ عصور سحيقة كما تشهد المعلقات في (السنديانة القديمة). ما على أريس إلا أن يعلّق عينيه ليراها؛ اللورد إدجيران السّخي جالساً بسموٍ وقد تكوّمت حول قدميه رؤوس مئة من الدورنيين، وورقات الشجر الثلاث - رمز عائلة أو كهارت - التي اخترقتها حراب الدورنيين في (ممر الأمير)، وآلستر ينفخ في بوقه الحربي لافظاً آخر أنفاسه، والسير أوليفار الملقب بالسنديانة الخضراء يرتدي أبيض على أبيض بينما يُحتضّر إلى جانب التّنين الصّغير. (دورن) ليست مكاناً ملائماً لأيّ من آل أو كهارت.

حتى قبل موت الأمير أوبرين أصاب الفارس التّوتّر متى خرّج من

(صنسبير) ليمشي في أزقة مدينة الظل. أينما ذهب يشعر بأعينهم المسلطة عليه، أعين دورنية سوداء صغيرة ترمقه بعداوة بينة، وفي كل ركن يبذل أصحاب الحوانيت قصارى جهدهم للاحتيال عليه، حتى إنه يتساءل أحيانا إن كان سقاة الحانات يصبون في مشروباته. في مرة راحت مجموعة صبية يرتدون الأسمال ترجمه بالحجارة، إلى أن سحب سيفه فولوا الأدبار. ثم جاء موت الأفعوان الأحمر ليلهب الدورنيين أكثر، مع أن الشوارع هدأت نوعا منذ حبس الأمير دوران أفاعي الرمال في برج، لكن لو ارتدى معطفه الأبيض في مدينة الظل على الرغم من هذا فكأنه يدعوهم للهجوم عليه. كان قد جلب ثلاثة معاطف بيضاء معه؛ اثنين من الصوف أحدهما خفيف والثاني ثقيل، وواحدا من الحرير الناعم، والآن يحس كأنه عارٍ دون واحد يتدلّى من على كتفيه.

قال لنفسه: العري أفضل من الموت. إنني ما زلت حارسا ملكيا، حتى من دون معطفى. لا بد أن تحترم هذا، لا بد أن أجعلها تفهم. ما كان يجدر به قط أن يترك نفسه يتورط، لكن المغني قال إن الحبّ قمين بإصابة أي رجل بالبلاهة.

غالبا تبدو المدينة الواقعة في ظلّ (صنسبير) مهجورة في قيظ النهار، الفترة التي لا يتحرك فيها في الشوارع المتربة إلا الذباب الطنان، لكن حالما يأتي المساء تدب الحياة في تلك الشوارع. سمع السير آريس موسيقى خافتة تسرب من النوافذ المزودة بفتحات تهوية وهو يمر أسفلها، وفي مكان ما كانت الطبول اليدوية تُدق بإيقاع رقصة الحراب السريع جاعلة ليل نبضا. حيث تلتقي ثلاثة أزقة أسفل ثاني الأسوار الملتفة نادته إحدى بنات الهوى من شرفة وليس على جسدها إلا الجواهر والزئبوت، فألقى نظرة سريعة عليها ثم ثنى كتفيه وواصل طريقه متوغلا وسط أنياب الريح. نحن معشر الرجال ضعاف. حتى أبلنا تخونهم أجسادهم. فكّر في الملك بيلور المبارك الذي اعتاد الصيام إلى حد السقوط مغشيا عليه ليروض الشهوات التي أخزته. أعليه أن يحذو حذوه؟

رأى رجلا قصيرا واقفا في مدخل مقنطر يشوي قطعاً من لحم الثعابين على مستوقدٍ ويُقلّبها بمِلْقَطٍ خشبي بينما تنضج، وأدمعت رائحة صلصات

الرَّجُل النَّقَّاذَ عَيْنِي الفارس، الذي سمعَ أن أفضل صلصات الثَّعابين يحتوي على قطرة من الزُّعَاف، بالإضافة إلى بذور الخردل وفلفل الثَّنَّانين. استهوى الطَّعام الدورني الأميرة مارسلا بالسرعة نفسها التي استهواها بها أميرها الدورني، وبين الحين والآخر يُجَرَّب السير آريس صنفاً لإرضائها، فيسفع الطَّعام فمه ويجعله يشهق طالباً الثَّبيذ، ويحرقه خروجه من جسده أكثر من دخوله، لكن أميرته الصَّغيرة تحبُّه.

كان قد تركها في مسكنها منحنيّة فوق طاولة لعب في مواجهة الأمير تريستان، تُحرِّك قطعاً منمّقةً على خاناتٍ من اليشب والعقيق الأحمر واللازورد. كانت شفتا مارسلا الممثلتان مفترقتين بعض الشيء، وقد ضيّقت عينها تركيزاً. اللُّعبة اسمها السايثاس، ووصلت إلى (بلدة الأخشاب) على قادمس تجاري من (فولانتيس)، فنشرها الأيتام بطول صفاف (الدّم الأخضر)، ووقع البلاط الدورني في غرامها. أمّا السير آريس فيجدها مثيرةً للجنون، فثمة عشر قطع مختلفة، كل منها لها خصائصها وقدراتها، والرُّقعة تتبدّل من مباراةٍ إلى مباراةٍ اعتماداً على ترتيب اللاعبين لخاناتهم. راقت اللُّعبة الأمير تريستان في الحال، وتعلّمتها مارسلا كي تلعب معه. إنها لم تبلغ الحادية عشرة بعد، وخطيبها في الثالثة عشرة، لكن على الرغم من هذا بدأت تغلبه أكثر فأكثر في الفترة الأخيرة، ولا يبدو أن تريستان يُمانع. لا يُمكن أن يبدو هذان الطّفْلان أكثر اختلافاً؛ هو ببشرته الزيتونيّة وشعره الأسود المفرد، وهي ببشرتها الشّاحبة كالحليب وخُصلاتها الدّهبيّة، الفاتح والغامق، كالمملكة سرسي والملك روبرت. يتمنّى أن تجد مارسلا مسرّةً أكثر في صبيّها الدورني مما وجدت أمّها في زوجها سيّد أراضي العواصف.

أشعره تركها بالقلق، مع أن المفترض أن تكون آمنة كفاية داخل القلعة. هناك بابان فقط يقودان إلى مسكن مارسلا في (بُرج الشَّمس)، وقد عين السير آريس رجلين على كلٍّ منهما، وكلهم من حرس لانستر، رجال أتوا معهم من (كينجز لاندنج)، وإن كان لهم باع في المعارك، ثم إنهم أوفياء حتى النخاع. ومع مارسلا وصيفاتها والسّيّة إجلانتين أيضاً، والأمير تريستان يُرافقه حارسه الشخصي السير جاسكوين ابن (الدّم الأخضر). قال لنفسه: كن يُزعجها أحد، وفي غضون أسبوعين سنكون قد رحلنا إلى الأمان.

هذا ما وعدّه به الأمير دوران. على الرغم من صدمة آريس لمراى منظر الأمير الدورني العاجز الهرم، فإنه لم يشكّ في كلمته، وقد قال له مارتل حين أدخلوه غرفته الشمسية: «أسفٌ لأنني لم أستطع أن أراك حتى الآن أو ألتقي الأميرة مارسلا، لكنني واثق بأن ابنتي آريان احتفت بوجودك هنا في (دورن) أيها الفارس».

أجاب راجياً ألا تخونه حُمرّة الخجل: «نعم يا سموّ الأمير».

- «أرضنا قاسية وفقيرة، لكنها لا تخلو من المحاسن. يُؤسفنا أنك لم ترَ من (دورن) أكثر من (صنسيير)، لكنني أخشى أن لا أنت ولا أميرتك ستكونان آمنين خارج هذه الأسوار. نحن الدورنيون قوم حارّو الدماء، غضبتنا سريعة ومغفرتنا بطيئة. كان ليُفرح قلبي أن أوكدّ لك أن أفاعي الرّمال وحدهن الرّاغبات في الحرب، لكنني لن أكذب عليك أيها الفارس. لقد سمعت رعاياي في الشّوارع يُطالبونني بأن أحشد جِرايي، وأخشى أن نصّف لورداتي متفقون معهم».

واتت الفارس الجرأة على أن يسأل: «وأنت يا سموّ الأمير؟».

إذا كان السّؤال الفجّ قد أساء إلى الأمير دوران فقد أخفى مشاعره جيّداً وهو يُجيب: «منذ زمن طويل علّمتني أمي أن المجانين وحدهم يخوضون حروباً لا يستطيعون الانتصار فيها، لكن سلامنا هذا هَش... هَش كأمرتك».

- «لا يؤذني بنتاً صغيرة إلا وحش».

قال الأمير: «أختي إليا كانت لها بنت صغيرة اسمها رينيس، وكانت أميرةً أيضاً، وتنهّد متابعاً: «من يرغبون في طعن الأميرة مارسلا بالخناجر لا يكتفون لها ضغينة ما، تماماً كالسير أموري لورك عندما قتل رينيس، لو أنه قتلها حقاً. إنهم يسعون فقط إلى إرغامي على الحرب، فمن سيصّدق إنكاري إذا قتلت مارسلا وهي في (دورن) تجت حمايتي؟».

- «لا أحد سيمسّ مارسلا بسوءٍ ما دمّتُ حيّاً».

ردّ دوران مارتل بابتسامةٍ واهية: «تعهدّ نبيل، لكنك مجرد رجل واحد أيها الفارس. لقد أملتُ أن يهدّئ حبس بنات أخي العنيدات الأمور، لكننا لم نفلح إلا في دفع الصّراصير إلى الاختباء في جحورها. كلّ ليلة أسمعها تتهاّمس وتشخذ سكاكينها».

لحظتها أدرك آريس أنه خائف. انظر، يده ترتجف. أمير (دورن) مرعوب. خذله الكلام ولم يستطع أن يُعلّق.

قال الأمير دوران: «تقبّل اعتذاري أيها الفارس. إنني واهن وفي صحّة متدهورة، وأحياناً... تُتعبني (صنسيبر) بجلبتها وأتربتها وروائحها. إنني أنوي العودة إلى (الحدائق المائيّة) حالما تُتيح لي واجباتي، ووقتها سأخذ الأميرة مارسلا معي»، وقبل أن يعترض الفارس رفع الأمير يداً مفاصلها حمراء متورّمة، وواصل: «أنت أيضاً ستذهب، علاوةً على سيّبتها ووصيفاتها وحُرّاسها. أسوار (صنسيبر) قويّة، لكن أسفلها تقع مدينة الظلّ، وحتى داخل القلعة يجيء المئات ويذهبون بصفة يومية. (الحدائق) ملاذي. لقد ابتناها الأمير مارون كهديّة لعروسه ابنة تارجارين احتفالاً بزواج (دورن) بالعرش الحديدي. الخريف فصل جميل هناك... النّهارات حارّة والليالي معتدلة البرودة، والنّسيم المالح يهبّ من البحر، بالإضافة إلى النّوافير والمسابع، كما أن هناك أطفالاً آخرين، صبيّة وصبايا من أولاد عليّة القوم. سيكون لمارسلا أصدقاء من سنّها تلعب معهم، لن تشعُر بالوحدة».

- «كما تشاء». دقّت كلمات الأمير في رأسه. ستكون آمنّة هناك. لماذا إذن ألحّ عليه دوران مارتل ألاّ يكتّب لـ (كينجز لاندنج) بشأن انتقالها؟ الأكثر أمنًا لمارسلا ألاّ يعلم أحد مكانها. ووافقّه السير آريس، لكن أكان يملك خيارًا آخر؟ إنه فارس في الحرس الملكي، غير أنه رجل واحد فقط رغم ذلك، تمامًا كما قال الأمير.

انفتح الرُّقاق فجأةً على باحةٍ يُبهرها القمر. في رسالتها كتبت: بعد محلّ صانع الشموع، بوابة وسلالم خارجيّة قصيرة. دخل من البوّابة وصعد الدّرجات البالية إلى باب لا علامة عليه. هل عليّ أن أطرقه؟ بدلاً من هذا فتح الباب، ليجد نفسه في غرفةٍ واسعة معتمّة ذات سقفٍ واطعٍ، مضاءة بشمعتين معطّرتين تتذبذبان في تجويفينٍ في الجدار الفخّاري السّميك، وتحت خُفيه رأى بسطاً مايريّة منقوشة، ومعلّقة على الحائط، وسريراً.

نادى: «سيّدتي، أين أنتِ؟».

أجابت: «هنا»، وخرجت من الظلّ وراء الباب، على ساعدها الأيمن

يلتفُّ ثُعبانٌ منمَّق التمتع حراشفه النحاسية والذهبية حين تحرَّكت، وهو كلُّ ما ترتدي.

كانت نيته أن يقول لها: لا، لم آتِ إلا لأخبرك بأن عليَّ الرِّحيل، لكن عندما رآها تتألَّق في ضوء الشمعتين بدا كأنه فقد القدرة على النطق وأحسَّ بحلقه جافًا كالرَّمال الدورانية. صامتًا وقف ينهل من مفاتن جسدها؛ من غور حلقها، والنهدين المستديرين الشامخين بحلمتيهما الداكنتين الكبيرتين، والانحناءات النَّاضرة في الخصر والوركين... وإذا به بوسيلة ما يحتويها وبها تخلع ثيابه، ولمَّا بلغت سترته التَّحتية أمسكتها من الكتفين ومزقت الحرير حتى سُرته، لكن آريس كان قد تجاوزَ مرحلة المبالاة بالفعل. بشرتها ملساء تحت أصابعه، دافئة الملمس كالرَّمل في شمس (دورن). رفع رأسها ووجد شفيتها، وانفتحَ فمها تحت فمه وملأ نهداها كفيه، وشعرَ بحلمتيها تنتصبان إذ مسَّهما بإبهاميه. شعرها أسود غزير رائحته كزهور الأوركيد، رائحة كالتربة الخصبة جعلت انتصابه يكاد يُوجِّعه.

همست المرأة في أذنه: «المسني أيها الفارس»، وزحفت يده على بطنها الصَّغير المستدير إلى البقعة الحلوة المبتلة تحت أيكة الشعر الأسود، وتمتمت هي حين ولجها بإصبعه: «نعم، هناك»، وتأوَّهت وسحبته إلى الفراش ودفعته عليه. «أكثر، أوه، أكثر، نعم، جميل، فارسي، فارسي، فارسي الأبيض الجميل، نعم، أنت، أنت، أريدك أنت». قادته يداها إلى داخلها، ثم طوقتا ظهره مقربتين إياه أكثر، وهمست: «أعمق، نعم، أوه». حين لفَّت ساقها حوله شعرَ بقوتها التي تُداني الفولاذ، وخذشت أظفارها ظهره وهو يغوص فيها مرَّةً ومرَّةً ومرَّةً، إلى أن صرخت وقوست ظهرها تحته، وبينما فعلت هذا وجدت أصابعها حلمتيه وقرصتهما إلى أن أفرغ لذته في داخلها. قال الفارس لنفسه: يُمكنني أن أموت سعيدًا الآن، ولفترة قصيرة أحسَّ بالسكينة. ولم يمُت.

رغبته كانت عميقة لا متناهية كالبحار، لكن مع مجيء الجَزَر ارتفعت صخور الذنب والخزي من الأعماق بحدتها المعهودة. أحيانًا تُعطيها الأمواج، لكنها باقية تحت الماء، قاسية، سوداء، زلقة. سألت نفسه: إنني فارس في الحرس الملكي. ما هذا الذي أفعله؟ تدرج من فوقها ليمتدّد محدقًا إلى

السَّقْف الذي يمتدُّ صدع كبير فيه من حائطٍ إلى حائط. لم يلحظ هذا من قبل، مثلما لم يلحظ المشهد المرسوم على المعلّقة الذي يُصوِّر نايميريا وسُفنها العشرة آلاف. لم أكن أرى إلّاها. لو أن تينًا أدخل رأسه من النافذة لما رأيتُ إلّا تدييها ووجهها وبسمتها.

غمغمت وهي تُريح رأسها على عنقه: «هناك نبيذ»، ووضعت يدها على صدره سائلةً: «أأنت عطشان؟».

قال: «لا»، واعتدلّ جالسًا على حافة الفراش. الغرفة ساخنة، وعلى الرغم من هذا يرتجف.

- «إنك تنزف، خدشتك بقوة».

حين مسّت يده جفَل كأن أصابعها مشتعلة نارًا، ونهَض عاريًا وقال: «لا، كفى».

- «معني بلسم للخدوش».

لكن لا بلسم لعاري. «الخدوش لا شيء. سامحيني يا سيّدتي، يجب أن أذهب...».

- «بهذه السُرعة؟». لها صوت مبحوح رخيم، وفم واسع مخلوق للهمس، وشفتان ممتلئتان يانعتان جاهزتان دومًا للقبات، وينسدل شعرها الفاحم الكثيف على كتفيها العاريتين إلى قَمَتي نهديها العامرين متجعّدًا في حُلِيقَاتٍ طبيعيّة ناعمة، وحتى الشَّعر على جبل زهرتها ناعم مجعّد. «ابق معي الليلة أيها الفارس. ما زالت عندي أشياء كثيرة أعلمك إيّاها».

- «تعلمتُ منك الكثير بالفعل».

- «بدوت مسرورًا كفايةً بالدروس في حينها أيها الفارس. أنت واثق بأنك لست ذاهبًا إلى فراشٍ آخر وامرأةٍ أخرى؟ قُل لي مَنْ هي. سأقاتلها من أجلك بصدري عارٍ، سكينٍ في مواجهةٍ سكينٍ»، وابتسمت مردفةً: «ما لم تكن من أفاعي الرّمال. إذا كانت كذلك فيمكننا أن نتقاسمك. إنني أحبُّ بنات عمّي كثيرًا».

- «تعلمين أن لا امرأةٍ أخرى لي. هناك فقط... الواجب».

استندت على مرفقها لترفع بصرها إليه فتبرّق عينها السوداوان الواسعتان في ضوء الشمعتين، وقالت: «تلك الحقيرة المجدورة؟ إنني أعرفها؛ جافة



كالثراب بين السّاقين وتُريقُ قُبلاتها دماءك. دَعِ الواجب ينام وحده هذه المرّة  
وابقْ معي الليلة».

- «مكاني في القصر».

تنهّدت معقبةً: «مع أميرتك. سثّير غيرتي. أظنُّ أنك تحبُّها أكثر مما  
تحبُّني. الفتاة صغيرة للغاية عليك. إنك في حاجةٍ إلى امرأةٍ لا فتاة صغيرة،  
لكن أستطيعُ أن ألعب دور البريئة إذا كان هذا يُثيرك».

- «لا يجدرُ بك أن تقولي تلك الأشياء». تذكرُ أنها دورنيّة. في (المرعى)

يقولون إن الطّعام هو ما يجعل الدورنيين حارّي المزاج ونساءهم ضارباتٍ  
خليعات. الفلفل الحريّف والبهارات الغريبة تحمي الدّماء. لا تستطيعُ أن  
تمنع نفسها. «إنني أحبُّ مارسلا كأنها ابنتي». لا يُمكنه أن يُنجب ابنةً أو يتخذ  
لنفسه زوجةً، وبدلاً من هذا عنده معطف أبيض ناصع. «نحن ذاهبون إلى  
(الحدائق المائيّة)».

- «في النّهاية، مع أن كلّ شيءٍ يستغرق أربعة أضعاف الوقت المفترض

مع أبي. إذا قال إنه ينوي أن يُغادر غدًا فالأكيد أنكم لن تتحرّكوا قبل أسبوعين  
كاملين. ستشعُر بالوحدة في (الحدائق)، أوكدُ لك. وأين الفارس الباسل  
الشّاب الذي قال إنه يتمنّى أن يقضي بقية حياته بين ذراعي».

- «كنتُ ثملاً عندما قلتُ هذا».

- «لم تشرب إلا ثلاثة أكواب من النيّذ المخفّف بالماء».

- «كنتُ ثملاً بك. لقد مرّت عشرة أعوام منذ... إنني لم ألمس امرأةً قبلك

منذ ارتديتُ المعطف الأبيض. لم أعرف قطُّ معنى الحب، لكني الآن...  
خائف».

- «وما الذي يُخيف فارسي الأبيض؟».

- «أخافُ على شرفي وشرفكِ».

قالت: «يُمكنني أن أعتني بشرفي»، ومسّت ثديها بإصبعها مدوّرةً إياه ببطءٍ

حول حلمتها، وأضافت: «وأن أعتني بلدّتي أيضًا إذا لزم الأمر. إنني امرأةٌ  
بالغة».

هي كذلك دون شك. رؤيتها هكذا على الفراش المحشو بالرّيش، تبسم

تلك الابتسامة الخبيثة وتعبث بثديها... أهنك امرأة في العالم لها هاتان

الحلمتان الكبيرتان وسُرعة استجابتهما؟ بالكاد يستطيع النَّظَرُ إليهما دون أن يرغب في الإمساك بهما وأخذهما في فمه إلى أن تنتصبا وتبتلاً وتلتمعاً... أشاحَ بنظره. كانت ثيابه الداخليَّة ملقاةً على الأرض، وانحنى الفارس يلتقطها.

قالت: «يداك ترتعشان. أظنُّ أنهما تُحبَّذان التَّمليس عليَّ. أينبغي أن تستعجل ارتداء ثيابك هكذا أيها الفارس؟ إنني أفضُّلك كما أنت. في الفراش دون ملابس نكون في أصدق حالاتنا، رجلاً وامرأةً، حبيبين، جسداً واحداً، أقرب ما يُمكن لاثنتين أن يكونا. أوثرُ أن أكون لحماً ودماً على الحرير والجواهر، وأنت... أنت لست معطفك الأبيض أيها الفارس».

قال السير آريس: «لكني كذلك، أنا معطفي، وما بيننا لا بُدَّ أن ينتهي، لأجل صالحك علاوةً على صالحِي. إذا افتضح أمرنا...».

- «سيعدُّك النَّاسُ محظوظاً».

- «سيعدُّني النَّاسُ ناقضاً للعهد. ماذا لو ذهبَ أحدهم إلى أبوكِ وحكى له كيف لوثتُ شرفك؟».

- «لأبي خصال سيئة كثيرة، لكن أحداً لم يقل قطُّ إنه أحق. نغل (عطية الآلهة) فضَّ بكارتي حين كان كلانا في الرَّابعة عشرة. هل تعلم ما فعله أبي عندما سمع؟»، وضمتَّ الأغطية في قبضتها وسحبته تحت ذقنها لتُواري عُريها، وتابعت: «لا شيء. أبي بارع للغاية في فعل اللا شيء، ويُسمِّي هذا تفكيراً. اصدقني القول أيها الفارس، هل يُقلِّقك تلويثُ شرفي حقاً أم شرفك أنت؟».

ردَّ وقد ألمه اتَّهامها: «كلاهما، ولذا يجب أن تكون هذه مرَّتنا الأخيرة».

- «هذا ما قلته من قبل».

قلته وعينته أيضاً، لكني ضعيف، وإلا لما كنتُ هنا الآن. لا يُمكنه أن يُخبرها بهذا لأنها من النَّساء اللاتي يحتقرن الضَّعف كما يُؤكِّد له إحساسه. فيها من عمِّها أكثر من أبيها. التفتَ عنها ووجدَ سترته الحريري المخطَّطة تحت كُرسِي، السُّتره التي مزَّقتها حتى السُّرَّة عندما أنزلتها على ذراعيه. قال متذمِّراً: «إنها تالفة. كيف أرديها الآن؟».

- «بالعكس. لن يرى أحد المزق بمجرد أن ترتدي معطفك. ربما ترتقها

لك أميرتك الصَّغيرة، أم أن عليَّ أن أرسل واحدةً جديدةً إلى (الحدائق المائيَّة)؟».

- «لا تُرسلي لي أيَّ هدايا». لن يتسبَّب ذلك إلَّا في لفت الانتباه. نفَضَ الشُّترَ وارتداها بالعكس، وشعرَ بحريرها باردًا على جِلده، وإن التصقَّت بظَّهره حيث خدشته، لكنها ستكفي لإعادته إلى القصر على الأقل. «لا أريدُ إلَّا أن أنهي هذه... ال...».

- «أهذه شهامة أيها الفارس؟ إنك تُؤلِّمني، وبدأتُ أظنُّ أن كلَّ كلامك عن الحُبِّ كان كذبًا».

ليس بمقدوري أن أكذب عليك أبدًا. قال السير آريس شاعرًا كأنها صفعتَه: «إن لم يكن من أجل الحُبِّ فلمَ تخلَّيتُ عن شرفي برُمَّته؟ حين أكونُ معك... أكادُ لا أقوى على التَّفكير. إنك كلُّ ما حلمتُ به في حياتي، ولكن...».

- «الكلام هواء. إذا كنت تحبُّني فلا تترُكني».

- «لقد أقسمتُ...».

- «ألَّا تتزوَّج أو تُنجب أطفالًا. طيِّب، لقد شربتُ شاي القمر، وأنت تعلم أنني لا أستطيع أن أتزوَّجك»، وابتسمتُ مردفةً: «وإن كان يُمكنني أن أقتنع بأن أحتفظ بك خليلًا لي».

- «الآن تسخرين مني».

- «قليلاً ربما. أتحسب أنك الحارس الملكي الوحيد الذي أحبَّ امرأة؟».

أقرَّ مجيبًا: «لطالما وُجِدَ رجال كان أسهل عليهم أن يحلفوا الأيمان من أن يحفظوها». السير بوروس بلاونت ليس غريبًا على (شارع الحرير)، والسير پرستون جرينفيلد اعتاد أن يزور منزل تاجر أجواخ معين كلما غاب صاحبه، لكن آريس يرفض أن يُخزي إخوته المحلِّفين بالحديث عن تلك النَّقائص، وبدلًا من هذا قال: «السير تيرانس توين صُبطَ في الفراش مع عشيقه مليكة. أقسم إنه حُب، لكنه كلَّفَه حياته وحياتها، وجلبَ انهيار عائلته وموت أنبل فارس عرفه العالم».

- «نعم، وماذا عن لوكامور الشَّهواني وزوجاته الثلاث وأطفاله الستَّة عشر؟ تلك الأغنية تُضحكني دومًا».

- «الحقيقة ليست بهذه الطَّرَافة. لم يكن يُسمَّى لوكامور الشَّهواني وهو

حي، بل كان اسمه لوكامور سترونج، وحياته كلها كانت كذبة. حين اكتُشِفَ خداعه خصاه إخوته المحلّفون وأرسله الملك العجوز إلى (الجدار)، وتُرِكَ أولئك الأطفال الستّة عشر لدموعهم. لم يكن فارسًا حقيقيًا، تمامًا مثل تيرانس توين...».

أزاحت الأغطية جانبًا وأنزلت قدميها على الأرض قائلة: «والفارس التّنين؟ تقول إنه أنبل فارسٍ عرفه العالم، ومع ذلك أخذَ مليكته إلى الفراش وحبّلت منه».

ردّ شاعرًا بالإهانة: «لن أصدّق ذلك. حكاية خيانة الأمير إيمون والملكة نيرس ليست أكثر من حكاية، كذبة قالها أخوه عندما أراد أن يُزيح ابنه الشّرعي محاباةً لنغله. إجون لم يُلقَب بغير الجدير بلا داع»، ووجد حزام سيفه وربطه حول خصره، ورغم أنه يبدو غريب المنظر وهو يُحيط بالسّتر الدورنيّة الحرير فقد ذكّره ثقل السّيف الطّويل والخنجر المألوف بهويّته، فأعلن: «لن أجعل النّاس يتذكّروني باعتباري السير آريس غير الجدير، لن ألوث معظفي».

- «نعم، ذلك المعطف الأبيض الأنيق. إنك تنسى أن عمّي الكبير ارتدى معطفًا مماثلاً. لقد مات وأنا صغيرة، لكنني أذكره. كان طويلًا كالبرج، واعتاد أن يدغِدغني حتى تنقطع أنفاسي من الضّحك».

- «لم أتشرّف بمعرفة الأمير ليوين، لكن الجميع متفقون على أنه كان فارسًا عظيمًا».

- «فارسًا عظيمًا له خليلة. إنها عجوز الآن، لكن النّاس يقولون إنها كانت ذات جمالٍ نادر في شبابها».

الأمير ليوين؟ تلك الحكاية لم يسمعها السير آريس، وقد صدمته حقًا. خيانة تيرانس توين وخداع لوكامور الشّهواني مدوّنان في (الكتاب الأبيض)، لكن ليست هناك إشارة على الإطلاق لامرأةٍ في صفحة ليوين مارتل.

واصلت: «اعتاد عمّي أن يرُدّد دومًا أن السّيف في يد الرّجل هو ما يُحدّد قيمته، وليس الذي بين ساقيه، فأعفني من كلامك الورع هذا عن المعاطف الملوّثة. حبّنا ليس ما لوثَ شرفك، بل الوحوش الذين خدمتهم والحيوانات الذين دعوتهم بإخوتك».

طعنته كلماتها على مقربةٍ شديدة من الجرح، فقال: «روبرت لم يكن وحشًا».

- «لقد ارتقى عرشه على جُثث الأطفال، وإن كنتُ أعترفُ بأنه لم يكن كچوفري».

چوفري. كان فتى وسميًا، طويلًا وقويًا بالنسبة إلى سنِّه، إلا أن هذا كلُّ ما يُمكن أن يُقال عنه من خير. ما زال يُخجل السير آريس أن يتذكَّر المرات التي ضربَ فيها ابنة ستارك المسكينة بأمر الصَّبي، وحين اختارَه تيريون للذهاب مع مارسلا إلى (دورن) أشعلَ شمعةً لـ(المُحارب) سُكرًا. «چوفري مات، العفريت سمَّه». لم يكن يخال القزم قادرًا على جريمةٍ منكرة كهذه قطُّ. «تومن الملك الآن، وتومن ليس كأخيه».

- «وليس كأخته».

ما تقوله صحيح. تومن رجل صغير طيب القلب يبذل أقصى جهده دائمًا، لكن آخر مرَّة رآه السير آريس كان الصَّبي يبكي على رصيف الميناء، في حين لم تذرف مارسلا ولو دمعَةً، مع أنها هي التي كانت مغادرةً بيتها وأهلها لتبرِّم حلفًا بعُذريَّتها. الحقيقة أن الأميرة أشجع من أخيها، وأذكى وأكثر ثقةً بنفسها كذلك، وبديعتها أسرع ومجاملاتها أفضل تهذيبيًا، وما من شيءٍ يُرهبها أبدًا، حتى چوفري نفسه. النساء هن الأقوى حقًا. لحظتها لم يكن يُفكِّر في مارسلا وحدها، بل في أمِّها وأمِّه أيضًا، وفي ملكة الأشواك وأفاعي الرِّمال بنات الأفعوان الأحمر الحسنات المميتات... وفي الأميرة آريان مارتل، فيها تحديدًا. قال بصوتٍ أجش: «لن أقول إنك مخطئة».

- «لن تقول؟ ولا يُمكنك أن تقول! مارسلا تصلح للحُكم أكثر من...».

- «الابن يسبق الابنة».

- «لماذا؟! من الإله الذي فرضَ هذا؟ إنني وريثة أبي، فهل عليَّ أن أتخلَّى

عن حقوقي لأخوي؟».

- «إنك تلوين كلامي. لم أقل إطلاقًا... (دورن) تختلِف. لم تكن

لـ(الممالك السَّبْع) ملكة حاکمة قطُّ».

- «فيسرس الأول انتوى أن تخلفه ابنته رينيرا، هل تُنكر هذا؟ لكن بينما

يُحتضِر الملك قَرَّر قائد حرسه الملكي أن يكون الأمر غير هذا».

السير كريستون كول. كريستون صانع الملوك وضع الأخ في مواجهة أخيه وجعل حرس الملك ينقسمون على أنفسهم، لتتشب الحرب الرهيبة التي يُسمِّيها المغنون رقصة التنانين. بعضهم يزعم أنه تصرف بدافع الطموح، لأن الأمير إجون كان أسهل انقيادًا من أخته الأكبر العنيدة، في حين يتذرع له غيرهم بدوافع أكثر نبلاً، ويحاولون أن يبرهنوا على أنه كان يدافع عن التقاليد الأندالية القديمة، وثمة قلائل يقولون همسًا إن السير كريستون كان عشيق الأميرة رينيرا قبل أن يرتدي المعطف الأبيض وأراد أن ينتقم من المرأة التي نبذته. قال السير أريس: «صانع الملوك جلب أذى شنيعًا على البلاد ودفع الثمن غاليًا، ولكن...».

- «ولكن ربما أرسلتك الآلهة السبعة إلى هنا كي يعدل فارس أبيض ما ميّله فارس أبيض آخر. إنك تعلم أن أبي ينوي أن يأخذ مارسلا معه حينما يعود إلى (الحدائق المائية)، أليس كذلك؟».

- «ليحميها ممن يُريدون إيذاءها».

قالت: «لا، بل ليُبْعدها عنم يُريدون تتويجها. كان الأمير أوبرين الأفعوان يضع التاج على رأسها بنفسه لو عاش، لكن أبي يفتقر إلى الشجاعة»، ونهضت متابعه: «تقول إنك تحب الفتاة كما لو أنك تحب ابنة من دمك، فهل تسمح بأن تُسلب ابنتك حقوقها وتُسجن؟».

ردّ محتجًا بضعف: «(الحدائق المائية) ليست سجنًا».

- «لأن لا سجن فيه نوافير وأشجار تين، أهذا ما تعتقده؟ لكن بمجرد أن تصل الفتاة فلن يُسمح لها أو لك بالمغادرة. هوتا سيعرّص على ذلك. أنت لا تعرفه مثلي. إنه رهيب عندما يُستثار».

عقد السير أريس حاجبيه. لطالما أشعره القائد النورفوشي الضخم بوجهه النديب بانزعاج بالغ. يقولون إنه ينام وتلك الفأس إلى جواره. «ماذا تُريدني أن أفعل؟».

- «ليس أكثر مما أقسمت عليه. احم مارسلا بحياتك، دافع عنها... وعن حقوقها. ضِع التاج على رأسها».

- «لقد حلفتُ يمينًا!».

- «لچوفري لا لتومن».

- «نعم، لكن تومن صبي طيب القلب. سيكون ملكًا أفضل من چوفري».

- «ولكن ليس أفضل من مارسلا. إنها تحبُّ الصَّبِي أَيْضًا، وأعلمُ أنها لن تسمح بأن يحلَّ به أذى. (ستورمز إند) له شرعًا بما أن اللورد رنلي لم يترك وريثًا واللورد ستانيس حُرِّمَ من أملاكه، وبعد فترةٍ ستنتقل (كاسترلي روك) إليه أيضًا من خلال أمه. سيكون من أعظم اللوردات في البلاد... لكن الواجب أن تجلس مارسلا على العرش الحديدي».

- «القانون... لا أدري...».

قالت: «أنا أدري»، ووقفت أمامه لتسقط خصلات شعرها السوداء الطويلة حتى أسفل ظهرها، وواصلت: «إجون التين أنشأ الحرس الملكي وأيمانه، لكن ما فعله ملك يستطيع آخر أن يعكسه، أو يُغيِّره. في السابق كان رجال الحرس الملكي يخدمون مدى الحياة، لكن چوفري صرف السير بارستان ليؤفِّر معطفًا لكلبه. ستريدك مارسلا أن تكون سعيدًا، كما أنها مولعة بي أيضًا، وستعطينا الإذن في الزواج إذا طلبنا»، ووضعت آريان ذراعيها حوله وأراحت وجهها على صدره فبلغ رأسها أسفل ذقنه، وأضافت: «يمكنك أن تحظى بي وبمعطفك الأبيض في آنٍ واحد إن كان هذا ما تُريده».

إنها تمزقني إربًا. «تعرفين أنني أريده، لكن...».

قالت بصوتها المبحوح: «أنا أميرة دورنيَّة، ولا يليق أن تجعلني أتوسَّل». اشتمَّ السير آريس العطر في شعرها وشعرَ بنبضات قلبها وهي تضغط جسدها إلى جسده الذي بدأ يستجيب لقربها منه، ولا شكَّ لديه أنها تشعُر باستجابته أيضًا. حين وضع ذراعيه على كتفيها أدرك أنها ترتجف، فسألها: «آريان، أميرتي، ما الخطب يا حبيبتني؟».

- «أوجب أن أقولها أيها الفارس؟ إنني خائفة. تقول إنني حبيبتك، ومع ذلك ترفضني وأنا في أمسِّ حاجتي إليك. أهي جريمة أن أرغب في فارسٍ يحميني؟».

لم يسمعها تتكلَّم بهذه الهشاشة من قبل قط، فقال: «لا، لكن عندك حرس أبيك يحمونك، فلم...».

للحظة بدت نبرتها أصغر من نبرة مارسلا وهي تقول: «حرس أبي هم من أخشاهم، حرس أبي هم من جرُّوا بنات عمِّي مكبَّلات بالسَّلاسِل».

- «لم يكن مكبَّلات. سمعتُ أن كلَّ سُبُل الرِّاحة متاحة لهن».

أطلقَتْ ضحكةً مريرةً، وسألته: «هل رأيتهن؟ أتعلم أنه منعني من رؤيتهن؟».

- «كن يتكلمن عن الخيانة، يُحرّضن على الحرب...».

- «لوريزا في السادسة ودوريا في الثامنة، فما الحروب التي حرّضتا عليها؟ ورغم ذلك سجنهما أبي مع أخواتهما. أنت رأيت. الخوف يجعل الأقوياء يفعلون أشياء ما كانوا ليفعلوها في ظروفٍ أخرى، وأبي لم يكن قويًّا قَطُّ. أريس يا قلبي، اسمعني لأجل الحبِّ الذي تقول إنك تكنه لي. إنني لم أكن مقدامةً كبنات عمِّي قَطُّ لأنني نبتة بذرةٍ أضعف، لكن تايين وأنا قريبتان في السنِّ ومنذ طفولتنا ونحن كأختين. ليست هناك أسرار بيننا. إذا كان يُمكن أن تُسجن هي فالمثل ينطبق عليَّ للسبب ذاته... مارسلا».

- «لا يُمكن لأبوك أن يفعل ذلك أبدًا».

- «أنت لا تعرف أبي. إنني أخيبُّ أمله منذ خرجتُ إلى هذا العالم دون قضيب. عدّة مرّاتٍ حاول تزويجي بمسنيين سقطت أسنانهم، كل منهم أوضع من سابقه. صحيحٌ أنه لم يأمرني بالزواج بأبيهم، لكن العروض وحدها تُثبت كم يبخس قدري».

- «ومع ذلك أنت وريثته».

- «أنا وريثته حقًا؟».

- «لقد تركك تحكّمين في (سنسبير) لمّا أخذ نفسه إلى (الحدائق

المائيّة)، أليس كذلك؟».

- «أحكم؟ لا، بل ترك السير مانفري ابن عمّه أمينًا للقلعة، وريكاسو

العجوز الأعمى قهرمانًا، ووكلاء أملاكه ليجمعوا الضرائب والجمارك لتحصيها خازنته آيس ليدبيرايت، ومفوضيه ليكونوا عسس مدينة الظلِّ، وقضاته ليحكّموا في القضايا، والمياستر مايلز ليتعامل مع الرسائل التي لا تتطلّب عناية الأمير، وفوقهم جميعًا وضع الأفعوان الأحمر. تكليفي أنا كان المآدب والحفلات وضيافة الزّائرين عوالي المقام. أوبرين اعتاد أن يزور (الحدائق المائيّة) مرّتين كلَّ أسبوعين، أمّا أنا فاستدعاني أبي مرّتين في العام. إنني لسْتُ الوريث الذي أرادَه أبي، وقد جعلَ هذا واضحًا. قوانيننا تُقيده، لكنني أعلمُ أنه يُؤثر أن يخلفه أخي».



ردّد السير آريس: «أخوك؟»، ووضع يده تحت ذقنها ليرفع رأسها وينظر في عينيها، وقال: «لا يُعقل أنك تعين تريستان. إنه مجرد صبي».

أجابته بنظرة لا تطرف من عينيها الجريئتين كنور الشمس: «ليس تريس، بل كويتن. إنني أعرف الحقيقة منذ كنت في الرابعة عشرة، منذ اليوم الذي دخلت فيه غرفة أبي الشمسية لأعطيه قبلة المساء ولم أجدّه. لاحقًا سمعتُ أن أمي أرسلت تطلبه. كان قد ترك شمعةً مشتعلةً، وحين ذهب أطفئها وجدتُ إلى جوارها رسالةً غير مكتملة، رسالةً إلى أخي كويتن الذي كان غائبًا في (بيرونود)، وكتبَ فيها أبي لكويتن أن عليه أن يفعل كل ما يُمليه عليه المايستر وقيم السلاح، لأنك ذات يوم ستجلس حيث أجلس وتحمم (دورن) كلها، ويجب أن يكون الحاكم قويَّ العقل والجسد»، وسالت عبرة على خدّ آريان الناعم، وتابعت: «كلمات أبي المكتوبة بخطّ يده. لقد سمّنت نفسها في ذاكرتي. ليلتها بكيتُ حتى غلبني النوم، وليالي كثيرةً بعدها».

لم يلتق السير آريس كويتن مارتل بعد، فالصبي ربيب اللورد يرونود منذ نعومة أظفاره، وخدمه كوصيف ثم كمُرافق، بل وحبّد أن يُقلده الفروسية على الأفعوان الأحمر. فكّر: لو كنتُ أبا لأردتُ أن يخلفني ابني أيضًا، لكنه سمع الألم في صوتها ويعلم أنه سيفقدها إذا باح لها بما يُفكر فيه. هكذا قال: «ربما أسأت الفهم. لقد كنت طفلةً، وربما قال الأمير هذا ليشجّع أخاك على الاجتهاد أكثر فحسب».

- «أنظنُّ هذا؟ أخبرني إذن، أين كويتن الآن؟».

أجاب السير آريس بحذر: «الأمير مع جيش اللورد يرونود في (طريق العظام)». هذا ما أخبره به أمين قلعة (صنسيبير) الشيخ لدى وصوله إلى (دورن)، والمايستر ذو اللحية الملساء قال الكلام نفسه.

على أن آريان خالفته قائلةً: «هذا ما يُريد أبي أن نعتقده، لكن لي أصدقاء يُخبرونني بأشياء مختلفة. أخي عبر (البحر الضيق) في السرّ متنكرًا في هيئة تاجر تقليدي، فلم؟».

- «وما أدراني؟ قد يكون هناك مئة سبب».

- «أو سبب واحد. هل تُدرك أن الجماعة الذهبيّة فسخت عقدها مع

(مير)؟».

- «المرتزقة يفسخون العقود طوال الوقت».

- «ليس الجماعة الذهبية. كلمتنا من ذهب. هكذا يتباهون منذ أيام الفولاذ

الأليم. (مير) على شفا الحرب مع (ليس) و(تايروش)، فلم يفسخون عقداً يعدهم بالأجر الوافر والغنائم الجزيلة؟».

- «ربما عرضت عليهم (ليس) أو (تايروش) أجراً أكبر».

قالت: «لا. أصدّق أن تفعل هذا أيّ جماعة حُرّة أخرى، فمعظمها يُبدّل

ولاءه ولو مقابل نصف جروت إضافي، لكن الجماعة الذهبية مختلفة. إنها أخوة من المنفيين وأبناء المنفيين يُوحّدها حُلم الفولاذ الأليم، يُريدون الوطن بقدر ما يُريدون الذهب، واللورد يرونوود يعلم هذا مثلي تماماً. لقد ركب أسلافه مع الفولاذ الأليم في ثلاث من ثورات بلاكفاير»، وأمسكت يد السير آريس وشبكت أصابعها في أصابعه مردفة: «هل رأيت رمز آل تولاند أو أولاد (تل الأشباح)؟».

فكّر لحظةً، ثم قال: «تتّين يلتهم ذيله؟».

- «التتّين هو الزّمن، بلا بداية أو نهاية، وهكذا تتكرّر الحوادث كلّها.

أندرز يرونوود هو كريستون كول وقد وُلد ثانيةً. إنه يهمس في أذن أخي قائلاً إن الأجدد به هو أن يخلف أبي في الحُكم، إنه ليس من الصّواب أن يركع الرّجال للنساء... إن آريان على وجه الخصوص لا تصلح حاكمةً لكونها عنيدة لعوباً»، وألقت آريان شعرها إلى الوراء بتحدّ مضيئة: «إذن فأمرتاك مشتركان في قضية واحدة أيها الفارس... ومشركتان أيضاً في فارس يزعم أنه يحبهما لكنه يأبي القتال في سبيلهما».

هوى السير آريس على رُكبته قائلاً: «سأقاتل. مارسلا الأكبر والأصلح

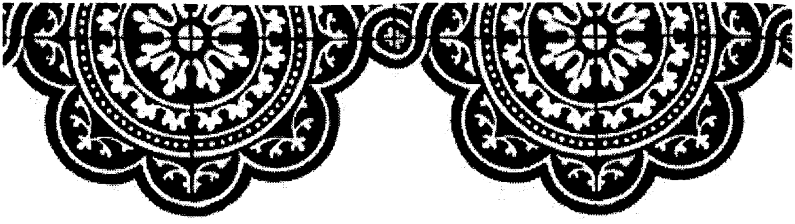
للنّاج. من سيُدافع عن حقوقها إن لم يكن حارسها الملكي؟ سفي وحياتي وسرفي لها... ولك يا بهجة القلب. أقسم أن لا رجل سيسرق حقك بالميلاد ما دمت أملك قوّة تكفي لأن أرفع سفي. أنا لك، فماذا تسأليني؟».

انحنت تُقبّل شفّتيه، وقالت: «كل شيء، كل شيء يا حبيبي، يا حبيبي

الوحيد، يا حبيبي الجميل، وإلى الأبد. لكن أولاً...».

- «سلي وهو لك».

- «... مارسلا».



## بريان

السُّور الحجري قديم متداعٍ، لكن منظره عبر الحقل جعل الشعيرات على مؤخّرة عنقها تنتصب.

هنا اختبأ الرّماة وقتلوا المسكين كليوس فراي... لكنها بعد نصف ميل مرّت بسورٍ آخر يُشبه الأول إلى حدّ كبير، فلم تُعد متأكّدة. الطّريق المحفر ينعطف ويلتوي، والأشجار البنية الجرداء تبدو مختلفة عن الخضراء التي تذكّرها. هل تجاوزت البقعة التي انتزع فيها السير چايمي سيف ابن عمّته من غمده؟ أين الغابة التي تقاطلت فيها؟ والغدير الذي خاضا في مياهه وتقارع سيفاهما إلى أن لفتا انتباه رجال رفقة الشجعان إليهما؟

- «سيّدتي، أيتها الفارس»، قال پودريك الذي يبدو أنه لا يعرف أبداً بِم يدعوها. «عمّ تبحثين؟».

الأشباح. «سور مررتُ به مرّة، ليس شيئاً ذا بال». آنذاك كان السير چايمي لا يزال يملك كلتا يديه. لكم احتقرته باستهزائه وابتساماته. «الزم الهدوء يا پودريك. ربما ما زال هناك خارجون عن القانون في هذه الغابة».

تطلّع الصّبي إلى الأشجار البنية العارية والأوراق المبتلّة والطّريق الموحد أمامهما، وقال: «معي سيف طويل، أستطيع أن أقاتل».

ليس ببراعة كافية. لا تشكُّ بريان في شجاعة الصّبي، وإنما في تدريبه فحسب، فربما يكون مُرافقاً - اسماً على الأقل - لكن الرّجال الذين رافقهم عادوا عليه بالصّرر حقاً.

استخلصت بريان قصّة الصّبي منه على فتراتٍ متقطّعة وهما في الطّريق من (وادي الغسق). إنه ينتمي إلى فرع أدنى من عائلة پاين، ذرّيّة فقيرة يعود

أصلها إلى أحد أبناء العائلة الأصغر، وقد أمضى أبوه حياته مُرافقًا لأبناء عمومته الأغني، وأنجبَ بودريك من ابنة صانع شموع تزوّجها قبل أن يرحل ليموت في تمرد جرايچوي، وبعدها تخلّت عنه أمّه لأحد أبناء العمومة هؤلاء وهو في الرَّابعة من العُمُر، لتُلاحق مطربًا متجوّلًا وضعَ طفلًا آخر في بطنها. لا يذكُر بودريك شكلها. أقرب ما عرفَ في حياته إلى أب أو أمّ كان السير سدريك باين، وإن بدا لبريان من روايته المتلعثمة أن الرَّجل كان يُعامل بودريك كخادم أكثر من ابن. حين استدعت (كاسترلي روك) راياتها أخذَه الفارس معه ليعتني بحصانه ويُنظف درعه، ثم قُتل السير سدريك في أراضي النهر بينما يُحارب في جيش اللورد تايوين.

بعيدًا عن الديار ووحيدًا ومفلسًا، ألحق الصّبي نفسه بخدمة فارسٍ متجوّل بدين اسمه السير لوريمر الكرش، كان جزءًا من فرقة اللورد ليفورد المكلفّة بحماية قافلة المؤن، وقد أحبّ السير لوريمر أن يُردّد أن الصّبية الذين يحرسون الأطعمة يأكلون أفضل من غيرهم دومًا، إلى أن ضبطوه ومعه فخذ خنزير مملّحة سرقها من مخازن اللورد تايوين الخاصّة، فاختارَ تايوين لانستر أن يشنقه كدرس للصّوص الآخرين. كان بودريك قد شاركه اللحم ولربما شاركه المشنقة كذلك، لكن اسمه أنقذه وتولى السير كيثان لانستر مسؤوليّته، وبعد فترة أرسله يعمل مُرافقًا لتيريون ابن أخيه.

السير سدريك علّم بودريك أن يسوس الخيول ويتفقد حدودها بحثًا عن الحجارة، والسير لوريمر علّمه السّرقة، لكن كليهما لم يدربّه على المبارزة إلّا قليلًا، أمّا العفريت فعلى الأقل أرسله إلى قيّم سلاح (القلعة الحمراء) حين ذهب إلى البلاط، إلّا أن السير أرون سانتاجار كان بين القتلى خلال فتنه الخبز، وبهذا كانت نهاية تدريب بودريك.

قطعت بريان سيفين خشبيّين من الغصون السّاقطة كي تُقيّم مهارات بودريك، وسرّها أن تُدرِك أن الصّبي سريع اليد على الرغم من بَطء كلامه، لكنه على الرغم من إقدامه وانتباهه ما زال ناحلًا ناقص التّغذية، وليس قويًّا كفاية على الإطلاق. إذا كان قد نجا حقًا من معركة (النهر الأسود) كما يدّعي، فالسبب الوحيد أن أحدًا لم يحسب أن لقتله قيمة. قالت له: «ربما تدعو نفسك بالمُرافق، لكني رأيتُ وُصفاءً في نصف سنّك يُمكنهم أن يضربوك

حتى تسيل دماؤك. إذا بقيت معي ستخُذ إلى النّوم بقروح على يدك وكدماتٍ على ذراعك كلَّ ليلةٍ تقريباً، وسيكون الألم في جسدك الممتخشب بالغاً حتى إنك بالكاد ستنام. لست تُريد ذلك».

رَدَّ الصَّبِي بِإصرار: «بل أريده، أريدُ ذلك، الكدمات والقروح. أعني أي لا أريدها، لكني أريدها أيتها الفارس، يا سيّدي».

حتى الآن والصَّبِي موفٍ بكلمته، وكذا بريان. لم يشتكِ بودريك البتّة، وكلّما ظهرَ قرح جديد على يد سيفه أحسَّ بالحاجة إلى أن يُريها إياه بفخر، ثم إنه يُحسِّن العناية بحصانَيْهما أيضاً. قالت لنفسها مذكّرةً: إنه ليس مُرافقاً رغم ذلك، كما أنني لستُ فارساً مهمماً ناداني بـ «أيتها الفارس». كانت لتصرفه لولا أن لا مكان يذهب إليه، وبالإضافة إلى هذا، ومع أن بودريك قال إنه يجهل أين ذهبَت سانزا ستارك، فربما يعلم أكثر مما يظنُّ، وربما يكمن مفتاح مهمّة بريان في ملاحظةٍ عابرةٍ شبه منسيّة.

قال بودريك مشيراً: «أيتها الفارس، سيّدي، هناك عربة أماننا».

رأَتْها بريان، عربة خشبيّة يجرُّها عادةً ثور، لها عجلتان وجوانب مرتفعة، لكن بدلاً من الثور يكدح رجل وامرأة على مِقودَيْها ويسحبانها وسط الحُفر في اتّجاه (بركة العذارى). مُزارعان كما يدلُّ منظرهما. قالت للصَّبِي: «تحركْ ببطء. قد يحسباننا من الخارجين عن القانون. تفوّه بما هو ضروري فقط وتكلّم بدماثة».

- «سأفعلُ أيها الفارس، سأكون دمثاً يا سيّدي». يبدو الصَّبِي أقرب إلى الشُّرور بفكرة أن يحسبه أحدهم خارجاً عن القانون.

راقبهما المُزارعان بحذرٍ وهما يخبّان بحصانَيْهما مقتربين، لكن بمجرد أن أوضحتَ بريان أنهما لا ينيوان إيذاءهما تركاها تركب إلى جوارهما، وبينما يشقون طريقهم وسط الحقول المختنقة بالحشائش وبحيرات الطّمي اللين والأشجار المحروقة المسوّدة قال لها الرّجل العجوز بوجهٍ محتقنٍ من مجهود جرّ العربة: «كان لدينا ثور لكن الذّئاب سرقوه، وخطفوا ابنتنا أيضاً وفعلوا بها ما فعلوه، لكنها عادت بعد المعركة في (وادي الغسق)، أمّا الثور فلم يعد. اعتقدُ أن الذّئاب أكلوه».

لم تُضف المرأة شيئاً إلى كلامه. إنها تصغره بنحو عشرين عامّاً، ومع أنها

لم تقل شيئاً لبريان فقد تطلّعت إليها بالطريقة نفسها التي كانت لتحدج بها عجلًا برأسين. رأت عذراء (تارث) نظراتٍ مشابهةً من قبل، ولئن عاملتها الليدي ستارك بعطفٍ فإن معظم النساء يتّسمن بالقسوة نفسها كالرّجال. لا تدري من تُولمها نظراتهن أكثر؛ الفتيات الحسنات بألستهن اللاذعة كالدّبابير وضحكاتهن الجافّة، أم الليديهات ذوات الأعين الباردة اللاتي يُوارين ازدراءهن تحت قناع من الكياسة... ونسوة العوام أسوأ من كلا النوعين أحيانًا. قالت: «(بركة العذارى) كانت خرابًا عندما رأيتها آخر مرّة، البوابة محطّمة ونصف البلدة محترق».

- «أعادوا بناءها نوعًا. تارلي هذا رجل قاسٍ، لكنه لورد أشجع من موتون. ما زال في الغابة خارجون عن القانون، لكن ليس بالأعداد نفسها كما من قبل. تارلي قبض على أسوأهم وضرب أعناقهم بسيفه الكبير إياه»، ودور الرّجل رأسه وبصق، ثم أضاف: «ألم تريا خارجين عن القانون على الطّريق؟».

- «إطلاقًا». ليس هذه المرّة. كلّما ابتعدا عن (وادي الغسق) خلا الطّريق أكثر، والمُسافرون الوحيدون الذين لمحاهم ذابوا في الغابة قبل أن يبلغاهم، باستثناء سبتون ملتج كبير الجسد قابلاه يمشي جنوبًا مع نحو أربعين من الأتباع متقرّحي الأقدام. الخانات التي مرّا بها كانت منهوبةً مهجورةً أو حوّلت إلى مخيمّات مسلّحة، والبارحة قابلا إحدى دوريات اللورد راندل الحافلة بحاملي النّشابية والرّمح، وقد أحاطَ بهما الخيالة فيما استجوب قائدهم بريان، لكنه تركهما يمضيان في سبيلهما في النّهاية، وقال لها: «عليك بالاحتراس يا امرأة. ربما لا يكون الرّجال الذين تقابلينهم بعدنا أمنا كفتيتي. لقد عبر كلب الصّيد (الثالوث) بمئة من المجرمين، ويُقال إنهم يغتصبون كل أنثى في طريقهم ويقطعون أئداءهن ويأخذونها غنائم».

أحسّت بريان أن واجبها أن تنقل التّحذير إلى المزارع وزوجته، وأومأ الرّجل برأسه بينما أخبرته، لكن حين فرغت بصق ثانية، وقال: «الكلاب والذّئاب والأسود، فليأخذهم (الآخرون) جميعًا. لن يجرؤ هؤلاء المجرمون على الاقتراب من (بركة العذارى) ما دام اللورد تارلي الحاكم هناك».

تعرف بريان اللورد راندل تارلي منذ الفترة التي قضتها في جيش رنلي، ومع أنها لا تستطيع أن تجد في نفسها القدرة على أن تحبّ الرّجل، فلا

يُمكنها أن تنسى الدِّين الذي عليها له أيضًا. إذا شاءت الآلهة سنمرُّ من (بركة العذارى) قبل أن يعرف أي هناك. قالت للمُزارع: «البلدة سترُدُّ إلى اللورد موتون حالما ينتهي القتال. حضرة اللورد تلقى عفواً من الملك».

رَدَّ الرَّجُل ضاحكاً: «عفواً؟ عمَّ؟ جلوسه على مؤخرته في قلعتة اللعينة؟ لقد أرسل رجلاً إلى (ريفررن) للقتال لكنه لم يذهب بنفسه. الذئاب نهبوا البلدة، ثم الأسود، ثم المرتزقة، وظلَّ حضرة اللورد وراء أسواره في أمان. ما كان أخوه ليختبئ هكذا إطلاقاً. السير مايلز كان شديد الجراءة إلى أن قتله روبرت هذا».

مزيد من الأشباح. «إنني أبحث عن أختي، بنت جميلة في الثالثة عشرة. ربما رأيتها».

- «لم أرَ بناتاً جميلات أو قبيحات».

لا أحد رآها. لكن عليها أن تُواصل السُّؤال.

تابع الرَّجُل: «فتاة موتون بنت، حتى الإضجاع على الأقل. هذا البيض لزفافها إلى ابن تارلي. سيحتاج الطُّهارة إلى بيض للكعك».

- «صحيح». ابن اللورد تارلي، ديكون الصَّغير سيتزوَّج. حاولت أن تتذكَّر سنَّه، وتظنُّ أنه في الثامنة أو العاشرة. في السابعة حُطِّبت بريان إلى صبيٍّ يكبرها بثلاث سنوات، ابن اللورد كارون الأصغر، وكان صبيّاً خجولاً له شامة فوق شفته. مرَّةً وحيدةً التقيا، وتلك المرَّة كانت بمناسبة خطبتهما، وبعد عامين مات بنوبة البرد نفسها التي أتت على اللورد والليدي كارون وبناتهما. لو عاش لتزوَّجا في غضون عام من إزهارها، ولاختلفت حياتها كليَّةً. ما كانت لتصبح هنا الآن، ترتدي درَّوع الرِّجال وتحمل سيفاً وتُلاحق طفلة امرأةٍ ميتة، وإنما لكانت غالباً في (التغريدة)، تلفُّ طفلتها هي بالقمط وتُرْضِع طفلاً آخر. ليست هذه بالفكرة الجديدة على بريان، ودائماً ما تُشعرها بشيءٍ من الحُزن، لكنها تبثُّ فيها شيئاً من الرَّاحة أيضًا.

كانت الشَّمس شبه مختبئة خلف مجموعةٍ من الشُّحب حين خرجوا من بين الأشجار المتفتحمة ليُبصروا (بركة العذارى) أمامهم، وقد لاحت مياه الخليج العميقة وراءها. رأت بريان على الفور أن بوابة البلدة قد بُنيت من جديد، وعادَ رُماة النَّشابية يمشون فوق الأسوار الحجر الوردية. فوق مبنى

البوابة تُرْفرف راية تومن الملكيّة، الوعل الأسود والأسد الذهبى المتواجهان على خلفيّة مقسومة إلى ذهبي وقرمزي، وعلى راياتٍ أخرى يظهر صياد تارلي، بينما لا ترتفع راية عائلة موتون ذات سمكة السلمون الحمراء إلا على قلعته فوق تلّها.

عند الشبّكة الحديدية وجدوا دستة من الحرس المسلّحين بالمطارد<sup>(1)</sup>، تشي شاراتهم بأنهم جنود في جيش اللورد تارلي، وإن لم يكن أحد منهم من رجاله. رأت قنطورين وصاعقة برقٍ وخنفسة زرقاء وسهماً أخضر، ولكن ليس صياد (هورن هيل) طويل القدمين. على صدر رقيبهم طاووس بهت ذيله الزاهي من العُرضة الشمس، ولما أوقف المزارعان عربتهما أطلق صفيراً، وقال: «ما هذا؟ بيض؟»، والتقط واحدةً وألقاها في الهواء وتلقفها، وأضاف بابتسامة عريضة: «سنأخذه».

صاح العجوز بحدة: «بيضنا للورد موتون، لكعك الزفاف وما إلى ذلك». قال الرقيب: «اجعل دجاجاتك تبيض المزيد. إنني لم أكل بيضاً منذ نصف عام. هاك، كي لا تقل إنك لم تتلق ثمناً»، وألقى حفنة من البنسات عند قدمي العجوز. نظقت الزوجة للمرة الأولى قائلة: «هذا لا يكفي، لا يكفي إطلاقاً». ردّ الرقيب: «أقول إنه كافٍ، مقابل البيض ومقابلك أيضاً. اتوا بها يا أولاد، إنها صغيرة جداً على هذا العجوز».

أسند حارسان مطرذيهما إلى الجدار وسحبا المرأة بعيداً عن العربة وهي تُقاوم، وشاهد المزارع بوجه مربد لكنه لم يجرؤ على الحركة، أمّا بريان فهزمت فرسها متقدّمة، وقالت: «أطلقا سراهما». جعلت نبرتها الحارسين يترددان لحظة تملّصت خلالها زوجة المزارع من قبضتيهما، وقال أحد الآخرين: «ليس هذا من شأنك. احفظي لسانك يا هذه».

وبدلاً من هذا امتشقت بريان سيفها. قال الرقيب: «هكذا إذن، فولاذ مجرد. يبدو أنني أشتم رائحة خارجة عن القانون. أتعرفين ما يفعله اللورد تارلي بالخارجين عن القانون؟». كان لا

(1) المطرد سلاح قديم يتألّف من رأس حربية ورأس فأسٍ مثبتين في القناة نفسها. (المترجم).



يزال ممسكًا بالبيضة التي أخذها من العربة، وانطبقت يده عليها ونزَّ الصَّفار من بين أصابعه.

قالت بريان: «أعرفُ ما يفعله اللورد تارلي بالخارجين عن القانون، وأعرفُ ما يفعله بالمغتصبين أيضًا».

كانت تأمل أن يُرهبهم الاسم، لكن الرقيب اكتفى بنفض البيض عن أصابعه وأشار لرجاله بالانتشار لتجد بريان نفسها محاصرةً بالرؤوس الفولاذ، وقال لها: «ماذا كنتِ تقولين يا هذه؟ ماذا يفعل اللورد تارلي بال...».

- «... بالمغتصبين»، قال صوت أعمق متما العبارة. «إنه يخصيهم أو يُرسلهم إلى (الجدار)، وأحيانًا هذا ثم ذاك. حضرته يقطع أصابع اللصوص أيضًا». خرج شاب متراخ من مبنى البوابة متمنطقًا بحزام سيف، وقد ارتدى فوق درعه الفولاذ معطفًا كان أبيض ذات يوم، وهنا وهناك لا يزال كذلك، لكن معظمه ملوث ببقع العشب والدماء المجافة، وعلى صدره رمز غزال بني ميت ومعلق من عود خشبي.

هو. صوته بمثابة لكمية في بطنها، ووجهه كنصلٍ انغرس في أحشائها. قالت بجمود: «سير هايل».

قال السير هايل هنت محدّدًا: «الأفضل أن تدعوها تمرّيا أولاد. هذه بريان المليحة، عذراء (تارث) التي قتلت الملك رنلي ونصف حرس قوس قزح. إنها شرسة بقدر ما هي قبيحة، وليس هناك من هو أقبح منها... ربما باستثناءك أنت يا وعاء البول، لكن أباك كان يُشبهه دُبر ثورٍ برّي، فلك عُذر مقبول، أمّا هي فأبوها نجم المساء سيّد (تارث)».

ضحك الحُرّاس، لكنهم أراحوا مطاردتهم، وسأل الرقيب: «ألا يجب أن نقبض عليها أيها الفارس؟ لقتلها رنلي؟».

- «لماذا؟ رنلي كان متمردًا، تمامًا كما كنا جميعًا متمرّدين عن آخِرنا، لكننا فتية تومن الأوفياء الآن»، وأشار الفارس للمزارعين بالمرور من البوابة قائلاً لهما: «سيُسرُّ وكيل حضرة اللورد لرؤية هذا البيض. ستجدانه في السوق».

دقَّ العجوز بمفاصل أصابعه على جبهته، وقال: «أشكرك يا سيّدي. واضح تمامًا أنك فارس حقيقي. هيا يا زوجتي»، وعاد الاثنان يدفعان بأكتافهما العربة التي مرّت مقعقةً من البوابة.

دَخَلَتْ بَرِيانَ وِراءَهُما وَفي أَعقابِها پودريك، وَفَكَرَتْ عابِسةً: فَارِسَ حَقِيقِي. جَذَبَتْ عِنانَ الفَرسِ داخِلَ البَلدَةِ، وَإلى يَسارِها رَأَتْ أَنْقاضَ اسطَبْلِ تَطُلُ عَلى رُقاقٍ موحِلٍ تَقِفُ قُبالَتِهِ في شُرْفَةِ ماخُورِ ثَلاثِ عاهِراتِ شِبهِ عارِياتِ يَتَهامِسنَ، وَتُشَبِّهُ إِحداهُنَ نَوعًا تابِعَةً مَعسِكَراتٍ ذَهَبَتْ إِلى بَرِيانِ في مَرَّةٍ لَتَسأَلُها إِنْ كانَ ما بَينَ ساقِها أيرًا أَمْ فَرَجًا.

قال السير هايل مشيرًا إلى حصان پودريك: «أظنُّ أن هذا أفبح حصانٍ رأيتُهُ على الإطلاق. يُدهِشني أنكَ لم تَركِبيهِ يا سَيِّدَتِي. هل تَتنوِّينَ أن تَشكُرِني على مَساعدَتِي؟».

وَتَبَّتْ بَرِيانَ مَن فِوقَ فَرَسِها لَتَقِفَ أَمامَ السَيرِ هايلَ الَّذي تَفوقَهُ طَولًا بِرأسِ كَاملٍ، وَرَدَّتْ: «ذاتِ يَومٍ سأشكُركَ في التَحامِ جِماعِي أَيها الفارِسُ». سألَها هايلَ ضاحِكًا: «كَمَ شَكَرَتِ رَونِيتُ الأَحمرُ؟». ضَحِكَتِهِ عَمِيقَةً رِنانَةً عَلى الرِغَمِ مَن وَجِهُهُ الَّذي لا يُمَيِّزُهُ شَيءٌ، وَجِهُ حَسِبَتِهِ صادِقًا يَومًا قَبْلَ أن تَتَعلَّمَ الحَقيقَةَ. لهُ شَعرٌ بَنِي أَشعثٍ وَعِنانٌ بِلونِ البُنْدُقِ وَندبَةٌ صَغيرَةٌ عَندَ أُذُنِهِ اليُسرى، وَذَقَنهُ مَشقوقٌ وَأَنفُهُ مَعوجٌ، لَكن ضَحِكَاتِهِ قَويَّةٌ وَمتَكَرِّرةٌ. - «ألا يُفَتَرَضُ أن تُراقِبَ البِوابَةَ؟».

قال بامتعاض: «أَلنَ ابنَ عَمِّي خَرَجَ يُطارِدُ الخارجِينَ عَنَ القانونِ. لا شَكَّ أن سِيعودَ بِرأسِ كَلبِ الصَّيِّدِ وَقد كَلَلِ نَفسَهُ بِالزَّهوِ وَالمَجدِ. أَمَّا أنا فَمَبْتَلِي بِحِراسَةِ هَذِهِ البِوابَةَ بِسَببِكَ. أَمَلُ أن تَكوني مَسرورَةً يا جَميلَتِي. عَمَّ تَبحِثِينَ؟». - «اسطَبِلْ».

- «هناك عند البِوابَةَ الشَّرِيقَةَ. هَذا احترَقَ».

أَرى هَذا. قالَت: «ما قَلتَهُ لهُوَ لِأَءِ الرِّجالِ... كَنتُ مَعَ المَلِكِ رَئِلي حَينَ ماتَ فَعَلًا، لَكن شَعوذةٌ ما هِيَ التي قَتَلتَهُ أَيها الفارِسُ، أَقسَمُ بِسِيفِي»، وَوَضَعَتَ يَدها عَلى المَقْبَضِ مَناهُبَةً لِلقِتالِ إِذا نَعَتَها هَنتَ بِالكَذِبِ في وَجِهاها.

- «نَعَم، وَفارِسَ الزُّهورِ هُوَ مَن فَتَكَ بِحَرسِ قَوسِ قَرح. رَبا ما كانَ يُمَكِّنُكَ أن تَهزِمِي السَيرِ إِمونَ في ظَروفِ مَواتيةٍ، فَقد كانَ مُحارِبًا مَتهوِّرًا وَيتَعبُ بِسَهلَةٍ. لَكن رَويَسُ؟ لا. السَيرِ رَوبارَ كانَ مُبارِزًا أَبرعَ مَنكَ مَرَّتَينِ... مَعَ أنكَ لَستِ مُبارِزًا، أليسَ كَذلكَ؟ هَلِ لِكَلِمَةِ «مُبارِزةٌ» وَجودٌ؟ تُرَى ما الَّذي أتى بِكَ إِلى (بَرَكةِ العِذارى)؟».

كَادَتْ تقول: أبحثُ عن أختي، بنت في الثالثة عشرة، لكن السير هايل يعلم أنها بلا أخوات، ولذا قالت: «هناك رجل أبحثُ عنه، موجود في مكان اسمه (الإوزة التّنة)».

قال بابتسامٍ لا تخلو من قسوة: «حسبتُ أن بريان المليحة لا تحتاج إلى الرّجال. (الإوزة التّنة)، اسم على مسمى... الجزء الخاص بالتّانة على الأقل. الحانة عند الميناء، لكنك ستأتين معي أولاً لرؤية حضرة اللورد».

لا تخشى بريان السير هايل، لكنه أحد قادة راندل تارلي، وبصغيرٍ واحد من فمه سيهرع مئة رجلٍ للدّفاع عنه. هكذا سألت: «هل سيُقبض عليّ؟».

قال: «لماذا؟ لقتل رنلي؟ مَنْ كان رنلي؟ لقد بدلنا الملوك منذ ذلك الحين، بعضنا مرّتين. لا أحد يعبأ، لا أحد يتذكّر»، ووضعَ يده بخفّة على ذراعها مردفًا: «من هنا إذا سمحت».

انترعت ذراعها قائلةً: «لك شكري إذا لم تلمسني».

ردّ بابتسامٍ هازئة: «الشكر أخيرًا».

حينما رأت (بركة العذارى) آخر مرّة كانت البلدة مقفرة، مكانًا كثيبًا شوارعه خالية وبيوته محترقة، لكن الآن تعجُّ الشوارع بالخنازير والأطفال، وأكثر المباني المحترقة سوّي بالأرض، لتحلّ محلّ بعضها خضراوات مزروعة ومحلّ غيرها خيام التّجّار وسرادقات الفُرسان. رأت بريان منازل جديدة تُبنى، وخانًا حجريًا يرتفع مكان السّابق الخشبي، وسطحًا جديدًا من ألواح الأردواز فوق السّيت. في هواء الخريف البارد تردّدت أصوات المطارق والمناشير، بينما حملَ الرّجال الأخشاب في الشوارع ودفعَ عمّال المحاجر عرباتهم في الأزقة الموحلة، كثيرون منهم على صدورهم رمز الصّيّاد. قالت مندهشةً: «الجنود يُعيدون بناء البلدة».

- «لا شكّ أنهم يُفضّلون أن يلعبوا النّرد ويشربوا وينكحوا، لكن اللورد راندل يُؤمن بتكليف العاطلين بالعمل».

توقّعت أن يأخذها إلى القلعة، لكن هنت قادهما بدلًا من ذلك إلى الميناء المزدهم، حيث سرّها أن ترى التّجارة عادّت إلى (بركة العذارى).

في المرسى قادم وقاليون وكوج<sup>(1)</sup> له صاريتان، بالإضافة إلى عشرين تقريباً من قوارب الصيد الصغيرة، وفي الخليج لآح المزيد من صيادي الأسماك. حَزَمَتْ بريان أمرها، وقالت لنفسها: إذا لم تُثْمِر زيارة (الإوزة النَّتَنَة) شيئاً سأستقل سفينة. (بلدة النّوارس) لا تَبْعُد كثيراً، ومن هناك يُمكنها أن تَسُقَّ طريقها إلى (الوادي) بسهولة.

وجدوا اللورد تارلي في سوق السمك يُقيم العدل. قُرْب الماء منصّة منصوبة يستطيع حضرة اللورد أن يَنْظُر من فوقها إلى المتهمين، وإلى يساره تمتد مشنقة طويلة تكفي حبالها عشرين رجلاً، وقد تدلّت منها أربع جُثث، إحداها تبدو جديدة في حين يقول منظر الثلاث الأخريات بوضوح إنها هنا منذ مُدَّة. كان غُرَاب ينتزع قطعاً من لحم أحد الموتى المتهتك، بينما تشتتت الغربان الأخرى حذرًا من أهل البلدة الذين احتشدوا على أمل أن يتفرّجوا على أحد يُسْتَق.

تقاسم اللورد راندل المنصّة مع اللورد موتون، وهو رجل شاحب لحيم له مظهر لئِن، يرتدي سُترة بيضاء وسراويل حمراء، ويُنْبِت معطفه المصنوع من فرو القاقوم إلى كتفه مشبك من الذهب الأحمر على شكل سمكة سلمون. أمّا اللورد تارلي فارتدى الحلقات المعدنية والجلد المقوّى بالزيت المغلي وواقى صدره من الفولاذ الرّمادي، ومن وراء كتفه اليسرى برز مقبض السيف العظيم المسمّى (آفة القلوب)، مفخرة عائلة تارلي.

كان مراهق في معطف من الخيش وسُترة جلديّة منسّخة يتكلّم حين وصلوا، وسمعتة بريان يقول: «لم أضربَ بأحدٍ يا سيّدي. أخذتُ فقط ما تركه السّبتونات عندما هربوا. إذا كان عليك أن تقطع إصبعي مقابل هذا فاقطعه». رَدَّ اللورد تارلي بنبرة صارمة: «العُرف إن يُقَطَّع لِلص إصبع، لكن مَنْ يسرق من سبت يسرق من الآلهة»، والتفت إلى قائد حرسه قائلاً: «سبعة أصابع، اترك الإبهامين».

رَدَّد اللص بوجه امتقع: «سبعة؟!». حين قبض عليه الحُرّاس حاول أن

---

(1) الكوج سفينة لها شراع واحد مربّع عادةً وأحيانًا شراعان، وتُبنى من خشب البلوط. (المترجم).

يقاوم وإنما بوهنٍ كأن أصابعه بُيرتَ بالفعل، وإذ شاهدته بريان لم تستطع إلا أن تُفكر في السير چايمي وكيف صرخَ عندما هوى أراخ زولو على يده.

التالي كان خبازًا متهمًا بعش طحينه بنشارة الخشب، فغرمه اللورد راندل خمسة أيائل فضيئة، ولما أقسم الخباز أنه لا يملك ذلك المبلغ من الفضة قضى حضرة اللورد أن يُجلد بدلًا من كل أيل ينقصه. بعده حان دور عاهرة مهزولة الجسد سقيمة الملامح متهمه بإصابة أربعة من جنود تارلي بالجُدري، فقال تارلي أمرًا: «اغسلوا عورتها بصابون القلي وألقوا بها في زنانة».

بينما جرّ الجنود العاهرة باكيةً أبصرَ حضرة اللورد بريان على حافة الرّحام بين بودريك والسير هايل، وعبسَ في وجهها لكن نظرتَه لم تُوح بأنه تعرّفها على الإطلاق.

تلا العاهرة بحار من القاليون، والتمتّهم قوّاس من حامية اللورد موتون يده مضمّدة وعلى صدره سمكة سلمون، وقد خاطبَ تارلي قائلاً: «بعد إذن سيدي، هذا الوغد غرسَ خنجره في يدي، قال إنني كنتُ أغشه في لعب النرد».

أشاح اللورد تارلي بنظره عن بريان ليتطّلع إلى الرّجلين أمامه، وسأل: «وهل كنت تغش؟».

- «لا يا سيدي، لا أغش أبدًا».

- «سأقطعُ إصبعًا جزاء السرقة، لكن اكذب عليّ وسأشنتقك. هل عليّ أن أطلب أن أرى ذلك النرد؟».

- «النرد؟». نظرَ القوّاس إلى موتون، لكن حضرة اللورد كان يتطّلع إلى قوارب الصييد، فابتلع الرّجل لعابه، وقال: «ربما أكون... ذلك النرد يجلب لي الحظ، حقًا، لكنني...».

قال تارلي وقد سمعَ ما يكفي: «اقطعوا إصبعه الصّغير. يُمكنه أن يختار اليد. وليدق مسمار في كفّ الآخر»، ونهضَ مردفًا: «انتبهنا. خذوا البقية إلى الزنازين. سأتعامل معهم غدًا»، والتفتَ مشيرًا إلى السير هايل بالتّقدّم، فتقدّمت بريان بدورها، وقالت عندما وقفت أمام اللورد راندل شاعرةً بأنها في الثامنة من العمر من جديد: «سيدي».

- «سيديتي، إلامَ ندين بهذا... الشرف؟».

أجابَت: «لقد أرسلتُ لأبحث عن... عن...»، وتردّدت باترّة عبارتها.  
- «كيف ستعثرين عليه إذا كنتِ لا تعرفين اسمه؟ هل قتلتِ اللورد  
رنلي؟»  
- «لا».

وزنَ تارلي الكلمة. إنه يحكم عليّ كما حكمَ على أولئك الآخرين. أخيراً  
قال: «لا، لكنكِ تركته يموت فقط».

لقد ماتَ رنلي بين ذراعيها وأغرقتها دماؤه المسفوكة، وقد جفّلت بريان  
من الاتّهام، وقالت: «كانت شعوذة. إنني لم...».

قاطعها بصوتٍ استحالٍ إلى سوط: «لم؟! بلى، لم يكن عليكِ قَطُّ أن  
ترتدي الحلقات المعدنيةّ أو تحملي سيفاً، لم يكن عليكِ قَطُّ أن تبرحي  
دار أبيك. إننا في حربٍ وليس احتفالٌ حصاد. بحقّ الآلهة كلّها حريٌّ بي أن  
أشحنكِ في سفينةٍ إلى (تارث)».

خرجتَ نبرتها بناتيّةٍ عاليةٍ في حين أرادت أن تكون صُلبةً إذ قالت: «افعل  
ذلك وسيكون عليك أن تشرح أسبابك للعرش. بودريك، في جرايبي ستجد  
رقاً. اجلبه إلى حضرة اللورد».

تناولَ تارلي الرّسالة وبسطها عابساً، وتحركت شفتاه وهو يقرأ، ثم قال:  
«عملاً يخصّ الملك؟ عملاً من أيّ نوع؟».

اكذب عليّ وسأشنتك. «سسانزا ستارك».

- «لو كانت ابنة ستارك هنا لعرفتُ. أراهن أنها هربت عائدةً إلى الشّمال  
على أمل أن تجد ملاذاً عند أحد حملة راية أبيها. خيرٌ لها أن تختار الرّجل  
الصّحيح».

سمعتَ بريان نفسها تقول باندفاع: «ربما تكون قد ذهبَت إلى (الوادي)،  
إلى أخت أمّها».

رمقها اللورد راندل بازدراء، وقال: «الليدي لايسا ماتت، مغنٍّ ما دفعها من  
فوق جبل. الإصبع الصّغير يسود (الوادي) الآن... لكنه وضع مؤقّت. لوردات  
(الوادي) ليسوا رجالاً يركعون لقرودٍ مختال تحطّى منزلته وبلا مواهب غير عدّ  
الثّقود»، وأعاد إليها الرّسالة متابعاً: «أذهبي حيث شئتِ وافعلي ما تُريدين...  
لكن عندما تُغتصبين لا تتطلّعي إليّ ناشدةً العدالة. ستكوينين قد استحققتِ

هذا بحماقتك»، ورمق السير هایل قائلاً: «وأنت أيها الفارس يُفترض أن تكون على بوابتك. لقد كلّفتك بالقيادة هناك، أليس كذلك؟».

أجاب السير هایل: «بلى يا سيّدي، لكنني فكّرتُ أن...». قطعهُ اللورد تارلي: «إنك تُفكّر أكثر من اللازم»، وابتعدَ بخطواتٍ واسعة. لايسا تلي ماتت. وقفت بريان تحت المشنقة وفي يدها الوثيقة الثمينة، وقد تفرّق الجمهور وعادت الغربان تستأنف وليمتها. مغنٌ دفعها من فوق جبل. هل التهمت الغربان لحم أخت الليدي كاتلين أيضًا؟ قال السير هایل: «ذكرت (الإوزة التنتة) يا سيّدي. إذا أردت فيمكنني أن أريك...».

- «عد إلى بوابتك».

لاحت على وجهه نظرة ضيقٍ عابرة. وجه لا يميّزه شيء، ليس وجهًا صادقًا. «إذا كانت هذه رغبتك».

- «إنها كذلك».

قال: «كانت مجرد لعبةٍ لتزجية الوقت، لم نقصد أذى»، وتردّد قبل أن يُضيف: «بن مات، قُتل في معركة (النهر الأسود)، وفارو أيضًا، وويل اللقلق، ومارك مالدور أصيب بجرح كلّفه نصف ذراعه».

أرادت بريان أن تقول: عظيم، عظيم، لقد استحقّ هذا، غير أنها تذكّرت مالدور جالسًا أمام سُرادقه وعلى كتفه قرده في بذلةٍ صغيرة من الحلقات المعدنية، وكلاهما يرسم على وجهه تعبيراتٍ مضحكة. بم دعّتهم كاتلين ستارك ليلتها في (جسر العلقم)؟ فرسان الصّيف. والآن حل الخريف وها هم يتساقطون كأوراق الشّجر...

أدارت ظهرها للسير هایل هنت، وقالت: «هلمّ يا پودريك».

تبعها الصّبي قائدًا حصانيهما، وتساءل: «هل سنبحث عن ذلك المكان؟ (الإوزة التنتة)؟».

- «أنا سأبحثُ عنه. أنت ستذهب إلى الاسطبل عند البوّابة الشّرقية. سلّ السّائس عن خانٍ نقضي فيه اللّيل».

قال پودريك: «حاضر أيتها الفارس، يا سيّدي»، وبينما سارا حدّق إلى

الأرض راکلاً الحجارة بين الحين والآخر، ثم إنه سأَلها: «هل تعرفين مكان الإوزة؟ أعني (الإوزة التنتة)».

- «لا».

- «قال إنه سيرينا، ذلك الفارس، السير كايل».

- «هايل».

- «هايل. ماذا فعل بك أيتها الفارس؟ أعني يا سيديتي».

الصبي متلعثم لكنه ليس غيباً. «في (هايجاردن)، عندما استدعى الملك رنلي راياته، لعبَ عدد من الرجال بي لعبة السير هايل أحدهم. كانت لعبة قاسية، مؤذية وتخلو من النبل»، ثم توقفت بريان وقالت له: «البوابة الشرقية من هنا. انتظرنى هناك».

- «كما تقولين يا سيديتي، أيتها الفارس».

لا لافتة تُحدّد مكان (الإوزة التنتة)، فاستغرقت نحو ساعة حتى وجدت الحانة عند قاعدة سلالم خشبية تحت زريبة قصاب لحم جيف. كان القبو معتماً وسقفه واطناً، واختبأ رأس بريان في إحدى عوارضه وهي تدخل. لم تر أي إوزة في المكان، وقد تناثرت بضعة مقاعد هنا وهناك، ووضعت دكة عند حائط طيني، ورُصت موائد هي براميل نبيذ قديمة رمادية نخبها الدود. اشتمت بريان التنتة الموعودة المتغلغلة في كل شيء، معظمها نبيذ ورطوبة وعفن فطري، لكن فيها شيئاً من رائحة المراحيض أيضاً، والقليل من رائحة القبور.

الشاربون الوحيدون في المكان ثلاثة بحارة تايروشيون يُخاطب بعضهم بعضاً بلُغتهم الخشنه من وراء لحاهم الخضراء والأرجوانية، وقد تفحصوها بأعينهم باقتضاب وقال أحدهم شيئاً أضحك الآخرين. كانت مالكة الحانة واقفة وراء لوح من الخشب مرفوع على برميلين، امرأة شاحبة مستديرة الجسد ويزحف الصلح على رأسها، ولها نهذان ضخمان متهدلان يتأرجحان تحت مئزر متسخ، وإجمالاً تبدو كأن الآلهة خلقتها من عجين نبيء.

لم تجرؤ بريان على طلب الماء هنا، وبدلاً منه طلبت كوباً من النبيذ، وقالت: «أبحث عن رجل اسمه ديك الرشيقي».

أجابت المرأة: «ديك كراب، يأتي كل ليلة تقريباً»، ورمقت قميص بريان



المعدني وسيفها مضيئة: «إذا كنتِ تتوين قتله فافعلي ذلك في مكانٍ آخر. لا تُريد متاعب مع اللورد تارلي».

ردّت: «أريدُ أن أتكلّم معه. لماذا أؤذيه؟». هزّت المرأة كتفيها بلا جواب، فقالت لها بريان: «إذا أشرتِ عليه عندما يأتي سأكونُ شاكراً».

- «شاكراً لأيّ درجة؟».

وضعتِ بريان نجمةً نحاسيةً على اللوح الخشبي بينهما، ثم وجدتِ مكاناً وسط الظلال ترى منه السلالم بوضوح.

جربّت النبيذ. له مذاق زيتي على اللسان، وفي الكوب وجدتِ شعرة طافيةً فكّرت وهي تُزيلها: شعرة ضئيلة كأملّي في العثور على سانزا. لقد طاردت السير دونتوس بلا طائل، وبموت الليدي لايسا لم يُعد (الوادي) ملاذاً محتملاً. أين أنتِ يا ليدي سانزا؟ هل فررتِ إلى ديارك في (ويترفل) أم أنكِ مع زوجك كما يحسب بودريك؟ لا تُريدِ بريان أن تُلاحق الفتاة عبر (البحر الضيق) حيث اللّغة نفسها غريبة عليها. سأبدو كالمسوخ أكثر فأكثر هناك وأنا أزمجرُ وأشيرُ كي يفهموني. سيضحكون مني كما ضحكوا في (هايجاردن). زحفتِ الحُمرّة على وجنتيها إذ تدكّرت.

حين توجّج رنلي نفسه ركبتِ عذراء (تارث) قاطعةً (المرعى) كلّهُ لتنضمّ إليه، واستقبلها الملك بكياسةٍ ورَحَب بها في خدمته، ولكن ليس لورداته وفُرسانه. لم تكنِ بريان تتوقّع استقبالاً حارّاً، وهيأت نفسها للبرودة والسُّخريّة والعدوانيّة، فكلُّ هذا ألفتّه من قبلها. ليس تهكّم الكثرة ما يُحيرّها ويجرحها، وإنما لطف القلّة، ذلك أن عذراء (تارث) حُطبتِ ثلاث مرّات، إلّا أن أحدًا لم يُغازلها قطُّ حتى ذهبّت إلى (هايجاردن).

أولهم كان بن بوشي الكبير، أحد الرّجال القلائل في معسكر رنلي الذين يتجاوزونها طولاً، وقد أرسل إليها مُرافقه ليُنظّف درعها وأهدى إليها قرن شراب فضيًّا، لكن السير إدmond أمبروز تفوّق عليه بدرجةٍ إذ جلب لها زهوراً وسألها أن تركب معه، أمّا السير هايل هنت فغلب الاثنين وأعطاهما كتاباً زاخراً بالرّسوم الجميلة وعشرات الحكايات عن بسالة الفُرسان، وأحضَرَ تفاحاً وجزراً لأحصنتها وريشةً حريريّة زرقاء لخوذتها، وأخبرها بما يدور في

المعسكر من نائمة وألقى تعليقاتٍ ذكيَّةٍ لاذعة جعلتها تبتسم، بل وتدرَّب معها أيضًا ذات يوم، وهو ما عنى لها أكثر من سائر ما فعله.

ظنَّت أن بسببه بدأ الآخرون يُعاملونها بكياسةٍ بدورهم. بأكثر من الكياسة. على المائدة تشاجر الرِّجال على مكاني إلى جوارها عارضين أن يملأوا كأسها أو يُناولوها الكعك، وعزف السير ريتشارد فارو أغاني الحُبِّ على عوده خارج سُرادقها، وجلب لها السير هيو بيزبوري جرَّةً من العسل «الحُلُو كعذراوات (تارث)»، وأضحكها السير مارك المالدور بطرائف قرده الصَّغير الذي أتى بلونيه الأبيض والأسود من (جُزر الصَّيف)، وعرض فارس متجوِّل اسمه ويل اللُّقلى أن يُدلك كتفها ليبسط عضلاتهما المشدودة.

ورفضته بريان، رفضتهم جميعًا. عندما أمسكها السير أوين إنشفيلد ذات ليلةٍ وقبَّلها رغماً عنها أسقطته على مؤخرته في بؤرة نار، وبعدها تطلَّعت إلى نفسها في المرآة، فرأت وجهها عريضًا منمَّشًا كبير الأسنان كما كان دومًا، وشفتيها كبيرتين وفكَّها سميكًا. يا للقبَّح. لم تكن تُريد إلا أن تُصبح فارسًا وتخدم الملك رنلي، لكن الآن...

لم تكن المرأة الوحيدة هناك. حتى تابعات المعسكرات كن أجمل منها، وفي القلعة اعتاد اللورد تايرل أن يُقيم مأدبةً للملك رنلي كلَّ ليلةٍ فيما ترُقِّص الفتيات عالياً المقام والليديها الحسان على أنغام المزمارة والبوق والقيثار. متى ألقى عليها فارس غريب مجاملةً ما أرادت أن تصرِّخ فيه: لماذا تُعاملني بلطفٍ؟ ماذا تُريد؟

وحل راندل تارلي اللغز يوم أرسل اثنين من جنوده لاستدعائها إلى سُرادقه، حيث قال لها إن ابنه الصَّغير سيكون سمع أربعة فُرساني يضحكون وهم يضعون على خيولهم سروجها، وأخبر أباه بما قالوه. كانوا متراهنين عليها.

أخبرها بأن ثلاثة من الفُرسان الشَّباب بدأوا الرِّهان، أمبروز وبوشي، بالإضافة إلى هايل هنت الذي يتتمي إلى حرس أهل بيته، لكن إذ انتشر الخبر في المعسكر انضمَّ آخرون إلى اللعبة. كان على كلِّ رجلٍ يرغب في الانضمام إلى المسابقة أن يدفع تينًا ذهبيًا، على أن يجني المبلغ الإجمالي من يفضُّ بكارتها.

قال لها تارلي: «لقد وضعتُ نهايةً للعبتهم. بعض هؤلاء الـ... المتنافسين... بعضهم أقلُّ شرفاً من غيرهم، والرّهانات كانت تتزايد كلَّ يوم. كانت مسألة وقتٍ فقط قبل أن يُقرَّر أحدهم أن ينال غنيمته بالإكراه».

قالت مذهولة: «إنهم فرسان، فرسان منصّبون».

- «ورجال شرفاء. أنتِ الملوثة».

ردّت وقد أجفلها الاتّهام: «إنني لم... سيّدي، أنا لم أفعل شيئاً لأشجّعهم».

- «وجودك هنا شجّعهم. إذا تصرّفتِ امرأة كتابعة معسكرات فلا يُمكنها

أن تحتجّ على معاملتها كواحدة. الجيش ليس مكاناً للفتيات. إذا كنتِ

تحترمين عفتك أو شرف عائلتك على الإطلاق فاخلمي هذه الدرع وارجعي

إلى ديارك وتوسّلي إلى أبيك أن يجد لك زوجاً».

قالت بإصرار: «جنّت لأقاتل، لأكون فارساً».

قال راندل تارلي: «الآلهة خلقت الرجال للقتال والنساء لحمل الأطفال.

حرب المرأة في فراش الولادة».

رأت بريان أحدهم نازلاً السّلام إلى القبو، فنحّت نبيذها جانباً بينما دخل

رجل رثّ الملابس مهزول القوام مدبّب الوجه له شعر بنيّ متّسخ. ألقى على

البحّارة التايرو وشيئين نظرةً سريعةً وعلى بريان نظرةً أكثر إمعاناً، ثم ذهب إلى

المشرب، وقال: «نبيذ، ومن دون بول خيول، شكراً».

نظرت المرأة إلى بريان وأومات برأسها، فنادت: «سأشتري لك النبيذ

مقابل كلمة معك».

تفرّس الرّجل فيها بعينين حذرتين، ثم قال: «كلمة؟ أعرفُ كلماتٍ كثيرة»،

وجلس على الكرسي المقابل لها متابعاً: «أخبريني أيُّ كلمة تُريد سيّدتي أن

تسمعها وسيقولها ديك الرّشيق».

- «سمعتُ أنك خدعت مهرجاً».

كان الرّجل الصّاوي يرتدي سترةً باهتةً ممزّقة انتزعت من على صدرها

شارة لورد ما، وقد رشف من نبيذه مفكراً، قبل أن يقول: «ربما وربما لا. من

يُريد أن يعرف؟».

أجابت: «الملك روبرت»، ووضعت قطعةً فضيَّةً على البرميل بينهما،

على أحد وجهيها رأس روبرت وعلى الثّاني رمز الوعل.

قال الرَّجُلُ: «حقًّا؟»، والتقطَّ العُملَة ودَوَّرَهَا، وأردفَ: «أحبُّ أن أرى ملكًا يرقُص، هاي-نوني هاي-نوني هاي-نوني-نوني<sup>(1)</sup>. ربما رأيتُ مهرجك هذا».

- «أكانت معه بنت؟».

أجابَ من فوره: «بتنان».

- «بتنان؟!». هل يُمكن أن تكون الثانية آريا؟

- «لم أرَ الحُلوتين الصَّغيرتين، لكنه أرادَ رحلةً لثلاثة».

- «رحلة إلى أين؟».

- «إلى البرِّ الآخر من البحر على ما أذكر».

- «هل تذكُر شكله؟».

اختطفَ العُملَة التي تدور على سطح المائدة وقد بدأت حركتها تتباطأ وجعلها تختفي مجيبًا: «مهرج، مهرج، مهرج خائف».

- «خائف مم؟».

هَزَّ كتفيه قائلاً: «لم يقل، لكن ديك الرِّشيق يعرف رائحة الخوف. اعتادَ أن يأتي هنا كلَّ ليلةٍ تقريبًا، يدعو البحَّارة إلى الشَّراب ويُلقِي النِّكات ويُغني. ثم في ليلةٍ جاءَ رجال على صدورهم الصَّيَّاد فشحبَ وجه مهرجك كالحليب وخرسَ حتى رحلوا»، ودنا منها أكثر مواصلاً: «تارلي هذا جنوده يجوبون الميناء مراقبين كلَّ سفينةٍ آتيةٍ أو ذاهبة. مَنْ يُريدُ غزاً لا يذهب إلى الغابة، ومَنْ يُريدُ سفينةً يذهب إلى الميناء. مهرجك لم يجرؤ، فعرضتُ عليه المساعدة».

- «مساعدة من أيِّ نوع؟».

- «النَّوع الذي يُكلِّف أكثر من قطعة فضَّة واحدة».

- «أخبرني وسأعطيك أخرى».

قال: «لنرها»، فوضعتَ عُملةً أخرى على البرميل، لئُدوِّرها ويتسم ويلتقطها مجيبًا: «مَنْ لا يستطيع الذهاب إلى السُّفن يحتاج إلى أن تذهب السُّفن إليه. قلتُ له إنني أعرفُ مكانًا يُتاح فيه هذا، مكان خفي».

---

(1) كلمة بلا معنى كانت تُستخدم كثيرًا في الأغاني الشَّعبية في العصر الإليزابيثي في إنجلترا، وقد وردت في إحدى أغنيات مسرحية (جمعجة بلا طحن) لشيكسبير. (المترجم).

اقشعراً جلد بريان على ذراعيها، وقالت: «وكر مهرّيين، أرسلت المهرّج إلى مهرّيين».

ردّ مقهقها: «هو والبنتان. المشكلة فقط أن المكان الذي أرسلته إليه لم تأتِه سفينة منذ فترة، نحو ثلاثين عاماً»، وحكّ أنفه متسائلاً: «ما أهميّة هذا المهرّج عندك؟».

- «هاتان البنتان أختاي».

- «حقاً؟ مسكيتتان. كانت لي أخت ذات يوم، فتاة نحيلة برُكبتين ناتئتين، لكن بعد ذلك نما لها زوج من الأثداء ودخل ابن فارس بين ساقها. آخر مرّة رأيته كانت في طريقها إلى (كينجز لاندنج) لتكسب قوتها على ظهرها».

- «أين أرسلتهم؟».

عاد يهز كتفيه قائلاً: «هذا لا أذكره».

دقت بريان المائدة بأيل فضّي آخر مكرّرة: «أين؟».

دفع العُملَة ناحيتها بسبّابته، وقال: «إنه مكان لم يدخله أيل من قبل... لكن تينياً يستطيع».

أدركت أن الفضة لن تستخلص منه الحقيقة. ربما يُفْلِح الذهب، وربما لا. الفولاذ أضمن. مسّت بريان خنجرها، لكنها بدلاً من هذا دسّت يدها في صرّتها والتقطت تينياً ذهبياً وضعتّه على البرميل، وكترت: «أين؟».

اختطف الرّجل الأشعث العُملَة وعصّ عليها، ثم قال: «جميل، يُدكّرني بـ(الرّأس المتصدّع)، شمالاً من هنا. إنها براري مليئة بالتلال والمستنقعات، لكنني وُلدت وتربيّت هناك. اسمي ديك كراب، مع أن أكثر القوم يدعونني بديك الرّشيق».

لم تُجاوبه باسمها، وسألّت: «أين في (الرّأس المتصدّع)؟».

- «(قلعة الهمس). مؤكّد أنك سمعت عن كلارنس كراب».

- «لا».

قال وقد لاحت عليه الدّهشة: «السير كلارنس كراب كما قلت. إن دمه في عروقي. كان يبلغ ثمانية أقدام طولاً، وقوّته هائلة لدرجة أن يجتثّ شجرة صنوبر من الأرض بيد واحدة ويُلقيها على بُعد نصف ميل. لم يكن هناك حصان يحتمل ثقله، فامتطى ثوراً بريّاً».

- «ما علاقته بوكر المهرّبين؟».

- «زوجته كانت ساحرة غابة. كلّما قتلَ السير كلارنس رجلًا أخذَ رأسه معه إلى زوجته، ففُتِّبَ الرأس على الشَّفَتَيْن وتُعيده إلى الحياة. كانت رؤوس لوردات وسحرة وفُرسان وقراصنة مشاهير، وأحدها كان رأس ملك (وادي الغسق). تلك الرؤوس أُسَدَت لكراب نصائح مفيدة، لكن لأنها رؤوس فقط فلم تستطع أن ترفع صوتها، ومع ذلك لم تَصْمُتْ لحظةً. عندما يكون المرء رأسًا فقط فالكلام كل ما لديه لتمضية الوقت. هكذا سُمِّيت قلعة كراب (قلعة الهمس)، وما زالَ هذا اسمها مع أنها خربت منذ ألف عام. مكان موحش»، وقلَّب الرَّجُل العُملة برشاقةٍ على مفاصل أصابعه مردفًا: «تئين واحد تُصيبه الوحدة، أمّا عشرة تنانين...».

- «عشرة تنانين ثروة. أتُحسبني بلهاء؟».

رَدَّ والعُملة تتراقص من جانب إلى جانب: «لا، لكنني أستطيع أن أقودك إلى المهرِّج، أقودك إلى (قلعة الهمس) يا سيّدي».

لم ترقُ بريان الطريقة التي تتلاعب بها أصابعه بالعُملة الذهبية، ومع ذلك... «ستّة تنانين إذا وجدنا أختي، اثنان إذا وجدنا المهرِّج، ولا شيء إذا لم نجد شيئًا».

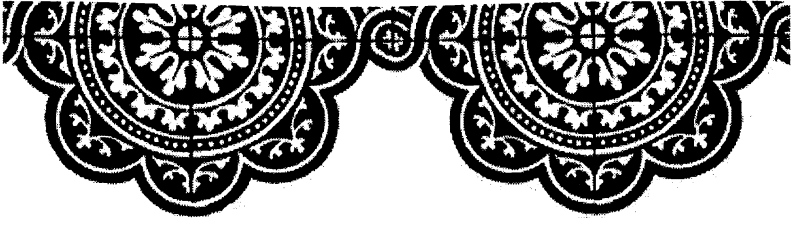
هزَّ كراب كتفيه قائلاً: «لا بأس بستّة، ستّة مبلغ مناسب».

قبلَ بسرّعةٍ بالغة. أطبقت على معصمه قبل أن يدسَّ العُملة في جيبه، وقالت: «إياك أن تُحاول خداعي. لن تجدني لُقمةً سائغة»، ولَمَّا أطلّقت سراحه فركَ كراب معصمه متممًا: «تبا، أَلَمَتِ يدي».

- «أسفةٌ لهذا. أختي بنت في الثالثة عشرة، ويجب أن أعثر عليها قبل...».

- «... قبل أن يضع فارس نفسه في فتحتها. نعم، أفهمك. اعتبرها في

عداد النَّاجين. ديك الرّشيق معك الآن. قابليني أمام البوابة الشرّقية عند مطلع الفجر. هناك رجل عليّ أن أراه بخصوص حصان».



## سامويل

أصاب البحر سامويل تارلي بغثيانٍ فظيع. ليس السَّببُ بالكامل خوفه من الغرق، ولو أن جزءًا كبيرًا منه كذلك بالفعل، وإنما حركة السفينة أيضًا، الطَّرِيقَةُ التي يتمايل بها السَّطْحُ ويهتزُّ تحت قدميه. يوم أبحروا من (القلعة الشَّرْقِيَّة) اعترفَ لداريون قائلًا: «بطني يُصيبه الغثيان بسهولة»، فربَّت المغنِّي على ظَهْره ورَدَّ: «مع بطنٍ كبير كبطنك أيها القاتِل فهذا إفراط في الغثيان».

حاولَ سام أن يرسم على وجهه قناعًا من الشَّجَاعَةِ، لأجل خاطر جيلي قبل كلِّ شيء، فالفتاة لم ترَ بحرًا في حياتها قَطُّ. لمَّا خاضا الثلوج بشِقِّ الأَنْفُسِ بعد الهرب من (قلعة كراستر) صادفًا بُحَيْرَاتٍ عَدَّةٍ في طريقيهما، لكن حتى تلك البُحَيْرَاتِ كانت لها بمثابة أعجوبة. بينما ابتعدت (الطَّائِرُ الأَسْوَد) عن اليابسة راحت الفتاة ترتجف وسالت قطرات الدُّمُوعِ المالحَةِ الكبيرة على وجنتيها، وسمعتها سام تهمس: «يا للآلهة». اختفت (القلعة الشَّرْقِيَّة) أولاً، ثم أخذَ (الجِدَار) يتضاءل ويتضاءل حتى غابَ عن الأنظار تمامًا، وحينئذٍ كانت الرِّيحُ قد بدأت تشتدُّ. للقلوع لون رمادي باهت كمعطفٍ أسود غَسِلَ مرارًا وتكرارًا، ووجه جيلي كان أبيض ممتقعًا من فرط الخوف، فقال لها سام مبتغيًا طمأننتها: «هذه سفينة قويَّة، لا داعي للخوف»، غير أنها نظرت إليه فحسب وضمَّت رضيعها إليها أكثر وفرت إلى أسفل.

سرعان ما وجدَ سام نفسه يتشبَّث بحافة السفينة ويُشَاهِدُ حركة المجاذيف الرَّتِيَّةِ، فألقى التَّطَلُّعُ إلى الطَّرِيقَةِ التي تتحرَّكُ بها معًا جميلًا، بل وأفضل من النَّظَرِ إلى الماء. النَّظَرُ إلى الماء لا يجعله يُفَكِّرُ إلَّا في الغرق. في صِغْرِهِ جَرَّبَ

السيد والده أن يُعلِّمه السَّباحة بإلقائه في البركة التي تطلُّ عليها (هورن هيل)، فدخلت المياه أنفه وفمه وورثيه، ولازمه السُّعال والتَّنفس الممزوج بالصَّفير طيلة ساعاتٍ بعد أن أخرجه السير هائل، ومنذ ذلك الحين لم يجسُر على النزول في الماء على عمقٍ أعلى من خصره.

(خليج الفقمات) أعمق من خصره كثيرًا، وليس ساكنًا كبركة الأسماك الصغيرة عند قلعة أبيه، مياهه رمادية وخضراء ومتقلِّبة، والسَّاحل المحرَّج بالأشجار الذي يمضون بمحاذاته غابة من الصُّخور والدَّوامات. حتى إذا استطاعَ بوسيلةٍ ما أن يقطع كلَّ تلك المسافة رفسًا وزحفًا فالأرجح أن الأمواج ستدفعه ليرتطم بحجرٍ ما ويهشَّم رأسه تَهشيمًا.

قال داريون حين رأى سام واقفًا يتطلَّع عبر الخليج: «هل تبحث عن عرائس البحر أيها القاتِل؟». بشعره الفاتح وعينيه البندقيتين يبدو المغني الشاب الوسيم الآتي من (القلعة الشَّرقيَّة) أقرب إلى أمير ظلام من أخ أسود. - «لا». لا يدري سام عمَّ يبحث أو ماذا يفعل على متن هذه السفينة. قال لنفسه: أنا ذاهب إلى (القلعة) لأكوِّن سلسلةً وأصبح مايستر كي أخدم حرس الليل بشكلٍ أفضل، لكن الفكرة أصابته بالضَّجر لا أكثر. إنه لا يُريد أن يصبح مايستر يلفٌ حول عنقه سلسلةً ثقيلةً حلقاتها باردة على جلده، لا يُريد أن يترك إخوته والأصدقاء الوحيدين الذين عرفهم طول حياته، وقطعًا لا يُريد أن يُواجه أباه الذي أرسله إلى (الجدار) ليموت.

الأمر مختلف مع الآخرين، فبالنسبة إليهم للرحلة نهاية سعيدة. جيلي ستكون آمنه في (هورن هيل)، وبينها وبين الأهوال التي خبرتها في (الغابة المسكونة) عرض (وستروس) بأكمله. باعتبارها خادمة في قلعة أبيه ستحظي بالدفء وحسن التَّغذية، ستكون جزءًا صغيرًا من عالمٍ رحب لم تحلُم به قط وهي زوجة كراستر، وسترى ابنها ينمو كبيرًا قويًا ويصير صيَّادًا أو عامل اسطبل أو حدَّادًا، وإذا أبدى الصَّبي جدارةً بحمل السِّلاح فربما يتَّخذه فارس ما مُرافقًا كذلك.

والمياستر إيمون ذاهب إلى مكانٍ أفضل أيضًا، ومن السَّار أن يفكِّر سام فيه إذ يقضي ما تبقى له من عمُرٍ يستمتع بنسيم (البلدة القديمة) الدَّافئ ويتناقش



مع زُملائه المايسترات وينقل حكمته إلى المُعاونين والمبتدئين. لقد استحقَّ الرَّجُل راحته أضعافًا مضاعفةً.

حتى داريون سيكون أسعد. إنه يَزْعُم دومًا أنه بريء من تُهمة الاغتصاب التي نجمَ عنها إرساله إلى (الجدار)، ويصرُّ على أن مكانه يُفترض أن يكون في بلاط أحد اللوردات ليُغنيَّ له على العشاء، والآن سينال تلك الفرصة وقد عينه چون مجنّدًا ليحل محلَّ رجل اسمه يورن اختفى وأصبحَ في عداد الموتى. مهمته أن يجوب (الممالك السَّبع) ويغنيَّ عن بأس حرس الليل، وبين الحين والآخر يعود إلى (الجدار) بدفعةٍ جديدة من المجندين.

ستكون الرِّحلة طويلةً مضطربةً ولا أحد يُنكر ذلك، لكن على الأقل تنتظر الآخرين نهاية سعيدة، وهذا عزاء سام الذي قال لنفسه: إنني ذاهب من أجلهم، من أجل حرس الليل والنَّهية السَّعيدة. على أنه كلَّمًا تطلع إلى البحر أكثر بدا أبرد وأعمق.

لكن عدم النَّظر إلى الماء أسوأ وأسوأ، كما أدرك سام في القمرة الضَّيِّقة التي يشترك فيها المُسافرون تحت السَّلوقية<sup>(1)</sup> الخلفية. حاول أن ينادى بأفكاره عن الهياج في معدته بأن يُكلِّم جيلي بينما تُرضع ابنها، فقال: «هذه السَّفينة ستأخذنا حتى (برافوس)، وهناك سنجد سفينة أخرى تحملنا إلى (البلدة القديمة). قرأتُ كتابًا عن (برافوس) في طفولتي. المدينة كلها مبنية في هور على مئة جزيرة صغيرة، وعندهم مارد هناك، رجل حجري طوله مئات الأقدام. إنهم يركبون القوارب بدلًا من الخيول، ويُقدِّم ممثلوهم قصصًا مكتوبةً بدلًا من اختلاق المهازل السَّخيفة المعتادة. الطَّعام جيّد جدًا أيضًا، خصوصًا الأسماك، لأنهم يصطادون مختلف أنواع الحلزون والمحار وطحابين الماء الطَّايزة من الهور. المفترض أن نقضي بضعة أيام هناك بين الرِّحلتين، وإذا فعلنا فلنذهب لمشاهدة عرض تمثيلي ونأكل المحار».

حسبَ أن ذلك سيثير حماسها، لكنه كان مخطئًا تمامًا، إذ حدّقت جيلي إليه بنظرة فاترة خاوية من بين خُصلات شعرها المتسَّخ، وقالت: «إذا أردت يا سيدي».

(1) كانت السُّفن القديمة، خصوصًا الحربي منها، تُجهَّز ببناءين محصَّنين في المقدِّمة والمؤخِّرة، يُطلق على كلٍّ منهما سلوقية. (المترجم).

سألها سام: «ماذا تُريدين أنت؟».

ردّت: «لا شيء»، والتفتت عنه ونقلت ابنها من ثدي إلى الآخر. كانت حركة السفينة تُقلّب ما في معدة سام من البيض واللحم المقدّد والخُبز المحمّر الذي أكله قبل بداية الرحلة، وعلى حين غرّة لم يُعدّ يستطيع البقاء في القمرة لحظةً أخرى، فدفع نفسه إلى القيام وتسلّق السُلّم ليُعطي إفطاره للبحر. داهمه الغثيان بقوةً شديدة حتى إنه لم يتوقّف ليُعَيّن اتجاه هبوب الرّيح، فتقيّاً من الجانب الخطأ ولوّث نفسه بالقيء، وعلى الرغم من هذا أحسّ بتحسّن كبير بعدها... ولكن ليس لفترةٍ طويلة.

(الطائر الأسود) أكبر قوادس الحرس الثلاثة. (غراب العواصف) و(البرثن) أسرع، كما أخبر كوتر بايك المايستر إيمون وهم في (القلعة الشرقيّة)، لكنهما سفينتان حريبتان، طائران كاسران سريعان رشيقان يجلس فيهما الملاحون على السطح المفتوح، أمّا (الطائر الأسود) فخير خيار أفضل لمياه (البحر الضيق) الهائجة وراء (سكاجوس). قال لهم بايك محدّراً: «ثمّة عواصف منذ فترة. عواصف الشتاء أسوأ، لكن عواصف الخريف متكرّرة».

الأيام العشرة الأولى كانت هادئةً فيما محرت السفينة عباب (خليج الفقمت) دون أن تتعد عن منظر اليابسة إطلاقاً، ورغم أن الجوّ يبرّد عندما تهبّ الرّيح ففي رائحة الملح في الهواء شيء منشط منعش كذلك. بالكاد استطاع سام أن يأكل، وكلّما أرغم نفسه على ابتلاع شيءٍ لا يبقى في معدته طويلاً، لكنه لم يُعان كثيراً بغضّ النظر عن هذا.

حاول أن يشحذ همّة جيلي ويبت فيها ما يستطيع من ابتهاج، إلا أنه وجد المهمة عسيرة، فهما قال رفضت أن تصعد إلى السطح وفضلت أن تبقى قابعة في الظلام مع ابنها. ويبدو أن الرضيع لا يروقه وجوده على السفينة أكثر من أمه، فحين لا يصرخ يتقيّاً اللبن الذي أرضعته إياه، بالإضافة إلى الإسهال الذي أصابه ليُلوث الفرو الذي تلفه به جيلي لتدفئته ويملاً الهواء برائحة بيّنة كريهة، ولا يهتمّ كم شمعة معطرة يُشعلها سام، فرائحة الخراء لا تزال باقية.

يطيب لسام أكثر أن يبقى بالأعلى في الهواء الطلق، بالذات عندما يُعني داريون. يعرف ملاحو (الطائر الأسود) المطرب الذي تعود أن يُعني لهم بينما يُجدّفون، كما أنه يعرف جميع أغانيهم المفضّلة؛ منها الحزين ك(يوم

شنتقواروبن الأسود) و(مرثية عروس البحر) و(خريف عمري)، والحماسي ك(الرماح الحديد) و(سبعة سيوف لسبعة أبناء)، والخليع ك(عشاء سيديتي) و(زهرتها الصغيرة) و(ماجيت كانت فتاة مرحّة، فتاة مرحّة كانت)، وحين يُعني (الجميلة والذب) ينضمُّ إليه الملاحون فيبدو كأن السفينة تطير على الماء طيرانًا. ليس داريون بالمبارز الماهر - كما يعلم سام منذ أيام تدريهما تحت إمرة أليس ثورن - لكن له صوتًا جميلًا، «عسل مصبوب على رعد» على حدّ تعبير المايستر إيمون ذات مرّة. إنه يعزف على القيثارة الخشبيّة والكمنجة أيضًا، بل ويكتب أغنياته الخاصّة... مع أن سام لا يحسبها جيّدة إلى هذا الحدّ. ومع ذلك فمن المستحبّ عند سام أن يجلس ويصغي، ولو أن الصندوق الذي يجلس عليه صلب كثير الشظايا، لدرجة أنه يكاد يشعر بالامتنان لسمنة مؤخرته. البدن يحمل معه وسادة أينما ذهب.

يُفضّل المايستر إيمون أيضًا أن يقضي النهار على السطح قابعًا تحت كومة من الفرو ويتطلّع إلى الماء، وذات يوم تساءل داريون قائلاً: «إلام ينظر؟ بالنسبة إليه الظلام هنا وبالأسفل في القمرة واحد».

سمعه العجوز. رغم أن عيني إيمون انطفأتا إلى الأبد فما زالت أذناه تعملان بكفاءة تامّة، وقد قال لهما مذكرًا: «إنني لم أولد أعمى. حين مررت من هذا الطريق آخر مرّة رأيت كلّ صخرة وشجرة وموجة، وشاهدت النوارس الرماديّة تُحلّق في أعقابنا. كنت في الخامسة والثلاثين، وأصبحت ماستر مسلسلًا قبلها بستّة عشر عامًا. إج أرادني أن أعينه على الحكم، لكنني كنت أعرف أن مكاني هنا. أرسلني شمالًا على متن (التنين الذهبي) وأصرّ على أن يصحبني صديقه السير دنكان إلى (القلعة الشريّة). لم يصل مجنّد إلى (الجدار) قطّ بتلك الأبهة منذ أرسلت نايميريا إلى حرس الليل ستّة ملوكٍ مقيّدين بالأصفاد الذهبيّة. أفرغ إج الزنازين أيضًا كي لا أضطرّ إلى حلف اليمين بمفردي. سمّاهم حرس شرف، وأحدهم لم يكن أقلّ من بريندن ريفرز شخصيًا، الذي اختير فيما بعد ليكون حضرة القائد».

قال داريون: «غداف الدّم؟ أعرّف أغنية عنه، اسمها (ألف عين وعين).

لكنني حسبت أنه عاش منذ مئة عام».

- «كلنا عشنا منذ مئة عام. لقد كنت شابًا مثلك ذات يوم». بدا أن الفكرة

أحزنته، وسعل وأغلق عينيه وغاب في النوم، وكلما هزت موجة ما السفينة تمايلت تحت أعطيته.

تحت سماوات رمادية أبحروا، شرقاً وجنوباً ثم شرقاً من جديد فيما اتسع (خليج الفقمات) من حولهم. الربان أخ أشيب له بطن كبرميل المزر ويرتدي ثياباً متسخة للغاية وباهتة لدرجة أن أفراد الطاقم لقبوه بذي الأسماك المألحة العجوز. نادراً ما ينبس الرجل ببنت شفة، ويُعوّض نائبه صمته بتلوين الهواء بالسباب واللعنات متى سكنت الرياح أو تلكاً الملاحون. في الصباح يأكلون ثريد الشوفان، وبعد الظهر ثريد البازلاء، وليلاً اللحم البقري المملح ولحم الضأن المملح وسمك القد المملح، ويشربون مع وجبتهم القليل من المزر. يُغني داريون، ويتقياً سام، وتبكي جيلي وتُرضع صغيرها، وينام المياستر إيمون ويرتحف، وتشتد برودة الريح وسرعتها بمرور كل يوم.

وعلى الرغم من كل هذا فالرحلة أفضل من آخر مرة أبحر فيها سام. لم يكن يتجاوز العاشرة عندما ركب قاليون اللورد رداوين المسمى (ملكة الكرمة). كانت السفينة أكبر من (الطائر الأسود) خمس مرات ومهيب المنظر، لها ثلاثة أشرعة خميرية وصفوف من المجاذيف تومض بالذهبي والأبيض في نور الشمس، وقد احتبست أنفاس سام انبهاراً بما رأها ترتفع وتنخفض وهم يتحركون من (البلدة القديمة)... لكن تلك آخر ذكرى طيبة لديه عن (بوغاز رداوين)، فحينها كما الآن أصابه البحر بالغثيان، وبالتالي أصاب هو السيد والده بالاشمئزاز.

وحين بلغوا (الكرمة) تدهورت الأمور من سيئ إلى أسوأ. من النظرة الأولى احتقر ابنا اللورد رداوين التوام سام، وكل صباح وجدا وسيلة جديدة لتكليله بالخزي في ساحة التدريب. في اليوم الثالث جعله هوراس رداوين يصرخ كالحنازير متوسلاً للرحمة، وفي اليوم الخامس ألبس أخوه هوبر إحدى عاملات المطابخ درعه وتركها تضرب سام بسيف خشبي إلى أن أجهش بالبكاء، ولما أفصحت عن نفسها تفجرت ضحكات جميع المرافقين والوصفاء وعاملي الاسطبلات المدوية.

ليلتها قال أبوه للورد رداوين: «الصبي يحتاج إلى القليل من التمرس لا أكثر»، لكن مهرج رداوين رجّ خشخيشته وردّ: «بل يحتاج إلى القليل من

الفلفل والقرنفل وتَفَاحٍ في فمه»، وبعدها حَرَّمَ اللورد راندل على سام أن يأكل التُّفَاح ما داموا تحت سقف باكستر ردواين. انتابه دُوار البحر في رحلة العودة إلى الدِّيار أيضًا، لكنه كان يحسُّ براحةٍ بالغةٍ للرَّحيل حتى إنه كادَ يُرَحِّب بطعم القِيء في مؤخِّرة حَلَقه. انتظرت أمُّه رجوعهم إلى (هورن هيل) لتُخبره بأن أباه لم يكن ينوي عودته، وقالت له: «كان هوراس سيأتي معنا بدلًا منك، في حين كنت ستبقى أنت في (الكرمة) وصيفًا وساقيًا عند اللورد باكستر، ولو سررته لخطبت ابنته». ما زال سام يذُكر لمسة يد أمِّه النَّاعمة إذ مسحت وجهه من الدُّموع بقطعةٍ من الحرير المبلَّل بلُعبها وهي تُغمغم: «صغيري المسكين سام، صغيري المسكين المسكين سام».

فكَّر وهو يتمسِّك بحاجز (الطَّائر الأسود) ويُشاهد الأمواج تتكسَّر على السَّاحل الحجري: سيكون جيّدًا أن أراها ثانيةً، بل وربما تفخر بي إذا رأته في ثيابي السَّوداء. يُمكنني أن أقول لها: «إنني رجل الآن يا أمَّاه، وكيل وأخ في حرس الليل. أحيانًا يدعوني إخوتي بِسام القاتل». وسيرى أخاه ليكون وأخواته أيضًا. يُمكنني أن أقول لهم: «انظروا، انظروا، اتَّضح أنني أصلحُ لشيء».

لكن إذا ذهبَ إلى (هورن هيل) فربما يكون أبوه هناك.

جعل الخاطر معدته تثور من جديد، ومالَّ سام من فوق الحاجز وعادَ بقيء، ولكن ليس في اتِّجاه الرِّيح، إذ ذهبَ إلى الحاجز الصَّحيح هذه المرَّة. لقد بدأ يبرع في التَّقَيُّؤ.

أو أن هذا ما كان يحسبه، إلى أن ابتعدت (الطَّائر الأسود) عن اليابسة وتوجَّهت شرقًا عبر الخليج نحو سواحل (سكاجوس).

تقع الجزيرة في مدخل (خليج الفقمات)، مساحتها هائلة وجبالها ضخمة وأرضها قاسية وعرة يسكنها البرابرة. سبق لسام أن قرأ أنهم يقطنون بالكهوف والجبال المنزلة، ويمتطون اليونيكورنات الشَّعْثاء الضَّخمة إلى الحرب. في اللُّغة القديمة كلمة «سكاجوس» معناها «حجر»، ويسمِّي السكاجوسيون أنفسهم حجريِّ الميلاد، لكن من عداهم من أهل الشَّمال يُسمُّونهم «سكاجيين» ولا يُكنُّون لهم مودَّة. قبل مئة عام فقط تمرد السكاجيون، واستغرق إخمد ثورتهم سنواتٍ وأتى على حياة سيِّد (وينترفل) ومئاتٍ

من جُنْدِه. يقول بعض الأغانِي إن السكاجيين أكلَة لحوم بشر، ويُفترَض أن مُحاربيهم يأكلون قلوب وأكباد من يَقتُلون، وفي الماضي السَّحيق أبحرَ السكاجوسيون إلى جزيرة (سكاين) القريبة وسبوا نساءها وذَبَحوا رجالها وأكلوهم على الشَّاطِئِ في وليمةٍ استمرَّت أسبوعين كاملين، وحتى اليوم تظلُّ (سكاين) مقفرةً.

داريون أيضًا يعرف الأغانِي، فحين ارتفعت قِمَم (سكاجوس) الرَّماديَّة الكثيبة من البحر انضمَّ إلى سام عند مقدِّمة السَّفينة، وقال: «إذا شاءت الآلهة سنلبح يونيكورن».

- «إذا شاءت الآلهة لن نقرب لتلك الدَّرَجَة. التِّيَّارات خدَّاعة حول (سكاجوس)، وثمة صخور يُمكن أن تكسر بدن السَّفينة كقشرة البيضة. لكن لا تذكُر هذا لجيلي، إنها خائفة بما فيه الكفاية».

- «هي وابنها الذي لا ينقطع عن البكاء. لا أدري أيُّهما أكثر صخبًا. الوقت الوحيد الذي لا يبكي فيه لَمَّا تدسُّ حلمتها في فمه، وعندئذٍ تشرع هي في البكاء!».

كان سام قد لاحظَ هذا أيضًا، لكنه قال بكلل: «ربما يؤلِّمها الرُّضيع. إذا كان قد بدأ يُسنِّن...».

نقرَ داريون على أوتار عوده بإصبعٍ واحد عازفًا نغمةً ساخرةً، وقال: «سمعتُ أن الهَمَج أشجع من هذا».

ردَّ سام بإصرار: «إنها سُجاعة»، ولو أنه هو نفسه عليه أن يقرَّ بأنه لم يرَ جيلي في تلك الحالة المزرية من قبل. على الرغم من أنها تُخفي وجهها أغلب الوقت وتُحافظ على عتمة القمره فإنه يرى عينيها محمرَّتين دائمًا والدَّموع تُبَلِّل وجنتيها، لكن عندما سألتها عمَّا هنالك اكتفت بهزَّ رأسها وتركته يبحث عن الإجابات بنفسه. قال لداريون: «البحر يُخيفها لا أكثر. قبل ذهابها إلى (الجِدَار) لم تعرف في حياتها إلا (قلعة كراستر) والغابة المحيطة بها. لا أظنُّ أنها ابتعدت أكثر من نصف فرسخ عن المكان الذي وُلِدَت فيه. إنها تعرف الجداول والأنهار، لكنها لم ترَ بُحيرةً قطُّ إلى أن صادفنا واحدة، والبحر... البحر مخيف».

- «اليابسة لم تَغِب عن أعيننا إطلاقًا».

- «لكنها ستغيب». سام أيضًا لا يتطلّع إلى تلك المرحلة من الرحلة.  
- «مؤكد أن القاتل لا يخشى القليل من الماء».

قال سام كاذبًا: «ليس أنا، بل جيلي... قد يُساعد الرضيع على النوم أن تُغني لهما بعض أغاني المهد».

التوى فم داريون اشمئزًا، وقال: «فقط إذا دسّت سداة في مؤخرته. لست أطيق الرائحة».

في اليوم التالي بدأت الأمطار وازداد البحر تقلبًا، فقال سام لإيمون: «الأفضل أن ننزل بعيدًا عن البلبل»، لكن المايستر الهرم ابتسم قائلاً: «أحبت الشعور بالمطر على وجهي يا سام، كأنه دموع. دعني أبقى فترة أطول قليلًا أرجوك. لقد مضى زمن طويل منذ بكيت».

إذا أراد المايستر إيمون أن يبقى على السطح على الرغم من شيخوخته وهشاشته فلا خيار لدى سام إلا البقاء معه. هكذا جلس إلى جوار الرجل ما يقرب من ساعة، وقد ربص بمعطفه الذي غاصت فيه قطرات المطر الناعمة الثابتة وتخللته حتى الجلد، أمّا إيمون فبدأ أنه يشعر به بالكاد. تنهد العجوز وأغلق عينيه، ودنا سام منه أكثر ليقبه من الريح قدر الإمكان قائلاً لنفسه: سيطلب مني أن أخذه إلى القمر قريبًا، لا بد أن يفعل، لكن إيمون لم يفعل، وأخيرًا بدأ هزيم الرعد يتردد من بعيد ناحية الشرق، ليقول سام مرتعدًا: «يجب أن ننزل». لم يُجبه المايستر إيمون، وعندئذ فقط تبين سام أن العجوز غاب في النوم، فقال وهو يهزه من كتفه برفق: «أيها المايستر، مايستر إيمون، استيقظ».

انفتحت عينا إيمون البيضاء الكفيفتان، وقال والمطر ينهمر على وجهه: «إج؟ إج، حلمتُ بأني عجوز».

لم يدر سام ماذا يفعل. انحنى ورفع العجوز وحمله إلى أسفل. لم يصفه أحد بالقوة قط، وقد تشبعت ملابس المايستر إيمون السوداء بالماء مضاعفة وزنه، ومع ذلك لم يكن أثقل من طفل. حين اندفع إلى القمر وإيمون بين ذراعيه وجد أن جيلي تركت الشموع كلها تنطفئ. كان الرضيع نائمًا، وتكورت هي على نفسها في ركنٍ باكية بخفوت بين طيات المعطف الأسود الكبير الذي أعطاها سام إياه. قال مستعجلًا إياها: «ساعديني، يجب أن نُجفّفه ونُدفّته».

نهضت من فورها، ومعاً خلعا عن المايستر العجوز ثيابه المبتلة ودفناه تحت كومة من الفرو، لكن جلده كان رطباً بارداً دبق الملمس، فقال سام لجيلي: «ادخلي معه تحت الأغطية، صميه إليك، دقني بجسدك، يجب أن تدفني». أطاعته في هذا أيضاً دون أن تقول كلمة وإن ظلت تتشقق. سألت سام: «أين داريون؟ سندفاً أكثر إذا كنا كلنا معاً. ينبغي أن يكون هنا أيضاً». كان في الطريق إلى أعلى ثانية ليجد المغني عندما ارتفعت الأرض من تحته ثم هوت. ولوكت جيلي، وسقط فاقداً توازنه، واستيقظ الرضيع صارخاً.

وأتت رجّة السفينة التالية بينما يُحاول النهوض بصعوبة، فألقت جيلي بين ذراعيه وتشبّث به الفتاة الهمجية بشدة مستميتة جعلته يكاد لا يستطيع التقاط أنفاسه، لكنه قال لها: «لا تخافي، هذه مغامرة فحسب. ذات يوم ستحكين لابنك عنها». لم يفلح قوله إلا في جعلها تغرس أظفارها أكثر في ذراعيه، وارتعدت واهتز جسدها كله من عنف نحيبها. مهما قلت أزيد الأمر سوءاً. احتواها بقوة وهو يعي على نحو غير مريح أن ثدييها ملتصقان بصدرة، وعلى الرغم من دعره كان هذا كافياً لاستثارته. قال لنفسه خجلاً: ستشعر به، لكن إذا شعرت جيلي بشيء فإنها لم تُبدِ أماراً علي ذلك، بل تمسكت به أكثر.

اختلطت الأيام معاً بعد ذلك. لم يروا الشمس قط، واصطبغت النهارات بالرمادي والليالي بالأسود، إلا عندما يضيء البرق السماء فوق ذرى (سكاجوس)، وجميعهم يتصوّر جوعاً لكن لا أحد يقدر على الأكل. فتح الرّبّان برمبل نبيذ ناري لتقوية الملاحين، وجرب سام كوباً منه وتنهّد إذ أحسّ بشعابين ساخنة تزحف داخل حلقه إلى صدره، وأعجب الشّراب داريون أيضاً، ومنذ حينها لا يستفيق إلا نادراً.

ارتفعت القلوع وانخفضت، وتمزق أحدها من صاريته وطار مبتعداً كطائر رمادي ضخم، وإذ دارت (الطائر الأسود) حول ساحل (سكاجوس) الجنوبي أبصروا حطام قادم على الصّخور، وقد انجرف عدد من أفراد طاقمه إلى الشاطئ، واحتشدت طيور الرّخ<sup>(1)</sup> والسراطين تحتفي بهم على

(1) الرّخ طائر أسود صغير من الغرانيات، ويختلف عن طائر الرّخ الخرافي المذكور في أساطير الإغريق. (المترجم).



طريقتها. دمدم ذو الأسماك المالحة العجوز: «قريبون للغاية. نفخة واحدة قوية كفيلة بتحطيمنا إلى جوارهم». على الرغم من إعيائهم مأل ملاحوه على مجاذيفهم من جديد، وبُعسر راحت السفينة تشق الأمواج المعتلجة جنوباً صوب (البحر الضيق)، إلى أن تضاءلت (سكاجوس) ولم يعد يلوح منها إلا بضعة أشكال قائمة في السماء ربما تكون ركاماً رعدياً<sup>(1)</sup> أو قمم جبال سوداء شاهقة، أو هذا وذاك.

بعدها مرت عليهم أيام ثمانية وليالٍ سبع من الإبحار الهادئ في أجواء صافية.

ثم هبت عواصف أخرى أسوأ من سابقتها. أكانت ثلاث عواصف أم عاصفة واحدة تخللتها فترات هدوء؟ لم يعرف سام الإجابة، وإن حاول بكل جوارحه أن يكثر، حتى إن داريون صرخ فيه مرةً بينما تلمموا معاً في القمرة: «ما الفرق؟!»، فأراد سام أن يقول له: لا فرق، لكن ما دمت أفكر في هذا فلن أفكر في الغرق أو الغيثان أو رجفة المايستر إيمنون. أجاب بنبرة كالصّيرير: «لا فرق...»، لكن الرعد طغى على بقية كلامه، وتمايلت السفينة ورمته إلى الجانب. كانت جيلي تنوح، والرّضيع يعوي، ومن الأعلى بلغ مسامع سام صوت ذي الأسماك المالحة العجوز يهدر في طاقمه، الرّبّان الأشعث الذي قلّم يتكلّم.

كم أكره البحر، كم أكره البحر، كم أكره البحر، كم أكره البحر. ومضة البرق التالية كانت ساطعة لدرجة أنها أضاءت القمرة من خلال الشقوق في ألواح الخشب أعلاهم. هذه سفينة قوية متينة، سفينة قوية متينة، سفينة قوية، لن تغرق، لست خائفاً.

خلال واحدة من فترات الهدوء بين عاصفتين، وبينما تشبّت سام ومفاصل أصابعه مبيضة بالحاجز راغباً بقوة في أن يقيء، سمع بعضاً من أفراد الطاقم يقولون متذمّرين إنهم ألوا إلى هذا الموقف بسبب وجود امرأة على السفينة، بل وامرأة همجيّة أيضاً. سمع أحدهم يقول والريّح تشتدّ مجدداً: «ضاجعت

(1) الرّكام الرّعدي نوع من السّحاب يتشكّل على نحو عمودي كثيف ويحمل المطر ويتزامن مع هبوب العواصف الرّعدية. (المترجم).

أباها. هذا أسوأ من العهر، أسوأ من أيّ شيء. سنغرق جميعاً ما لم نتخلّص منها ومن ذلك المسخ الذي ولدته».

لم يجرؤ سام على مواجهتهم. إنهم رجال قساة أصلاب، أذرعهم وأكتافهم غلظتها سنوات العمل على المجاذيف، لكنه حرص على شحذ سكينه والذهاب مع جيلي متى خرجت من القمرة لتقضي حاجتها.

حتى داريون لم يقل خيراً عن الفتاة الهمجيّة. في مرّةٍ بلحاح من سام بدأ يُغنيّ تهويدهً لتهديّة الرّضيع، لكن في منتصف البيت الأول انفجرت جيلي في بكاءٍ عنيف، فقال داريون بحدّة: «بحقّ الجحائم السبع اللعينة! ألا يُمكنك أن تنقطعي قليلاً لتسمعي أغنيّة؟!».

ناشده سام قائلاً: «اعزف فقط، غنّ لها الأغنيّة».

ردّ داريون: «ليست تحتاج إلى أغنيّة، بل إلى الصّفص على مؤخرتها، أو ربما إلى أن ينكحها أحد بقوة. ابتعد عن طريقي أيها القاتل»، ودفع سام جانباً وخرج من القمرة ليجد شيئاً من السّلو في كوبٍ من النّبذ النّاري مع أخوة الملاحين الخشنة.

عندئذٍ كانت الأسباب قد تقطّعت بسام. إنه يكاد يعتاد الرّوائح، لكن بين العواصف وبكاء جيلي لم يُراوده النّوم منذ أيام. حين رأى المايستر إيمون مستيقظاً سأله بخفوتٍ شديد: «أما من شيءٍ يُمكنك أن تُعطيها إياه؟ عُشباً أو عقاراً كي لا تخاف؟».

قال له العجوز: «ليس صوت الخوف ما تسمع وإنما الحُزن، وليس هناك عقار يُداوي هذا. دَع دموعها تنهمر حتى تنفد يا سام، فلا يُمكنك أن تسدّ النّبع».

لم يفهم سام، فسأل: «إنها ذاهبة إلى مكانٍ آمن، مكانٍ دافئ، فلمَ تحزن؟». همس العجوز: «سام، إن لك عينين سليميتين ورغم ذلك لا ترى. إنها أمّ حزينّة على طفلها».

- «إنه مصاب بالغثيان لا أكثر، كلُّنا مصابون بالغثيان. حالما نرسو في (برافوس)...».

- «... سيظلُّ الرّضيع ابن دالا وليس الطّفّل الذي خرج من جسدها». استغرق سام وهلةً حتى أدرك ما يرمي إليه إيمون، ثم قال: «لا يُمكن أن...».

إنها لا... هو ابنها بالطَّبع. ما كانت جيلي لتترك (الجدار) دون ابنها إطلاقاً. إنها تحبُّه».

- «لقد أرضعت الاثنين وأحبَّت الاثنين، لكن ليس على حدِّ سواء. لا أُم تحبُّ أطفالها جميعاً بالدرجة نفسها، ولا حتى (الأم في الأعلى). إنني واثق بأن جيلي لم تترك الطَّفل برغبتها. ما ألقاه حضرة القائد من تهديداتٍ أو وعودٍ ليس بوسعي إلا أن أحمَّنه... لكن المؤكَّد أنه وعدَ وتوعدَّ».

- «لا، لا، خطأ، ما كان چون ل...».

- «ما كان چون ليفعل ذلك، أمّا من فعله فحضرة القائد. أحياناً لا توجد خيارات سعيدة يا سام، بل خيارات أقلَّ جسامَةً من غيرها».

لاخيارات سعيدة. فكَّر سام في كلِّ المحن التي مرَّ بها مع جيلي؛ في (قلعة كراستر) ومصراع الدبِّ العجوز، في الثلج والجليد والرياح التي تُجمِّد النخاع في العظم، في أيام وأيام وأيام من المشي، في الجُثث الحيَّة في (وايتري)، في ذي اليدين الباردتين وشجرة الغدافان، في (الجدار)، (الجدار)، (الجدار)، والبوابة السوداء تحت الأرض. وإلام أفضى كل ذلك؟ لا خيارات سعيدة ولا نهايات سعيدة.

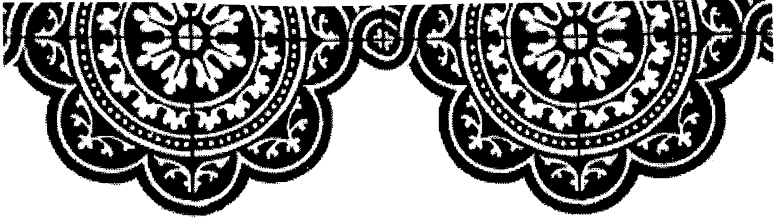
أرادَ أن يصرِّخ. أرادَ أن يُولول ويتحبب ويرتعف ويتكورَّ على نفسه في الرُّكن ويبيكي. بدَّل الطَّفلين، بدَّلهما ليحمي الأمير الصَّغير، ليُبعدَه عن نيران الليدي ملساندرًا وإلهها الأحمر. إذا أحرقت ابن جيلي فمن سيَّالي؟ لا أحد إلا جيلي. إنه ابن كراستر لا أكثر، مسخٌ وُلد من زنى المحارم، وليس ابن ملك ما وراء الجدار. لا يصلح رهينةً، ولا يصلح قرباناً، لا يصلح لشيء، بل إنه بلا اسم حتى.

بلا كلمةٍ صعدَ سام مترنحاً إلى السَّطح ليُفرغ معدته، لكنه وجدها خاويةً. كان الليل قد حلَّ عليهم، ليل ساكن غريب لم يروا مثيله منذ أيام. البحر أسود كالزُّجاج، والملاحون مستريحون على المجاذيف وقد غابَ واحد أو اثنان منهم في النَّوم في موضعيهما، والريِّح تدفع الأشرعة، وإلى السَّمال كوكبة من النجوم رآها سام علاوةً على الرِّحال الأحمر الذي يُسمِّيه شعب الأحرار (اللُّص)، فكفَّر ببؤس: المفترَض أن يكون هذا نجمي. لقد ساعدتُ على جعل چون القائد وجلبتُ له جيلي والرَّضيع. ليست هناك نهايات سعيدة.

ظهرَ داريونَ إلى جواره غيرِ واعٍ لألمه، وقال: «أيها القاتِل، ليلة حلوةٍ أخيراً. انظُر، النُّجوم بدأت تظهِر، وقد نرى لمحةً من القمر أيضاً. ربما انتهى الأسوأ».

ردَّ سام: «لا»، ومسحَ أنفه وأشارَ جنوباً بإصبعٍ سمين إلى الظلام الحالك، وأضاف: «هناك». ولم يكده يتكلَّم حتى ومضَّ البرق مباحثاً صامتاً ساطعاً يُعْمي الأعيُن، ولأقلِّ من لحظةٍ توهَّجت السُّحب البعيدة، جبال مكوَّمة على جبال، أرجوانيةٍ وحمراءٍ وصفراءٍ، أطول من العالم ذاته. «الأسوأ لم ينته، الأسوأ في بدايته فقط، وليست هناك نهايات سعيدة».

ضاحكاً قال داريون: «بحقِّ الآلهة أيها القاتِل، يا لك من جبان».



## چایمی

دخل اللورد تايوين لانستر المدينة على صهوة جواده، درعه المطلية بالميना القرمزي مصقولة براقّة وتتلقّ فيها الجواهر والزخارف الذهب، وخرج منها في عربة طويلة مكسوّة بالرايات القرمزية، بينما تركب ست أخوات صامتات مصاحبات رُفاته.

غادر الموكب الجنائزي (كينجز لاندنج) من (بوابة الآلهة) الأوسع والأفخم من (بوابة الأسد)، غير أن چایمی أحسّ بخطأ هذا الاختيار، فأبوه كان أسداً ولا أحد يُنكر ذلك، لكن حتى اللورد تايوين نفسه لم يدع الألوهيّة قَطُّ. أحاط بعربة اللورد تايوين حرس شرف من خمسين فارساً تُرفرف الأعلام القرمزية على رماحهم، وقد راحت الرّيح تلهو براياتهم جاعلة رموزهم تتراقص وتتفرض، وإذ حَبَّ چایمی بحصانه نحو مقدّمة الموكب مرّ بخنازير بريّة وغريرات<sup>(1)</sup> وخنافس، وبسهم أخضر وثور أحمر، ومطردين متقاطعين و حربتين متقاطعتين، وقطّ أشجاراً وثمرة فراولة وكُمّ سيّدة<sup>(2)</sup>، وأربع شمسوس متفجّرة في مربّعات متباينة الألوان. ارتدى اللورد براكس سترّة رماديّة باهتة مشرّطة بقماش الفضة، وثبّت

---

(1) الغرير حيوان من أكلة اللحوم من فصيلة العرسيّات، تجمع هيئته بين الكلب والسّمور، وله قوائم سوداء قصيرة. (المترجم).

(2) كُمّ السيّدة من شعارات النّبالة القديمة في فرنسا وسكوتلندا وإنجلترا، ويصوّر دون بقيّة الفستان دلالة على عادة فصل السيّدات أكمامهن وإعطائها للفُرسان دليلاً على المحابة قبل نزولهم إلى مضامير النّزال. (المترجم).

فوق قلبه دُبُوسًا من الجَمَشْتِ على شكل يونيكورن، ودرَّع اللورد چاست نفسه بالفولاذ الأسود، وقد زخرفت واقبي صدره ثلاثة رؤوس أسودٍ ذهبيَّة، وإن كان منظره يشي بأن شائعات موته لم تُبالغ كثيرًا، إذ تركته الإصابات وفترة السَّجن ظلًّا للرَّجل الذي كانه من قبل، أمَّا اللورد بانفورت فقد خلص من المعركة في حالٍ أفضل وبدأ مستعدًّا للعودة إلى الحرب في الحال. كان پلوم يرتدي الأرجواني وپرستر الأبيض المزركش بالأسود ومورلاند الخمري والأخضر، لكن كلا منهم وضع على كتفيه معطفًا من الحرير القرمزي تكريمًا للرَّجل الذي يصحبونه إلى الوطن.

وراء اللوردات تحرك مئة من رُماة النُشايَّة وثلاثمئة من الجنود المُشاة الذين ينسدل القرمزي من على أكتافهم أيضًا، في حين شعر چايمي في معطفه الأبيض ودرعه البيضاء بأنه في غير محله في هذا البحر الأحمر.

ولم يُهَوِّنْ عَمَّهُ عليه الأمر. قال السير كيثان عندما لحق به چايمي في مقدِّمة الرِّكب: «حضرة القائد، هناك أمر أخير من صاحبة الجلالة لي؟».

- «لست هنا من أجل سرسي». بدأت طبلة تدق وراءهما بإيقاع جنائزي بطيء موزون، فبدأ كأنها تقول: ميت، ميت، ميت. «جئتُ أوَدَّعهُ. لقد كان أبي».

- «وأباها».

- «أنا لستُ سرسي. إن لي لحيَّة ولها ثديان. إذا كنت لا تزال تخلط بيننا يا عمَّاه فاحصِ أيدينا. سرسي لها اثنتان».

قال عَمَّهُ: «كلاكما يتلذذ بالسُّخرية. أعفني من نكاتك أيها الفارس، فأنا لا أجدُ لذةً فيها».

- «كما تشاء». الكلام لا يمضي على الوتيرة التي أملتها. «كانت سرسي لترغب في توديعك بنفسها، لكن عليها واجبات كثيرة ملحَّة».

ردَّ السير كيثان ساخراً: «كلنا كذلك. كيف حال مليكك؟». جعلت نبرته السُّؤال تأنيبًا.

أجاب چايمي بلهجة دفاعيَّة: «بخير. بالون سوان يقضي معه الصُّباح. إنه فارس صالح شجاع».

- «في الماضي كان هذا من نافلة القول عندما يتكلم الناس عمّن يرتدون المعطف الأبيض».

فكّر چایمی: لا رجل يختار إخوته. اترکوا لي فُرصة اختيار رجالي بنفسي وسيعود الحرس الملكي عظامًا من جديد. لكن دَعه يقولها على المكشوف وستبدو ذريعةً واهيةً، خيلاء فارغةً من رجل تُلقبهُ البلاد بقاتل الملك. رجل شرفه خراء. صرفَ چایمی المسألة من ذهنّة، فهو لم يأت ليتجادل مع عمّه، وبدلاً من ذلك قال: «أيها الفارس، عليك أن تُهادِن سوسي».

- «أنحن في حرب؟ لا أحد أخبرني».

تجاهلَ چایمی التعلّيق، وقال: «الشقاق بين لانستر ولانستر لن يُؤدّي إلّا إلى مساعدة أعداء عائلتنا».

- «إذا كان هناك شقاق فهو ليس من صُنعي. سوسي تُريد أن تحكّم، لكن إذن، البلاد لها. لا أريدُ إلّا أن أترك في سلام. إن مكاني في (داري) مع ابني. لا بُدّ من ترميم القلعة وزرع الأراضي وحمايتها»، وأطلق السير كيثان ضحكةً مريرةً قصيرةً، ثم أضاف: «كما أن أختك تركت لي قليلاً يشغل وقتي غير ذلك. عليّ أن أحضر زفاف لانسل. عروسه صبرها ينفد وهي جالسة تنتظر ذهابنا إلى (داري)».

عروسه الأرملة ابنة (التوأمتين). كان لانسل ابن عمّه راكبًا وراءهما على بُعد عشر ياردات، وقد بدا بنظراته الخاوية وشعره الأبيض الجاف أكثر عجزًا من اللورد چاست. أحسّ چایمی بأصابعه الشبّحية تستحكّمه لمجرد مرآه... نُضاجع لانسل وأوزموند كتلبلاك وربما فتى القمر أيضًا... لقد حاول أن يتكلم مع لانسل مرّاتٍ أكثر مما يستطيع أن يُحصي، لكنه لم يجده بمفرده قطّ، فإذا لم يكن أبوه معه فهناك سبتون ما يُلازمه دومًا. ربما يكون ابن كيثان، لكن ما في عروقه لبن. تيريون كذب عليّ، لم يقل ما قاله إلّا ليجر حني.

نحّى چایمی لانسل عن باله، وعادَ يلتفت إلى عمّه متسائلًا: «هل ستبقى في (داري) بعد الزّفاف؟».

- «فترةً ربما. يبدو أن ساندور كليجاين يشنُّ الغارات في أنحاء (الثالوث). أختك تُريد رأسه. محتمل أنه انضمّ إلى دونداريون».

سمعَ چایمی بما حاقّ بـ(الملاحات)، ولا بُدّ أن نصف البلاد سمعَ

أيضًا. الغارة كانت استثنائية في وحشيتها؛ النساء اغتُصبن وقُطعت أنداءهن، والأطفال دُبحوا بين أذرع أمهاتهم، ونصف البلدة أُضرمَ فيه النار. «رانلد تارلي في (بركة العذاري). دعه يتعامل مع الخارجين عن القانون. عن نفسي أفضل أن تذهب إلى (ريفررن)».

- «السير دافن له القيادة هناك، حاكم الغرب. ليس هو من يحتاج إلي بل لانسِل».

- «كما تقول يا عمّاه». كان رأس چايمي يدق بنفس إيقاع الطبلّة، ميت، ميت، ميت. «خير لك أن تحتفظ بفرسانك حولك».

رمقه عمّه ببرودٍ سائلًا: «أهذا تهديد أيها الفارس؟». تهديد؟ ردّ وقد باعته الكلمة: «إنه تنبيه. قصدتُ فقط أن... ساندور رجل خطر».

- «إنني أشنق الخارجين عن القانون والفرسان اللصوص وأنت لا تزال تبرز في قماطك. لن أذهب وأواجه كليجاين ودوندايون بنفسي إذا كان هذا ما تخشاه أيها الفارس. اشتهاه المجد بكل حماقةٍ ليس من خصال جميع أبناء لانستر».

اعتقد أنك تتكلّم عني أنا يا عمّاه. «أدام ماربراند يستطيع التّعامل مع هؤلاء المجرمين مثلك تمامًا، وكذا براكس أو بانفورت أو پلوم أو أي الآخرين، لكن لا أحد منهم مناسب لأن يكون يدملك صالحًا».

- «أختك تعرف شروطي، وشروطي لم تتغير. قُل لها هذا عندما تذهب إلى عُرفة نومها المرّة القادمة»، وهمز السير كيثان جواده الحربي وهرول إلى الأمام واضعًا نهايةً مبتورةً لحوارهما.

تركه چايمي يذهب شاعرًا بيد سيفه المفقودة ترتعش. كان يأمل رغم وهن الأمل أن سرسي أساءت الفهم بشكل ما، لكن الواضح أن ذلك خطأ. إنه يعلم بأمرنا، بأمر تومن ومارسلا، وسرسي تعلم أنه يعلم. السير كيثان عمّهما لانستر من أولاد (كاسترلي روك)، ولا يُصدّق چايمي أنها تستطيع أن تؤذيه بأيّ وسيلة، ولكن... لقد أخطأت بشأن تيريون، فلم لا أكون مخطئًا بشأن سرسي أيضًا؟ في زمانٍ يقتل فيه الأبناء آباءهم ما الذي يردع ابنة أخ عن الأمر بقتل عمّها؟ وهو عمّ مزعج يعرف أكثر من اللازم. ولو أن محتملاً أن سرسي



تأمل أن يقوم كلب الصيد بعملها بدلاً منها. إذا قتل ساندور كليجائين السير  
كيفية فلن تحتاج إلى تلوين يديها بالدماء. وإذا التقيا فسيقتله. في الماضي  
كان كيهان لانستر رجلاً صلباً، إلا أنه لم يعد شاباً، وكلب الصيد...  
لحق به الموكب، وإذ مرَّ به ابن عمه وعلى جانبه سبتونان ناداه چايمي  
قائلاً: «لانسل يا ابن العم، أردت أن أهنتك على زواجك. لا يؤسفني إلا أن  
واجباتي لا تسمح لي بالحضور».

- «لا بد أن يظل صاحب الجلالة محمياً».

- «وسيكون كذلك. لكنني أكره أن يفوتني إضجاعك. إنها زيجتك الأولى  
وزيجتها الثانية حسب ما فهمت. أنا واثق بأن سيديتي سيسرُّها أن تُريك ما  
الذي يوضع أين».

دفعت الملاحظة البذيئة عددًا من اللوردات القريبين إلى الضحك  
وسبتوني لانسل إلى النظر إليه باستنكار، في حين اعتدل ابن عمه متملماً  
فوق سرجه، وقال: «أعرف ما يكفي لأن أوّدي واجبي كزوج أيها الفارس».  
- «بالضبط ما تُريده العروس ليلة زفافها، زوجاً يعرف كيف يؤدّي واجبه».  
زحف الاحتقان على وجنتي لانسل، وقال: «إنني أصلي من أجلك يا ابن  
العم، ومن أجل جلالتها أيضاً. عسى أن تقودها (العجوز) إلى الحكمة وأن  
يدافع عنها (المُحارب)».

قال چايمي: «ولم تحتاج إلى (المُحارب) وأنا أدافع عنها؟»، ودار بحصانه  
ليخفق معطفه الأبيض في الريح. العفريت كان يكذب. سرسي تُوثر أن تأخذ  
جنّة روبرت بين ساقها على أحرق متدينّ كلانسل. تيريون أيها الوغد الشرير،  
كان يجدرُّ بك أن تكذب بشأن أحد أكثر قابلية للتصديق.

هرول مجتازاً عربة جنازة أبيه صوب المدينة التي تلوح من بعيد.

بدأت شوارع (كينجز لاندنج) أقرب إلى القفر بينما شقَّ چايمي لانستر  
طريقه إلى (القلعة الحمراء) فوق (تل إجون العالي). إلى حدِّ كبير رحل  
الجنود الذين كانوا يشغلون أوكار القمار ومحال الأكل في المدينة، إذ عاد  
جارلان الهمام بنصف قوَّات تايرل إلى (هايجاردن) وذهبت السيِّدة والدته  
وجدته معه، في حين زحف النصف الآخر جنوباً مع مايس تايرل وماثيس  
روان لتطويق (ستورمز إند).

وبالنسبة إلى جيش لانستر فما زال ألفان من المُحارِبين المحنَّكين مخيِّمين خارج أسوار المدينة في انتظار وصول أسطول باكستر ردواين ليحملهم عبر (الخليج الأسود) إلى (دراجونستون). يبدو أن اللورد ستانيس ترك وراءه حاميةً صغيرةً عندما أبحر شمالاً، أي أن ألفين عدد يكفي ويزيد كما قدَّرت سرسي.

باقي الغربيين عادوا إلى زوجاتهم وأطفالهم، ليُعيدوا بناء بيوتهم ويزرعوا حقولهم في سبيل حصاد محصولٍ أخير. قبل أن يُغادروا أخذت سرسي تومن في جولةٍ في مخيِّماتهم ليُحيِّوا مليكهم الصَّغير. لم تبدُ جميلةً قط كما بدت يومها، على شفيتها ابتسامة وضوء شمس الخريف يلتصع في شعرها. أيًا كان ما يُمكن لا مريء أن يقوله عن أخته، فإنها تعرف كيف تجعل الرِّجال يهيِّمون بها حُبًّا عندما تأبه كفايةً بالمحاولة.

حين دخلَ چايمي من بوابة القلعة لاقى نحو دستتين من الفرسان يتمرِّنون على الطَّاوس<sup>(1)</sup> في السَّاحة الخارجيّة، فقال لنفسه: شيء آخر لم يُعدِّ بمقدوري أن أفعله. الرُّمح أثقل وأكثر إرهابًا من السِّيف، والسِّيف ثبت استعصاء المبارزة بها عليه بالفعل. ربما يُمكنه أن يُجرب حمل الرُّمح بيُسراه، لكن ذلك يعني أن ينقل تُرسه إلى ذراعه اليمنى، وفي النِّزال يكون الخصم دائمًا إلى اليسار، أي أن تعليق التُّرس على ذراعه اليمنى عديم الجدوى كحلمتين على وافي الصِّدر. فكَّر وهو يترجَّل: لا، أيامي في مضمار النِّزال انتهت... لكن على الرغم من هذا توقَّف يُشاهد بعض الوقت.

سقط السير تالاد الطَّويل من فوق حصانه عندما دارَ كيس الرَّمْل وارتطم برأسه، وهوى السير لايل كراكهول الملقَّب بالعُفْر القوي<sup>(2)</sup> على التُّرس بضربةٍ عنيفة شقَّقته، ثم حطَّم كينوس ابن بلدة (كايس) بقيته، ليُعلِّق تُرس جديد للسير درموت ابن (الغابة المطيرة). وجَّه لامبرت ترنبري ضربةً عابرةً

(1) الطَّاوس مجسَّم على شكل إنسان يدور على محور، يُستخدَم في التَّدريب على النِّزال، وعادةً ما يُنَّبت تُرس في إحدى يديه، وفي الثَّانية سيف أو رُمح غير حاد أو كيس رمل. (المترجم).

(2) العُفْر نوع من الخنازير البرِّيَّة الصَّارية. (المترجم).

فحسب، لكن چون بتلي الحليق وهمفري سويقت وآن ستاكسبير وجَّهوا ضرباتٍ مُحكَمَةً جميعاً، وحطَّم رونيت كوننجتون الأحمر رُمحه إذ أصاب الهدف... ثم امتطى فارس الزُّهور حصانه وأخزى الآخريين كلَّهم.

لطالما آمنَ چايمي بأن فنَّ ركوب الخيل يُمثِّل ثلاثة أرباع النَّزال، والسير لوراس يركب ببراعةٍ فائقةٍ ويحمل الرُّمح كأنه وُلِدَ قابضاً عليه... وهو ما يُفسِّر التَّعبير المتقلِّص دوَمَا على وجه أمه لا ريب. يضع الرَّأس حيث يُريد أن يضعه بالضَّبْط ويتمتَّع بتوازنِ القِطْطَة. ربما لم يكن إسقاطه إياي عن حصاني حَطًّا محضًا. مؤسفٌ أنه لن ينال فُرْصةً مواجهة الصَّبي ثانيةً أبدًا.

هكذا تركَ الرَّجال لرياضتهم، ليجد سرسي في غُرفتها السَّمْسِيَّة في (حصن ميجور)، ومعها تومن وزوجة اللورد ميريويدر المايريَّة ذات الشَّعر الدَّاكن، وكان ثلاثتهم يضحكون من المايستر الأكبر بايسل، فقال چايمي حين دخلَ من الباب: «هل فانتني مزحة طريفة ما؟».

قرقرت الليدي ميريويدر: «أوه، انظري، لقد عادَ أخوك الشُّجاع يا جلالة الملكة».

- «معظمه عاد». لاحظَ چايمي أن الملكة ثلمة. في الفترة الأخيرة يبدو أن في متناول سرسي إبريقًا من النَّبيذ طوال الوقت، وهي التي كانت من قبل تزجُر روبرت باراثيون لإسرافه في الشُّرب. لا يُعجبه هذا، لكن لا شيء تفعله أخته هذه الأيام يُعجبه. قالت: «أيها المايستر الأكبر، أطلع حضرة القائد على الخبر من فضلك».

بدا بايسل مرتبكًا للغاية وهو يقول: «وصلَ إلينا طائر من (ستوكورث)، الليدي تاندا أرسلتَ خبرًا بوضع ابنتها لوليس ابناً قويًّا في صحَّة طيِّبة».

- «ولن نُحَمِّنُ أبدًا الاسم الذي أطلقوه على النَّعل الصَّغير يا أخي».

- «أذكرُ أنهم أرادوا تسميته تايوين».

- «نعم، لكنني نهيتهم عن ذلك. قلتُ لفاليس إنني لن أسمح بأن يُطلق اسم

أبينا النَّبيل على ابن حرام أنجبَه راعي خنازير من خنزيرةٍ بلهاء».

قال المايستر الأكبر بايسل وقد نضحت جبهته المتغصَّنة عرقًا: «الليدي

ستوكورث تُؤكِّد أن اسم الطُّفل لم يكن من اختيارها، وكتبت أن زوج

لوليس هو من اختاره، ذلك الرَّجل برون... يبدو أنه...».

قال چایمی مخمّنًا: «تیریون، سمّی الطّفّل تیریون»، وأوماً العجوز برأسه باضطراب وهو یُجفّف جبهته بکُمّ ردائه، فضحك چایمی رغماً عنه قائلاً: «هاکِ یا أُختی الجمیلة. کنتِ تبحتین عن تیریون فی کلّ مکانٍ وهو مختبئ فی رَحِم لولیس».

- «طریف. أنت وبرون شدیداً الطّرافة. لا شکّ أن التّغل یمتصّ اللبن من أحد ضرعی لولیس بینما نتکلم، بینما یشاهد المرزق مبتسماً لصفاقته».

علّقت الییدی میرویوندر: «ربما بین هذا الطّفّل وأخیک شبه ما، ربما وُلِدَ مشوّهاً أو بلا أنف»، وأطلّقت ضحکةً میحوحةً.

أعلّنت الملکة: «علینا أن نرسل هدیةً إلى الصّغیر العزیز، الیس كذلك یا تو من؟».

- «یمکننا أن نرسل إلیه هرّةً صغیرةً».

قالت الییدی میرویوندر: «فلنرسل له شبلاً»، وقالت ابتسامتها: لیمزق حلّقه الصّغیر.

ردّت سرسی: «کنتُ أفکّر فی هدیةً من نوع آخر».

زوج أمّ جدید علی الأرجح. یعرف چایمی هذه النّظرة فی عینی أخته. لقد رآها من قبل، أقرب مرّة كانت لیلة زفاف تو من حین أحرقت (برج الید). ساعتها غمر ضوء النّار الشّعواء الأخضر وجوه المشاهدین فلم یبدووا إلا أشبه بجثث تتعفن، قطع من الغیلان الطّروب، لكن بعض الجثث کان أجمل من غیره. حتی فی الوهج المشؤوم ظلت سرسی رائعة الجمال، وقد وقفت واضعةً یداً علی صدرها وافترقت شفتاها وتألّقت عیناها الخضراوان. تبین چایمی أنها تبکی، لكن سواء أکان بکاؤها ناجماً عن الحزن أم النّشوة فلا یدری.

أفعمه المشهد بالانزعاج إذ ذکّره بإیرس تارجارین وکیف کان الحرق یهیج شبقه. لا یخفی الملک أسراراً عن حرسه الملکی، وقد كانت العلاقة بین ایرس وملکته متوتّرةً خلال السّنویات الأخيرة من حکمه، فناما منفصلین وبذلاً قصاری جهدهما لیتحاشی کلّ منهما الثانی فی ساعات الیقظة، لكن متى سلّم ایرس رجلاً للنّار کان یأتي الملکة ریبلاً زائر لیلی. یوم أحرق ید الصّولجان والخنجر وقف چایمی وچون داری خارج عُرفتها بینما قضی

الملك وطره، وسمعا ريبلا تصيح من وراء الباب البلوطي السّميك: «إنك تُؤلمني». على نحوٍ غريب كان هذا أسوأ من صُراخ اللورد تشيلستد، وأخيراً وجدَ چايمي نفسه مرغماً على أن يقول: «لقد أقسمنا على حمايتها أيضاً»، فرَدَّ داري باقتضاب: «نعم، ولكن ليس منه».

رأى چايمي ريبلا مرّةً واحدةً فقط بعدها في صبيحة اليوم الذي غادرت فيه إلى (دراجونستون). كانت الملكة ترتدي معطفاً رفعت قلنسوته وهي تدخل المركبة الملكيّة التي ستنزل بها (تل إجون العالي) إلى السفينة المنتظرة، لكنه سمع وصيقاتها يتهاَمسن عقب رحيلها، ويقلن إن الملكة بدت كأن وحشاً افترسها، خمس فخذيها ومضغ ثدييها. وحش متوجّ.

قرب النهاية أضحي الملك المجنون خوفاً لدرجة أنه حرم وجود أيّ نصالٍ في حضوره باستثناء سيوف الحرس الملكي، وقد تلبّدت لحيته واتسخت، وصار شعره الذهبي الفضيّ شبكةً تصل إلى خصره، واستحالت أظفاره إلى مخالب صفراء متشققة طولها تسع بوصات. لكن النصال ظلّت تُعذّبه، تلك التي لم يستطع منها فراراً، نصال العرش الحديدي. طيلة الوقت كانت الجلب والجروح شبه المندملة تُغطّي ذراعيه وساقيه.

تذكّر چايمي كلماته بينما يُمعن النظر إلى وجه سرسي: فليكن ملكاً على العظام المتفحمة واللحم المشوي، فليكن ملكاً على الرماد. ثم إنه قال: «جلالة الملكة، هل تسمحين بأن نتكلّم على انفراد؟».

- «كما ترغب. تومن، تأخّرت على الذهاب إلى درس اليوم. اذهب مع الوايستر الأكبر».

- «حاضر يا أمّاه. إننا ندرس قصّة بيلور المبارك».

استأذنت الليدي ميريويندر في الانصراف أيضاً، وقبّلت الملكة على وجنتيها متسائلة: «هل أعود على العشاء يا صاحبة الجلالة؟».

- «سأستاء منك كثيراً إذا لم تفعلني».

لم يستطع چايمي أن يمنع نفسه من ملاحظة الطريفة التي تُحرّك بها المايريّة وركيها وهي تمشي. كل خطوة إغراء. حين انغلق الباب وراءها تنحنح وقال: «أولاً الإخوة كيتلبلاك، ثم كايرن، والآن هي. تحتفظين بمجموعة وحوشٍ غريبة هذه الأيام يا أختي الجميلة».

- «أصبحتُ مولعةً بالليدي تاينا، إنها تُسَلِّيني».  
- «إنها واحدة من رفيفات مارچري تايرل. لا بُدَّ أنها تتجسَّس عليك لحساب الملكة الصَّغيرة».

قالت سرسي: «طبعًا»، وذهبت إلى الخوان لتُعِيد مَلء كأسها، وأردفت: «مارچري اهتزَّت طربًا عندما طلبتُ إذنها في أن آخذ تاينا رقيقةً لي. كان يجب أن تسمعها. ستكون أختًا لك كما كانت لي. يجب أن تأخذها بالطَّبع! إن معي بنات عموتي ورفيقاتي الأخريات. ملكتنا الصَّغيرة لا تُريدني أن أشعر بالوحدة».

- «إذا كنت تعلمين أنها جاسوسة فلم آخذتها؟».  
برقت عينا سرسي خُبثًا وهي تُجيب: «مارچري ليست بنصف الذكاء الذي تخاله. إنها لا تملك أدنى فكرة عن الأفعى الفاتنة في أعماق تلك المايريَّة القذرة، بينما أستغلُّ أنا تاينا في إطعام الملكة الصَّغيرة ما أريدها أن تعرفه، وبعضه صحيح كذلك، وتاينا تُخبرني بكلِّ ما تفعله العذراء مارچري».

- «حقًا؟ ما الذي تعرفينه عن تلك المرأة؟».  
- «أعرفُ أنها أم لها ابن صغير تُريده أن يسمو إلى مكانةٍ عالية في هذا العالم، وستفعل كلَّ ما يلزم لتحرض على تحقُّق ذلك. الأمَّهات كلهن واحد. ربما تكون الليدي ميريويذر أفعى، لكنها بعيدة كلَّ البعد عن الغباء، وتعرف أنها تستطيع الاستفادة مني أكثر من مارچري، ولذا تجعل نفسها مفيدة لي. سيدهشك أن تسمع الأشياء الشائقة التي أخبرتني بها».

- «أشياء مثل ماذا؟».  
جلست سرسي عند النَّافذة، وقالت: «هل تعلم أن ملكة الأشواك تحتفظ بصندوق من النقود في مركبتها؟ إنه ذهب قديم من قبل الغزوة، فإذا تحامق تاجر ما وطلب ثمن بضاعته ذهبًا نقدته إياه بعملة (هايجاردن) التي تزن الواحدة منها نصف واحد من تنانينا. من التاجر الذي يجرؤ على الشكوى من أن السيِّدة والدة مايس تايرل غشته؟»، ورشفت من نبيذها، وسألته: «هل استمتعت برحلتك القصيرة؟».

- «عمنا علقت على غيابك».  
- «تعليقات عمنا لا تهمني».

- «المفترَض أن تَهَمَّكَ. بِإمكانِكَ أن تُحسِنِي استغلاله، إن لم يكن في (ريفررن) أو (الصَّخْرَة) ففي الشَّمال ضد اللورد ستانيس. لطالما اعتمدَ أبونا على كَيْفانَ عندما...».

- «رووس بولتون حاكم الشَّمال، سيتعامل هو مع ستانيس».

- «اللورد بولتون محبوبس تحت (العُنق)، الحديدِيون في (خندق كايِلن) يعترضون طريقه إلى الشَّمال».

- «لن يدوم هذا طويلًا. قريبًا سيُزيل ابن بولتون النُّغل هذه العقبة الصَّغيرة، وسيكون مع اللورد بولتون مدد من جنود فراي قوامه ألفا رجل لدعم قُوَّاته، تحت قيادة هوستين وإينس ابني اللورد والدر. المفترَض أن يكفي هذا للتعامل مع ستانيس وبضعة آلاف من الرِّجال المكسورين».

- «السير كَيْفان...».

- «... سيكون مشغولًا تمامًا في (داري) بتعليم لانسل كيف يمسح مؤخَّرته. لقد جرَّده موت أبينا من شجاعته وأصبح رجلاً عجوزًا انتهى أمره. دافن وداميون سيُحسِنان خدمتنا أكثر».

قال چايمي الذي لا يرى ما يعيب ابني حُوَّولته: «لا بأس بهما، لكنك ستحتاجين إلى يد. إن لم يكن عمَّنَا فَمَنْ؟».

قالت أخته ضاحكة: «ليس أنت، لا تخف. ربما زوج تاينا. جدُّه كان يد إيرس».

يد قرن الوفرة<sup>(1)</sup>. ما زال چايمي يذكُر أوين ميريويندر جيِّدًا. كان رجلاً دمئًا لكن غير فعَّال في منصبه. «حسب ما أذكُر فقد أبلى الرِّجل بلاءً رائعًا حتى إن إيرس نفاه وصادرَ أراضيه».

- «روبرت أعادها، بعضها على الأقل. ستسعد تاينا إذا استغلَّ الباقي».

- «وهل الغرض إسعاد عاهرة مايريَّة؟ حسبتُ أنه حُكم البلاد».

- «أنا أحكمُ البلاد».

---

(1) قرن الوفرة رمز إقطاعي قديم، تعود أصوله إلى الأساطير الإغريقيَّة، وهو عبارة عن قرن مليء عن آجره بالزُّهور والفاكهة والحلوى وغيرها مما يدلُّ على الوفرة والخصوبة. (المترجم).

صحيح، ولترحمنا الآلهة. تحبُّ أخته أن تعتبر نفسها اللورد تاويين بئدين، لكنها مخطئة. أبوهما كان شديد القسوة والعناد كنهـر جليدي، أمَّا سرسي فنار شعواء خالصة، خصوصًا عندما يُعارضها أحد. لقد تاهت فرحًا كفتاةٍ صغيرة حين علمت أن ستانيس هجرَ (دراجونستون) وقد أيقنت بأنه تخلى عن القتال أخيرًا وأبحرَ إلى المنفى، لكن حين وصل الخبر من الشمال بأنه ظهرَ مجددًا عند (الجدار) كانت غضبتها تُخيف الناظرين. إنها لا تفتقر إلى الذكاء، لكن يعوزها حُسن التقدِير والصبر. «إنك محتاجة إلى يدٍ قوي يُساعدك».

قالت: «الحاكم الضعيف يحتاج إلى يدٍ قوي، كما احتاج إيرس إلى أبنينا، لكن الحاكم القوي لا يتطلّب إلا خادماً مطيعاً يُنفذ أوامره»، ودوّرت نيذها في الكأس متابعَةً: «ربما يصلح اللورد هالاين. لن يكون أول پايرومانسر يشغل منصب يد الملك».

نعم. لقد قتلُ السابق. «ثمة كلام عن نيتك تعيين أوران ووترز قيمًا للسفن».

سألته: «هل هناك من يتجنّس عليّ؟»، ولمّا لم يُجب ألقت سرسي شعرها إلى الوراء، وقالت: «ووترز مناسب جدًّا للمنصب. لقد قضى نصف حياته على متون السفن».

- «نصف حياته؟ إنه يبدو في العشرين على الأكثر».

- «في الثانية والعشرين، وماذا في هذا؟ أبونا لم يكن قد بلغَ الحادية والعشرين عندما عينه إيرس تارجارين يدًا. حان الوقت لأن يُحيط بتومن شُبَّان بدلًا من أولئك المسنّين المتغضّنين. أوران قوي ونشيط».

قوي ونشيط ووسيم... كانت نُضاجع لانهل وأوزموند كتبللاك وربما فتى القمر أيضًا... «باكستر ردواين خيار أفضل. إنه يقود أكبر أسطول في (وستروس)، في حين يستطيع أوران ووترز أن يقود قاربًا، بشرط أن تبتاعه له».

- «أنت طفل يا چايمي. ردواين من حملة راية تايرل وابن شقيق أمّه الشنيعة تلك. لستُ أريدُ أيًا من مخلوقات اللورد تايرل في مجلسي».

- «تعين مجلس تومن».



- «تعلم ما أعنيه».

جيدًا جدًا. «أعلمُ أن أوران ووترز فكرة سيئة وهالين فكرة أسوأ، وبالنسبة إلى كايرن... بحق الآلهة يا سرسي، لقد كان من جماعة فارجو هوت، (القلعة) جرّده من سلسلته!».

- «الخراف الرّاديّة. كايرن جعل نفسه مفيدًا لي لأقصى درجة، كما أنه مخلص، وهذا أكثر مما يُمكن أن أقول عن أهلي أنفسهم».

ستلتهم الغربان وليمة من لحومنا جميعًا إذا استمررت في هذا الطريق يا أختي الجميلة. «سرسی، أنصتي إلى نفسك. إنك ترين الأقرام في كل ظلّ وتصنعين من الأصدقاء أعداء. العمّ كيثان ليس عدوك، أنا لست عدوك».

انقلبت سحتتها حنقًا، وقالت: «لقد توسّلتُ إليك أن تُساعدني، ركعتُ على رُكبتي أمامك ورفضتني!».

- «قسّمي...».

- «... لم يردعك عن قتل إيرس. الكلام هواء. كان بإمكانك أن تحظي بي، لكنك اخترت معطفًا أبيض بدلًا مني. اخرج».

- «أختاه...».

- «قلتُ اخرج. لقد سئمتُ من النّظر إلى جدعتك القبيحة هذه. اخرج!»، ولتدفعه إلى المغادرة بسرعة ألقت كأس نبيذها نحو رأسه. أخطأت سرسي التصويب، لكن چايمي فهم التلميح.

حلّ عليه المساء وهو جالس وحده في الحُجرة المشتركة بـ(برج السيف الأبيض) ومعه كأس من النبيذ الدورني الأحمر و(الكتاب الأبيض)، وكان يقلب الصّفحات بجذعة يده المبتورة حين دخل فارس الزهور وخلع معطفه وحزامه وعلقهما على مشجب على الحائط إلى جوار معطف وحزام چايمي، الذي قال: «رايتك في السّاحة اليوم. أحسنت الرُّكوب».

ردّ السير لوراس: «أحسنتُ وأكثر بالتأكيد»، وصبّ لنفسه كأسًا وجلس قبّالته إلى الطّاولَة ذات الشّكل الهلالي.

- «كان رجل أكثر تواضعًا ليقول: أشكرُ لسيدّي لطفه، أو كان حصاني

جيدًا».

- «الحصان كان ملائمًا، وسيدّي لطيف بقدر ما أنا متواضع»، وأشار

لوراس إلى الكتاب مستطردًا: «اعتاد اللورد رنلي أن يقول إن الكتب للمايسترات».

- «هذا الكتاب لنا. تاريخ كل رجل ارتدى المعطف الأبيض مدون هنا».  
- «ألقيت نظرة عليه. التروس جميلة. أفضل الكتب التي تحتوي على رسوم أكثر. اللورد رنلي كان يملك مجموعة فيها رسوم كفيلة بأن تُعمي السِّتُون الذي يقرأها».

ابتسم چايمي رعمًا عنه، وقال: «لا شيء من هذا هنا أيها الفارس، لكن القصص ستفتح عينيك. مفيدٌ لك أن تعلم سير من سبقوك».  
- «أعرفها. الأمير إيمون الفارس الثنين، السير رايمان ردواين، القلب الكبير، بارستان الباسل...».

- «... جواين كوربراي، آلن كونجتون، شيطان (داري)، نعم. لا بدُّ أنك سمعت بلوكامور سترونج أيضًا».

أجاب السير لوراس وقد لآخ عليه الاستمتاع: «السير لوكامور الشَّهواني؟ ثلاث زوجات وثلاثون طفلًا، أليس كذلك؟ لقد قطعوا قضيبه. هل أغني لك الأغنية يا سيدي؟».

- «والسير تيرانس توين؟».

- «ضاجع عشيقه الملك ومات صارخًا. الدرس المستفاد أن على من يرتدون السراويل البيضاء أن يعقدوا أربطتها بإحكام».

- «وجايلز ذو المعطف الرمادي؟ وأوريقل طليق اليدين؟».

- «جايلز كان خائنًا وأوريقل كان جبانًا، رجلين لوثا المعطف الأبيض».

الذي يرمي إليه سيدي؟».

- «لا شيء. لا تشعرن بإهانة لم تُوجَّه أيها الفارس. ماذا عن توم كوستاين

الطويل؟».

هزَّ لوراس رأسه نفيًا.

- «كان فارسًا في الحرس الملكي طيلة ستين عامًا».

- «متى كان ذلك؟ إنني لم...».

- «السير دونل ابن (وادي الغسق) إذن؟».

- «ربما سمعتُ الاسم، لكن...».

- «أديسون هيل؟ البومة البيضاء مايكل مرتينز؟ چيفوري نوركروس؟ كانوا يُلقَّبونه باللامستسلم. روبرت فلاورز الأحمر؟ بِمَ يُمكنك أن تُخبرني عنهم؟».

- «فلاورز اسم نغولة، وكذا هيل».

- «لكن كليهما ترقى حتى قاد الحرس الملكي. حكايتاهما في الكتاب. رولاند داركلين هنا أيضًا، أصغر رجلٍ خدمَ في الحرس الملكي على الإطلاق، إلى أن جئتُ أنا. لقد مُنِحَ معطفه في ميدان القتال وماتَ خلال ساعةٍ من ارتدائه».

- «لا يُمكن أنه كان بارعًا إذن».

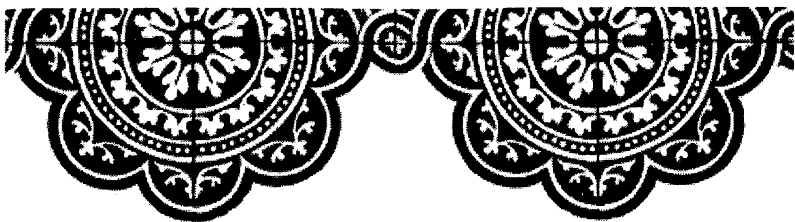
- «كان بارعًا بما فيه الكفاية. لقد ماتَ، لكن مليكه عاش. رجالُ سُجَّعان كُثُر ارتدوا المعطف الأبيض، لكن أكثرهم طواه النسيان».

- «أكثرهم استحقَّ النسيان، لكن الأبطال سيذكرون دومًا، الأفضل».

- «الأفضل والأسوأ». أي أن أحدنا سيعيش في الأغاني غالبًا. أضافَ چايمي وهو يَنقرُ على الصَّفحة التي كان يقرأها: «وقلائل ممَّن كانوا مزيجًا من هذا وذاك، مثله».

اشربَّابَ السير لوراس بعنقه ليري، وقال: «مَن؟ عشر كُريات سوداء على خلفيَّة قرميَّة. لا أعرفُ هذا الرَّمز».

قال چايمي: «كان رمز كريستون كول الذي خدمَ فُسيرس الأول وإجون الثَّاني»، وأغلقَ (الكتاب الأبيض) مضيفًا: «كانوا يُسمُّونه صانع الملوك».



## سرسي

قالت الملكة لنفسها إذ خَرُوا راكعين أمامها: ثلاثة حمقى مأفونين معهم كيس من الجلد. لم تجد منظريهم مشجِّعًا على الإطلاق. لكن هنالك فرصة دائماً على ما أظنُّ.

خاطبها كايرن قائلاً بهدوء: «جلالة الملكة، المجلس الصَّغير...».

- «... سينتظر ذهابي على راحتني. محتمل أن نرَفَّ إليهم خبر موت أحد الخونة». عبر المدينة تترنِّم أجراس (سبت بيلور) بلحن الحداد، لكن سرسي فكَّرت: لا أجراس ستدق لك يا تيريون. سأغمسُ رأسك في القطران وأرمي جسدك المشوَّه للكلاب. قالت للثلاثة الرَّاغبين في أن يكونوا لوردات: «أروني ما جلبتموه لي».

نهضوا، ثلاثة رجال قباح يرتدون أسملاً، أحدهم على عنقه دُمْل ولا أحد منهم استحمَّ منذ نصف عام. وجدت فكرة رفع أمثالهم إلى اللوردية طريقةً. يُمكنني أن أجلسهم إلى جوار مارچري في المآذب. حين حلَّ كبير الحمقى رباط الكيس ودسَّ فيه يده أفعمت رائحة العفونة قاعة اجتماعات الملكة كوردة زنخة، ثم إنه أخرج رأساً استحال لونه إلى الأخضر والرَّمادي ويغصُّ باليرقات. رائحته كأبي. شهقت دوركاس وغطت جوسلين فمها وأفرغت معدتها.

تطلَّعت الملكة إلى غنيمتها بجنانٍ ثابت، وأخيراً قالت ضاغطةً أسنانها مع كلِّ كلمة: «قتلتم القزم الخطأ».

تجرَّأ أحد الحمقى على أن يقول: «لا، إطلاقاً، لا بُدَّ أنه هو يا سيِّدتي. إنه قزم، انظري. تعفَّن قليلاً فقط».

علقت سرسي: «ونبت له أنف جديد، بل وأنف منتفخ أيضًا. أنف تيريون  
قُطِعَ في معركة».

تبادل ثلاثة الحمقى النظرات، ثم قال الممسك بالرأس: «لا أحد أخبرنا.  
هذا جاء يمشي متبخترًا بكل جرأة، قزم قبيح ما، فحسبنا...».  
أضاف ذو الدُمَل: «قال إنه عُصفور»، وأشار إلى الرجل الثالث متابعًا:  
«وأنت قلت إنه يكذب».

أحسّت الملكة بالغضب لفكرة أنها تركت مجلسها الصَّغير ينتظر من  
أجل هذه المهزلة، وقالت: «لقد ضيَّعتم وقتي وقتلتم رجلًا بريئًا. حري بي  
أن أمر بقطع رؤوسكم». لكن إذا فعلت ذلك فربما يتردّد الرجل التالي ويترك  
العفريت يفلت، وسرسي لن تسمح بحدوث ذلك حتى لو صنعت كومة من  
جُثث الأقرام ترتفع عشرة أقدام كاملة. هكذا قالت لهم: «اغربوا عن وجهي».  
قال الدُمَل: «حاضر يا جلالة الملكة، نستميحك العُذر».  
وسألها حامل الرأس: «هل تُريدينه؟».

- «أعط السير مرين إياه. لا، في الكيس أيها الأبله! نعم. سير أوزموند،  
اصحبهم إلى الخارج».

خرج ترانت بالرأس وكتلبلاك بمن قطعوه، تاركين إبطار الليدي چوسلين  
على الأرض الدليل الوحيد على الزيارة. قالت لها الملكة أمرّة: «نظفي هذا  
في الحال». إنه ثالث رأس يأتيها به أحدهم. على الأقل كان رأس قزم هذه  
المرّة. السابِق كان مجرد طفل قبيح.

قال السير أوزموند مطمئنًا عندما عاد: «سيعثر أحدهم على القزم، لا  
تخافي، وحينها سنفتك به».

حقًا؟ ليلة البارحة حلمت سرسي بالعجوز بلغدها المتغصن ونبرتها  
النّاعبة. في (لانسپورت) كانوا يُسمونها ماجي الضفدعة. لو علم أبي بما  
قالته لي لقطع لسانها. على أن سرسي لم تُخبر أحدًا قط، ولا حتى چايمي.  
ميلارا قالت إننا إذا لم نتكلم عن النبوات فسنسأها، قالت إن النبوءة المنسيّة  
لا يمكن أن تتحقق.

قال كايرن: «عندي مُخبرون يتقصون عن العفريت في كل مكانٍ يا جلالة  
الملكة». كان قد ألبس نفسه رداءً يُشبه أردية المايسترات كثيرًا، لكنه أبيض

بدلاً من الرمادي، ناصع كمعاطف رجال الحرس الملكي، وتُزَيَّن دوائر لولبية من الخيط الذهبي حاشيته وكُمّيه وياقته العالية اليابسة، وحول خضره وشاح ذهبي مربوط. «(البلدة القديمة)، (بلدة النوارس)، (دورن)، وحتى المُدن الحرّة. أينما فرّ سيعثر عليه هامسوي».

- «إنك تفترض أنه ترك (كينجز لاندنج). على حدّ علمنا قد يكون مختبئاً في (سپت بيلور) الآن، يتأرجح على حبال الأجراس ليصنع هذه الضوضاء الشنيعة»، ورسمت سرسي على وجهها الامتعاض وتركت دوركاس تُساعدها على النهوض قائلة: «هلمّ يا سيّدي، مجلسي ينتظر»، وبينما ينزلان السّلام تأبّطت ذراع كايرن، وسألته: «هل نفّذت المهمّة الصّغيرة التي كلّفكك بها؟».

- «نعم يا جلالة الملكة. آسفٌ لأنها استغرقت وقتاً طويلاً. إنه رأس كبير جدّاً، والخنافس استغرقت ساعاتٍ كثيرة حتى نظّفته من اللّحم. على سبيل الاعتذار بطنّت صندوقاً من خشب الأبنوس والفضّة باللّبّاد ليكون تقديم الجمجمة لائقاً».

- «كيس من القماش يصلح أيضاً. الأمير دوران يُريد الرّأس، ولن يُبالي مقدار ذرّة بالصندوق الذي يتسلمه فيه».

كانت جلجلة الأجراس أعلى في السّاحة، فقالت لنفسها: كان مجردّ سپتون أعلى. إلى متى علينا أن نتحمّل هذا؟ أي نعم في الرّنين لحن أكثر من صرخات الجبل قبل أن تصمّت، ولكن...

بدا أن كايرن استشفّ ما يجول ببالها، فقال: «الأجراس ستصمّت عند الغروب يا جلالة الملكة».

- «ستكون راحة عظيمة. كيف عرفت؟».

- «المعرفة طبيعة خدمتي».

فارس جعلنا جميعاً نصدّق أنه غير قابل للاستبدال. كم كنا حمقى. حالما أذاعت الملكة خبر شغل كايرن منصب الخصي لم يبدد الهوام المعتادون وقتاً قبل أن يُقدّموا أنفسهم له، ليبادلوا ما لديهم من همسات بالقليل من المال. طوال الوقت كانت الفضة ما يُحرّكهم وليس العنكبوت. كايرن سيخدمنا بالكفاءة نفسها. كم تتطلّع إلى رؤية النظرة على وجه پايسل عندما يأخذ كايرن مكانه.

دائمًا يقف فارس من الحرس الملكي على باب قاعة المجلس الصَّغير عندما يجتمع أعضاؤه، واليوم دور السير بوروس بلاونت، الذي قالت له الملكة ببشاشة: «سير بوروس، تبدو متوعكًا للغاية هذا الصَّبَّاح. أهو شيء أكلته ربما؟». كان چايمي قد جعله ذواق الملك. واجب لذيد، لكنه مخجل إذا كنت فارسًا. وبلاونت يكره واجبه هذا، وقد ارتجف لُغده المتدلِّي إذ فتح لهما الباب. بترَ المستشارون كلامهم لدى دخولها. سعلَ اللورد جايلز على سبيل التَّحِيَّة بصوتٍ عالٍ أيقظَ پايسل، ونهضَ الآخرون لافظين المجاملات، فأباحت سرسي لنفسها ابتسامة خافتةً للغاية، وقالت: «أعلمُ أنكم ستغفرون لي تأخري أيها السَّادة».

رَدَّ السير هاريس سويفت: «نحن هنا لنخدم جلالتك، ومن دواعي سرورنا أن ننتظر وصولك».

- «مؤكَّد أن جميعكم يعرف اللورد كايرن».

لم يُحَيِّب المايستر الأكبر پايسل أملها، وقال بوجهٍ كظيم: «اللورد كايرن؟! جلالة الملكة، هذا... المايستر يحلف يمينًا مقدَّسةً بعدم امتلاك أراضٍ أو حيازة لوردية...».

قالت سرسي: «قلعتكم جرَّده من سلسلته. إن لم يكن ماستر فلا يُمكن إلزامه بيمين المايسترات. لقد دعونا الخصيَّ باللورد أيضًا إذا كنت تذكُر».

اندفع پايسل يقول: «هذا الرَّجل... إنه لا يصلح...».

- «لا تُكلِّمني عن الصَّلاح بعد المهزلة العفنة التي صنعتها من جنة السيِّد والدي».

رفع يده المبقعة كأنما يردأ عن نفسه ضربةً، وقال: «لا يُمكن أن جلالتك تظنَّين... الأخوات الصَّامات أزلن أحشاء اللورد تايوين وأعضاءه الدَّاخِليَّة وأفرغن دماءه... لقد التزمنا العناية الكاملة... حشونا الجثة بالأملاح والأعشاب العطرة...».

- «أوه، أعفني من التَّفاصيل المقرَّزة. لقد شممتُ نتيجة عنايةك.

فنون اللورد كايرن العلاجيَّة أنقذت حياة أخي، ولا أشكُّ في أنه سيُخدم الملك ببراعةٍ أكثر من ذلك الخصيِّ المتزلف. سيدي، هل تعرف زملاءك المستشارين؟».

أجاب كايرن: «إذا لم أعرفهم فأنا مُخبر خائب يا جلالة الملكة»، واتخذ مقعدًا بين أورتون ميريويدر وجايلز روزبي.

أعضاء مجلسي. اقتلعت سرسي كل وردة وكلّ مدينٍ بمعروفٍ لعمّها وأخيها، ووضعت مكانهم رجالًا إخلاصهم لها هي، بل وأطلقت عليهم ألقابًا جديدةً استعارتها من المُدن الحرّة، فلن يكون في البلاط «قيّمون» إلّاها. أورتون ميريويدر كبير قُضاتها، وجايلز روزبي خازنها، وأوران ووترز -نغل (دريفتمارك) الشّاب الوسيم- أميرها الأعلى.

ويدها السير هاريس سوفيت.

رجل لئِن أصلع خنوع هو، له لحية صغيرة بيضاء سخيفة تُغطي ذقنه، وعلى وجه سُترته القטיפيّة الصّفراء الديك الأزرق الصّغير رمز عائلته مطرّزًا بحبّات اللازورد، وقد ارتدى فوقها معطفًا من المخمل الأزرق مزينًا بمئة يدٍ ذهبية. طار السير هاريس فرحًا بتكليفه لكونه أكثر بلاهةً من أن يعي أنه أقرب إلى الرّهينة من اليد، فابنته زوجة عمّ سرسي، وكيثان يحبّ زوجته التّافهة على الرغم من صدرها المسطح وساقها الرّفعتين كسيقان الدّجاج. ما دام السير هاريس تحت تصرّفها فعلى السير كيثان لانستر أن يفكّر مرّتين قبل أن يُعارضها. صحيح أن الحم ليس رهينةً مثاليةً لكن وقايةً ضعيفةً أفضل من لا شيء<sup>٤</sup>.

سألها أورتون ميريويدر: «هل سينضمّ إلينا الملك؟».

- «ابني يلعب مع ملكته الصّغيرة. في الوقت الرّاهن فكرته عن الملك أن يضع الختم الملكي على الأوراق. ما زال جلالته صغيرًا للغاية على استيعاب شؤون الدّولة».

- «وحضرة القائد الهمام؟».

- «السير چايمي عند صنّاع السّلاح يُركّب يدًا. أعرف أننا جميعًا سئمنا من منظر تلك الجذعة القبيحة، ولي أن أضيف أنه سيجد جلستنا هذه مضجرةً كما سيجدها تومن». قهقهة أوران ووترز لقلولها، ففكّرت سرسي: جيّد، كلّما ضحكوا أكثر شكّل چايمي تهديدًا أضعف. فليضحكوا. «هل عندنا نبيذ؟».

- «نعم يا جلالة الملكة». ليس أورتون ميريويدر بالرّجل الوسيم، بأنفه الكبير وشعره البُرّتقالي المحمّر الأشعث، لكن الكياسة لا تعوزه أبدًا. «عندنا



نبيد أحمر من (دورن) ونبيد ذهبي من (الكرمة)، وهيوكراس حلو ممتاز من (هايجاردن)».

«الذهبي على ما أظنُّ. إنني أجدُ الخمر الدورنيَّة رديئةً كالدورنيين أنفسهم»، وبينما ملاً ميريويندر كأسها أضافت سرسي: «أرى أن نبدأ بهم إذن». كانت شفتا المايستر الأكبر پايسل ما زالتا ترتعدان، لكنه وجد القدرة على الكلام بوسيلةٍ ما، فقال: «كما تأمرين. الأمير دوران قبض على نغلات أخيه المشاغبات، لكن (صنسيير) لم تزل تغلي. الأمير كتب أن لا أمل لديه في تهدئة الأوضاع إلى أن يتلقى العدالة التي وعدَ بها».

«بالتأكيد». كائن متعب هذا الأمير. «انتظاره الطويل يُشارف نهايته. سأرسلُ بالون سوان إلى (صنسيير) ليُوصِّل له رأس جريجور كليجاين». وعلى السير بالون مهمَّة أخرى يُنفذها أيضًا، لكن الأفضل ألا تذكر هذا الجزء. داعب السير هاريس سويفت لحيته الصَّغيرة المضحكة بسبَّابته وإبهامه متسائلًا: «آه، هل مات إذن؟ السير جريجور؟».

أجابهُ أوران ووترز بجفاف: «أظنُّ هذا يا سيدي. قيل لي إن قطع الرأس عن الجسد مميت في أغلب الحالات».

تحبُّ سرسي القليل من الظرافة بشرط ألا تكون هدفها، ولذا أيَّدته بابتسامة، وقالت: «السير جريجور مات متأثرًا بجراحه، تمامًا كما تنبأ المايستر الأكبر پايسل».

تنحج پايسل ورمق كايبرن بعبوسٍ قائلاً: «الحرية كانت مسممةً، لم يكن باستطاعة أحد أن يُنقذه».

علقت الملكة: «هذا ما قلته من قبل، أذكره جيِّدًا»، والتفتت إلى يدها تسأله: «عمَّ كنتم تتكلَّمون حين دخلتُ يا سير هاريس؟».

«العصافير يا جلالة الملكة. السِّبتون رينارد يقول إن هناك زُهاء ألفين في المدينة، والمزيد منهم يصل كلَّ يوم. قادتهم يُردِّدون مواعظ عن الهلاك وعبادة الشياطين...».

رشفت سرسي من النَّبِيذ. لذيذ جدًّا. «وهو ما كان يجب أن يحدث منذ زمن، أليس كذلك؟ ماذا نُسمِّي ذلك الإله الأحمر الذي يعبده ستانيس إن لم يكن شيطانًا؟ المفترض أن تُعارض العقيدة هذا الشر». كايبرن - هذا الرَّجل

الظن - هو من ذكرها بالأمر. «أخشى أن السُّبُوتون الأعلى الرَّاحل تغاضى عن الكثير. السُّنُّ أضعفت بصره واستنزفت قوته».

ابتسم كايرون لپايسل قائلاً: «كان رجلاً هَرَمًا يا جلالة الملكة، ولم يكن ينبغي أن يُفاجئنا موته. لا أحد يطلب أكثر من أن يموت بسلام في فراشه وقد عاش سنينًا طوالاً».

قالت سرسي: «نعم، لكن علينا أن نأمل أن يكون خليفته أكثر نشاطًا. أصدقائي على التل الآخر يقولون لي إنه سيكون توربرت أو راينارد على الأرجح».

عادَ المايستر الأكبر پايسل يتنحَّح، وقال: «إن لي أصدقاء في مجلس القاتنين أيضًا، ويتكلمون عن السُّبُوتون أوليدور».

قال كايرون: «ولا تستبعدوا ذلك الرَّجل لوشن أيضًا. ليلة أمس أولم ثلاثين من مجلس القاتنين، أطعمهم الخنازير الرُّضِيعَة وسقاهاهم نبيذ (الكرمة) الذهبي، وبالنهَار يُحسِن إلى الفقراء بالخبز الجامد لِيُثَبِّت تقواه».

بدا أوران ووترز شاعرًا بالملل كسرسي بالضبط من كل هذه الثروة عن السُّبُوتونات. حين تراه على مقربة يتضح أن شعره أقرب إلى الفضي من الذهبي، وعينه خضراوان مائلتان إلى الرمادي في حين كانت عينا الأمير ريجار أرجوانيتين، وعلى الرغم من هذا فالشبه... تساءلت إن كان ووترز يقبل أن يخلق لحيته من أجلها. مع أنه يصغرها بعشرة أعوام فإنه يصبو إليها، وسرسي ترى هذا في الطريقة التي يرمقها بها، الطريقة نفسها التي يرمقها بها الرجال منذ بدأ ثدياها يبتنان. لأنني كنتُ جميلة جدًا كما قالوا، لكن چايمي كان جميلًا أيضًا، ومع ذلك لم ينظروا إليه بتلك الطريقة قط. في صغرها كانت أحيانًا ترتدي ثياب أخيها على سبيل اللُهو، ولطالما أذهلتها المعاملة المختلفة تمامًا التي وجدتها من النَّاس وهم يحسبونها چايمي. حتى اللورد تاويون نفسه...

كان پايسل وميريويذر ما زالا يتجادلان بشأن الرَّجل الجدير بأن يكون السُّبُوتون الأعلى الجديد، فأعلنت باترة كلامهما: «أيهم يصلح، لكن أيًا كان من يعتمر التاج البلوري عليه أن يقضي بالحرمان العقائدي على العفريت». كان التزام السُّبُوتون الأعلى السَّابق الصَّمت بخصوص تيريون جليًا على نحوٍ

فاضح. «وبالنسبة إلى هؤلاء العصافير المتحمسين، فما داموا لا يُحرّضون على الخيانة فهُم مشكلة العقيدة لا مشكلتنا».

تمتّم اللورد أورتون والسير هاريس موافقين، أمّا محاولة جايلز روزبي أن يفعل المثل فدحضتها نوبة من السُّعال، وأشاحت سرسي بوجهها باشمتراز إذ سعلَ كُتلةً من البلغم الدّامي، وسألت: «أيها المايستر، هل جلبت الرّسالة التي وصلت من (الوادي)؟».

أجابَ پايسل: «نعم يا جلالة الملكة»، والتقطَ الرّسالة من بين كومة أوراقه وسوّاها متابعًا: «إنه أقرب إلى بيانٍ من رسالة، وقَّعه في (رونستون) كل من يون رويس البرونزي والليدي واينوود واللوردات هتتر وردفرويت وبلمور، بالإضافة إلى سايموند تمپلتون فارس (النجوم التّسع). كلهم وضعوا أختامهم، ويكتبون قائلين...».

... قدرًا لا بأس به من الهُراء. «بُمكنكم أن تقرّأوا الرّسالة إذا شتّم أيها السّادة. رويس والآخرين يحشدون الرّجال أسفل (العش)، وينوون إزاحة الإصبع الصّغير عن منصب اللورد حافظ (الوادي)، بالإكراه إلى لزم الأمر. السُّؤال الآن، هل نسمح بهذا؟».

سألها هاريس سويقت: «هل يطلّب اللورد بايلش مساعدتنا؟».  
- «ليس بعدد. الواقع أنه لا يبدو قلقًا على الإطلاق. في رسالته الأخيرة ذكر عابر للمتمرّدين قبل أن يُناشدني أن أشحن له بضع معلقاتٍ قديمة كانت ملكًا لروبرت».

داعبَ السير هاريس لحية ذقنه متسائلًا: «وهؤلاء اللوردات الذين وقَّعوا البيان، هل يلتمسون من الملك أن يتدخّل؟».  
- «لا».

— «إذن... ربما ليس علينا أن نفعل شيئًا».

قال پايسل: «نشوب حرب في (الوادي) سيكون أمرًا مأساويًا للغاية».  
ردّ أورتون ميريويندر ضاحكًا: «حرب؟ اللورد بايلش رجل مسلّ جدًّا، لكن المرء لا يخوض الحروب بالدُّعابة. أشك أن دمًا سيُراق، وهل يهّم من الوصيِّ على اللورد روبرت الصّغير ما دام (الوادي) يدفع ما عليه من ضرائب؟».

قالت سرسي لنفسها وقد حزمت أمرها: لا. الحقيقة أن الإصبع الصَّغير كان مفيداً أكثر في البلاط. كان موهوباً في إيجاد الذهب، ولم يسعَل قط. هكذا قالت: «اللورد أورتون أقنعني. مايستر پايسل، أمل على لوردات البيان هؤلاء ألا يمَسَّ بيتر أذى، وفيما عدا ذلك فالتَّاج راضٍ عن أيِّ ترتيباتٍ يتَّخذونها إزاء الحُكم في (الوادي) خلال فترة قصور روبرت آرن».

- «أمركِ يا جلالة الملكة».

قال أوران ووترز: «هلاً ناقشنا الأسطول؟ أقل من دستةٍ من سفننا نجا من جحيم (النهر الأسود)، ولا بُدُّ أن نسترجع قوتنا في البحر».

أوما هاريس سويفت برأسه قائلاً: «القوة البحرية ضروريةٌ للغاية».

سأل أورتون ميريوذر: «هل نستطيع استغلال الحديديين؟ أعداء أعدائنا؟ ما الذي قد يطُلبه كُرسى حجر اليم منا ثمناً لحلف؟».

أجاب المايستر الأكبر پايسل: «يُريدون الشَّمال، ووالد ملكتنا النَّبيل وعد اللورد بولتون بالشَّمال».

قال ميريوذر: «مؤسف. لكن الشَّمال كبير ويُمكن تقسيم أراضيه. ليس ضرورياً أن يكون الاتفاق دائماً، وربما يقبل بولتون إذا أكدنا له أن قوتنا ستكون في صفِّه بمجرد تدمير ستانيس».

قال السير هاريس سويفت: «سمعتُ أن بالون جرايچوي مات. هل نعرف مَنْ يحكُم الجُزر الآن؟ هل كان للورد بالون ابن؟».

سعل اللورد جايلز متسائلاً: «ليو؟ ثيو؟».

قال كايرن: «ثيون جرايچوي نشأ في (ويترفل) ربيباً لإدارد ستارك، وليس محتملاً أن يكون صديقاً لنا».

قال ميريوذر: «سمعتُ أنه قُتل».

شدَّ السير هاريس سويفت لحيته الصَّغيرة، وسأل: «أكان له ابن واحد فقط؟ إخوة، كان هناك إخوة، أليس كذلك؟».

فكرت سرسي بضيق: كان فارس ليعلم، ثم إنها قالت: «لا أقترحُ أن نتحالف مع سرب الأسماك البائس هذا. دورهم سيحين بعد أن نتعامل مع ستانيس. إننا نحتاج إلى أسطولنا الخاص».

قال أوران ووترز: «أقترحُ أن نبني دُرمونات جديدة، عشرًا كبداية».

سألَ هايسل: «وأنتى لنا بالتكلفة؟».

اعتبرَ اللورد جايلز السؤالَ دعوةً للسُّعال من جديد، فخرجَ منه المزيد من اللُّعاب الوردى الذي جفَّه بمنديلٍ مربعٍ من الحرير الأحمر، ثم إنه استطاع أن يقول: «ليس هناك... لا... ليس لدينا...»، قبل أن يتلعَّ السُّعال كلامه.

أثبتَ السير هاريس أنه سريع كفايةً في إدراك المعنى على الأقل، وقال معترضًا: «دخول التَّاج لم تكن أكبر مما هي الآن قَطُّ. السير كيثان أخبرني بهذا بنفسه».

قال اللورد جايلز ساعلاً: «...المصرفات... ذوو المعاطف الذهبية...». قالت سرسي التي سبق لها أن سمعت اعتراضاته: «اللورد الخازن يُحاول أن يقول إن عندنا كثيرين من ذوي المعاطف الذهبية وقليلًا من الذهب». بدأ سُعال روزبي يُضايقها. ربما لم يكن جارت السمين بهذا السوء. «مع أن دخول التَّاج كبيرة فإنها لا تكفي لتسديد ديون روبرت، وبناءً عليه قرَّرت أن نُؤجِّل دفعنا المبالغ التي ندين بها للعقيدة المقدَّسة ومصرف (برافوس) الحديدي حتى نهاية الحرب». لا شكَّ أن السِّبتون الأعلى الجديد سيُولول احتجاجًا ويرغى البرافوسيون ويُريدوا في وجهها، لكن وماذا في هذا؟ «المبالغ الموفِّرة ستُستخدم في بناء أسطولنا الجديد».

قال اللورد ميريويدر: «جلالتك رشيدة. إنه إجراء حكيم، وضروري أيضًا حتى تضع الحرب أوزارها. أوافق». قال السير هاريس: «وأنا أيضًا».

وبصوتٍ راجف قال هايسل: «جلالة الملكة، أخشى أن هذا سيُسبِّب متاعب أكثر مما تحسبين. (المصرف الحديدي)...».

- «... سيظلُّ في (برافوس)، بعيدًا وراء البحر. سينالون ذهبهم أيها المايستر. اللانستر يُسدِّد ديونه».

رنت حلقات سلسلة هايسل ذات الجواهر بصوتٍ ناعم وهو يقول: «البرافوسيون عندهم مقولة أيضًا، يقولون: (المصرف الحديدي) سينال ما له». - «(المصرف الحديدي) سينال ما له عندما أقول إنه سيناله، وحتى ذلك الحين سيتنظر (المصرف الحديدي) باحترام. لورد ووترز، اشرع في بناء دُرموناتك».

- «ممتاز يا جلالة الملكة».

قلَّب السير هاريس بعض الأوراق، ثم قال: «المسألة التالية... وصلت إلينا رسالة من اللورد فراي يعرض فيها عددًا من الدعاوى...». قاطعتَه الملكة محتدةً: «كم يُريد هذا الرَّجل من أراضٍ وتكريم؟ لا بُدَّ أن أمه كانت لها ثلاثة أنداء!».

قال كايرن: «ربما لا يعلم سادتي هذا، لكن في الخمَّارات ومحال الأكل في هذه المدينة من يُلَمِّحون إلى أن التَّاج كان متواطئًا على نحوٍ ما مع اللورد والدر في جريمته».

حدَّجَه المستشارون الآخرون حائرين، ثم سأل أوران ووترز: «هل تُشير إلى الزَّفاف الأحمر؟»، وردَّد السير هاريس: «جريمته؟»، وتحنَّحَ پايسل بصوتٍ مزعج، وسعلَ اللورد جايلز.

قال كايرن منبِّهاً: «هؤلاء العصافير يتكلمون بجرأةٍ أكثر من غيرهم بكثير، يقولون إن الزَّفاف الأحمر كان إهانةً لكلِّ شرائع الآلهة والبشر، وإن من كانت لهم يد فيه ملعونون».

أدركتَ سرسي ما يعنيه بلا إبطاء، فقالت: «مؤكَّد أن اللورد والدر سيخضع لحكم (الأب) قريباً. إنه طاعن في السنِّ. فليصُقِّ العصافير على ذكراه. لا علاقة لنا بالأمر».

قال السير هاريس: «نعم»، وقال اللورد أورتون: «نعم»، وقال پايسل: «لا أحد يُمكنه أن يظنَّ هذا»، وسعلَ اللورد جايلز.

أيدهم كايرن قائلاً: «القليل من البُصاق على قبر اللورد والدر لن يُزعج الدود، لكن من المفيد أيضاً أن يُعاقب أحد على الزَّفاف الأحمر. بعض رؤوس أبناء فراي سينفع كثيراً في تهدئة الشَّمال». قال پايسل: «اللورد والدر لن يُصَحِّي بذويه أبداً».

ردَّت سرسي متأملةً: «صحيح، لكن ربما لا يميل ورثته إلى الاعتراض. اللورد والدر سيتعطف علينا ويموت قريباً كما نأمل، فهل يملك سيِّد (المعبر) الجديد وسيلةً لتخليص نفسه من أنصاف الإخوة المزعجين وأبناء العمومة السَّمجين والأخوات المتأمرات أفضل من إلصاق الذَّنْب بهم؟».

قال أوران ووترز: «بينما ننتظر موت اللورد والدر ثمة مسألة أخرى.

الجماعة الذهبية فسخت عقدها مع (مير). سمعتُ على أرسفة الميناء من يقولون إن اللورد ستانيس استأجرهم وسيعبر بهم البحر».

سأل ميريويندر: «وكيف سيدفع أجرهم؟ ثلجًا؟ إن اسمها الجماعة الذهبية. كم يملك ستانيس من الذهب؟».

أجابت سرسي: «القليل جدًا. اللورد كايرن تكلم مع طاقم القادس المايري الرّاسي في الخليج، الذي يقول إن الجماعة الذهبية في طريقها إلى (فولانتيس). إذا كانوا ينتوون عبور البحر إلى (وستروس) فإنهم يتحرّكون في الاتجاه الخاطيء».

اقترح اللورد ميريويندر قائلاً: «ربما سئموا من القتال مع الجانب الخاسر». أيدته الملكة قائلة: «هناك هذا السبب أيضًا. أعمى فقط من يفشل في رؤية أننا في حكم المنتصرين في حربنا. اللورد تايرل يطوّق (ستورمز إند)، و(ريفررن) يُحاصرها آل فراي ودافن ابن خالي حاكم الغرب الجديد، وسُفن اللورد ردواين عبرت (مضيق تارث) وتُبحر مسرعةً بمحاذاة الساحل. لم يتبقَّ في (دراجونستون) إلا قوارب صيد قليلة تُواجه رسو ردواين. قد تصمّد القلعة فترةً، لكن ما إن نستولي على المرفأ ستقطع الحامية عن البحر، وعندها لن يبقى إلا ستانيس نفسه يُزعجنا».

قال المايستر الأكبر بايسل منبهاً: «إذا صدّقنا ما قاله اللورد چانوس فإنه يُحاول أن يعقد حلفًا مع الهمج».

أعلن اللورد ميريويندر: «برابرة يرتدون الجلود. مؤكّد أن اللورد ستانيس يائس حقًا ما دام يسعى إلى تحالف كهذا».

قالت الملكة موافقةً: «يائس وأحمق. الشماليون يكرهون الهمج، فلن يُواجه رروس بولتون مشكلةً في كسبهم إلى صفوفنا. بعضهم انضمَّ إلى ابنه النغل بالفعل لمساعدته على إجلاء هؤلاء الحديديين الذمام من (خندق كالين) وإخلاء الطريق لعودة اللورد بولتون. أومبر وريزويل... نسيّت أسماء الآخرين. حتى (الميناء الأبيض) على وشك الانضمام إلينا. سيدها وافق على تزويج كلتا حفيدتيه باثنين من أصدقائنا أبناء فراي وفتح المرفأ لسُفننا».

قال السير هاريس حائرًا: «حسبتُ أن لا سُفن عندنا».

قال المايستر الأكبر پايسل: «وايمان ماندرلي حامل راية إدارد ستارك المخلص. هل يُمكن أن نثق برجلٍ مثله؟».

لا أحدٍ جديرٍ بالثقة. «إنه رجلٌ عجوزٌ بدينٍ وخائف، لكنه ما زال يُعاندُ في نقطةٍ واحدة، يصرُّ على أنه لن يخضع حتى يُعاد وريثه إليه».

سأل السير هاريس: «وهل وريثه عندنا؟».

- «سيكون في (هارنهال) إذا كان حيًّا. جريجور كليجاين أسرَه». لم يكن الجبل يترفق بسُجنائه دائمًا، حتى من يستحقون فديةً لا بأس بها. «إذا مات فأظنُّ أن علينا أن نُرسِلَ للورد ماندرلي رؤوس من قتلوه، مصحوبةً بخالص اعتذارنا». إذا كان رأس واحدٍ يكفي لاسترضاء أمير (دورن)، فلا بُدَّ أن كيسًا من الرُّؤوس يُناسب شمالياً بدينًا يرتدي جلد الفقمات.

سأل پايسل: «ألن يسعى اللورد ستانيس إلى الفوز بولاء (الميناء الأبيض) أيضًا؟».

- «أوه، لقد حاولَ. اللورد ماندرلي بعثَ لنا برسائله وأجابها بالأعذار. ستانيس يُطالب بسيف (الميناء الأبيض) وفصَّتها، ومقابلها يعرض... لا شيء». ذات يومٍ عليها أن تُشعل شمعةً لـ(المُحارب) الذي أخذَ رنلي وترك ستانيس، فلو حدثَ العكس لكانت حياتها أشقَّ كثيرًا. «صبيحة اليوم تحديداً وصلَ إلينا طائرٌ آخر. ستانيس أرسلَ مهرَّب البصل للتعامُل مع (الميناء الأبيض) نيابةً عنه، فألقى ماندرلي المأفون في زنزانةٍ ويسألنا ماذا يفعل به».

قال اللورد ميريويدر مقترحًا: «فليُرسِله إلينا هنا كي نستجوبه. ربما يعرف الرَّجل الكثير من المعلومات القيِّمة».

وقال كايرن: «فليمت. سيكون موته درسًا للشماليين، يُريهم ما يحلُّ بالخونة».

ردَّت الملكة: «أتفقُ تمامًا. لقد أمرتُ اللورد ماندرلي بأن يقطع رأسه في الحال. سيكون هذا قمينًا بأن يضع نهايةً لفُرص تأييد (الميناء الأبيض) ستانيس».

علَّق أوران ووترز مقهقهًا: «ستانيس سيحتاج إلى يدٍ جديد. فارس اللُفت ربما؟».

قال السير هاريس سويفت حائرًا: «فارس لفت؟ من هذا الرَّجل؟ لم



أسمع عنه من قبل»، فلم يُجر ووترز جوابًا إلا بتدوير عينيه في محجريهما استهجانًا، في حين سأل ميريويذر: «وماذا لو رفض اللورد ماندريلي؟». قالت سرسي: «لن يجرؤ. رأس فارس البصل هو العملة التي عليه أن يشتري بها حياة ابنه»، وابتسمت مردفة: «ربما كان العجوز الأحقق البدين مخلصًا لآل ستارك على طريقته، لكن مع فناء ذئاب (وينترفل)....».

قال پايسل: «جلالتك نسيته الليدي سانزا».

- «بكل تأكيد لم أنس تلك الذئبة الصغيرة»، قالت الملكة مغضبة، رافضةً أن تنطق اسم الفتاة. «كان الأحرى بي أن ألقها في الزنازين السوداء باعتبارها ابنة خائن، وبدلاً من هذا جعلتها من أهل بيتي. لقد شاركني الدفء والماوى ولعبت مع أطفالى، وأطعمتها وألبستها وحاولت أن أجعلها أقل جهلاً بالعالم، فكيف ردت لي الجميل؟ ساعدت على اغتيال ابني. حين نعثر على العفريت سنعثر على الليدي سانزا أيضاً. إنها لم تمت... لكنى أعدكم بأنى لن أفرغ منها قبل أن أجعلها تُغنى لـ (الغريب) متوسلةً قبلته».

تلا كلامها صمت متوتر، فسألت سرسي نفسها بضيق: هل ابتلعوا ألسنتهم جميعاً؟ صمتهم يكفي لأن تتساءل لِمَ تُتعب نفسها وتجتمع مع المجلس من الأصل.

تابعت الملكة: «على كل حال، ابنة اللورد إدارد الصغرى عند اللورد بولتون، وستزوج ابنه رامزي ما إن تسقط (خندق كايلن)». شريطة أن تلعب الفتاة دورها ببراعة كافية لتوطيد حق مطالبتهما بـ (وينترفل)، فلن يُبالي ابنا بولتون كثيراً بأنها في الحقيقة ابنة وكيل ما دبر الإصبع الصغير هويتها الزائفة. «ما دام محتماً أن يكون في الشمال ستارك فسنعطيهم ستارك». تركت اللورد ميريويذر يُعيد ملء كأسها، وواصلت: «لكن ثمة مشكلة أخرى ظهرت على (الجدار). إخوان حرس الليل فقدوا عقولهم واختاروا ابن ند ستارك النغل قائداً لهم».

- «اسمه سنو»، قال پايسل فلم يُضيف شيئاً.

قالت الملكة: «لمحته مرة في (وينترفل)، ولو أن آل ستارك بذلوا أقصى جهدهم لمواراته. إنه يشبه أباه كثيراً». كان نغول زوجها يشبهونه أيضاً، وإن تمتع روبرت بالكياسة وأبقاهم بعيداً عن الأنظار على الأقل. ذات مرة، بعد

تلك الحادثة المؤسفة مع القطة، جعجع قائلاً شيئاً ما عن الإتيان بابتة غير شرعية إلى البلاط، فقالت له: «افعل ما تشاء، لكنك قد تجد المدينة مكاناً ضاراً بفتاة في طور النمو». استعصى عليها إخفاء الكدمة التي نالتها من جرأ تلك الكلمات عن چايمي، لكنهم لم يسمعوا المزيد عن تلك النغلة. كاتلين تلي كانت فارة، وإلا لكانت كتمت أنفاس چون سنو هذا في المهدي، وبدلاً من هذا تركت المهمة القذرة لي. «سنو يشترك مع اللورد إدارد في الجنوح إلى الخيانة أيضاً. الأب أراد أن يسلم البلاد لستانيس، والابن أعطاه أراضي وقلعاً».

قال بايسل مذكراً إياهم: «حرس الليل مقسمون على عدم التدخل في حروب (الممالك السبع). منذ آلاف السنين والإخوة السود يصونون هذا التقليد».

قالت سرسي: «حتى الآن. النغل كتب لنا مؤكداً أن حرس الليل لا يتدخلون، لكن أفعاله تفضح أكاذيبه. لقد أعطى ستانيس الطعام والمأوى، ومع ذلك ما زال بالصفافة الكافية لأن يُناشدنا أن نرسل إليه أسلحة ورجالاً».

أعلن اللورد ميريوذر: «مهزلة! لا يمكن أن نسبح لحرس الليل بضم قوتهم إلى اللورد ستانيس».

قال السير هاريس سويفت متفقاً: «يجب أن نعلن سنو هذا خائناً وتمرّداً. لا بد أن يزيحه الإخوة السود».

أوماً المايستر الأكبر بايسل برأسه بتؤدة، وقال: «أقترح أن نبليغ (القلعة السوداء) بأننا لن نبعث إليهم بمزيد من الرجال حتى يرحل سنو».

قال أوران ووترز: «دُرموناتنا الجديدة ستحتاج إلى ملاحين. لنملي على اللوردات أن يرسلوا اللصوص ومنتهكي حرمة الأراضي إلي من الآن فصاعداً بدلاً من (الجدار)».

مال كايرن إلى الأمام قائلاً بابتسامة: «حرس الليل يدافعون عنا جميعاً ضد السناركات والجرامكنات<sup>(1)</sup>. أيها السادة، رأيي أن علينا أن نساعد إخوتنا السود الشجعان».

(1) السنارك والجرامكن مخلوقان خياليان يرد ذكرهما في الحكايات الشعبية في (وستروس)، الأول وحش ليس له وصف محدد، والثاني يُقال إنه يُحقّق الأمان بالسحر. (الترجم).

رَمَقْتَهُ سِرْسِي بِحَدَّةٍ مَتَسَائِلَةً: «مَاذَا تَقُولُ؟».

- «ما قلته. منذ سنوات وحرس الليل يلتمسون الرِّجال، وقد أجابَ اللورد ستانيس التماسهم، فهل يُمكن أن يفعل الملك تو من ما هو أقل؟ يَجْدُرُ بِجَلالته أن يُرْسِلَ مئة رجلٍ إلى (الجِدَار)... ليرتدوا المعاطف السَّوداءَ ظاهريًّا، أمَّا في الحقيقة...».

أَكْمَلَتِ سِرْسِي العبارةَ مَسْرُورَةً: «... ليقصوا چون سنو عن القيادة». كنتُ أعلمُ أنني محقَّةٌ حين أردتُه في مجلسي. قالت ضاحكةً: «وهذا ما سنفعله بالضبط». إذا كان ذلك النُّغْلُ ابن أبيه حقًّا فلن يرتاب في شيء، بل وربما يَشْكُرُنِي قَبْلَ أن يَنْغِرَسَ النُّصْلُ بين ضلوعه. «يجب أن يُنْفَذَ هذا بحرصٍ بالتأكيد. اتركوا لي الباقي أيها السَّادة». هكذا ينبغي التَّعاملُ مع العدو، بخنجرٍ لا بإعلان. «أحسنًا عملاً اليوم أيها السَّادة، أشكركم. هل من شيءٍ آخر؟».

أجَابَ أوران ووترز بنبرة اعتذارية: «شيء واحد أخير يا صاحبة الجلالة. أتردَّدُ في أن أستهلك وقت المجلس في التَّوافه، لكن هناك كلامًا غريبًا يدور في الميناء في الفترة الأخيرة. البَحَّارة الآتون من الشَّرْق يتكلَّمون عن التَّنَّانين...».

قاطعته سِرْسِي: «... والمانتيكورات والسناركات الملتحية أيضًا دون شك، أليس كذلك؟»، وأطلقت ضحكةً قصيرةً مردفةً: «عُدْ إليَّ عندما تسمع شيئًا عن الأقزام يا سيدي»، ونهضت مشيرةً بهذا إلى نهاية الاجتماع.

كانت ريح خريفيةً عاتية تهبُّ عندما غادرت سِرْسِي قاعة المجلس، ولا تزال أجراس بيلور المبارك تصدح بأغنية الجِدَاد في هواء المدينة من بعيد، وفي السَّاحة نحو أربعين من الفرسان يكرُّ بعضهم على بعض بالسُّيوف والتروس مضيفين إلى الصَّخب صخبًا. رافق السير بوروس بلاونت الملكة إلى مسكنها، حيث وجدت الليدي ميريويندر تضحك مع چوسلين ودوركاس، فسألتهن: «ما الطَّريف لهذه الدَّرَجَة؟».

أجَابَت تايانا: «التَّوَّامان ردواين، كلاهما وقع في هوى الليدي مارچري. من قبل اعتادا أن يتشاجرا على من سيُصبح سيِّد (الكرمة) التَّالي، أمَّا الآن فكلاهما يرغب في الانضمام إلى الحرس الملكي لمجرد أن يكون قُرب الملكة الصَّغيرة».

- «النَّمش على وجوه آل ردواين أكثر دائماً من الذكاء في عقولهم». على أنها معلومة مفيدة. إذا ضُبطَ هورور أو سلوبر في الفراش مع مارچري... تساءلت سرسي إن كانت الملكة الصَّغيرة تحبُّ النَّمش. «دوركاس، اجلبي السير أوزني كِتلبلاك».

تورّد وجه دوركاس، وقالت: «كما تأمرين». لمّا خرجت الفتاة رمّمت تاينا ميريويدر الملكة بنظرة فضوليّة، وسألتهَا: «لماذا احمرّ وجهها هكذا؟».

أجابتهَا سرسي وقد حان دورها في الضَّحك: «إنه الحُب. فارسنا السير أوزني يستهويها». إنه أصغر الإخوة كِتلبلاك، صاحب الوجه الحليق، ومع أن له نفس الشَّعر الأسود والأنف المعقوف والابتسامة العفويّة كأخيه أوزموند، فعلى إحدى وجنتيه ثلاثة خدوش طويلة بفضل واحدةٍ من عاهرات تيريون. «أظنُّ أن نُدوبه تُعجبها».

التمع الحُبث في عينيّ الليدي ميريويدر الدَّاكتين وهي تقول: «بالضُّبط. النُّدوب تجعل الرِّجل يبدو خطيراً، والخطر مثير».

قالت الملكة مداعبةً: «إنك تصدميني يا سيّدتي. إذا كان الخطر يُثيرك هكذا فلمَ تزوّجت اللورد أورتون؟ كلُّنا نحبه، هذا صحيح، ولكن...». كان بيتر قد علق مرّةً قائلاً إن بوق الوفرة الذي يُزيّن رايات عائلة ميريويدر يُلائم اللورد أورتون على نحوٍ رائع، بما أن شعره له لون الجزر وأنفه منتفخ كثمرة شمندر وذكاه يُضاهي وعاءً من ثريد البازلاء.

قالت تاينا ضاحكةً: «سيّدي يتمتّع بالوفرة أكثر من الخطر بالفعل، ورغم ذلك... أملُ أنني لن أحطّ من قدر نفسي في نظر جلالتك، لكنني لم أذهب عذراء إلى فراش أورتون».

كلكن عاهرات في المُدن الحرّة، أليس كذلك؟ جيّد أن تعلم هذا، فربما تتمكّن من استغلاله ذات يوم. «وثرى من هذا الحبيب الذي كان... مليئاً بالخطر؟».

ازدادت بشرة تاينا الرّيتونيّة دُكنةً إذ تخصّبت بالأحمر، وقالت: «أوه، لم يكن يجب أن أتكلّم. جلالتك ستُحافظين على سرّي، أليس كذلك؟».

قالت سرسي: «للرجال الندوب وللنساء الأسرار»، وقبّلتها على وجنتيها مفكّرة: سأستخلصُ هذا الاسم منك قريباً.

صرفت الملكة رفيقاتها حين عادت دوركاس بالسير أوزني كتلبلاك، ثم قالت له: «تعال اجلس معي عند النَّافذة يا سير أوزني. هل تُريد كأساً من النبيذ؟»، وصبت واحدة لنفسها متابعَةً: «معطفك مهترئ. أفكّر في أن أضعك في واحدٍ جديد».

- «ماذا؟ معطف أبيض؟ من مات؟».

- «ليس بعدُ. أهذه رغبتك؟ أن تنضمَّ إلى أخيك أوزموند في الحرس الملكي؟».

- «أفضلُ أن أكون حارس الملكة فقط، بعد إذن جلالتك»، وابتسم أوزني ابتسامةً عريضةً لتلمع الندوب على وجنته بالأحمر، فتحسّستها سرسي بأناملها قائلة: «لسانك جريء أيها الفارس. ستجعلني أنسى نفسي ثانيةً». أجاب السير أوزني: «جيد»، والتقطَ يدها وقبّل أصابعها بخشونةٍ مضيغاً: «ملكتي الجميلة».

همست الملكة: «أنت رجل شرّير، ولا أظنك فارساً حقيقياً كذلك»، وتركته يلمس ثدييها من فوق حرير فُستانها، ثم قالت: «كفى».

- «لا. إنني أريدك».

- «لقد نلتني».

قال: «مرّةً فقط»، وأمسك ثدييها الأيسر واعتصره بحرّقي ذكرها بروبرت.

- «ليلة طيبة لفارس طيب. لقد أسديتني صنيعاً شجاعاً ونلت مكافأتك»، ومشت سرسي أصابعها على أربطة سراويله وشعرت به ينتصب. سألتها: «أهذا حصان جديد الذي كنت تمتطيه في السّاحة صباح أمس؟».

- «الفحل الأسود؟ أجل. هديّة من أخي أوزفريد. أسميه منتصف الليل».

يا للابتكار! قالت: «مُطية رائعة للمعارك، أمّا للمُتعة فلا شيء يُقارن بركوب مُهرّة صغيرة مفعمة بالحويّة»، ومنحت ابتسامةً واعتصرت ذكره مرّةً متابعَةً: «اصدقني القول، هل تحسب ملكتنا الصّغيرة جميلة؟».

تراجع السير أوزني قائلاً بحذر: «أظنُّ هذا، بالنسبة إلى فتاة. أفضلُ أن أحظى بامرأة».

همست: «ولمَ ليس الاثنتين؟ اقطف الوردة الصَّغيرة من أجلي ولن تجدني ناكرةً للجميل».

رَدَّ السير أوزني وحرارته تخمد في سراويله: «الملكة... تعنين مارچري؟ إنها زوجة الملك. ألم يكن هناك حارس ملكي فقدَ رأسه لمضاجعة زوجة الملك؟».

- «منذ عصور». كانت عشيقة الملك لا زوجته، ورأسه الشَّيء الوحيد الذي لم يفقده. إجون مثلَّ به قطعةً قطعةً وجعلَ المرأة تُشاهد. غير أن سرسي لا تُريده أن يُفكِّر في تلك الحادثة الكريهة الموغلة في القِدم، فقالت: «تومن ليس إجون غير الجدير. لا تخف، سيفعل ما أطلبه منه. إنني أنوي أن تفقد مارچري رأسها وليس أنت».

جعله هذا يتردَّد لحظةً ويسأل: «تقصدين بكارتها؟».

- «وهذه أيضًا. طريف أنها ما زالت محتفظةً بها»، وعادت تتحسَّس ندوبه مردفةً: «ما لم تكن تحسب أن مارچري لن تستجيب إلى... سحرك».

رمقها أوزني بنظرة جريحة، وقال: «إنني أعجبها بما فيه الكفاية بالفعل. بنات عمومتها يُعابثنني بشأن أنفي دائماً، كم هو كبير وما إلى ذلك، لكن آخر مرَّة فعلتَ مجاً ذلك أمرتهن مارچري بالتوقف وقالت إن لي وجهًا جميلًا».

- «هكذا إذن».

قال الرَّجل بنبرة ملؤها الشُّك: «هكذا إذن، لكن أين سأذهب إذا كانت... إذا كنتُ... بعد أن...».

- «... تفعلنا فعلتكما؟». منحته سرسي ابتسامةً شائكةً، وأجابت: «النوم مع الملكة خيانة. لن يجد تومن خيارًا إلا إرسالك إلى (الجدار)».

ردَّد مذعورًا: «(الجدار)؟!».

بذلت كلَّ جهدها لتمنع نفسها من الضَّحك مفكرةً: لا، الأفضل ألا أضحك. الرِّجال يكرهون أن يضحك منهم أحد، وبدلاً من ذلك قالت: «المعطف الأسود سيمتاشي جيِّدًا مع عينيك وشعرك الأسود هذا».

- «لا أحد يعود من (الجدار)».

- «أنت ستعود، وما عليك إلا أن تقتل صبيًّا؟».

- «مَن؟».

- «صبيُّ نغل متواطئ مع ستانيس. إنه صغير وأخضر، وسيكون معك مئة رجل».

اشتَمَّت رائحة الخوف المنبعثة من كِتْلِبلاك، وإن كان أكثر غرورًا من أن يعترف بخوفه. كلُّ الرِّجال واحد. قال بإصرار: «لقد قتلتُ صبيَّةً أكثر مما أستطيعُ أن أحصي. بمجرد أن يموت ذلك الصَّبي هل سأنال عفوي من الملك؟».

- «العفو بالإضافة إلى لوردية». ما لم يَشْتُقْكَ إخوة سنو أولاً. «لا بُدَّ أن يكون للملكة رفيق لا يعرف الخوف».

قال: «اللورد كِتْلِبلاك؟»، وزحفت ابتسامة بطيئة على وجهه والتهبَّت ندوبه بالأحمر، وأردف: «نعم، يروفتني وقع الكلمة، لورد من اللوردات...».

- «... ولائق بأن يُضاحج ملكة».

قطَّب وجهه قائلاً: «(الجِدَار) بارد».

وضعت سرسي ذراعها حول عنقه، وردَّت: «وأنا دافئة. ضاحج فتاة واقتل صبيًّا وأنا لك. هل تملك الشَّجاعة؟».

فكَّر أوزني لحظةً قبل أن يومئ إيجابًا ويقول: «أنا رجلِك».

قالت: «أنت رجلي أيها الفارس»، وقبَّلته وجعلته يتذوق لسانها قليلاً قبل أن تتراجع قائلة: «يكفي هذا الآن، يجب أن ينتظر الباقي. هل ستحلِّم بي الليلية؟».

أجاب بصوتٍ مبحوح: «أجل».

سألته مداعبةً: «وحين تكون في الفراش مع مارچري؟ حين تكون في داخلها هل ستحلِّم بي؟».

أقسم أوزني كِتْلِبلاك قائلاً: «أجل».

- «عظيم».

بعد ذهابه استدعت سرسي چوسلين لتُمسِّط شعرها بينما خلعت حذاءها وتمطَّت كهرةً. قالت لنفسها: إنني مخلوقة من أجل هذا. أناقة الخطة الخالصة أكثر ما يسرُّها. حتى مايس تايرل نفسه لن يجرؤ على الدِّفاع عن ابنته الغالية إذا ضُبطت متلبسةً مع أمثال أوزني كِتْلِبلاك، ولن يجد ستانيس باراثيون أو چون سنو ما يدعو إلى التَّساؤل عن سبب إرسال أوزني إلى (الجِدَار).

سوف تحرص على أن يكون السير أوزموند هو من يكتشف أخاه مع الملكة الصَّغيرة، وبهذه الطَّريقة لن يطعن أحد في ولاء الأخوين كِتلبلاك الأخرين. لو رأني أبي الآن لما سارعَ بالكلام عن تزويجي ثانيةً. مؤسفٌ أنه مات، هو وروبرت وچون آرَن وإدارد ستارك ورنلي باراثيون، كلهم ماتوا وما بقيَ إلا تيريون، وليس طويلاً.

ليلتها استدعت الملكة الليدي ميريويدر إلى عُرفة نومها، حيث سألتها: «هل تشربين كأساً من النبيذ؟».

أجابَت المايريَّة ضاحكةً: «واحدةٌ صغيرةً، واحدةٌ كبيرةً». قالت سرسي بينما تضع دوركاس عليها ثياب النوم: «أريدك أن تزوري زوجة ابني غداً».

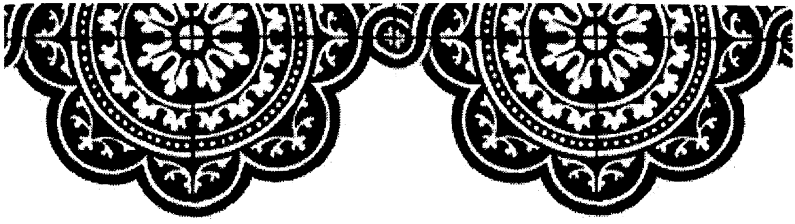
- «الليدي مارچري تسعد لرؤيتي دوماً».  
- «أعرف». لم يفت الملكة أن تلاحظ اللَّقْب الذي تستخدمه تاينا عند الإشارة إلى زوجة تومن الصَّغيرة. «قولي لها إنني أرسلتُ سبع شموعٍ إلى شمع النَّحل إلى (سپت بيلور) إحياءً لذكرى السِّبتون الأعلى العزيز». ضحكت تاينا، وقالت: «إذن فسُترسل هي سبعةً وسبعين شمعةً كي لا تتفوقني عليها».

أجابَت الملكة باسمَّة: «سأستاءُ كثيرًا إذا لم تفعل. أخبريها أيضًا بأن لها معجبًا سرِّيًّا، فارسًا مفتونًا للغاية بجمالها حتى إنه لا يستطيع النوم ليلاً». برقَ المكر في عيني تاينا الواسعتين الدَّاكتتين وهي تسألها: «هل لي أن أسأل جلاتك أيُّ فارس؟ أيُّمكن أنه السير أوزني؟». - «ربما، لكن لا تُقدِّمي لها الاسم طواعيةً، اجعليها تنتزعه منك. هَلَّا فعلتِ ذلك؟».

- «إذا كان يسرُّك. هذا كلُّ ما أتمنَّى يا صاحبة الجلالة».  
في الخارج كانت الرِّيح الباردة تشتدُّ. ظلَّت الاثنتان ساهرتين حتى ساعةٍ متأخرةٍ من الصُّباح، تشربان نبيذ (الكرمة) الدَّهبي وتبادلان الحكايات. سكرت تاينا تمامًا واستخلصت منها سرسي اسم حبيبها السَّرِّي، الذي كان رُبَّانًا من (مير)، نصفُ قُرصانٍ له شعر أسود ينسدل على كتفيه ونُدبة على وجهه من الدَّقن إلى الأذن. قالت لها المرأة الأخرى: «مئة مرَّة قلتُ له لا وقال



نعم، إلى أن وجدتُ نفسي أقولُ نعم في النهاية أيضًا. لم يكن رجلًا يُرْفَضُ». قالت الملكة بابتسامةٍ ملتوية: «أعرفُ هذا النوع». - «هل عرفتِ صاحبةَ الجلالة رجلًا كهذا يا تُرى؟». أجابت كاذبةً وهي تُفَكِّرُ في چايمي: «روبرت». لكن حين أسدلت جفنيها كان الأخ الآخر هو من حلمت به، وبثلاثة الحمقى المأفونين الذين بدأت بهم يومها. في الحلم أتوها برأس تيريون في الكيس الجلدي، فطلته بالبرونز واحتفظت به في وعاء الفضلات.



## الربّان الحديدي

كانت الرّيح تهبُّ من الشّمال فيما دارت (النّصر الحديدي) حول الرّأس الأرضي ودخلت الخليج المقدّس المسمّى (مهد ناجا).

انضمّ فيكتاريون إلى نيوت الحلاق عند مقدّمة السّفينة، وقد لاح أمامهما ساحل (ويك القديمة) المقدّس والتّل المعشوشب فوقه، حيث ترتفع ضلوع ناجا من الأرض كجذوع أشجار بيضاء عظيمة، كلٌّ منها يُناظر صاري الدرّمونة في العرض ويبلغ ضعفه طولاً.

عظام (بهو الملك الأشيب). شعر فيكتاريون بما في هذا المكان من سحر، وقال متذكّراً: «بالون وقف أسفل هذه العظام حين نصّب نفسه ملكاً. أقسم أن يستردّ لنا حرّيتنا، ووضع تارل الغارق ثلاثاً تاجاً من الخشب المجروف على رأسه، وهتف النَّاس: بالون! بالون! بالون ملكاً!».

قال نيوت: «سيدّوي هتافهم باسمك أيضًا». أوماً فيكتاريون برأسه مؤمّناً، ولو أنه لا يُشارك الحلاق ثقته حقاً. بالون كان له ثلاثة أبناء، وابنة أحبّها كثيراً.

هذا ما قاله لربابنته في (خندق كايلن) حين أوعزوا إليه بأن يُطالب بكرسي حجر اليم، وقال رالف ستونهاوس الأحمر: «أبناء بالون ماتوا، وأشا امرأة. لقد كنت ذراع أخيك اليمنى القويّة، ويجب أن تلتقط السّيف الذي أفلته»، لكن عندما ذكّروهم فيكتاريون بأن بالون أمره بالدّفاع عن (الخندق) ضدّ الشّماليين قال رالف كنينج: «الدّئاب انكسروا يا سيّدي. ما جدوى أن نكسب هذا المستنقع ونخسر الجُزر؟»، وأضاف رالف الأعرج: «عين الغُراب غاب عنا طويلاً، إنه لا يعرفنا».

يورون جرايچوي، ملك الجُزر والشمال. أيقظَ الخاطر غضبةً قديمةً في قلبه، ورغم ذلك...

قال لهم فيكتاريون: «الكلام هواء، والهواء الجيّد الوحيد هو الذي يدفع أشرعتنا. هل تُريدونني أن أقاتل عين الغراب؟ الأخ ضد الأخ والحديدي ضد الحديدي؟». ما زال يورون أخاه الكبير مهما كان بينهما من ضغائن. ما من أحدٍ ملعون كقاتل الأقربين.

لكن كل شيءٍ تغيّر حين وصل استدعاء ذي الشَّعر الرُّطب ودعوته إلى انتخاب الملك.

ذكَر فيكتاريون نفسه قائلاً: آرون يتكلّم بصوت الإله الغريق، وإذا كانت مشيئة الإله الغريق أن أجلس على كرسي حجر اليم... في اليوم التّالي ولّي رالف كنينج قيادة (خندق كايلن)، وتحرك برّاً صوب (النَّهر المحموم) حيث يرسو الأسطول الحديدي وسط أحراج القصب وأشجار الصّنّصاف. بعدها أخرجهم هياج البحر وتقلّب الرِّياح، لكن سفينةً واحدةً فقط فُقدت، وعاد فيكتاريون إلى الوطن.

تحركت (الثَّار الحديدي) و(الثُّبور) على مقربةٍ وراء (النَّصر الحديدي) بينما تجاوزت لسان اليابسة، ووراءهما جاءت (اليد القويّة) و(الرَّيح الحديدي) و(الشَّبح الرَّمادي) و(اللورد كويلون) و(اللورد فيكون) و(اللورد داجون) والبقية، تسعة أعشار الأسطول الحديدي المبحر في تيّار المساء في صَفٍّ غير منتظم يمتدُّ فراسخ عديدةً إلى الوراء. ملأ منظر القلوع فيكتاريون جرايچوي بالرُّضا. لا رجل في الدُّنيا أحبَّ زوجاته كما يحبُّ حضرة الرُّبان القائد سُفنه. على شاطئ (ويك القديمة) المقدّس تصطفُ السُّفن الطويلة على مدى البصر بصوارٍ مرتفعة كالجراب، وفي البُقع الأعمق من المياه ترسو الغنائم؛ أكواج وقرابير<sup>(1)</sup> ودرُمونات ظُفِرَ بها في الغارات أو الحروب، وتمنعها أحجامها الكبيرة من الدُّنو من الشَّاطئ، وعلى مقدّماتها ومؤخّراتها وصواريخها تخفق رايات مألوفة.

---

(1) القرقور سفينة ضخمة تحمل آلات الحرب والمؤن والعتاد، وتُتسع لعددٍ كبير من المجذفين والبحارة. (المترجم).

ضيق نيبوت الحلاق عينيه ناظرًا إلى الشاطئ، وتساءل: «أهذه (أغنية البحر) سفينة اللورد هارلو؟». الحلاق رجل غليظ البنية له ساقان متقوستان وذراعان طويلتان، لكن بصره لم يعد حادًا كما كان في شبابه. في تلك الأيام كان بإمكانه رمي الفأس بمنتهى البراعة، حتى إن الناس قالوا إنه يستطيع أن يحلق لحيتك بها.

يبدو أن رودريك القارئ ترك كُتبه. «(أغنية البحر)، نعم. وهذه هي (الرّاعد) سفينة دروم العجوز، وإلى جوارها (طيار الليل) سفينة بلاكتايد». ما زالت عينا فيكتاريون تتمتعان بحدّتهما المعهودة، وعلى الرغم من انطواء الأشربة وارتخاء الرّيات فقد تعرّف السفن كما يليق بحضرة الرّبّان قائد الأسطول الحديدي. «(الرّعفة الفضيّة) أيضًا. لا بُدّ أنه من أقرباء ساوان بوتلي». سمع فيكتاريون أن عين الغراب أغرق اللورد بوتلي، كما أن ورثه مات في (خندق كايلن)، لكن هناك إخوة وأبناء آخرين أيضًا. كم؟ أربعة؟ لا، خمسة، ولا أحد منهم عنده سبب يجعله يحبّ عين الغراب.

ثم إنه رآها. للسّفينة صارية واحدة، بدنّها رفيع واطّوى وله لون أحمر قانٍ، وأشربتها -المطوية الآن- سوداء كسماء بلا نجوم. حتى في المرسى تبدو (الصّمت) قاسية سريعة. على مقدّمها فتاة حديدية سوداء تمدّ أحد ذراعيها، خصرها ممشوق ونهداها عاليان شامخان وساقاها طويلتان رشيقتان، ومن رأسها يُرفرف شعرها الحديد الأسود كأن الرّيح تُطيرّه، وفي عينها يلتمع عرق اللؤلؤ، لكنها بلا فم.

انغلقت قبضتا فيكتاريون. بهاتين اليدين ضربَ أربعة رجال حتى الموت، وزوجة أيضًا. رغم الشّيب الذي وخطّ شعره فإنه لا يزال محتفظًا بقوّته كاملة، صدره عريض كالثيران وبطنه مسطّح كالصّبيان. فإتلت الأقربين ملعون في أعين الآلهة والبشر. هذا ما ذكره به بالون يوم صرف عين الغراب إلى البحر. قال فيكتاريون للحلاق: «إنه هنا. أنزلوا الأشربة، ستتقدّم بالمجاديف فقط. ومُر (الثبور) و(الثار الحديدي) بالوقوف بين (الصّمت) والبحر، ولتعلّق بقيّة السفن الخليج. لا أحد يُغادر إلا بأمرى، سواء أكان رجلًا أم غرابًا».

كان من على الشاطئ قد أبصروا أشربتهم، وتردّد هتافهم عبر الخليج إذ رفع الأصدقاء والأهل عقائرهم بالتّحيّات... لكن صوتًا لم يخرج من

(الصَّمْت). على ظهرها لم تصدُر كلمة واحدة من طاقمها المتنافر من البُكم والهيجان إذ دنت (النَّصْر الحديدي)، وحدَّق إليه رجال سُود كالقار وآخرون قصار مكتنزون مشعرون كقردة (سوثيريوس). وحوش.

ألقوا المرساة عليّ بعد عشرين ياردةً من (الصَّمْت)، وقال فيكتاريون: «أنزلوا قاربًا، أريدُ الذهاب إلى الشَّاطِئِ»، ثم إنه تمنطقٌ بحزامه فيما أخذ الملاحون أماكنهم، ليستقرَّ سيفه الطَّويل على أحد وركيه وخنجره على الثاني. حول كنفِي حضرة القائد ثبَّت نيوت الحلاق معطفه المصنوع من تسع طبقاتٍ من قُماش الذهب والمفصَّل على شكل كراكين عائلة جرايچوي وتدلَّى ذراعه حتى حدائه، وقد ارتدى تحته قميصًا ثقيلًا من الحلقات المعدنية الرَّماديَّة فوق الجلد الأسود المقوَّى. كان قد اعتاد ارتداء الحلقات المعدنية في (موت كايلن) ليل نهار، فاحتمال تبيُّس كنفيه وألم ظهره أسهل من الإسهال الدَّموي، إذ يكفي أن يخدش أحد سهام شياطين المستنقعات المسمومة المرء مجرد خدش، وخلال ساعاتٍ قليلة ستجدّه يصرُخ بينما تسيل حياته من بين ساقيه في دفقاتٍ من الأحمر والبيِّي. سأتعاملُ مع شياطين المستنقعات أيًّا كان الفائز بكرسي حجر اليم.

اعتمر فيكتاريون خوذةً حربيَّة سوداءً طويلةً، مطرَّقةً على شكل كراكين حديدي تلتفُّ أذُرعُه حول وجنتيه وتلتقي أسفل فكِّه. عندئذٍ كان القارب قد صارَ جاهزًا، فقال لنيوت وهو ينزل على جانب السَّفينة: «لقد وضعتُ الصَّناديق في عهدتك. احرص على وضع حراسةٍ مشدَّدة عليها». الكثير يعتمد على هذه الصَّناديق.

- «كما تأمر يا جلالة الملك».

أجابَه فيكتاريون بوجهٍ عابس: «لستُ الملك بعد»، ونزلَ إلى القارب. وكان آرون ذو الشَّعر الرُّطب في انتظاره وسط الأمواج المتكسِّرة على الشَّاطِئِ، وقد علَّق قربة الماء المالح تحت ذراعه. الرَّاهب نحيل طويل ولكن أقصر قامَةً من فيكتاريون، ويبرزُ أنفه كزَعنفة سمكة قِرش من وجهه المهزول تحت عينين من حديد، وتبُلِّغ لحيته خصره، وعندما تهبُّ الرِّيح يصفع شعره الطَّويل المتشابك كالجبال مؤخِّرة ساقيه. قال والموج الأبيض البارد يتكسَّر حول كاحليه: «أخي، ما ماتَ لا يُمكن أن يموت أبدًا».

رَدَّ فَيْكْتَارِيُونَ: «بل يُبْعَثُ من جديدٍ أقوى وأصلب»، وخلَعَ خوذته وركعَ لتَمَلُّأ مِيَاهِ الْخَلِيجِ حِذَاءَهُ وَتُبَلَّلُ سِرَاوِيلُهُ بَيْنَمَا صَبَّ آرُونَ خَيْطًا مِنَ الْمَاءِ الْمَالِحِ عَلَى جَبْهَتِهِ، وَشَرَعَ الْإِثْنَانِ فِي الصَّلَاةِ، وَلَمَّا فَرَّغَا سَأَلَ حَضْرَةَ الْقَائِدِ ذَا الشَّعْرِ الرَّطْبِ: «أَيْنَ أَخُونَا عَيْنَ الْغُرَابِ؟».

- «خِيَمَتُهُ تَلِكُ الْمَصْنُوعَةُ مِنْ قُمَاشِ الذَّهَبِ، هُنَاكَ حَيْثُ اللَّغَطُ أَشَدُّ. إِنَّهُ يُحِيطُ نَفْسَهُ بِالْكَافِرِينَ وَالْوَحُوشِ، أَسْوَأُ مِنْ قَبْلِ. فِيهِ فَسَدَتِ دِمَاءُ أَيْبِنَا».

- «وَدِمَاءُ أَمَّنَا أَيْضًا». يَرْفُضُ فَيْكْتَارِيُونَ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَنْ قَتْلِ الْأَقْرَبِينَ هُنَا فِي هَذَا الْمَكَانِ الْمُقَدَّسِ أَسْفَلَ عِظَامِ نَاجَا وَ(بِهَوِ الْمَلِكِ الْأَشِيبِ)، وَلَكِنْ كَمَ مِنْ لَيْلَةٍ حَلِمَ فِيهَا بِنَفْسِهِ يَهُوِي عَلَى وَجْهِ يورونِ الْبَاسِمِ بِقَبْضَةٍ مَقْفَرَةٍ بِالْحَدِيدِ، إِلَى أَنْ يَتَشَقَّقَ لِحْمُهُ وَتَسِيلُ دِمَاؤُهُ الْفَاسِدَةَ حَمْرَاءَ حَرَّةٍ. إِيَّاكَ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ. لَقَدْ أُعْطِيتِ بِالْوَنِ كَلِمَتَكَ. سَأَلَ أَخَاهُ الرَّاهِبَ: «هَلْ أُنَى الْجَمِيعِ؟».

- «جَمِيعٍ مِنْ لِهْمِ أَمْهِيَّةِ، الرَّبَّانِيَّةِ وَالْمَلُوكِ». فِي (جُزْرِ الْحَدِيدِ) الْإِثْنَانِ سَيَّانَ، لِأَنَّ كُلَّ رُبَّانٍ مَلِكٌ عَلَى سَطْحِ سَفِينَتِهِ، وَكُلُّ مَلِكٍ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ رُبَّانًا. «هَلْ تَنْوِي الْمَطَالِبَةَ بِتَاجِ أَيْبِنَا؟».

أَجَابَ فَيْكْتَارِيُونَ مَتَخَيِّلًا نَفْسَهُ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ حِجْرِ الْيَمِّ: «إِذَا شَاءَ الْإِلَهَ الْغَرِيقِ».

قَالَ آرُونَ ذُو الشَّعْرِ الرَّطْبِ وَهُوَ يَلْتَفِتُ مَبْتَعِدًا: «سَيَقُولُ الْمَوْجُ كَلِمَتَهُ، فَاصْغِ إِلَى الْمَوْجِ يَا أَحْي».

- «أَجَل». تَسَاءَلَ كَيْفَ سَيَكُونُ وَقَعَ اسْمُهُ إِذْ تَهْمَسُهُ الْأَمْوَاجُ وَيَهْتَفُ بِهِ الرَّبَّانِيَّةُ وَالْمَلُوكُ. إِذَا أَتَيْتِ الْكَأْسُ فَاذْذَاتِقْهَا.

كَانُوا قَدْ اذْذَحَمُوا يَتَمَنُّونَ لَهُ التَّوْفِيقَ وَيَتَوَدَّدُونَ إِلَيْهِ، فَرَأَى فَيْكْتَارِيُونَ رِجَالًا مِنْ كُلِّ جَزِيرَةٍ، مِنْ آلِ بِلَاكْتَايِدِ وَآلِ تَاوْنِي وَآلِ أَوْرَكَوودِ وَآلِ سْتُونْتَرِي وَآلِ وَيْنَشِ وَكَثِيرِينَ غَيْرِهِمْ، وَقَدْ حَضَرَ أَيْضًا آلُ جُودْبِرَاذِرِ أَوْلَادِ (وَيْكِ الْقَدِيمَةِ) وَآلُ جُودْبِرَاذِرِ أَوْلَادِ (وَيْكِ الْكُبْرَى) وَآلُ جُودْبِرَاذِرِ أَوْلَادِ (أَوْرَكَمُونْتِ) جَمِيعًا، بِالإِضَافَةِ إِلَى آلِ كُودِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ اِحْتِقَارِ الْجَمِيعِ لَهُمْ، بَيْنَمَا خَالَطَ آلُ شِييَارْدِ وَآلُ وَيْقَرِ وَآلُ نَتْلِيِ الْمُتَوَاضِعُونَ رِجَالًا مِنْ عَائِلَاتٍ عَرِيقَةٍ أَيْبِيَّةٍ، بَلْ وَخَالَطَهُمْ آلُ هَمْبَلِ الْمُتَوَاضِعُونَ أَيْضًا مَعَ أَنَّهُمْ مِنْ نَسْلِ الْأَقْنَانِ وَالزَّوْجَاتِ الْمَلْحِيَّاتِ. رَبَّتْ وَاحِدٌ مِنْ آلِ فُولْمَارِكِ عَلَى ظَهْرِ فَيْكْتَارِيُونَ بِقُوَّةٍ، وَدَسَّ

اثنان من آل سهار قربة نبيذ في يده، فشرَب كثيرًا ومسح فمه وتركهم يحملونه إلى بؤر النار ليسمع كلامهم عن الحرب والتيجان والغنائم وما ينتظرهم من أمجادٍ وحرية في عهده.

ليلتها نصب رجال الأسطول الحديدي خيمة ضخمة من قماش الأشرطة فوق خط المد، وأقام فيكتاريون مأدبةً لنصفمئة من مشاهير الربانة، أطعمهم فيها لحم الجديان المشوي وسمك القد المملح والكركد، وجاء آرون أيضًا وأكل السمك وشرَب الماء، في حين تجرَّع الربانة مِرًّا يكفي لأن يُبحر فيه الأسطول الحديدي. وعده كثيرون بأصواتهم، منهم فرالج القوي وآل فن شارب الأريب، وكذا هوثو هارلو الأحذب الذي عرَّض عليه ابنته لتكون ملكته، فقال له فيكتاريون: «حظي في الزواج سيئ». زوجته الأولى ماتت في أثناء الولادة ومنحته ابنةً جهيضةً، والثانية فنك بها الجُدري، والثالثة... قال هوثو بإصرار: «لا بُدَّ أن يكون للملك وريث. عين الغراب جلب ثلاثة من أبنائه يعرضهم في انتخاب الملك».

- «نغول وهجان. كم سنُّ ابنتك هذه؟».

أجاب هوثو: «اثنان عشر عامًا، جميلة وخصبة، أزهرت حديثًا، وشعرها بلون العسل. ما زال ثدياها صغيرين، لكن وركيها قويتان. إنها تُشبه أمها أكثر مني».

أدرك فيكتاريون أن معنى هذا أن الفتاة بلا حدية في ظهرها، لكن حين حاول أن يتصورها لم يرَ إلا الزوجة التي قتلها. مع كل ضربة هوى عليها بها انتحب، وبعدها حملها إلى الصُخور ليعطي سراطين البحر إياها. قال: «يسرني أن ألقى نظرة على الفتاة حالما أتوج». كان هذا أقصى ما جرَّو هوثو على أن يأمله، فابتعد قانعًا.

على أن إرضاء بيلور بلاكتايد أصعب، وقد جلس إلى جوار فيكتاريون بوجهه الناعم الوسيم وقيصه المفصل من صوف الحملان المضلع بالأسود والأخضر، وقد ارتدى فوقه معطفًا من فرو السمور تُبَّته نجمة سباعية من الفضة. أمضى الرجل ثماني سنوات رهينة في (البلدة القديمة)، وعاد منها عابدًا لآلهة الأراضي الخضراء السبعة. قال اللورد بيلور: «بالون كان مجنونًا

وآرون أكثر جنونًا ويورون الأكثر جنونًا على الإطلاق، فماذا عنك يا حضرة القائد؟ إذا هتفتُ باسمك فهل ستضع نهايةً لهذه الحرب المجنونة؟».

قطَّب فيكتاريون جبينه متسائلًا: «هل تُريدني أن أركع؟».

- «إذا لزم الأمر. إننا لا نستطيع الصُّمود وحدنا أمام (وستروس) كلَّها. الملك روبرت أثبتَ هذا وأذاقنا الويل. بالون قال إنه يُريد أن يدفع الثمن الحديدي لقاء الحرِّيَّة، لكن نساءنا اشترين تيجان بالون بالأسرة الخالية. أمِّي كانت واحدةً منهن. النهج القديم مات».

- «ما مات لا يُمكن أن يموت أبدًا، بل يُبعث من جديد أقوى وأصلب. بعد مئة عام سيظلُّ النَّاس يُعَنون عن بالون المقدام».

- «الأحرى أن تُسمِّي بالون صانع الأرامل. كنتُ لأبادل حرِّيَّته تلك بأب بكلِّ سرور. أعندك أب تُعطيني إياه؟»، ولمَّا لم يُجب فيكتاريون أطلق بلاكتايد نخيرًا ساخرًا وتركه.

ارتفعت الحرارة داخل الخيمة وامتلات بالذُّخان. قلبَ اثنان من أبناء جورولد جودبراذر مائدةً في شجار، وخسر ويل همبل رهانًا ترتب عليه أن يأكل حذاءه، وعزفَ لينوود تاوني الصَّغير على الكمنجة، بينما غنى رومني ويقر (الكأس الدَّامية) و(أمطار من فولاذ) وغيرهما من أغاني المُغيرين، ورقصَ كارل البكر والدريد كود رقصة الأصابع، فدوى الضَّحك عندما طارَ أحد أصابع إلدريد وسقطَ في نبيذ رالف الأعرج.

بين الضَّاحكين كانت امرأة. نهَض فيكتاريون ورآها عند سديلة الخيمة، تهمس بشيء ما في أذن كارل البكر جعله يضحك بدوره. كان يأمل أنها ليست بالحماقة الكافية لأن تأتي، غير أن مرآها حدا به إلى الابتسام رغم ذلك، فنادى بصوتٍ أمر: «أشأ، ابنة أخي».

شقت طريقها إلى جانبه وقد بدت نحيلةً رشيقةً في حذائها العالي الذي بقع جلده الملح وسراويلها الصُّوف الخضراء وقميصها البني المبطَّن وسُترتها الجليديَّة عديمة الأكمام التي عقدت نصف أربطتها. أشأ جرايچوي طويلة القامة بالنسبة إلى امرأة، وعلى الرغم من هذا شبت على أصابع قدميها لتلمس وجته قائلة: «عمَّاه، يسرُّني أن أراك في انتخاب الملكة».



رَدَّ ضاحكًا: «انتخاب الملكة؟ أنتِ سكرانة يا ابنة أخي؟ اجلسي. لم ألمح سفيتتك (الريح السوداء) على الشاطئ».

- «رسوتُ بها عند قلعة اللورد جودبراذر وقطعتُ الجزيرة ركوبًا»، وجلستُ أشأ على كُرسي، وبلا إذن تناولتُ نبيذ نيوت الحَلَّاق وشربتُ منه، إلا أن نيوت لم يعترض، إذ كان قد غابَ في النوم سكران منذ مدَّة. «لمن القيادة في (الخدق)؟».

- «رالف كيننج. بموت الدُّبب الصَّغير لم يُعد يقصُّ مضاجعنا إلا شياطين المستنقعات».

- «آل ستارك لم يكونوا الشماليين الوحيدين. العرش الحديدي قلد سيِّد (معقل الخوف) حُكم الشمال».

- «هل تُلقِّنيني دروسًا في الحرب؟ إنني أخوضُ المعارك وأنتِ ما زلتِ ترضعين لبن أمِّك».

أضافتُ أشأ: «وتخسر المعارك أيضًا»، وأخذتُ رشفةً من النبيذ. لا يحبُّ فيكتاريون أن يُذكَّره أحدٌ بـ(الجزيرة القصيَّة)، فقال: «على كلِّ رجل أن يخسر معركةً في شبابه كي لا يخسر حربًا حين يكبر. أملُ أنكِ لم تجيئي للمطالبة بالحُكم».

قالت بابتسامةٍ عابثة: «وماذا لو أُنِي جئتُ لهذا؟».

- «هناك رجال يذكرونكِ عندما كنتِ بنتًا صغيرةً تسبح عاريةً في البحر وتلعبُ بدميتها».

- «ولعبتُ بالفؤوس أيضًا».

قال مقرًّا: «نعم... لكن المرأة تحتاج إلى زوجٍ لا إلى تاج. حين أصبح ملكًا سأعطيكِ واحدًا».

- «يا لحنان عمِّي عليَّ. هل أجدُ لكِ زوجةً حسناء حين أصبحُ ملكةً؟».

- «حظِّي في الزَّواج سيئٌ. منذ متى وأنتِ هنا؟».

- «منذ فترةٍ تكفي لأن أرى أن ذا الشَّعر الرُّطب أثارَ أكثر مما كان يتتوي».

دروم يُزْمع أن يُطالب بالحُكم، وتارل الغارق ثلاثًا سُمِعَ يقول إن مارون فُولمارك الوريث الشرعي لذوي النَّسب الأسود من العائلة».

- «لا بُدَّ أن يكون الملك من الكراكن».

قالت آشا: «عين الغراب كراكن. الأخ الكبير يسبق الصَّغير»، ومآلت آشا دانيةً، وأردفت: «لكنني ابنة الملك بالون ومن صُلبه، ولذا أُسبِقُ كليكما. اسمعني يا عمَّاه...».

غير أن الصَّمت ران فجأةً على المكان. سكتَ الغناء وخفضَ لينود تاووني الصَّغير كمنجته، ودوَّر الرِّجال رؤوسهم، بل وسكنتَ جلبة الأطباق والسَّاكين.

دسته من الوافدين الجُدد دخلت خيمة المأدبة، ورأى فيكتاريون چون ماير ذي الوجه المسحوب، وتوروولد ذي السنَّ البنيَّة، ولوكاس كود الأعرس، إضافةً إلى جرموند بوتلي الذي عقدَ ذراعيه على واقي صدره المذهب الذي أخذَه من جثة أحد قادة لانستر خلال تمرُّد بالون الأول، وقد وقفَ إلى جواره أوركوود سيِّد (أوركمونت)، ووارءهما ذو اليد الحجر وكويلون همبل والملّاح الأحمر بشعره النَّاري المصفور، ومعهم رالف الرَّاعي ورالف ابن (لانسهورت) وكارل القن.

وعين الغراب، يورون جرايجوي.

قال فيكتاريون لنفسه: لا يبدو عليه تغيير، يبدو تمامًا كما كان يوم سخرَ مني ورحل. يورون أوسم أبناء اللورد كويلون، ولم تُغَيَّر ثلاثة أعوام في المنفى هذا. ما زال شعره أسود كالبحر في منتصف الليل دون أيِّ لمحة من الأبيض، وما زال وجهه ناعمًا شاحبًا تحت لحيته الفاحمة المشدَّبة. تُغَطِّي عين يورون اليُسرى رُقعة جلدية سوداء، لكن اليُمْنى زرقاء كسما الصَّيف. فكَرَّ فيكتاريون: عينه الباسمة، وقال: «عين الغراب».

- «الملك عين الغراب يا أخي»، ردَّ يورون مبتسمًا، فبدت شفتاه داكنتين للغاية في ضوء المصابيح، مكدومتين مزرقَّتَيْن. نهَضَ ذو الشَّعر الرُّطب قائلًا: «لا ملك إلا بانتخاب الملك. ليس لكافر...».

قاطعَه يورون: «... أن يجلس على كُرسي حجر اليم، نعم»، وتطلَّع عبر الخيمة متابعًا: «يتصادفُ أنني جلستُ على كُرسي حجر اليم كثيرًا في الفترة الأخيرة ولم يعترض»، والتمعت عينه الباسمة وهو يُواصل: «من يعرف عن الآلهة أكثر مني؟ آلهة خيول وآلهة ناريون، آلهة من الذهب أعينها أحجار

كريمة، آلهة منحوتة من خشب الأرز وآلهة منحوتة في الجبال وآلهة من هواء...  
أعرفها جميعاً. رأيتُ عبادهما يضعون على رؤوسها أكاليل الزهر ويسفحون  
دماء الماعز والثيران والأطفال باسمها، وسمعتُ الصلوات بعشرات اللغات.  
اشفِ ساقي العاجزة، اجعل الفتاة تحبني، امنحني ابناً سليماً معافى، أنقذني،  
أسعفني، أنرني... احمني! احمني من أعدائي، احمني من الظلام، احمني من  
المرض في بطني، من سادة الخيول، من النخاسين، من المرتزقة على بابي،  
احمني من (الصمت!)»، وضحك قائلاً: «كافر؟ آرون، إنني أكثر رجل إيماناً  
في التاريخ! تخدم أنت إلهاً واحداً يا ذا الشعر الرطب، أمّا أنا فخدمتُ عشرة  
آلاف. من (إيب) إلى (آشاي)، حين يرى الناسُ أشرعتي يُصلون». **رفع الرَّاهبُ إصبعاً رفيعاً، وقال: «إنهم يُصلون للأشجار والأصنام الذهب  
والمسوخ ذات رؤوس الكباش، آلهة زائفة...».**

قال يورون: «بالضبط، ولهذه الخطيئة أقتلهم جميعاً، أريقُ دماءهم في  
البحار وأزرعُ في نسوتهم الصّارخات بذرتي. ألهتهم التّافهة لا تقوى على  
صدّي، فواضح إذن أنها آلهة زائفة. إنني أكثر تقوى منك شخصياً يا آرون.  
ربما عليك أنت أن تركع أمامي طالباً البركة». **أطلق الملاح الأحمر ضحكةً صاحبةً لقوله، وحذا الآخرون حذوه، في  
حين قال الرَّاهبُ: «حمقى، ما أنتم إلّا حمقى وأقنان وعُمى. ألا ترون الواقف  
أمامكم؟».**

قال كويلون همبل: «نرى ملكاً».

بصقَ ذو الشعر الرطب على الأرض، وخرجَ إلى الليل بخطواتٍ واسعة.  
وحين رحلَ التفتَ يورون بعينه الباسمة إلى فيكتاريون قائلاً: «حضرة  
القائد، ألن تُحیی أخاك الذي طال غيابه؟ ولا أنتِ يا آشأ؟ كيف حال السيّدة  
والدتك؟».

أجابت آشأ: «ليست بخير، رجل ما جعلها أرملة».

هزَّ يورون كتفيه، وقال: «سمعتُ أن إله العواصف ألقى بالون إلى حتفه.  
من هذا الرّجل الذي قتله؟ أخبريني باسمه يا ابنة أخي لأثار لنفسي منه». **قامت آشأ قائلة: «تعرف اسمه مثلما أعرفه. ثلاث سنواتٍ غبت عننا، ثم  
ترجع (الصمت) في غضون يومٍ واحد من موت أبي».**

سألها يورون بوداعة: «هل تتهميني؟».

- «هل يجدر بي أن أتهمك؟». حدت نبرة آشا الحادة بشيكتاريون إلى العبوس. من الخطر أن يكلم المرء عين الغراب بهذا الأسلوب، حتى والعبث يلتمع في عينه الباسمة.

سأل عين الغراب حيواناته المدللة: «هل تأتمر الريح بأمرى؟».

قال أوركود سيد (أوركوموند): «لا يا جلالة الملك».

وقال جرموند بوتلي: «الريح لا تأتمر بأمر إنسان».

وقال الملاح الأحمر: «ليتها تأتمر بأمرك. كنت لتبحر حيثما شئت ولا تُعاني سكونها أبداً».

- «ها قد سمعت الحقيقة من ثلاثة رجال شجعان. (الصمت) كانت في البحر حين مات بالون. إذا كنت تُشككين في كلمة عمك فلك الإذن في سؤال طاقمي».

- «طاقمك الأخرس؟ نعم، سينفعني هذا حقاً».

قال يورون: «سينفعك أن تتزوجي»، وعاد يلتفت إلى أتباعه متسائلاً: «تورولد، لقد نسيت، ألك زوجة؟».

- «زوجتي الوحيدة»، أجاب تورولد ذو السن البنية بابتسامة عريضة ليُرِيهم كيف اكتسب لقبه.

أعلن لوكاس كود الأعسر: «أنا أعزب».

قالت آشا: «لسبب وجيه. كل النساء يحتقرن آل كود. لا تنظر إليّ بهذا الحزن يا لوكاس، فما زالت لديك يدك الشهيرة»، وصنعت حركة بذية بقبضتها.

راح كود يسب ويلعن إلى أن وضع عين الغراب يده على صدره قائلاً: «أهذه لباقة يا آشا؟ لقد جرحت لوكاس في الصميم».

- «أسهل من جرحه في القضيبي. إنني أجيء رمي الفؤوس كأى رجل، لكن عندما يكون الهدف صغيراً هكذا...».

زمجر چون ماير ذو الوجه المسحوب: «هذه الفتاة تنسى نفسها. بالون تركها تعتقد أنها رجل».

ردت آشا: «أبوك ارتكب الغلطة نفسها معك».

قال الملاح الأحمر: «أعطني إياها يا يورون. سأصفعها على مؤخرتها إلى أن تحمر كسعري».

قالت آشا: «تعال وحاول، وبعدين سنسّميك الخصي الأحمر»، وظهرت في يدها فأس ألفتها في الهواء والتقطتها ببراعة متباعدة: «ها هو ذا زوجي يا عمّاه. على الرجل الذي يُريدني أن يتعامل معه أولاً».

هوى فيكتاريون بقبضته على المائدة صائحًا: «لن أسمح بإراقة الدماء هنا. يورون، خذ... حيواناتك الأليفة... واخرج».

- «كنت أتطلعُ إلى ترحيبٍ أكثر دفئًا منك يا أخي. إنني أخوك الكبير... وقريبًا مليكك».

اغبرَّ وجه فيكتاريون، وقال: «حين يقول انتخاب الملك كلمته سنرى من يعتمر تاج الخشب المجروف».

قال يورون: «على هذا نتفق»، ورفع إصبعين إلى الرُقعة التي تُغطي عينه اليسرى وانصرف، وخرج الآخرون في أعقابه ككلاب مهجّنة. ظلّ الصمت مخيمًا عقب خروجهم، إلى أن أمسك لينوود تاووني الصّغير كمنجته مجددًا وعاد النيبذ والميزر يتدققان، وإن لاح على مجموعة كبيرة من الضيوف أنهم لم يعودوا ظمانيين. انسلّ الدرديد كود من الخيمة محتضنًا يده الدامية، ثم تبعه ويل همبل وهوثو هارلو وعدد لا بأس به من أبناء جودبراذر.

وضعت آشا يدها على كتف فيكتاريون قائلة: «عمّاه، تمسّ معي إذا سمحت».

كانت الرّيح تشتدُّ خارج الخيمة، والسحاب يجري أمام وجه القمر الشّاحب فيبدو كقوادس تندفع لتدكّ سفن العدو، والنجوم قليلة خافتة. بطول الشّاطئ السفن الطويلة راسية، صواريخها العالية ترتفع كغاية وسط الأمواج. سمع فيكتاريون صرير أبدانها وهي تستريح على الرّمال، وسمع صوت انشداد حبالها الحادّ وخفقان الرّيات عليها، ووراءها في الجزء الأعمق من الخليج رأى السفن الأخرى الأكبر تتمايل في مرساها كظلال قاتمة يتغلفها الضباب.

قالت آشا إذ سارا معًا على الشّاطئ فوق خطّ المد مباشرةً وبعيدًا عن المخيمات وبؤر النّار: «اصدقني القول يا عمّاه، لماذا رحل يورون فجأة؟».

- «عين الغراب اعتاد الذهاب للإغارة كثيرًا».

- «لكن ليس لفتراتٍ طويلة».

- «لقد أخذت (الصّمت) إلى الشرق. إنها رحلة طويلة».

- «سألتُ لماذا رحلَ وليس أين»، فلمّا لم يُجبها تابعتُ آشا: «كنتُ غائبةً عندما أفلعتُ (الصّمت)، أخذتُ (الرّيح والسّوداء) ودرتُ حول (الكرمة) إلى (الأعتاب) لأسرق القليل من الغنائم من القراصنة اللايسينيين، وحين عدتُ كان يورون قد رحلَ وماتت زوجتك الجديدة».

- «كانت مجرد زوجةٍ ملحيّة». إنه لم يمَسَّ امرأةً أخرى منذ أعطى سراطين البحر إياها. عليّ أن أتخذ زوجةً حين أتوجُّ ملكًا، زوجةً حقيقيةً تكون ملكتي وتحمل لي أبنائي. يجب أن يكون للملك وريث.

قالت آشا: «أبي رفض أن يتكلّم عنها».

ردّ: «لا ينفع المرء الكلام عن أشياء لا يستطيع أحد تغييرها»، واستطرَد وقد سئم من الموضوع: «رأيتُ سفينة القارئ».

- «إخراجه من (برج الكتب) تطلّب سحري كلّه».

آل هارلو يؤيّدونها إذن. ازدادَ وجه فيكتاريون عبوسًا، وقال: «لا أمل لك في الحُكم. إنكِ امرأة».

ضحكةٌ قالت آشا: «ألهذا أخسرُّ دومًا في مسابقات التّبؤل؟»، ثم إنها أردفت: «عمّي، يُؤسفني أن أقولها، لكن ربما تكون مصيبًا. منذ أربعة أيام وأربع ليالٍ وأنا أشربُ مع الرّبّانة والملوك وأصغي لما يقولونه... وما لا يقولونه. إن رجالي معي، وكثيرين من آل هارلو، ومعني تريس بوتلي أيضًا وبعض الآخرين. لا يكفون»، وركلتُ صخرةً وطيرتها لتسقط في الماء بين سفينتين طويلتين، وأضافت: «أفكّر في أن أهتف باسم عمّي».

سألها: «باسم أيّ عم؟ إن لك ثلاثة».

- «ثلاثة أعمام وخال. اسمعني يا عمّاه. سأضعُ تاج الخشب المجروف على رأسك بنفسي... إذا وافقت على مشاركة الحُكم».

- «مشاركة الحُكم؟ كيف؟». المرأة لا تقول كلامًا معقولًا. هل تُريد أن تكون ملكتي؟ وجد فيكتاريون نفسه ينظر إلى آشا بطريقةٍ جديدة تمامًا، وأحسّ بذكره يتحرّك، فذكّر نفسه قائلاً: إنها ابنة بالون، وتذكرها وهي فتاة

صغيرة ترمي الفؤوس على باب. عقد ذراعيه على صدره، وقال: «لا مكان على كُرسي حجر اليم إلا لواحد».

- «فليجلس عَمِّي عليه إذن، وسأقف وراءك أحمي ظَهْرُك وأهمسُ في أذُنك. لا ملك يستطيع أن يَحْكُم وحده. حتى عندما جلسَ التَّنانين على العرش الحديدي كان هناك مَنْ يُساعدونهم، أيادي الملوك. دعني أكون يدك يا عمّاه».

لم يَحْتَج ملك للجُزر إلى يدٍ في تاريخها كلّه، ناهيك بكون ذلك اليد امرأة. سيسخر مني الرِّبّانة والملوك وهم يشربون. «لماذا ترغيبين في أن تكوني يدي؟».

- «لنضع نهايةً لهذه الحرب قبل أن تضع نهايتنا. لقد كسبنا كل ما يُمكننا أن نكسبه... ومعرّضون لأن نخسر كل شيءٍ بالسرعة نفسها ما لم نعقد صلحًا. لقد أريتُ الليدي جلوفر كل كياسةٍ ممكنة، وتقسّم أن سيدها سيتفاوض معي. تقول إنه إذا رددنا (ربوة الغابة) و(مربع تورين) و(خندق كايلن) فسيتنازل لنا الشماليون عن (رأس التنين البحري) و(الساحل الحجري) بأكمله. تلك الأراضي معمورة بقليل من السُّكّان، لكنها تفوق مساحة الجُزر مجتمعة عشر مرّات. سنبرم الصّفقة بتبادل الأُسرى، وسيوافق كل طرفٍ على التحالف مع الثاني إذا ما قرّر العرش الحديدي...».

قاطعها فيكتاريون مقهقها، وقال: «الليدي جلوفر هذه تستحمقك يا ابنة أخي. (رأس التنين البحري) و(الساحل الحجري) لنا بالفعل، فلم نردُّ أي شيء؟ (ويتترفل) احترقت وتهدّمت، والدُّب الصّغير تحت الأرض بلا رأس. سوف ننال الشّمال كلّه كما كان أبوك يحلم».

- «عندما تتعلّم الشّفن الطّويلة الإبحار وسط الأشجار ربما. قد يعلق خُطّاف صيادٍ بلويائان رمادي، لكن اللّويائان سيجرّهُ إلى موته في الأعماق ما لم يقطع الحبل. الشّمال أوسع من أن نستطيع السّيطرة عليه، ومليء للغاية بالشّماليين».

قال فيكتاريون: «عودي إلى دُماك يا ابنة أخي، واتركي ربح الحروب للمُحاربين»، وأراها قبضتته مردفاً: «إن لي يدين. لا أحد يحتاج إلى ثلاث».

- «لكنني أعرفُ رجلاً يحتاج إلى عائلة هارلو».

- «هوئو الأحدب عرض عليّ ابنته لتكون الملكة. إذا قبلتها فسأحظى بعائلة هارلو».

أدهش قوله آشا التي قالت: «اللورد رودريك يحكم عائلة هارلو».  
- «رودريك ليس عنده بنات وإنما الكتب فقط. هوئو سيكون خليفته، وسأكون الملك». ما إن قالها بصوت عالٍ حتى بدا وقعها واقعياً. «عين الغراب غاب طويلاً جداً».

قالت آشا منذرةً: «بعض الرجال يبدو أكبر من حجمه الحقيقي من بُعد. امش بين بؤر النار إذا جرئت وأنصت. إنهم لا يحكون ويتحكون عن قوتك أو جمالي الشهير، بل يتكلمون عن عين الغراب فحسب، البلاد البعيدة التي رآها والنساء اللاتي اغتصبهن والرجال الذين قتلهم والمدائن التي نهبها، وكيف أحرقت أسطول اللورد تاويين في (لانسهورت)...».  
قال بإصرار: «أنا أحرقت أسطول الأسد. بيدي هاتين ألقى المشعل الأول على سفينته الأم».

قالت آشا: «عين الغراب هو من وضع الخطّة»، ووضعت يدها على ذراع مضيئة: «وقتل زوجتك أيضاً... أليس كذلك؟».  
كان بالون قد أمرهم بعدم الإتيان على ذكر تلك المسألة، لكن بالون مات. «لقد وضع طفلاً في بطنها وجعلني أقتلها بنفسي. كنت لأقتله أيضاً لولا أن بالون رفض قتل الأقربين تحت سقفه رفضاً قاطعاً، ونفى يورون بلا عودة...».

- «... ما دام بالون حياً؟».

رمق فيكتاريون قبضتيه قائلاً: «لقد ركبت لي قرنين. لم أملك خياراً». لو افتضح الأمر لضحك الناس مني، كما ضحك عين الغراب حين واجهته وقال متبجحاً: «لقد آتني مبتلةً راغبة. يبدو أن فيكتاريون كبير في كل شيء باستثناء الجزء المهم». لكنه لم يستطع أن يبوح لها بذلك.

قالت آشا: «أسفة لما جرى لك، وأكثر أسفاً لما جرى لها... لكنك لا تترك لي اختياراً إلا المطالبة بكرسي حجر اليم لنفسني».  
لا يمكنك. «حياتك ملكك، فبدديها كما شئت يا امرأة».  
ردت: «هي كذلك»، وتركته.



## الغريق

فقط حينما خدَّرَ البرد ذراعيه وساقيه تمامًا عادَ آرون جرايچوي أدراجه إلى الشاطئ وارتدى ثيابه.

لقد فرَّ من عين الغراب كأنه لا يزال ذلك الشيء الضَّعيف الذي كانه، لكن حين تكسَّرت الأمواج فوق رأسه ذكَّرتَه بأن ذلك الرَّجل مات. وُلِدَتْ ثانيةً من البحر، رجلاً أقوى وأصلب. لا فاني يُخيفه، ولا الظَّلام يُخيفه، ولا عظام روحه، تلك العظام الرَّماديَّة العجوز. صوت بابٍ يفتح، وصرخة مفصَّلةٍ حديديةً صدئة.

طقطقَ رداؤه إذ سحبه على جسده والملح لا يزال يُيسِّسه منذ غسله آخر مرَّة قبل أسبوعين، والتصقَ النَّسيجُ بصدرة المبتل متشرِّبًا الماء المالح الذي يسيل من شعره، ثم إن الرَّاهب ملأ قُربتَه وعلَّقها من كتفه.

بينما يقطع الشاطئ بخطواتٍ واسعة في الظَّلام عثرَ فيه رجل غارق عائِد من تلبية نداء الطَّبيعة، فتمتم: «ذو الشعر الرُّطب»، ووضع آرون يده على رأسه وباركه وواصلَ طريقه. بدأت الأرض ترتفع تحت قدميه، باعتدالٍ أولاً ثم بحدَّةٍ أكثر، ولَمَّا أحسَّ بالعُشب القصير بين أصابعه عرفَ أن الشاطئ أصبح وراءه الآن، وبتأنٍ صعِدَ مصغياً إلى الموج. البحر لا يكلُّ أبداً، ومثله يجب ألاَّ أكلُّ.

على قمَّة التَّلِّ ترتفع من الأرض أربع وأربعون ضلعاً حجريَّةً هائلة الحجم كجذوع أشجارٍ شاحبة ضخمة، وجعلَ منظرها نبض قلب آرون يتسارع. ناجا كانت تنيئة البحر الأولى، أعتى التَّنَّانين التي انشقت عنها الأمواج، وكانت تقنات بلحوم الكراكن واللُّويثانات وتُغرِقُ جُزراً كاملةً في خضمِّ ثورتها، إلَّا

أن الملك الأشيب قتلها وحول الإله الغريق عظامها إلى حجر كي لا يكفّ النَّاسُ عن التَّعَجُّبِ من شَجَاعَةِ الملوك الأوائل أبداً، وصارت ضلوع ناجا أعمدة وعوارض قاعته الطويلة، تماماً كما صار فكاًها عرشه. طيلة ألف عام وسبعة حكم هنا، وهنا اتخذ عروس البحر زوجة له وخطط لحروبه ضد إله العواصف، ومن هنا كان سيّداً على الملح والحجر، يرتدي ثياباً من طحالب البحر المجدولة ويعتمر تاجاً طويلاً شاحباً من أسنان ناجا.

لكن ذلك كان في فجر الزمان، حين كان جبابرة البشر ما زالوا يستوطنون البحر واليابسة. كانت تُدْفَى القاعة نيران ناجا الحية التي سخرها الملك الأشيب لخدمته، وعلى جدرانها تدلّت معلقات مجدولة من طحالب بحر فضيَّة تسرُّ الأعين، والتهم محاربو الملك الأشيب ولائم من فضل البحر على مائدة شكلها كنجمة بحر عظيمة، بينما يجلسون على عروش منحوتة من عرق اللؤلؤ. وراح المجد كله، راح. الآن البشر أضال وأعمارهم أقصر. أطفأ إله العواصف نيران ناجا بعد وفاة الملك الأشيب، وسرقت المقاعد والمعلقات، وتعنّفت السُّقوف والجدران وزالت، وحتى عرش الأناب العظيم الذي جلس عليه الملك الأشيب ابتلعه البحر، ولا يبقى إلا عظام ناجا لتُذَكَّرَ الحديديّين بالأعجوبة التي كانت.

قال آرون جرايچوي لنفسه: وهذا يكفي.

في قمّة التلّ تسع درجات منحوتة في الحجر، ومن ورائها تلوح تلال (ويك القديمة) العاصفة، وفي الخلفية البعيدة الجبال السوداء الموحشة. توقّف آرون حيث كانت البوابة في الماضي، وخلع سداة قربته وأخذ رشفة من الماء المالح، ثم التفت يواجه البحر. من البحر وُلدنا وإلى البحر نعود. حتى من هذا الارتفاع يسمع هدير الأمواج اللامتناهي ويشعر بقدرة الإله الكامن في الأعماق. ركع آرون على ركبتيه، وصلى: قد أرسلت إليّ قومك، تركوا منازلهم وأكواخهم وقلاعهم وحصونهم وأتوا هنا إلى عظام ناجا، من كل قرية صيد وكلّ وإد خفي، فامنحهم في هذه السّاعة الحكمة ليعرفوا الملك الحقّ حين يقف أمامهم، والقوّة لينبذوا الباطل. ظلّ يُصَلِّي طيلة الليل، فعندما يحل فيه الإله لا يحتاج آرون جرايچوي إلى النوم، تماماً كما لا يحتاج إليه الموج أو السمك في البحر.

أزجت الرِّيح السَّحاب القاتم بينما تسَلَّت خيوط الصَّوء الأولى إلى العالم. استحالت السَّماء من الأسود إلى رماديٍّ صخر الأردواز، وتحول سواد البحر إلى أخضر رمادي، واصطبغت جبال (ويك القديمة) السَّوداء عبر الخليج بدرجات الأخضر المزرق كأشجار الصَّنوبر الجُندي. مع عودة الألوان على استحياءٍ إلى الدُّنيا ارتفعت مئة راية خفاقة، ورأى آرون سمكة بوتلي الفضيَّة وقمر وينش الدَّامي وأشجار أوركوود الخضراء الدَّاكنة، علاوةً على أبواق الحرب واللويثانات والمناجل، وفي كلِّ مكانٍ الكراكن الذهبيَّة العظيمة. تحت الرِّايات بدأ الأقتان والزَّوجات الملحيات يتحرَّكون في المكان، يُقَلَّبون الجمر الخامد ويُعيدونه إلى الحياة، ويُظَنُّون الأسماك لإفطار الرِّبابنة والملوك. مسَّ ضوء الفجر الشَّاطىء الحجري وشاهد الرَّاهب الرِّجال يقومون من نومهم مزيجين أعطيَّة من جلد الفقمت ويطلُّون قرن المزر الأول، فقال لهم في نفسه: اشربوا وارتوا، فعلينا اليوم أن نعمل عمل الإله.

كان البحر يتحرَّك أيضًا. تعاظمت الأمواج مع اشتداد الرِّيح دافعةً أعمدةً من الرِّذاذ تتكسَّر على أبدان السُّفن الطَّويلة، ففكر آرون: الإله الغريق يستيقظ. سمع صوته ينبعث من أعماق البحر قائلاً له: سأكون معك هنا اليوم يا خادمي القوي الأمين. لا كافر سيجلس على كرسي حجريّمي.

هناك تحت ضلوع ناجا المقوسة وجده رجاله الغرقى واقفاً باعتدالٍ وصرامةٍ وشعره الأسود الطَّويل يُرْفرف في الرِّيح. سأله روس: «هل حان الوقت؟»، فأوماً آرون برأسه إيجاباً، وقال: «حان الوقت. اذهبوا وارفعوا أصوات الاستدعاء».

التقط الرِّجال الغرقى هراواتهم المصنوعة من الخشب المجروف وطفقوا يضربون بعضها ببعض وهم يُعادون نزول التل، وانضمَّ إليهم آخرون لتنتشر الضَّجَّة بطول الشَّاطىء، مزيج مخيف من الطَّقطة والقعقة كأن مئة شجرة تتلاطم بأغصانها. بدأت الطُّبول تدقُّ أيضًا، بوم-بوم-بوم-بوم-بوم-بوم-بوم-بوم-بوم-بوم-بوم-بوم-بوم-بوم، ودوى بوق حربي ثم آخر،

!!!!!!

ترك الرِّجال بُور النَّار ليشقوا طريقهم إلى (بهو الملك الأشيب)؛ ملَّاحون وموجَّهو دفَّة، صنَّاع أشرعة وسفانون، المُحاربون بفؤوسهم والصِّيادون

بشباكهم بعضهم معه أقنان وبعضهم معه زوجات ملحيّات، وغيرهم ممّن أبحروا أكثر من اللازم إلى الأراضي الخضراء رافقهم مايسترات ومغنون وفرسان، فيما تراحم العامّة مشكّلين هلالاً حول سفح التلّ، ونحو المؤخّرة وقف الأقنان والنساء والأطفال. سلك الرّبابنة والملوك المنحدرات صاعدين، ورأى آرون سيجفري ستونتري بوجهه البشوش وأندريك اللا مبتسم والفراس السير هاراس هارلو، واللورد بيلور بلاكتايد إلى جوار اللورد ستونهاوس في معطفٍ مهترئ من جلد الفقمات.

وقف أخوه فيكتاريون مجاوزاً الجميع طولاً باستثناء أندريك، ولئن لم يعتمر خوذته فقد ارتدى درعه كاملةً وتسربل بمعطف الكراكن الذهبي. سيكون ملكنا. من ذا الذي ينظرُ إليه ويخالجه الشكّ؟

حين رفع ذو الشّعر الرّطب يديه المعروقتين صمّت الطُّبول والأبواق وخفض الرّجال الغرقى هراواتهم وسكّت كل الأصوات. بهدوءٍ قال آرون أولاً كي يُرهفوا أسماعهم: «من البحر وُلدنا وإلى البحر نعود جميعاً. في غضبته انتزع إله العواصف بالون من قلّعته وأطاح به، لكنه الآن يأكل وليمةً تحت الأمواج في أبهاء الإله الغريق المائيّة»، ورفع عينيه إلى السّماء صائحاً: «مات بالون! مات الملك!».

ردّد رجاله الغرقى: «مات الملك!».

- «لكن عسى الميت ألا يموت أبداً، بل يُبعث من جديد أقوى وأصلب. سقط بالون، أخي بالون الذي برّ بالنهج القديم ودفع الثمن الحديدي. بالون الشُّجاع، بالون المبارك، بالون الغارق مرّتين، الذي استردّد لنا حرّيتنا وإلهنا. مات بالون... لكن ملكاً حديدياً سيأتينا ليجلس على كرسي حجر اليم ويحكّم الجُزر».

ردّوا: «سيأتينا ملك! سيأتينا ملك!».

بصوتٍ كرعد الأمواج قال آرون: «سيأتينا، لا بُدّ أن يأتي، لكن من هو؟ من سيجلس في مكان بالون؟ من سيحكّم هذه الجُزر المقدّسة؟ أهو بيننا الآن؟»، وبسط الرّاهب كفيه عن آخرهما مردفاً: «من سيكون ملكاً علينا؟».

ردّ عليه نورس صارخاً، وبدأ المحتشدون يتحرّكون في أماكنهم كأنهم يستيقظون من حلم، كل رجلٍ يتطلّع إلى جيرانه ليرى من منهم ثواتيه الجرأة

على المطالبة بالتاج. قال آرون ذو الشعر الرطب لنفسه: عين الغراب لم يكن صبوراً قط. ربما يتكلم أولاً. وإذا فعل فهي نهايته. لقد قطع الربانة والملوك طرقات طويلة من أجل هذه المأدبة، ولن يختاروا أول صنف يوضع أمامهم. سيرون أن يتدقوا ويعينوا، فزمة من هذا ولقمة من ذلك، إلى أن يجدوا أكثر من يناسبهم.

لكن لا بُدَّ أن يورون يعي هذا أيضاً، إذ وقفَ عاقداً ذراعيه على صدره وسط خرسه ووحوشه، ولم يُجب نداء آرون إلا الرّيح والموج. وبعد صمتٍ طال كرّر الرّاهب: «لا مناص من أن يكون للحديديين ملك. أسألکم ثانية، من سيكون ملكاً علينا؟».

أتى الجواب من أسفل: «أنا».

في الحال ارتفع هتاف «جيلبرت! جيلبرت ملكاً!» بأصواتٍ خشنة، وأفسح الربانة الطريق للمطالِب وأنصاره ليصعدوا التل ويقفوا إلى جوار آرون أسفل ضلوع ناجا.

هذا الذي يُريد أن يكون ملكاً لورد فارغ القامة مهزول الجسد، تبدو عليه سيماء الكآبة وله وجه طويل نحيل مخلوق بعناية. أخذ أنصاره الثلاثة أماكنهم أسفلهم بدرجتين حاملين سيفه وتُرسه ورايته، وقد بدا عليهم تشابه معين مع اللورد الطويل، فقدّر آرون أنهم أبناؤه. بسط أحدهم الرّاية التي تُصوّر سفينة طويلة سوداء أمام شمس غاربة، وقال اللورد لناخبي الملك: «أنا جيلبرت فارويند، سيّد (المنارة الوحيدة)».

يعرف آرون بعض آل فارويند، وهم قوم غرباء الأطوار يملكون أراضي على السواحل في أقصى غرب (ويك القديمة) والجزر الصغيرة المتفرقة وراءها، صخور صغيرة للغاية يتسع معظمها لأسرة واحدة فقط، و(المنارة الوحيدة) بعدها على الإطلاق، فلكي تبُلغها عليك الإبحار ثمانية أيام وسط مستعمرات الفقمات وسباع البحر في محيطٍ رمادي مترامي الأطراف. آل فارويند هناك أغرب أطواراً من البقية، ويُقال إنهم مخلوقات أئمة تُبدل هيأتها فتأخذ شكل سباع البحر والأففاظ<sup>(1)</sup>، وحتى الحيتان الرّقطاء التي تعدُّ ذئاب البحر المائج.

---

(1) الفظُّ حيوان بحري شبيه بالفقمة، يتميّز بشاربه الكثيف وفمه العريض الذي يخرج منه زوجان من الأنياب العاجية الحادة. (المترجم).

بدأ اللورد جيلبرت حديثه، فتكلّم عن أرضٍ عجيبة تقع وراء (بحر الغروب)، أرضٍ بلا شتاءٍ أو فاقة وليس للموت فيها من سلطان. صاح: «اجعلوني ملككم وسأقودكم إلى هناك. سنبنّي عشرة آلاف سفينة كما فعلت نايميريا ونبجر بشعبنا كله إلى تلك الأرض وراء مغرب الشمس، وهناك سيصير كل رجل ملكًا وكل زوجة ملكة».

عيناه... رأهما آرون تتغيّران، الآن رماديتان، الآن زرقاوان، متقلبتان كالبحر. عينا مجنوتتان، عينا أحمق. لا ريب أن الرؤيا التي يتكلّم عنها شرك نصبه إله العواصف ليستدرج الحديديين إلى دمارهم. تضمّنت الهبات التي سكبها رجال اللورد جيلبرت من الصناديق أمام ناخبي الملك جلود فقمت وأنياب أفضاظ وحلقات أذرع من عظام الحيتان وأبواقاً حربيّة مطعّمة بالبرونز، وقد تطلّع الرّابنة إليها ثم أشاحوا بأنظارهم تاركين الرّجال الأدنى شأنًا ينتقون ما يُريدون. حين فرغ الأحمق من الكلام وبدأ أنصاره يهتفون باسمه لم يُسمع صوت إلا لآل فارويند، وليس جميعهم كذلك، وسرعان ما خفت هتاف «جيلبرت! جيلبرت ملكًا!» حتى صمت.

صرخ النّورس بإزعاج من فوقهم وخطّ فوق أحد ضلوع ناجا بينما عاد سيّد (المنارة الوحيدة) ينزل التّل، وتقدّم آرون ذو الشعر الرّطب، وقال: «ثانيّة أسألكم، من سيكون ملكًا علينا؟».

دوّى صوت عميق معلنا: «أنا»، ومرةً أخرى أفسح المتزاحمون الطّريق. حُمِل المتكلّم إلى قمّة التّل على مقعدٍ منقوش من الخشب المجروف فوق أكتاف أحفاده. رجل ضخم متهالك يبلغ أربعمئة رطل وزنًا ويُنَاهز التّسعين عمّرًا ويرتدي معطفًا من جلد الفقمت الأبيض، شعره ناصع البياض أيضًا، ولحيته المديدة تُغطّيها كأنها دثار من خديه إلى فخذه مصعّبة التّمييز بينها وبين المعطف، وعلى الرغم من أن أحفاده ضخام أقيواء البنية فقد ناضلوا لاحتمال وزنه على الدّرجات الحجريّة المنحدرة قبل أن يضعوه أمام (بهو الملك الأشيب)، وظلّ ثلاثة منه واقفين أدناه باعتبارهم أنصاره.

فكّر آرون: قبل ستين عامًا كان النّاخبون لينحازوا إلى هذا الرّجل، لكن الدّهر عفا عليه.

هدر الرّجل من حيث يجلس بصوتٍ يُعادل بدنه ضخامة: «نعم، أنا! ولم

لا؟ ومن أفضل؟ أنا إريك آيرونميكرو إذا كان العميان لا يرون، إريك العادل، إريك محطّم السنّادين. أرهم مطرقتي يا ثورمور». رفعها أحد أنصاره ليراها الجميع بحجمها الهائل، مقبضها ملفوف بالجلد القديم ورأسها قالب من الفولاذ بحجم رغيف الخُبز. قال إريك: «لا أستطيع أن أحصي كم يدًا حوّلتها إلى عجّين بهذه المطرقة، ولكن ربما تجدون لَصًا ما يُخبركم. ولا أدري كم رأسًا سحقْتُ على سنّادني كذلك، لكن هناك أرامل يُمكنهن أن يقلن لكم. أستطيع أن أحكي لكم عن كلِّ مآثري في المعارك، لكنني في الثامنة والثمانين ولن أعيش حتى أفرغ. إذا كانت الشَّيخوخة تعني الحكمة فليس هناك من هو أكثر حكمة مني، وإذا كانت الضَّخامة تعني القوَّة فلن تجدوا من هو أقوى مني. هل تُريدون ملكًا له ورثة؟ إن عندي منهم أكثر مما يُمكنني أن أحصي. الملك إريك، نعم، يروني وقعها. هلمُّوا، قولوها معي. إريك! إريك محطّم السنّادين! إريك ملكًا!».

وإذ رفع أحفاده أصواتهم بالهتاف تقدّم أبناؤهم بصناديق على أكتافهم، وحين قلبوها عند قاعدة الدَّرجات الحجريَّة انهمرَ وابل من الفضة والبرونز والفولاذ؛ حلقات أذُرع وأطواق وسكاكين وخناجر وفؤوس. اختطفَ بعض الرِّبابة صفوة القُطع وأضافوا أصواتهم إلى الهتاف المتزايد، لكنه لم يكذب يدًا يتفاقم حتى شقَّه صوت امرأةٍ صائحًا: «إريك!». أفسح لها الرِّجال الطَّريق لتمرَّ، ويقدم واحدة على الدَّرجة الأدنى قالت: «إريك، انهض».

ساد الصُّمت. استمرت الرِّيح في الهبوب والموج في الانكسار على السَّاحل وراحَ بعض الرِّجال يُهمهم في آذان بعض، وحدّق إريك آيرونميكرو الحديد من أعلى إلى آشا جرابجوي قائلاً: «أيتها الفتاة، أيتها الفتاة الملعونة ثلاثًا، ماذا قلتِ؟».

صاحت: «انهض، انهض يا إريك وسأهتفُ باسمك مع البقيَّة، انهض وسأكون أول من يتبعك. تُريد التَّاج، نعم، فانهض وخُذه». في مكانه في الرِّحام ضحك عین الغراب، فحملقَ إريك إليه عابسًا. أطبقَ الرِّجل الكبير بإحكام على ذراعي عرش الخشب المجروف، واحمرَّ وجهه ثم اسودَّ، وارتجفت دُراعاه من المجهود، ورأى آرون عِرْقًا أزرق ثخينًا ينبض

في عنقه بينما يكافح للنهوض . للحظة بدا كأنه علي وشك أن يفعلها، لكن قواه كلها خارت دُفعةً واحدةً وأطلقَ أنيباً وعادَ ينحط على وسادته .  
طأطأ الرَّجل الكبير رأسه وهرمَ في غمضة عين، وحمله أحفاده نازلين به التَّل .

من جديد صاحَ آرون ذو الشعر الرُّطب: «مَن سيحكُم حديديّ الميلاد؟ مَن سيكون ملكًا علينا؟» .

تطلعَ بعض الرُّجال إلى بعض، بعضهم إلى يورون وبعضهم إلى فيكتاريون وبعضهم إلى آشا، وتكسّرت الأمواج خضراء وبيضاء على أبدان السفن الطويلة وصاحَ النُّورس مرّةً أخرى، صرخته كثيية خشنة .  
نادى ابن مرلين: «اطرح دعواك يا فيكتاريون، دعنا نقرُغ من هذه المهزلة» .  
ردَّ فيكتاريون النداء: «حين أستعدُّ» .  
سرَّ هذا آرون . الأفضل أن ينتظر .

التَّالي كان ابن دروم، عجوز آخر وإن كان لا يُداني إريك في هرمة، فصعدَ التَّل على ساقيه وقد استقرَّ على وَرَكَه سيفه الشَّهير (المطر الأحمر) المطرَّق من الفولاذ الثَّاليري في أيام ما قبل الهلاك . أنصاره رجال مرموقون، فابناه دينس ودونل مقاتلان قويَّان، وبينهما أندريك اللامبتسم، الرَّجل العملاق ذو الذَّراعين الغليظتين كجذوع الأشجار، الذي يعدُّ تأييد رجلٍ مثله بشير خير لابن دروم .

بدأ دروم حُطْبته قائلاً: «مكتوبٌ أين أن ملكنا يجب أن يكون كراكن؟ ما أحقيّة (بايك) في حُكمننا؟ (ويك الكُبرى) أكبر الجُزر، و(هارلو) أغناها، و(ويك القديمة) أقدسها . حين التهمت نار التَّنّانين الحُطَّ الأسود من العائلة ولّى الحديدِيُّون فيكون جرابچوي عليهم، نعم... لكن باعتباره لورد لا ملكًا» .  
بداية موفّقة . سمعَ آرون صيحات تأييد، لكنها خفّت عندما بدأ الرَّجل يحكي عن أمجاد آل دروم، فتكلّم عن دايل المُرعب ورورين المُغير والأبناء المئة الذين أنجبهم جورموند دروم الأب العجوز، واستلَّ (المطر الأحمر) وحكى لهم كيف أخذَه هيلمار دروم الماكر من فارسٍ مدرِّع بعقله وهرأوة خشبيّة لا أكثر، وتكلّم عن سُفن ضاعَت منذ زمن ومعارك نُسيّت من ثمانمئة عام، وبدأ الجمهور يُصاب بالضَّجر . تكلّم وتكلّم، ثم إنه تكلّم أكثر .



ولمَّا فُتِحَتْ صناديق دروم رأى الرَّبَّابنة هدايا الصَّنيين التي أتاهم بها، وقال ذو الشَّعر الرُّطب لنفسه: لا أحد اشترى عرشًا بالبرونز قطَّ. وصارت حقيقة هذا جليَّةً للأسماع إذ خفَّتْ هتافات «دروم! دروم! دروم! دروم! دروم! دروم! دروم!» وصمَّتْ.

أحسَّ آرون بمعدته تتلبَّك، وخيَّلَ إليه أن الموج يتلاطم بهدير أصخب من قبل، ففكَّر: الآن، حانَ الوقت لأن يطرح فيكتاريون دعواه. مرَّةً أخرى صاح الرَّاهب: «مَنْ سيكون ملكًا علينا؟»، لكن هذه المرَّة وقعت عيناه السُّوداوان الثَّاقبتان على أخيه في الزُّحام، وأضاف: «تسعة أبناء وُلِدوا من صُلب كويلون جرايچوي، أحدهم أقوى من سائرهم ولا يعرف الخوف».

قابل فيكتاريون نظره وأومأ إيجابًا، وعندما بلغ القمَّة قال: «باركني يا أخي»، وركَع وحنى رأسه، فخلع آرون سداة قِربته وصَبَّ خيطًا من ماء البحر على جبهة أخيه، ثم قال الرَّاهب: «ما مات لا يُمكن أن يموت أبدًا»، ورَدَّ فيكتاريون: «بل يُبعث من جديد أقوى وأصلب».

حين قام فيكتاريون ارتصَّ أنصاره على درجَّة أدنى منه؛ رالف الأعرج ورالف ستونهاوس الأحمر ونيوت الحلاق، وكلُّهم مُحاربون ذائعو الصِّيت. رفع ستونهاوس راية جرايچوي، الكراكن الذَّهبي على خلفيَّة سوداء كبحر منتصف اللَّيل، وما إن رفرقت حتى بدأ الرَّبَّابنة والملك يهتفون باسم حضرة الرُّبان القائد، فانظر فيكتاريون حتى سكتوا، ثم قال: «كلُّكم تعرفونني. إذا كنتم تُريدون الكلام المعسول فتطلَّعوا إلى أحدٍ غيري. إنني لا أتمتَّع بلسان المغنين، بل بفأس، وبهاتين»، ورفع لهم يديه الصَّخمتين المقفزتين بالحلقات المعدنية، ورفع نيوت الحلاق فأسه الفولاذية المخيفة. تابع فيكتاريون: «كنتُ أحمًا مخلصًا. عندما تزوج بالون أرسلني أنا إلى (هارلو) لآتي بعروسه، وقدتُ سفنه الطويلة في معارك عديدة ولم أخسر إلَّا واحدة. أول مرَّة اعتمرتُ بالون تاجًا أبحرتُ أنا إلى (لانسپورت) لأحرق ذيل الأسد، وفي المرَّة الثَّانية أرسلني أنا لأسلخ الذئب الصَّغير إذا ما قرَّر أن يعود عاويًا إلى وطنه. كل ما ستنالونه مني هو المزيد مما نلتُم من بالون، وهذا كل ما عندي».

بختام كلامه بدأ أنصاره يصيحون: «فيكتاريون! فيكتاريون! فيكتاريون ملكًا»، وفي الأسفل سكَبَ رجاله محتويات صناديقه في شلالٍ من الفضة

والذهب والجواهر، ثروة من الغنائم تسابق الرِّبَابنة للاستيلاء على أفضلها بينما يهتفون: «فيكتاريون! فيكتاريون! فيكتاريون ملكًا!».  
راقبَ آرون عين الغُراب متسائلًا في نفسه: هل سينتلكم الآن أم يترك الانتخاب ينتهي؟

كان أوركوود سيّد (أوركمونت) يهمس في أذن يورون بشيء ما.  
على أن يورون ليس من وضع نهاية للهِتاف، وإنما المرأة. وضعت آشا إصبعين في فمها وأطلقت صفيرًا حادًا صاحبًا شقَّ الهرج والمرج كما يشقُّ السكّين قالبًا من الزُبدة، ثم صاحت: «عمّاه! عمّاه!»، وانحنت تختطف طوقًا ذهبيًا ملتويًا وأسرعت تصعد الدَّرجات. أطبق نيوت على ذراعها، ولجزء من لحظة راودَ آرون الأمل في أن ينجح أنصار أخيه في إسكاتها، إلا أن آشا انتزعت ذراعها من الحلاق وقالت شيئًا لـرالف الأحمر جعله يُفسح لها الطريق، وإذ تجاوزته صمت التَّهليل. إنها ابنة بالون جرايچوي، والناس راغبون في سماعها.

قالت آشا لفيكتاريون: «لطف منك أن تجلب تلك الهدايا لانتخاب الملكة يا عمّي، لكن ليس هناك ما يدعوك إلى تدرّيع نفسك لهذه الدَّرجة. أعدُ بأني لن أؤذيك»، والتفتت تُواجه الرِّبَابنة متابعة: «لا أحد أشجع من عمّي، ولا أحد أقوى، ولا أحد أضرى في القتال، ويُمكنه أيضًا أن يعدَّ إلى عشرة أسرع من أيِّ أحد. لقد رأيته يفعل هذا... ولو أنه يضطرُّ إلى خلع حدائه عندما يعدُّ إلى عشرين». جعلهم قولها هذا يضحكون. «لكنه بلا أبناء، وزوجاته يمتن. عين الغُراب أكبر منه ودعواه أقوى...».

زَعق الملاح الأحمر من أسفل: «نعم!».

- «آه، لكن دعواي أقوى وأقوى»، ووضعت آشا الطوق على رأسها بزواية عابثة ليلتمع الذهب في شعرها الدّاكن، وأردفت: «لا يجوز أن يسبق أخو بالون ابن بالون!».

صاح رالف الأعرج: «أبناء بالون ماتوا ولا أرى إلا ابنته الصَّغيرة!».  
رددت آشا: «ابنته؟»، ودست يدها في سُترتها الجلديّة قائلّة: «أوهو! ما هذا؟ هل أريكم؟ بعضكم لم يرَ واحدًا منذ فُطِمتم»، وضحكت مواصلة: «وجود ثديين على ملكٍ شيء شنيع، أهذا ما تقوله؟ رالف، إنك على حق،

أنا امرأة... ولو أنني لستُ امرأةً عجوزًا مثلك. رالف الأعرج... ألا يُفترَض أن يكون اسمك رالف الرَّخو؟»، وسحبتُ أشأ خنجرًا من بين ثدييها رفعتَه معلنةً: «إنني أم أيضًا، وهذا ابني الرضيع! وها هم أولاء أنصاري!». تقدّموا متجاوزين أنصار فيكتاريون الثلاثة ووقفوا أسفلها؛ كارل البكر وتريستيفر بوتلي والفارس السير هاراس هارلو الذي لا يقل سيفه (غروب) شهرةً عن (المطر الأحمر) سيف دنستان دروم. «عمي قال إنكم تعرفونه. إنكم تعرفونني أيضًا...».

صاح أحدهم: «أريدُ أن أعرفك أفضل!».

ردّت أشأ: «عد إلى بيتك واعرف زوجتك»، ثم إنها استدركت: «يقول عمي إنه سيُعطيكم المزيد مما أعطاكم أبي. طيب، وماذا كان هذا؟ سيقول البعض الذهب والمجد، الحرّية الثمينة. نعم، بالفعل، هذا ما أعطانا إياه... والأرامل أيضًا كما سيقول لكم اللورد بلاكتايد. كم منكم احترقَ بيته حين أتى روبرت؟ كم منكم اغتصبت ابنته وانتَهك عرضها؟ القرى المحروقة والقلاع المتهدّمة، هذا ما نلتّموه من أبي، نلتّم الهزيمة. عمي سيُعطيكم المزيد، أمّا أنا فلا».

سألها لوكاس كود: «وماذا ستُعطينا أنت؟ الحياكة؟».

أجابت: «أجل يا لوكاس، سأحيكُ لنا مملكةً»، وتقاذفت خنجرها من يدها إلى يده مردفةً: «علينا أن نتعلّم درسًا من الذئب الصّغير الذي انتصرَ في كلِّ معركة... وخسرَ كلَّ شيء».

قال فيكتاريون باستهجان: «الذئب ليس كراكين. ما يُطبّق عليه الكراكين لا يُفِلّته أبدًا، سواء أكان سفينةً طويلةً أم لويثان».

- «وعلامٌ يُطبّق يا عمّاه؟ الشّمال؟ وما الشّمال إلّا فراسخ وفراسخ من الفراسخ والفراسخ بعيدًا عن صوت البحر؟ لقد استولينا على (خندق كايلىن) و(ربوة الغابة) و(مربع تورين)، بل وعلى (ويترفل) ذاتها، فماذا جنينا؟»، وأشارتُ أشأ فتقدّم رجالها من طاقم (الريّح السّوداء) حاملين صناديق من البلوط والحديد، وقالت بينما سُكبت محتويات أولها: «أقدّم لكم ثروة (السّاحل الحجري)»، وانهمرَ سيل من الحصى على الدّرجات، حصى رمادي وأسود وأبيض صقلته مياه البحر. قالت والصندوق الثاني يُفّتح: «أقدّم

لكم ثروات (ربوة الغابة)، وتدفقت أكواز الصنوبر لتتدحرج وترتطم بأجساد المتزاحمين. قالت: «وأخيراً أقدم لكم ذهب (وينترفل)، ومن الصندوق الثالث سقطت ثمار اللفت الأصفر المستديرة الصلبة الكبيرة كراس رجل، وحطت وسط الحصى وأكواز الصنوبر. غرست أشا خنجرها في إحداها، وصاحت: «هارموند شارپ، ابنك هاراج مات في (وينترفل) من أجل هذا»، ونزعت النصل من الثمرة وألقتهإ إليه مضيضة: «أظن أن لك أبناء آخرين. إذا كنت ترغب في مبادلة حياتهم باللفت فاهتف باسم عمي!». سألتها هارموند: «وماذا لو هتفتُ باسمك؟».

أجابت أشا: «السلام، الأرض، النصر. سأعطيكم (رأس التنين البحري) و(الساحل الحجري)، تربة سوداء وأشجار طويلة وأحجار تكفي لأن يبني كل ابن صغير قاعة لنفسه. سنكسب الشماليين أيضًا... كأصدقاء يقفون معنا ضد العرش الحديدي. خياركم بسيط. توجوني في سبيل السلام والنصر أو توجوا عمي في سبيل المزيد من الحروب والهزائم»، ودست خنجرها في مكانه متسائلة: «ماذا تختارون أيها الحديديون؟».

زقق رودريك القارئ وقد كور يديه حول فمه: «النصر! النصر وآشا!». وردد اللورد بيلور بلاكتايد: «آشا! آشا ملكة!».

وانضم رجال طاقم آشا إلى الهتاف مرددين: «آشا! آشا! آشا ملكة!». دببوا على الأرض بأقدامهم وهزوا قبضاتهم في الهواء بينما أصغى ذو الشعر الرطب مذهولاً. تريد أن تدمر ما بناه أبوها! لكن تريستيفر بوتلي يهتف باسمها، ومعه كثر من آل هارلو وبعض آل جودبراذر واللورد مرلين ذو الوجهة المحققن، رجال أكثر مما كان الراهب ليتخيل... ومن أجل امرأة!

على أن آخرين لاذوا بالصمت أو راحوا يتمتمون لجيرانهم، وهدر رالف الأعرج: «لا لسلام الجبناء!»، ولوح رالف ستونهاوس الأحمر براءة جرايچوي مجمعاً: «فيكتاريون! فيكتاريون! فيكتاريون!». بدأ الرجال يتدافعون، وألقى أحدهم كوز صنوبر على رأس أشا، فلما انحنت تتفاداه سقطت تاجها المرتجل عن رأسها، وللحظات خيل إلى الراهب أنه واقف على قمة كتيب نمل عملاق، وعند قدميه ألف نملة نائرة. جاشت الهتافات باسمي آشا



كود الأعسر منه البوق الذي يتصاعد منه خيط رفيع من الدخان، أمّا من نفخ فيه فرأى الرَّاهب دمًا وقروحًا على شفثيه، وكان الطائر على صدره ينزف أيضًا.

صعدَ يورون جرايچوي التَّلَّ بتؤدَّةٍ وأعينُ الجميع عليه، وأعلاهم صرخَ النَّوس وصرخَ. فكَّرَ آرون: ليس لكافر أن يجلس على كُرسي حجر اليم، لكنه يعلم أن عليه أن يدع أخاه يتكلَّم، فتحرَّكت شفثاه بصلاةٍ صامتة.

انتحى أنصار آشا وفيكتاريون جانبًا، وتقهقر الرَّاهب خُطوةً وأسندَ يده إلى أحد أحجار ضلوع ناجا الخشنة. توقَّف عين الغراب على قَمَّة الدَّرجات أمام باب (بهو الملك الأشيب) ورمقَ الرَّبَّابنة والملوك بعينه الباسمة، لكن آرون شعر بعينه الأخرى أيضًا، العين التي يُخفيها.

قال يورون جرايچوي: «أيها الحديدُّون، قد سمعتم بوقي، والآن اسمعوا كلامي. أنا أخو بالون، أكبر أبناء كويلون الأحياء، في عروقي دماء اللورد فيكون ودماء الكراكين العجوز، لكنني أبحرتُ أبعد منهم جميعًا. كراكين حَيٌّ واحد لم يعرف الهزيمة قطُّ، واحد فقط لم يركع قطُّ، واحد فقط أبحرَ إلى (آشاي) عند (بلاد الظَّل) ورأى عجائب وأهوالًا تفوق الخيال...».

صاحَ كارل البكر نصير آشا ذو الوجه المتورَّد: «إذا كنت تحبُّ (بلاد الظَّل) كثيرًا هكذا فعُدَّ إليها».

تجاهلَه عين الغراب مستكملًا: «أخي الصَّغير يُريد أن يُنهي حرب بالون ويحوز الشَّمال، وابنة أخي العزيزة تُريد إعطاءنا السَّلام وأكواز الصَّنوبر»، والتوت شفثاة الزَّرقاوان في ابتسامة، وتابع: «آشا تُؤثر النَّصر على الهزيمة، وفيكتاريون يرغب في مملكةٍ وليس بضع ياردات تافهة من الأرض. مني ستالون الاثنين. تُسمُّونني عين الغراب. حسن، ومن بصره أثقب من الغراب؟ عقب كلِّ معركةٍ تأتي الغُربان بالمئات والآلاف وتلتهم وليمةً من لحم السَّاقطين. الغراب يُبصر الموت من بعيد، وأقول لكم الآن إن (وستروس) قاطبةٌ تُحتضَّر، ومن يتبعونني سيلتهمون الولاثم ما تبقى لهم من عُمر. إننا حديدُّو الميلاد، وفي ماضينا كنا غزاةً فاتحين، لنا سطوة على كلِّ حدبٍ وصوبٍ يُسمع فيه صوت الموج. أخي يُريدكم أن تفتنوا بالشَّمال البارد الكئيب، وابنة أخي بما هو أقلُّ... أمّا أنا فسأعطيكم (لانسپورت)

و(هايجاردن)، (الكرمة) و(البلدة القديمة)، أراضي النَّهر و(المرعى)،  
(غابة الملوك) و(الغابة المطيرة)، (دورن) وتُخومها، (جبال القمر) و(وادي  
آرن)، (تارث) و(الأعتاب). أقول لكم أن نأخذ كل شيء، أقول أن نأخذ  
(وستروس!)، ورمق الرَّاهب مضيئاً: «وكُلُّ هذا لأجل مجد إلهنا الغريق  
بالطَّبع».

لأقلَّ من لحظةٍ فتنت جسارة كلامه آرون. لقد حلم الرَّاهب الحُلم نفسه  
حين رأى المذنب الأحمر في السَّماء أول مرَّة. سنكتسح الأراضي الخضراء  
بالتَّار والسَّيف، نجتث آلهة السَّبتونات السَّبعة وأشجار الشَّمالين البيضاء...  
رفعت أشأ عقيرتها قائلةً: «هل تركت عقلك في (آشاي) يا عين الغراب؟  
إذا كنا لا نستطيع السَّيطرة على الشَّمال - ولسنا نستطيع - فكيف نظفر بكامل  
(الممالك السَّبع)؟».

- «سبق أن حدث هذا. ألم يُعلِّم بالون ابنته إلا القليل عن طبائع الحرب؟  
فِيكتاريون، ابنة أخينا لم تسمع بإجون الفاتح على ما يبدو».  
عقد فَيكتاريون ذراعيه على صدره المدرَّع متسائلاً: «إجون؟ وما صلة  
الفاتح بنا؟».

قالت آشأ: «أعرفُ الحرب مثلك تماماً يا عين الغراب. إجون تارجارين  
غزا (وستروس) بالتَّنانين».

ردَّ يورون جرايچوي: «كما سنغزوها نحن. البوق الذي سمعتموه  
وجدته وسط الأطلال الدَّاخنة التي كانت (فاليريا)، حيث لم يجرؤ أحد  
علي الدَّهاب إلَّا إي. لقد سمعتم صوته وشعرتم بقوَّته. إنه بوق تنانين، مطَّعم  
بالدَّهب الأحمر والفولاذ الفاليري المنقوشين بالتَّعاويد. كان سادة التَّنانين  
القُدَّامى يَنفُخون في أبواقٍ مشابهة قبل أن يلتهمهم الهلاك، وبهذا البوق أيها  
الحديدِيُّون أستطيع أن أسخِّر التَّنانين لإرادتي».

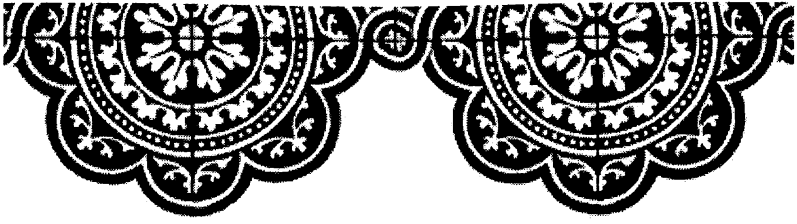
أطلقت آشأ ضحكةً عاليةً، وقالت: «ستجد نفعاً أكثر في بوقٍ يُسخِّر الماعز  
لإرادتك يا عين الغراب. لم تُعد هناك تنانين».

- «مرَّةً أخرى تُخطئين يا فتاة. هناك ثلاثة، وأعرفُ أين أجدها. مؤكَّد أن  
هذا يستأهل تاجاً من الخشب المجروف».  
صاح لوكاس كود الأعسر: «يورون!».

وهتف المَلَّاحُ الأحمر: «يورون! عين الغُراب! يورون!». فتَحَ الخُرس والهجان من طاقم (الصَّمت) صناديق يورون وسكبوا هداياه أمام الرِّبابة والملوك، ثم سمعَ الرَّاهِب صوت هوثو هارلو يهتف إذ ملأَ يديه بالذهب، وهتفَ جورولد جودبراذر أيضًا، وإريك محطَّم السَّنادين. «يورون! يورون! يورون!». استحالَ الهتاف إلى هدير. «يورون! يورون! عين الغُراب! يورون ملكًا!». زلزلَ (تل ناجا) كأنَّ إله العواصف يرُجُّ السَّحاب. «يورون! يورون! يورون! يورون! يورون! يورون!».

حتى الرَّاهِب يُمكن أن تُخامرهُ الشُّكوك. بحثَ آرون ذو الشَّعر الرَّطب في أعماقه عن ربِّه ولم يكتشف إلا الصَّمت، وإذ هدرَ ألف صوتٍ باسم أخيه لم يستطع أن يسمع إلا صرخة مفصلةٍ حديديةٍ صدئة.





## بريان

شرق (بركة العذارى) ترتفع التلال الوعرة وتغلق عليهم أشجار الصنوبر كجيش جُنده خُضر رماديون صامتون.

قالَ ديك الرّشيق إن الطّريق السّاحلي الأقصر والأسهل، ولذا فنادرًا ما غابَ الخليج عن أنظارهم، وإذ مضوا تضاءلت مساحات البلدات والقُرى المطلّة على السّاحل وتزايدت المسافات بينها. عند الغروب يبحثون عن خانٍ يقضون فيه اللّيل، فينام كراب في الفراش المشترك مع غيره من المُسافرين، في حين تأخذ بريان عُرفَةً لها ولهودريك، وهو ما جعلَ ديك الرّشيق يقول لها: «أرخص أن ننام كلنا في فراشٍ واحد يا سيّدتي. يُمكنك أن تضعي سيفك بيننا. ديك العجوز شخص وديع وشهم كالفرسان، ولك أن تثقي بأمانته كما تثقين بطول النّهار».

علّقت بريان: «النّهار أصبح أقصر مما كان».

- «نعم، ربما. إذا كنتِ لا تثقين بوجودي في الفراش فيمكنني أن أنام على الأرض يا سيّدتي».

- «ليس على أرض عُرفتي».

- «قد يحسب المرء أنكِ لا تثقين بي إطلاقًا».

- «الثّقة تُكتسب، مثلها مثل الذهب».

قال كراب: «كما تقولين يا سيّدتي، لكن في الشّمال حيث ينتهي الطّريق سيكون عليك أن تثقي بديك. إذا أردتُ أن آخذ ذهبك بحدّ السّيف فمَن سيمنعني؟».

- «إنك لا تملك سيفًا، أمّا أنا فأملكُ».

أغلقت الباب بينهما ووقفت تُصغي حتى تأكدت من ابتعاده. مهما كان رشيقيًا فديك كراب ليس چايمي لانستر أو الفأر المجنون، ولا حتى همفري واجستاف. إنه مهزول سيئ التغذية، ودرعه الوحيدة خوذة قصيرة منبعجة مبرقشة بالصدأ، وبدلاً من السيف يحمل خنجرًا قديمًا تحرز نصله. ما دامت مستيقظة فإنه لا يُمثل خطرًا. قالت لهودريك: «سيأتي وقت لا نجد فيه خانًا يُؤوينا. إنني لا أثق بمرشدنا. عندما نُخيم هلاً سهرت عليّ وأنا نائمة؟».

قال: «أبقى مستيقظًا يا سيديتي، أيتها الفارس؟»، وفكر لحظة ثم أضاف: «إن معي سيفًا. إذا حاول كراب أن يؤذيك سأقتله».

ردت بصرامة: «لا، لا تُحاول أن تُقاتله. لا أطلب إلا أن تُراقبه وأنا نائمة وتوقظني إذا فعل شيئًا مريبًا. ستجدني أستيقظ بسرعة».

بانت حقيقة كراب في اليوم التالي عندما توقفوا لسقي الخيول. ذهبت بريان وراء بعض الشجيرات لتفرغ مثانتها، وبينما أفعت سمعت هودريك يقول: «ماذا تفعل؟ ابتعد عنه»، فأنهت ما تفعله ورفعت سراويلها وعادت إلى الطريق لتجد ديك الرشيقي يُنظف يديه من الطحين. أخبرته: «لن تجد تنانينَ في جراب السرج. إنني أحتفظُ بذهبي معي». بعضه في الجراب المعلق من حزامها، والباقي مخبأً في جيبين مخيطين داخل ثيابها، أما الصرة المنتفخة في جراب البنسات والجراوت والنجوم... والطحين الأبيض الناعم ليجعلها أكثر انتفاخًا. كانت قد اشترته من الطاهي في (السُيوف السبعة) صبيحة خروجها من (وادي الغسق).

قال نافضًا أصابعه الملوثة بالطحين ليُريها أنه لا يحمل سلاحًا: «ديك لم يقصد سوءًا يا سيديتي. كنتُ أنظرُ لأرى إن كانت معك التنانين التي وعدتني بها. العالم مليء بالكاذبين المتحفزين لسرقة الشرفاء. لا أعني أنك منهم طبعًا».

قالت بريان آملّة أنه يُجيد الإرشاد عن اللُصوصية: «الأفضل أن نستأنف طريقنا»، وعادت تمتطي فرسها.

تعود ديك الغناء وهم راكبون معًا، ولو أنه لا يُغني أغنية كاملة أبدًا وإنما مجرد مقطوعةٍ من هنا وبيتٍ من هناك، وقد ارتابت بريان في أنه يُريد أن

يخطب وُدَّها ومن ثمَّ تتخلَّى عن حذرِها. أحيانًا يُحاول أن يجعلها وپودريك يُعنيان معه ولكن بلا جدوى، فالصَّبي خجول للغاية ولسانه معقود، وپريان لا تُعني أبدًا. ذات مرَّة في (ريفررن) سألتها الليدي كاتلين: «أكنتِ تُعنين لأبيك؟ أكنتِ تُعنين لرنلي؟»، لكنها لم تُعن قطَّ حقًا، مع أنها أرادت... أرادت...

عندما لا يُعني ديك الرَّشيق فإنه يتكلَّم ويتحفهما بحكاياتٍ عن (الرَّأس المتصدِّع). يقول إن لكلِّ وادٍ موحش هناك سيِّده، ولا يوحِّد هؤلاء إلاَّ انعدام ثقتهم بالغرباء، ففي عروقهم تتدفق دماء البشِّر الأوائل قانية قويَّة. «الأنداليون حاولوا الاستيلاء على (الرَّأس المتصدِّع) فأرقتنا دماءهم في الوديان وأغرقتناهم في المستنقعات، لكن ما لم يستطع أبناءوهم الفوز به بالسيوف نالتة بناتهم بالقبلات. لقد صاهروا العائلات التي لم يستطيعوا إخضاعها، نعم».

حاول آل داركلين ملوك (وادي الغسق) فرض هيمنتهم على (الرَّأس المتصدِّع)، كما حاول آل موتون سادة (بركة العذارى) أيضًا، ولاحقًا آل سلتيجار سادة (جزيرة السَّراطين) المتغطرسون، لكن أهل (الرَّأس المتصدِّع) يعرفون مستنقعاتهم وغاباتهم أفضل من أيِّ غريب على الإطلاق، وإذا أرغموا فإنهم يختفون في المغارات المنتشرة في تلالهم، عندما لا يُقاتلون من يُحاولون غزوهم ينشغل بعضهم بقتال بعض، لأن ما بينهم من ثأرٍ وضغائن أعمق وأكثر سوادًا من المستنقعات بين تلالهم. من حين إلى آخرٍ ينجح بطل ما في إحلال السَّلام بالمنطقة، لكنه يدوم ما دام حيًّا لا أكثر. اللورد لوسيفر هاردي كان واحدًا من العُظماء، والأخوان برون أيضًا، وأعظم منهم كاسر العظام العجوز، لكن آل كراب أعظمهم كافيَّة، وما زال ديك يرفض أن يُصدِّق أن بريان لم تسمع بالسير كلارنس كراب ومناقبه.

قالت له: «ولم أكذب؟ كل مكانٍ له أبطاله المحليون. في ديارى يُعنون

عن السير جالادون المورني، الفارس المثالي».

ردَّ ساخرًا: «السير جالامن ماذا؟ لم أسمع به من قبل. ولم كان مثاليًا؟».

- «السير جالادون كان بطلًا شديد البسالة لدرجة أنه سلب (العذراء)

نفسها قلبها، فأنعمت عليه بسيفٍ مسحور دلالةً على حُبِّها. كان اسمه

(العذراء العادلة)، ولم يكن يُمكن لأيِّ سيفٍ تقليدي أن يصدِّ تلك العذراء

أو لأيِّ تُرسٍ أن يتحمَّل قبالتها. حمل السير جالادون (العذراء العادلة) بفخرٍ

لكنه لم يُجَرِّدها إلا ثلاث مرّات، إذ رفض أن يُقاتل بها رجلاً فانيًا لأن قوتها تجعل أيّ قتالٍ كهذا غير عادل».

وجد كراب حكايتها هزليّة للغاية، وقال: «الفارس المثالي؟ يبدو أنه كان الأحقّ المثالي. ما المغزى من حمل سيفٍ مسحورٍ إذا كان لا يستخدمه أبدًا؟».

أجابَت: «الشرف، المغزى هو الشرف».

جعله ردّها يُطلق ضحكةً أعلى ويقول: «كان السير كلارنس كراب ليمسح مؤخرته المشعرة بفارسكٍ المثالي يا سيّدي. لو التقيا لكان رأس إضافي موضوعًا الآن على الرُفوف في (قلعة الهمس) إذا طلبت رأيي، يقول للرؤوس الأخرى: كان عليّ أن أستخدم السيف المسحور، كان عليّ أن أستخدم السيف اللعين!».

لم تستطع بريان أن تمنع ابتسامتها، وقالت: «ربما، لكن السير جالادون لم يكن أحقّ. ضد غريم يبلغ ثمانية أقدام طولاً ويمتطي ثورًا بريًا كان ليُجرّد (العدراء العادلة). يقولون إنه قتل بها تينبًا ذات مرّة».

قال ديك الرّشيق دون أن يبدو عليه تأثر: «كاسر العظام العجوز قاتل تينبًا أيضًا لكنه لم يحتج إلى سيفٍ مسحور، بل اكتفى بربط عنقه على نفسه، وهكذا كلّمنا نفث النّار أحرق مؤخرته».

سألته بريان: «وماذا فعل كاسر العظام حين أتى إجون وأختاه؟».

رمقها كراب بنظرةٍ جانبيّةٍ مجيبيًا: «كان قد مات حينئذٍ. مؤكّد أن سيّدي تعلم هذا. إجون أرسل أخته إلى (الرأس المتصدّع)، تلك المسمّاة فيزينا. كان اللوردات قد سمعوا بنهاية هارن، ولأنهم ليسوا حمقى فقد وضعوا سيوفهم عند قدميها، فأخذتهم الملكة رجالًا لها وقالت إنهم لن يدينوا بالولاء لـ(بركة العذارى) أو (جزيرة السّراطين) أو (وادي الغسق)، لكن هذا لم يمنع آل سلتيجار الملاعين من إرسال رجال إلى السّاحل الشّرقي لجني الصّرائب لسيّدهم. إذا أرسل عددًا كافيًا يعود إليه بعضهم... وفيما عدا ذلك فنحن لا ننحني إلا لسادتنا والملك، الملك الحقيقي وليس روبرت ومن هم على شاكلته»، وبصق قبل أن يتابع: «كان هناك رجال من آل كراب وبرون وبوجز مع الأمير ريجار في معركة (الثالوث)، وفي الحرس الملكي أيضًا. واحد من

آل هاردي، وواحد من آل كايث، وواحد من آل پابين، وثلاثة من آل كراب؛ كليمنت وروبرت وكلارنس القصير. كان طوله ستة أقدام، لكنه ما زال قصيرًا مقارنةً بالسير كلارنس الحقيقي. كلنا من رجال التين المخلصون في (الرأس المتصدع) ونواحيها».

استمرت حركة المسافرين في الانحسار مع توغُّلهم شمالاً وشرقاً، إلى أن لم تعد هناك خانات يقضون فيها الليل، وعندئذ كان طريق الخليج قد أصبح ممتلئاً بالحشائش أكثر من الحُفر. ليلتها أووا إلى قرية صيادين، ونقدت بريان القرويين القليل من العملات النحاسية ليسمحوا لهم بالمبيت في مخزن تبن. أخذت العلية لنفسها ولپودريك، وبعد صعودهما سحبت السُّلم، فنادى كراب من أسفل: «إذا تركتني هنا وحدي فيمكنني أن أسرق حصانكما بكل سهولة. الأفضل أن تأخذيهما إلى أعلى معك يا سيدي»، ولما تجاهلته واصل: «سَسْقُط المطر الليلة، مطر بارد غزير. أنت وپودز ستنامان مستريحين دافئين وديك العجوز المسكين سيبقى هنا يرتجف وحده»، وهز رأسه مهممًا إذ افترش كومة من التبن، وأضاف: «لم أعرف فتاة شكَّاكةٍ مثلك إطلاقًا».

تكورت بريان على نفسها تحت معطفها وإلى جوارها پودريك يتنأب، وقد أرادت أن تصيح في كراب بالأسفل قائلة: لم أكن حذرةً دائمًا. في صغري اعتقدت أن كل الرجال بُلاء كأبي. حتى الرجال الذين أخبروها كم هي جميلة، كم هي فارعة القامة وبهيّة وذكية، كم هي رشيقة عندما تُرفص. السبّية رويل هي التي رفعت العشاوة عن عينيها، وقالت لها: «لا يقولون تلك الأشياء إلا لينالوا رضا السيد والدك. ستجدين الحقيقة في مراتك وليس على ألسنة الرجال». درس قاس انهمرت له دموعها، إلا أنه أجدها النفع في (هارنهال) عندما لعب السير هايل وأصدقائه لعبتهم. حين بدأ المطر يهطل كانت تُفكر: على البنت أن تكون شكَّاكةً في هذا العالم وإلا لن تبقى بنتًا طويلًا.

في الالتحام الجماعي في (جسر العلقم) بحثت عمّن توَدَدوا إليها وأوسعتهم ضربًا واحدًا تلو الآخر؛ فارو وأمبروز وبوشي ومارك مالنذور ورايموند نايلاند وويل اللقلق، ودعست هاري سوير بحصانها وكسرت خوذة روبن پوتر وخلفت على وجهه ندبةً قبيحةً، ولما سقط آخرهم سلمتها

(الأم) كوننجتون، وهذه المرّة كان في يد السير رونيت سيف لا ورده، فكانت كل ضريبة هوت بها عليه أعذب من القبّلات. لوراس تايرل كان آخر من واجه غضبتها يومها، ولئن لم يكن ممّن غارّ لوها - بل وبالكاد نظر إليها أصلاً - فقد كانت على تُرسه ثلاث وردات ذهبية في ذلك اليوم، وبريان تمّقت الورد، فبثّ مجرد منظره فيها قوّة عاتية.

غابت في النوم حالمة بالقتال الذي دارَ بينهما، وبالسير چايمي يُبثّ معطف قوس قزح حول كتفيها.

تواصل نزول المطر في الصّباح التّالي، وبينما أفطروا اقترح ديك الرّشيق أن ينتظروا حتى يتوقّف، فقالت بريان: «ومتى سيتوقّف؟ غداً؟ بعد أسبوعين؟ عندما يحلّ الصّيف ثانية؟ لا، إن معنا معاطف، وأمامنا فراسخ طويلة نقطعها». انهزم المطر طيلة النّهار. سرعان ما استحال الدّرب الضّيق الذي يسلكونه إلى وحل من تحتهم، وما رآه من أشجار كان أجرد، وقد حوّل المطر الثّابت أوراقها السّاقطة إلى بساطٍ بنيّ مشبّع بالماء. على الرغم من بطانة معطف ديك المصنوعة من جلد السّناجب فقد تخلّله الماء، ورأت بريان الرّجل يرتجف فشرعت بالشفقة عليه لحظة. واضح أنه لم يأكل جيّدًا. تساءلت إن كان هناك وكر مهريّين أو أطلال اسمها (قلعة الهمس) حقًا. الجوعى يقترفون أفعالاً دافعها اليأس، وربما تكون هذه محاولةً للاحتيال عليها. قلبت الشكوك معدتها.

لفترةٍ بدا كأنّ جور المطر الثّابت هو الصّوت الوحيد في العالم. تقدّم ديك الرّشيق لا يلوي على شيء، وراقبته بريان من كُتب ملاحظة الطريقة التي يحني بها ظهره كأنّ ركوبه منكمشًا على نفسه هكذا سيقيه من البلل. هذه المرّة لم تكن هناك قرية قريبة عندما حلّ عليهم الظلام، ولا حتى شجر يحتمون به، فخيّموا مجبرّين وسط الصّخور على بُعد خمسين ياردةً فوق خطّ المد، لكن على الأقلّ ستحميهم الصّخور من الرّيح. قال لها كراب وهي تُعاني لإشعال النّار في خشبٍ مجروف: «الأفضل أن نسهر حراسةً اللّيلة يا سيّدتي. في مكانٍ كهذا قد يكون هناك هراسون».

رمقته بريان بريّة مردّدة: «هراسون؟».

فسّر ديك الرّشيق باستمتاع: «وحوش، يبدوون كالبشر إلى أن تقتربي منهم،

لكن رؤوسهم كبيرة للغاية ولهم حراشف بدلاً من الشعر عند البشر. لونهم أبيض كبطون السمك وبين أصابعهم شباك، وملمسهم رطب دوماً ورائحتهم ذفرة ووراء شفاههم الرخوة صفوف من الأسنان الحادة كالإبر. بعض الناس يقول إن البشر الأوائل قتلوهم جميعاً، لكن لا تُصدّق ذلك. إنهم يمشون على أقدام بين أصابعها شباك مصدرين أصوات هرس، ويأتون ليلاً ليختطفوا الأطفال سيئ الخلق، فيحتفظون بالفتيات ليتزاوجوا بهن، لكنهم يلتهمون الصبية ويمزقون لحمهم بتلك الأسنان الخضراء الحادة»، وأعطى بودريك ابتسامة عريضة مضيئاً: «يُمكنهم أن يأكلوك يا فتى، يُمكنهم أن يأكلوا لحمك نيئاً».

مسّ بودريك سيفه مجيباً: «سأقتلهم إذا حاولوا».

- «جرّب، لك أن تُجرّب. الهراسون لا يموتون بسهولة»، وغمز كراب لبريان متسائلاً: «هل كنت فتاة سيئة الخلق يا سيديتي؟».

- «لا». كنتُ حمقاء فحسب. وجدت بريان الخشب أكثر ابتلالاً من أن يشتعل مهما أصدر الفولاذ والصوّان من شرر. انبعث القليل من الدخان من الهشيم، لكن هذا كل شيء، فتخلّت عنه ممتعضة وأسندت ظهرها إلى صخرة وسحبّت معطفها على جسدها واستسلمت لقضاء ليلة باردة بليلة، ثم راحت تحلم بوجبة ساخنة وهي تقضم من شريحة من اللحم البقري المملح القاسي، بينما حكى ديك الرشيقي عن المرّة التي قاتل فيها السير كلارنس كراب ملك الهراسين. قالت لنفسها معترفة: حكاياته مسلية حقاً، لكن مارك مالندور كان مسلياً أيضاً بقرده الصّغير.

الأمطار أغزر من أن يروا الشمس تغيب والسّماء أكثر تلبّداً بالغيوم من أن يروا القمر يطلع، فحلّ عليهم الليل حالكاً بلا نجوم. نضبت الحكايات من كراب وخلد إلى النّوم، وسرعان ما بدأ بودريك يغط أيضاً، وظلّت بريان جالسة مسندة ظهرها إلى الصّخرة، تُصغي إلى الأمواج وتتساءل: أنتِ قريبة من البحر يا سانزا؟ أنتِ في (قلعة الهمس) تنتظرين سفينة لن تأتي أبداً؟ من معكِ؟ قال إنها رحلة لثلاثة. هل انضمّ العفريت إليك أنتِ والسير دونتوس أم أنكِ عثرت على أختك الصّغيرة؟

كان يومهم طويلاً وبريان متعبة، وحتى مع جلوسها وظهرها إلى الصّخرة والمطر يسقط بنعومةٍ حولها أحسّت بجفنيها يثقلان. مرّتين غفت، وفي المرّة

الثانية استيقظت فجأة وقلبها يدق بعنف وهي على قناعة بأن أحدهم كان يميل عليها. كانت أطرافها متخشبة وانعقد معطفها حول كاحليها، فركلته متملصة منه وقامت، لتجد ديك متكوراً على نفسه إلى جوار صخرة، مدفوناً في الرمال المبتلة الثقيلة ونائماً. كان حُلماً، مجرد حلم.

ربما أخطأت بتخليها عن السير كرايتون والسير إيليفر. لقد بدوا رجلين صادقين. فكرت: ليت چايمي أتى معي... لكن چايمي فارس في الحرس الملكي، ومكانه الواجب إلى جوار مليكه. ثم إن رنلي هو من تريد. أقسمت أن أحميه وأخفقت، ثم أقسمت على الانتقام له وأخفقت في هذا أيضاً، وفرت مع الليدي كاتلين لكنني خذلتها بدورها. تبدل اتجاه الريح، والآن يسيل المطر على وجهها.

في اليوم التالي اضمحل الطريق حتى صار كخيط رفيع من الحصى، وأخيراً أصبح هناك إبحاء فقط بوجود طريق، وقرب انتصاف النهار انتهى فجأة عند سفح جرف نحتته الريح. أعلى الجرف ترتفع قلعة عابسة فوق الأمواج، أبراجها الثلاثة المعوجة بارزة تحت السماء الغائمة. سألت بودريك: «أهذه هي (قلعة الهمس)؟».

ردّ كراب بحدّة: «هل تبدو لك كأطلال؟ إنها (عرين داير)، مقرّ اللورد برون. لكن الطريق ينتهي هنا. ليس هناك إلا غابات الصنوبر من الآن فصاعداً».

جاست بريان بنظرها في الجرف متسائلة: «كيف نصعد؟». أجاب ديك الرشيقي دائراً بحصانه: «بسهولة. ابقيا على مقربة من ديك الهراسون يجنحون إلى أحد المتلكئين».

اتضح أن الطريق إلى أعلى ممرّ حجري متحدّر متوارٍ داخل صدع في الصخر، معظمه طبيعي لكن هنا وهناك درجات منحوتة لتسهيل الصعود. أحاطت بهم من الجانبين جدران صخرية عمودية تآكلت على مرّ قرونٍ من عصف الريح ورذاذ الماء، وقد اتخذت في بعض المواضع أشكالاً عجيبة أشار ديك الرشيقي إلى عددٍ منها وهم يصعدون. «هذا رأس أوجر<sup>(1)</sup>، هل

(1) الأوجر كائن أسطوري شبيه بالغول، يُوصف بضخامة البدن والرأس وغزارة الشعر والنهم الوحشي والقوة البدنية الخارقة، وقد ظهر أولاً في الحكايات الشعبية الفرنسية. (المترجم).



تريه؟»، وابتسمت بريان لَمَّا رأته، فأضافَ: «وهذا هناك تين حجري. الجناح الآخر سقطَ في صِغَر أبي. فوقه هذان ضرعان متدليان كثندي عجوزِ شمطاء»، وألقى نظرةً سريعةً وراءه على صدرها.

قال بودريك: «أيتها الفارس، سيدي، هناك خيال».

- «أين؟». لا يوجد تكوين صخري يُوحى لها بشكل خيال.

- «على الطريق، ليس خيالاً في الصخر، خيال حقيقي يتبعنا، بالأسفل».

أشارَ بودريك والتوت بريان فوق سرجها تنظُر. كانوا قد بلغوا ارتفاعاً يُتيح لهم الرؤية على مدى فراسخ طويلة بطول الساحل، ورأت الحصان يسلك الطريق نفسه الذي سلكوه، متخلفاً عنهم بميلين أو ثلاثة. مرةً أخرى؟ رمت ديك الرشيقي بنظرة شك.

قال كراب: «لا تنظري إليّ هكذا. أيًا كان فلا علاقة له بالعجوز ديك الرشيقي. إنه أحد رجال برون غالبًا، عائد من الحروب، أو واحد من المغننين الذين يجولون من مكانٍ إلى مكانٍ»، ودور رأسه وبصق، ثم أردف: «ليس هراً، هذا مؤكّد. نوعهم لا يركب الخيل».

ردّت بريان: «نعم». على هذا على الأقل يتفقان.

الأقدام المئة الأخيرة من صعودهم كانت الأكثر تحدراً وخطورةً. تحرك الحصى المخلخل تحت حوافر أحصنتهم وسقط متدرجاً على الممرّ الحجري وراءهم، وحين خرجوا من الصدع أخيراً وجدوا أنفسهم أسفل سور القلعة، ومن شرفه أعلاهم ألقى عليهم وجه نظرة ثم اختفى، فحمنت بريان أنه وجه امرأة، وقالت هذا لديك الرشيقي الذي أيدها قائلاً: «برون أكثر هراً من أن يمشي على الأسوار، وأبناؤه وأحفاده ذهبوا إلى الحروب. لم يتبق أحد في الدّاخل إلاّ النسوة وربما طفل سائل الأنف أو ثلاثة».

كان على شفيتها سؤال مرشدها عن الملك الذي ناصره اللورد برون، لكن الجواب لم يعد يهّم. لقد رحل أبناؤه، وربما لا يعود بعضهم. لن نجد ترحاباً هنا الليلة. ليس واردًا أن تفتح قلعة مليئة بالمستين والنساء والأطفال أبوابها لأغراب مسلحين. قالت لديك: «تتكلم عن اللورد برون كأنك تعرفه».

- «ربما عرفته في الماضي».

نظرت إلى صدر سترته، إلى الخيوط المحلولة ورُقعة النسيج الأغمق

المهترئة حيث كانت الشّارة التي انتزعها. دليلها مهترّب دون شك. هل يُمكن أن يكون الخيال وراءهم أخاه في السّلاح؟

قال ديك مستحثًا إياها: «يَجْدُر بنا أن نواصل الطّريق قبل أن يبدأ برون يتساءل عمّا فعله عند أسواره. حتى النّساء يستطعن إطلاق نُشايّة لعينة»، وأشار إلى تلال الحجر الجيري المرتفعة وراء القلعة بمنحدراتها المشجّرة مضيفًا: «لا طريق من الآن فصاعدًا، فقط الجداول ودروب الفرائس، لكن لا داعي للقلق يا سيّدي. ديك الرّشيق يعرف هذه الأنحاء».

وهذا ما تخشاه بريان. كانت الرّيح تهبُّ على قمّة الجُرف، إلّا أنها لا تشمُّ إلّا فحًا. سألت: «وماذا عن ذلك الخيال؟». ما لم يكن حصانه يستطيع السّير على الموج فسرعان ما سيبلغ القمّة بدوره.

- «ماذا عنه؟ إذا كان أحرق ما من (بركة العذارى) فربما لا يجد الممرّ اللّعين أصلًا، وإذا فعل فسُنْضَلَّه في الغابة. هناك لن يجد طريقًا يتبعنا عليه». لن يجد إلّا آثارنا فقط. تساءلت بريان إن كان الأسلم أن نواجه الخيال هنا وسيفها في يدها. سأبدو في غاية الحمق إذا كان مطربًا متجوّلًا أو أحد أبناء اللورد برون. قد يكون كراب محقًا. إذا ظلّ وراءنا غدًا سأتعامل معه حينها. قالت دائرة بفرسها نحو الغابة: «كما تشاء».

تضاءلت قلعة اللورد برون وراء ظهورهم وسرعان ما غابت عن الأنظار، وارتفع شجر الحارس والصنوبر الجندي من حولهم في كلّ اتّجاه، حراب شاهقة مكسوّة بالأخضر تطعن السّماء. أرض الغابة طبقة من الإبر السّاقطة سميكة كسور قلعة، تتناثر عليها هنا وهناك أكواز الصنوبر، وبدأ كأن حوافر خيولهم لا تُصدّر صوتًا إذ وطأنها. تساقطت الأمطار بعض الوقت وانقطعت ثم عاودت السّقوط، لكنهم لم يشعروا بقطرة تقريبًا وسط الأشجار.

الحركة في الغابة أبطأ كثيرًا. قادت بريان فرسها في العتمة الخضراء ومضت بها تتعرّج وسط الأشجار، وقد أدركت أن الضّياع هنا سهل للغاية، فكلُّ اتّجاه تُنظر فيه يُشبه غيره، والهواء نفسه يبدو رماديًا وأخضر وساكنًا. خدشت أغصان الصنوبر ذراعيها واحتكّت بصوتٍ مزعج بئرسها حديث الطّلاء، وشعرت بالصّمت الغريب يحزُّ في نفسها أكثر فأكثر مع كلِّ ساعة تمرّ. أزعجت الأجوأ ديك الرّشيق أيضًا. في أواخر النّهار والغسق يدنو حاول

أَنْ يُعْنِي، وبصوتٍ خشن كسراويل من الصُوف رَدَد: «كان هناك دُب، دُب، دُب، كلة أسود وبني ومغطى بالشعر»، لكن شجر الصنوبر تشرَّب صوته كما تشرَّب المطر والريِّح، وبعد فترة قصيرة كَفَّ عن الغناء. قال بودريك: «كل شيء سيء هنا، هذا مكان سيء».

هذا ما تشعُر به بريان أيضًا، لكن لن ينفَع أن تقرَّ به، فقالت: «غابة الصنوبر مكان كئيب، لكنها في النهاية مجرد غابة. لا يوجد هنا ما نخشاه».

- «وماذا عن الهرَّاسين؟ والرُّوس؟».

قال ديك الرِّشيق ضاحكًا: «صبيُّ ذكي».

رَمَقته بريان باستياءٍ وأجابَت بودريك: «ليس هناك هرَّاسون وليست هناك رؤوس».

ارتفعت التلال، انخفضت التلال، ووجدت بريان نفسها تُصَلِّي أن ديك الرِّشيق صادق ويعلم أين يقودهما. إنها ليست واثقةً باستطاعتها أن تجد البحر ثانية إذا كانت بمفردها. ليلاً أو نهارًا السماء رمادية مصمتة ملبدة بالغيوم، ولا شمس أو نجوم تُعينها على العثور على طريقها.

خيَّموا في ساعة مبكرة تلك الليلة، بعد أن نزلوا تلاً ووجدوا أنفسهم على حافة مستنقع أخضر لامع. في الضوء الأخضر الرمادي بدت الأرض أمامهم ضلُبة كفاية، لكن حين داسوا عليها غاصت فيها خيولهم حتى الكاهل، فداروا مضطربين وكافحوا ليشقُّوا طريقًا إلى أرض ثابتة. قال لهما كراب مطمئنًا: «لا يهْم. سنصعد التل ثانية وننزل من طريق آخر».

لم يختلف اليوم التالي. ركبوا وسط أشجار الصنوبر والمستنقعات تحت سماءٍ قاتمة ومطرٍ متقطع، مارين بانهياراتٍ أرضية وكهوف وأنقاض معاقل عتيقة اكتست جذرانها بالطحالب. لكل كومة من الأحجار قصَّة، وقد حكاها ديك الرِّشيق جميعًا، وحسب كلامه كان أهل (الرأس المتصدِّع) يروون أشجارهم بالدِّماء. سرعان ما بدأ صبر بريان ينفد، وأخيرًا قالت له: «كم تبقى؟ لا بدُّ أننا رأينا كلَّ شجرة في (الرأس المتصدِّع) بالفعل».

أجاب كراب: «إطلاقًا. نحن قريباون. انظري، كثافة الأشجار تقل. إننا بالقرب من (البحر الضيق)».

فكرت بريان: هذا المهرج الذي وعدني به سيكون انعكاسي في بركة على

الأرجح، وإن بدا لها أن من العبث أن تعود أدراجها الآن بعد أن قطعت شوطاً طويلاً. كانت ساقاها متصلبتين كالحديد من جرّاء الجلوس على السرج، وفي الأيام الأخيرة نامت أربع ساعات فقط في الليلة بينما يحرسها بودريك. إذا كان ديك الرشيقي ينوي أن يحاول قتلها غيلةً فإنها على يقين بأنه سيفعلها هنا على أرضٍ يعرفها جيّداً. ربما يقودهما إلى وكر لصوصٍ له فيه أهل مخادعون مثله، أو ربما يقودهما في دوائرٍ فحسب منتظراً أن يلحق الخيال إياه بهم. لم يروا أثراً للرجل منذ رحلوا من عند قلعة اللورد برون، لكن ذلك لا يعني أنه تخلى عن المطاردة.

في ليلةٍ قالت لنفسها بينما تذرّع الأرض حول المخيم: قد أضطرُّ إلى قتله. أصابها الخاطر بالاضطراب. لطالما شكك قيم السلاح العجوز الذي درّبها في تمتّعها بالصّلافة الكافية لمواجهة المعارك، وأكثر من مرّة قال لها السير جودوين: «تتحلّين بقوة الرجال في ذراعيك، لكنك خرعة القلب كأني فتاة. التدريب في السّاحة بسيفٍ مثلوم شيء، وشيء آخر أن تُغمدي قدماً من الفولاذ المشحوذ في أحشاء رجل وتري الضّوء ينطفئ في عينيه». لجعلها أكثر صلافة أرسلها السير جودوين إلى جزّار أبيها لتذبح الحملان والخنازير الرّضيعة. صرخت الحملان والخنازير كأطفالٍ مرعوبين، ولدى فروغها من الذّبح كانت الدّموع قد أعمت بريان وتلوّثت ثيابها بالدّماء لدرجة أنها أعطت وصيفتها إياها لتُحرّقها. على أن الشكوك ظلّت تُساور السير جودوين، وقال لها: «الخنزير خنزير. الأمر مختلف مع الرجال. حين كنتُ مُرافقاً صغيراً في سنّك كان لي صديق قوي سريع رشيق، بطل في السّاحة، وكنا نعلم جميعاً أنه سيغدو فارساً مغواراً ذات يوم. ثم اشتعلت الحرب في (الأعتاب)، ورأيتُ صديقي يُسقط خصمه على رُكبتيه ويُطوّح بفأسه من يده، لكن عندما كان يُفترض أن يُجهز عليه تردّد أقل من لحظة، وفي المعركة اللّحظة أو دونها عُمر كامل. استلّ الرّجل خنجره ووجد شقاً في درع صديقي. قوّته، سرعته، شجاعته، مهارته التي اكتسبها بالاجتهاد... كل هذا كانت قيمته أقل من فسوة، لأنه جفّل من القتل. تذكّري هذا يا فتاة».

وعدت طيفه هناك في غابة الصنوبر: سأذكرك، وجلست على صخرة وسحبت سيفها وراحت تشحذ نصله. سأذكرك، وأدعو الأاجفل.

بزغ فجر اليوم التالي باردًا غائمًا مغمًا. لم يروا الشمس تُشرق، لكن عندما استحال السواد إلي رمادي عرفت بريان أن الوقت حان لمواصلة الركوب. قاذريك الرشيقي الطريق إذ عادوا يخوضون وسط الأشجار، وتبعته بريان على مقربة بينما تحرك بودريك في المؤخرة على متن حصانه الأرقط.

فاجأتهم القلعة دون سابق إنذار. في لحظة كانوا في أعماق الغابة ولا شيء يُحيط بهم إلا أشجار الصنوبر الممتدة فراسخ وفراسخ، ثم داروا حول جلود ولاحت ثغرة أمامهم، وبعد ميل واحد انتهت الغابة على حين غرة. وراءها كانت السماء والبحر... وقلعة عتيقة على شفير جرف، متهدمة ومهجورة وتنمو في جنباتها الحشائش الكثيفة.

قال ديك الرشيقي: «أنصتا. يُمكنكما أن تسمعا الرؤوس».

فغر بودريك فاه قائلاً: «أسمعها».

وسمعتها بريان أيضًا، غممة خافتة كأنها تنبعث من الأرض بقدر ما تأتي من القلعة. تعالى الصوت مع اقترابها من الجروف، ثم إنها أدركت فجأة أنه صوت البحر، وأن الصخور في الأسفل تاكلت وثقبت الموج الذي يتدفق هادرًا في كهوف وأنفاق تحت الأرض. قالت: «ليست هناك رؤوس. ما تسمعه هو همس الأمواج».

- «الأمواج لا تهمس. إنها الرؤوس».

القلعة مبنية بأحجارٍ قديمة غير مملطة لا يتماثل منها اثنان، والطحالب نامية بكثافة في الصدوع بين الصخور، والأشجار نابتة من الأساسات. معظم القلاع القديمة يضمُّ أيكة آلهة، أمَّا (قلعة الهمس) فمنظرها يشي بأن فيها القليل عدا ذلك. قادت بريان فرسها إلى حافة الجرف حيث تداعى السور وتنمو أكوام من اللبالب الأحمر السام فوق الركام، وربطت الفرس بشجرة واقتربت من شفا الهاوية بقدر ما أتاحت لها جراتها، فرأت تحتها بخمسين قدمًا الموج يدور داخل وحول بقايا بُرجٍ محطّم، ولمحت وراءه مدخل كهفٍ واسع.

قال ديك الرشيقي الذي وقف وراءها: «هذا بُرج المنارة القديم. سقط وأنا في نصف سنِّ بودز. كانت هناك سلالم تقود إلى الكهف لكنها سقطت أيضًا مع انهيار الجرف، وبعدها امتنع المهربون عن الرسو هنا. في الماضي كانوا

يَدْخُلُونَ الكَهْفَ بقَوَارِبِهِمْ، لَكِن ذلِكَ انْتَهَى، هل تَرِينَ؟»، ووضَعَ يَدًا على ظَهْرهَا وَأَشَارَ بالأُخْرَى.

واقشَعَرَّ جِلْدَ بَرِيَانَ. دَفَعَةَ واحِدَةً وسَأصْبِحُ في الأَسْفَلِ مع البُرْجِ. تَرَاجَعْتَ قَائِلَةً: «أَبْعِدْ يَدِيكَ عَنِّي».

عَقَدَ كَرَابَ حَاجِبِيهِ، وَقَالَ: «كُنْتُ فَقط...».

- «لَا أْبَالِي بِمَا كُنْتَهُ فَقط. أَيْنَ البَوَابَةُ؟».

أَجَابَ: «النَّاحِيَةُ الأُخْرَى»، وَتَرَدَّدَ لِحِظَةً ثُمَّ قَالَ بَتَوَثُّرٍ: «مَهْرَجِكَ هَذَا لَيْسَ رَجُلًا يَكُنُّ ضَغِينَةً، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ أَعْنِي... لَيْلَةٌ أَمْسٍ فَكَّرْتُ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ غَاضِبًا مِنَ العَجُوزِ دِيكَ الرَّشِيقِ بسببِ الخَريِطَةِ الَّتِي بَعَثَهُ إِيَّاهَا ولأنِّي لَمْ أذْكَرِ الجِزَاءَ الخَاصَّ بِعَدَمِ رَسُو المَهْرَبِينَ هُنَا».

- «يُمْكِنُكَ بِالذَّهَبِ الَّذِي سَتَقْبِضُهُ أَن تَرُدَّ لَهُ مَا نَقَدَكُ إِيَّاهُ ل... لِمَسَاعَدَتِكَ». لَا تَتَصَوَّرْ بَرِيَانَ أَن دُونْتوسِ هُوَ لَارِدٌ يُشْكَلُ تَهْدِيدًا. «هَذَا إِذَا كَانَ هُنَا مِنَ الأَصْلِ».

دَارُوا حَوْلَ الأَسْوَارِ. كَانَتِ القَلْعَةُ مِثْلَةً وَفِي كُلِّ زَاوِيَةٍ بُرْجٌ مَرَبَّعٌ، وَقَدْ تَعَقَّنَ مِصْرَاعَا بَوَابَتَهَا تَمَامًا، فَلَمَّا شَدَّتْ بَرِيَانَ أَحَدَهُمَا تَشَقَّقَ خَشْبُهُ وَانخَلَعَتْ شِظَايَاهُ الطَّوِيلَةُ المِبتَلَّةُ وَانْهَارَ نِصْفُ البَوَابَةِ عَلَيْهَا. رَأَتْ مَزِيدًا مِنَ العِتْمَةِ الخَضِرَاءِ فِي الدَّاخلِ، إِذْ اخْتَرَقَتِ الغَابَةَ الأَسْوَارَ وَابْتَلَعَتِ الحِصْنَ وَالفِنَاءَ، لَكِن وَرَاءَ البَوَابَةِ ثَمَّةٌ شَبَكَةٌ حَديديَّةٌ أَنْيَابُهَا غَائِصَةٌ بِعُمُقٍ فِي الأَرْضِ اللَّيْنَةِ المَوْحِلَةِ. صَبَغَ الصَّدَأُ الحَديدَ بالأَحْمَرِ، لَكِنهُ صَمَدٌ عِنْدَمَا رَجَّهَتْهُ بَرِيَانَ، فَقَالَتْ: «لَا أَحَدٌ اسْتَحْدَمَ هَذِهِ البَوَابَةَ مِنْذُ زَمَنِ بَعِيدٍ».

قَالَ پودريكُ مَقْتَرِحًا: «أَسْتَطِيعُ أَن أَتَسَلَّقَ مِنْ نَاحِيَةِ الجُرْفِ حَيْثُ سَقَطَ السُّورُ».

- «المَخاطِرَةُ شَدِيدَةٌ. الأَحْجَارُ بَدَتْ لِي مِخْلَخَلَةً، وَاللَّبْلَابُ الأَحْمَرُ سَامٌ. لَا بُدَّ مِنْ وَجُودِ بَابٍ جَانِبِي».

وَجَدُوهُ عَلَى جَانِبِ القَلْعَةِ الشَّمَالِيِّ، شَبِهَ مِتْوَارٍ وَرَاءَ أَجْمَةِ تَوْتِ أُسُودِ ضَخْمَةٍ، وَقَدْ قُطِفَ التُّوتُ كُلُّهُ وَقُطِعَ نِصْفُ الشُّجَيْرَاتِ لِإِخْلَاءِ سَبِيلٍ إِلَى البَابِ. أَفْعَمَ مَنظَرَ الغِصُونِ المَكْسُورَةِ بَرِيَانَ بِالقَلْقِ، وَقَالَتْ: «أَحَدُهُمْ مَرَّ مِنْ هُنَا، وَمِنْذُ فَتْرَةٍ قَرِيبَةٍ».

قال كراب: «المهْرَج وتلكما الفتاتان، كما قلتُ لك».

سانزا؟ لا تقوى بريان على التصديق. حتى سَكَّير منقوع في النَّبِيذ كدونتوس هولارد سيكون أعقل من أن يأتي بها إلى هذا المكان القفر. شيء ما في هذه الأطلال يملأها وجلاً. لن تجد ابنة ستارك هنا... لكن عليها أن تُلقِي نظرةً. أحدهم كان هنا، أحدٌ أرادَ أن يختفي عن الأعيُن. قالت: «سأدخلُ. كراب، ستأتي معي. بودريك، أريدك أن تحرس الخيول».

– «أريدُ أن آتي أيضًا. إنني مُرافق، أستطيعُ أن أقاتل».

– «لهذا أريدك أن تبقى هنا. قد يكون هناك خارجون عن القانون في هذه الغابة، وينبغي ألا تترك الخيول بلا حراسة».

حكُّ بودريك صخرةً بحذائه قائلاً: «كما تقولين».

هكذا دخلت وسط أجمة الثوت الأسود وجذبت حلقةً حديديةً صدئةً، فقاومَ الباب الجانبي لحظةً ثم انفتحَ بحركةٍ حادةٍ بينما تصرخُ مفصلاتاه اعتراضاً، وجعلَ الصَّوتُ الشَّعيرات على مؤخِّرةٍ عنقها تنتصب. استلَّت سيفها وحتى وهي ترتدي الحلقات المعدنية والجِلد المقوى أحسَّت كأنها عارية.

حَثَّها ديك الواقف وراءها قائلاً: «هيا يا سيِّدتي. ماذا تنتظرين؟ كراب العجوز مات منذ ألف عام».

ماذا تنتظر حقاً؟ قالت بريان لنفسها إنها تتصرَّف بحمق. الصَّوت ليس إلا صوت البحر الذي تتردَّد أصداؤه بلا نهايةٍ في الكهوف تحت القلعة، ترتفع وتنخفض مع كلِّ موجة. لكن له وقع الهمس فعلاً، وللحظةٍ كادت ترى الرؤوس المستقرَّة على الرُّوف يُتمِّم بعضها لبعض، ويقول أحدها: كان عليَّ أن أستخدم السَّيف، كان عليَّ أن أستخدم السَّيف المسحور. قالت بريان: «بودريك، ثمة سيف وغمد داخل لفافة نومي. أحضرهما إليَّ».

رَدَّ الصَّبِي: «حاضر أيتها الفارس، يا سيِّدتي، حالاً»، وهرعَ يُلبِّي الأمر. حكُّ ديك الرِّشيق وراء أذنه متسائلاً: «سيف؟ إن معك واحداً في يدك، فلمَ تحتاجين إلى آخر؟».

قدَّمته له بريان من المقبض مجيبةً: «هذا لك».

مدّ كراب يده بتردّدٍ كأن النّصل سيعضّه، وقال: «حقّاً؟ الفتاة الشّكّاكة تُعطي ديك العجوز سيفاً؟».

- «تعرف كيف تستخدمه، أليس كذلك؟».

أجاب مختطفاً السيّف الطّويل من يدها: «أنا من آل كراب، في عروقي دماء السير كلارنس»، وشقّ الهواء ثم منحها ابتسامةً عريضةً، وأضاف: «السيّف يصنع اللورد كما يقولون».

عاد بودريك باين حاملاً (حافظ العهد) بحذرٍ بالغ كأنه طفل صغير، وأطلق ديك الرّشيق صفيراً لمراى الغمد المنمّق وصفّ رؤوس الأسود عليه، لكنه لاذّ بالصمت حين استلّت السيّف وشقّت به الهواء. حتى صوته أحد من أيّ سيفٍ تقليدي. قالت لكراب: «معي»، ودخلت بجانبها من الباب وقد حنّت رأسها لتمرّ من تحت القنطرة.

انفتح أمامها الفناء بحشائشه الكثيفة. إلى يسارها تقع البوّابة الرّئيسة والهيكل المنهار لما كان اسطبلًا، تبرز من نصف مرابطه الشّجيرات وتنفذ من القشّ البني الجاف الذي يُغطّي سقفه، وإلى يمينها رأت سلالم خشبيّة متعفّنة تنزل إلى ظلّمة زنزانة أو قبو ما. حيث ارتفع الحصن من قبل كانت الآن كومة من الحجارة المتهدّمة تنمو عليها الطّحالب الأرجوانيّة والخضراء، وأرض الفناء كلّها تفرشها الحشائش والإبر التي سقطت من أشجار الصّنوبر الجندي النّامية في كلّ مكان في صفوفٍ مهيبه، ووسطها شجرة غريبة شاحبة، شجرة ويروود رفيعة شابّة أبيض لونها كثياب فتاةٍ مترهبنه، ومن فروعها المديدة تنبت الأوراق الحمراء الدّاكنة. وراء كلّ هذا كان فراغ السّماء والبحر حيث سقط السّور...

... وبقايا نار.

راحت الهمسات تقرض أذنيها بعناد، وركعت بريان إلى جوار بؤرة النّار والتقطت عودًا مسودًا وتشمّمته وحرّكت به الرّماد. أحدهم كان يُحاول أن يتدفّق ليلة البارحة، أو ربما كان يُحاول إرسال إشارة إلى سفينةٍ عابرة.

نادى ديك الرّشيق: «هالووووو! هل من أحدٍ هنا؟».

قالت له بريان: «صمتًا».

ردّ: «ربما يكون أحدهم مختبئًا، يُريد أن يُلقى علينا نظرةً قبل أن يكشف



عن نفسه»، وذهبَ إلى حيث تنزل السَّلام تحت الأرض وحدَّق إلى الظَّلام منادياً من جديد: «هالووووو! هل من أحدٍ بالأسفل؟».

رأت بريان شُجيرةً تميل، ومن الدَّغل خرجَ رجل تكَتَّل عليه الطَّين لدرجة أنه بدا كأنَّ الأرض انشَقَّت عنه. كان يحمل سيفاً مكسوراً في يده، لكن وجهه هو ما جعلها تتردَّد، العينان الصَّغيرتان والمنخران العريضان المسطَّحان.

تعرف بريان هذا الأنف، تعرف هاتين العينين. كان أصدقاؤه يدعونه ببيج. كأن كلَّ شيءٍ حدث في غمضة عين. خرجَ رجل ثانٍ من فوق حافة البئر دون أن يُصدِر صوتاً أكثر مما يُصدِّره تُعبان يزحف على كومةٍ من أوراق الشَّجر المبتلَّة، يعتمر خوذةً حديديةً قصيرةً ملفوفةً بالحريِر الأحمر المتسخ، ويحمل حرباً قصيرةً غليظةً في يده. تعرف بريان هذا الرَّجل أيضاً. سمعت من ورائها حفيفاً وظلَّ وجه من بين الأوراق الحمراء، وكان كراب واقفاً تحت شجرة اليربوود، فرفع رأسه ورأى الوجه، ليُنادي بريان قائلاً: «ها هو ذا مهرِّجك».

ووثبَ شاجويل من شجرة اليربوود مطلقاً ضحكاتٍ كنهيق الحمير. كان يرتدي ثياب المهرِّجين، لكنها باهتة ومتسخة تماماً لدرجة أن لونها الآن بنيٌّ أكثر من رماديٍّ أو وردي، وبدلاً من مدرِّس المهرِّجين يحمل هراوةً ثلاثيةَ الرُّؤوس، ثلاث كُرات شائكة مثبتة إلى قناةٍ خشبيةٍ بالسَّلاسل، وقد هوى بها بعُنْفٍ مفرجاً إحدى رُكبتَي كراب في دفقةٍ من الدَّم والعظم، وإذ سقطَ نَعَقَ شاجويل قائلاً: «هذا طريف!». طارَ السَّيف الذي أعطت ديك إياه من يده واختفى وسط الحشائش، وما انفكَّ هو يتلوَّى على الأرض صارخاً و متمسِّكاً ببقايا رُكبته. قال شاجويل: «أوه، انظُر، إنه ديك المهرِّب الذي رسمَ لنا الخارطة. هل قطعت كلَّ هذه المسافة لتردِّ لنا ذهبنا؟».

قال ديك متحجِّباً: «أرجوك، أرجوك لا، ساقف...».

- «هل تُؤلمك؟ يُمكنني أن أجعل الألم يتوقَّف».

قالت بريان: «دعه وشأنه».

وصرخَ ديك رافعاً يدين دامتيتين يقي رأسه، ومرةً أخرى دَوَّرَ شاجويل كُرات الهراوة حولَ رأسه وهوى بها على وجه كراب في المتصَّف تماماً، ليتعالى صوت تهشُّمٍ مغث، وفي الصَّمْت الذي تلاه سمعت بريان خفقات قلبها المتسارعة.

قال الذي خرجَ متسلِّلاً من البئر: «شاجز السيِّء»، ولمَّا رأى وجه بريان ضحك وقال: «أنتِ ثانية يا امرأة؟ هل جئتِ تطارديننا أم أن جوهنا الودود أوحشتكِ؟».

تراقصَ شاجويل من قدم إلى قدم ملوِّحاً بمدرسه القاتل، وقال: «أنت من أجلي. إنها تحلمُ بي كلَّ ليلةٍ عندما تضع أصابعها في فتحتها. إنها تُريدني. الحصان الكبير افتقدت حبيبها شاجز المرح! سأنكحها من دُبرها وأضح فيها نطفة المهرِّجين حتى تلد نسخةً صغيرةً مني».

قال تيميون بلكته الدورنيَّة المتشدِّقة: «عليك أن تستخدم فتحةً مختلفةً لأجل هذا يا شاجز».

ردَّ المهرِّج: «الأفضل أن أستخدم فتحاتها كلَّها إذن على سبيل الاحتياط»، وتحركَ إلى يمينها بينما دارَّ يبيح إلى يسارها مجبراً إياها على أن تُولِّي حافة الجُرف ظهرها.

فكرت بريان: رحلة لثلاثة، وقالت لهم: «أنتم ثلاثة فقط».

هزَّ تيميون كتفيه محجياً: «كلنا ذهب إلى حال سبيله بعد خروجنا من (هارنهال). أوزويك وشرذمته ركبوا جنوباً إلى (البلدة القديمة)، ورورج حسب أنه يستطيع الخروج متسلِّلاً من (الملاحات)، أمَّا أنا ورفيقي فذهبنا إلى (بركة العذارى)، لكننا لم نستطع الاقتراب من سفينة»، ووازن الدورني حربته مواصلاً: «هل تعلمين أنكِ فتكتِ بشارجو بعضتكِ إياها؟ أذنه اسودَّت وبدأت تنزُّ صديداً. أرادَ رورج وأوزويك الرِّحيل، لكن الكبش قال إن علينا الدِّفاع عن قلعتة، إنه سيِّد (هارنهال) ولا أحد سياًخذها منه. قالها ولُعابه يسيل بالطبع كما كان يحدثُ دومًا عندما يتكلَّم. سمعنا أن الجبل قتله قطعةً قطعةً، يدا اليوم وقدمًا غداً، بمنتهى البراعة والنِّظافة. كانوا يُضمدون الجِذعات كي لا يموت هوت. ادَّخر كليجابين قضيبه للنَّهاية، لكن طائرًا من (كينجز لاندنج) استدعاه فأجهزَ على الكبش ورحل».

- «لستُ هنا من أجلكم. إنني أبحثُ عن...». كادت تقول أختي. «...»

عن مهرِّج».

أعلنَ شاجويل بسعادة: «أنا مهرِّج».

اندفعت بريان تقول: «المهرج الخطأ. من أريده موجود مع فتاة رقيقة النسب، ابنة اللورد ستارك سيّد (ويترفل)». قال تيميون: «إذن فكلب الصيّد من تُريدين. لكنه ليس هنا كذلك، نحن فقط».

- «ساندور كليجاين؟ ماذا تعني؟».

- «هو من عثر على ابنة ستارك. حسب ما سمعتُ فقد كانت في الطريق إلى (ريفررن) حين اختطفها، الكلب الملعون». (ريفررن)، كانت متجهّة إلى (ريفررن)، إلى خالها وعمّه. «وما أدراك؟». - «أخبرني واحد من جماعة بريك. سيّد البرق يبحث عنها أيضًا، وأرسل رجاله بطول (الثالوث) وعرضه يقتفون أثرها. صادفنا ثلاثة منهم بعد (هارنهال) وانتزعنا الحكاية من أحدهم قبل أن يموت». - «ربما كان يكذب».

- «ربما، لكنه لم يكذب. لاحقًا سمعنا أن كلب الصيّد قتل ثلاثة من رجال أخيه في خانٍ على مفترق الطرق. الفتاة كانت معه هناك. صاحب الخان أقسم على هذا قبل أن يقتله رورج، والعاشرات كرّرن الكلام نفسه. كم كن قبيحات! لسن بقبحك بالطبع، ومع ذلك...».

أدركت بريان ما يحدث، وقالت لنفسها: يُحاول إلهائي، يستغلُّ صوته لأركز عليه وحده. كان يبيج يدنو بتؤدة، ووثب شاجويل خطوة صوبها، فتراجعت مفكّرة: سيدفونني إلى السقوط في الهوة إذا سمحت لهم. قالت لهم منذرة: «لا تقتربوا».

أعلن شاجويل: «أظنُّ أنني سأنكحك في أنفك يا هذه. ألن يكون هذا طريفًا؟».

وأضاف تيميون: «قضيبه صغير للغاية. أفلتي هذا السيف الأنيق ولربما تترفق بك يا امرأة. تُريد ذهبًا ندفع به أجر المهرّيين، هذا كل شيء». - «وإذا أعطيتكم الذهب ستُركوننا نرحل؟».

ابتسم تيميون مجيبًا: «نعم، بمجرد أن ينكحك ثلاثتنا. سننقذك أجرك كأي عاهرة محترفة، قطعة فضيَّة لكل نكحة. إمّا هذا وإمّا أن نأخذ الذهب

ونغتصبك على كلِّ حال ونفعل بك ما فعله الجبل باللورد فارجو. ماذا تختارين؟».

ردَّت بريان: «هذا»، وألقت نفسها على پيچ.

أسرعَ يرفع سيفه المكسور ليحمي وجهه، ولكن لئن سدَّد النَّصل إلى أعلى سدّدت هي نصلها إلى أسفل، وشقَّ (حافظ العهد) الجِلد والصُّوف والعضلات ليغوص في فخذ المرتزق. لوح پيچ بسيفه بشراسةٍ وساقه تتداعى من تحته، فاحتك بقميصها المعدني قبل أن يحطَّ على ظهره، وطعنته بريان في حلقة ودوّرت النَّصل بقوة، ثم سحبته ودارت في اللحظة نفسها التي ومضت فيها حربة تيميون خادشةً وجهها، وإذ سالَّ الدَّم على وجنتها فكَّرت: لم أجفل. هل رأيت يا سير جودوين؟ شعرت بالجرح بالكاد، وبينما أخرج الدورني حربةً ثانيةً أقصر وأغلظ من الأولى قالت له: «دورك، ألقها».

- «كي تتفاديهما وتفضي عليّ؟ في هذا موتي كبيچ. لا. نل منها يا شاجز».  
قال شاجويل: «نل منها أنت. هل رأيت ما فعلته ببيچ؟ لقد أجنَّ النَّزيف القمري جنونها».

المهرج وراءها وتيميون أمامها، ومهما دارت سيكون ظهرها إلى أحدهما.  
قال تيميون مستحثاً شاجويل: «نل منها ويُمكنك أن تنكح جنتها».  
- «أوه، إنك تحبني حقاً». كانت الهراوة الشائكة تدور، وقالت بريان لنفسها: اختاري أحدهما، اختاريه واقتليه بسرعة.

ثم أتى حجر محلّقاً من اللا مكان وأصاب شاجويل في رأسه... ولم تتردّد بريان وانقضت على تيميون.

الدورني أبرع من پيچ، لكنه يحمل مجرد حربة قصيرة، أمّا هي فتحمل سيفاً من الفولاذ الفاليري. دبَّت الحياة في (حافظ العهد) في يدها، ولم تحسّ بريان بحركتها سريعةً هكذا من قبل قط، واستحال النَّصل إلى غشاوةٍ رماديةٍ في الهواء. جرحها تيميون في كتفها إذ كرّرت عليه، لكنها بتّرت أذنه ونصف وجنته وطيرت رأس حربته وأغمدت قدماً من الفولاذ الممتوج في بطنه عبر حلقات السُّترة المعدنية التي يرتديها.

كان تيميون لا يزال يُحاول القتال عندما انتزعت من بطنه سيفها الذي تخضب واقية العرضي بحمرة الدماء. فتش مسعوراً في حزامه ورفع خنجراً،

فقطعت بريان يده. من أجل چايمي. شهق الدورني والدّم يجيش من فمه وينبجس من معصمه، وقال لاهثًا: «رُحمك يا أمنا. أجهزي عليّ، أعيديني إلى (دورن) أيتها الحقيرة الملعونة». ونفّدت بريان طلبه.

وجدت شاجويل على رُكبته لَمّا التفتت وقد بدا دائخًا وهو يتحسّس الأرض بحثًا عن هراوته الثلاثية الشائكة، وإذ نهض مترنحًا ارتطم حجر آخر بأذنه. كان بودريك قد تسلق السور المنهار ويقف محملقًا بتجهّم وسط فروع اللّيلاب وفي يده صخرة جديدة، وصاح فيها من أعلى: «قلتُ لك إنني أستطيع القتال!».

حاول شاجويل أن يزحف مبتعدًا، وصاح: «أستسلم، أستسلم! يجب ألا تُؤذي شاجويل العزيز. إنني أطرف من أن أموت».

- «لست أفضل من بقيّتهم. لقد سرقت واغتصبت وقتلت».  
- «أوه، فعلتُ هذا، فعلتُ هذا، لن أنكر... لكنني أسليّ الرجال بدُعاباتي وتوثبي، أجعلهم يضحكون».  
- «وتُبكي النساء».

- «أهذه غلطتي؟ النساء لا يملكن حسّ دُعابة».  
خفّضت بريان (حافظ العهد) قائلةً: «احفر قبرًا. هناك، تحت الويروود»، وأشارت بالسيف.

- «ليس معي جاروف».  
- «لديك يدان». أكثر مما تركنم لچايمي.  
- «وما الفائدة؟ اتركيهما للغربان».  
- «فلتناكل الغربان تيميون وبيج. القبر لديك الرّشيق. لقد كان من آل كراب، وهذا مكانه».

كانت الأرض مبتلّة من جرّاء الأمطار، وعلى الرغم من هذا استغرق المهرج بقية النّهار حتى حفر قبرًا عميقًا كفاية، ولدى انتهائه والليل يبدأ يتسبّد السّماء كانت يده قد تقرّحتا وأخذتا تنزفان. دسّت بريان سيفها في غمده ورفعت ديك كراب بين ذراعيها وحملته إلى الحفرة متجنّبه النّظر إلى وجهه الخرب، وقالت له: «أسفةٌ لأنني لم أثق بك. لم أعد أدري كيف أفعل ذلك».

وبينما ركعت تضع الجثمان في القبر فكّرت: سيُقدّم المهرج على قتلي الآن وظهري له.

سمعت أنفاسه الخشنة قبل أقلّ من لحظةٍ من صباح بودريك محدّراً. في يد شاجويل كانت صخرة محزّزة، وتحت كمّ بريان خنجرها. والخنجر يغلب الصخرة كل مرّة تقريباً.

ضربت ذراعه مزيحةً إياها وغرست الفولاذ في أحشائه مزجرة: «اضحك»، وبدلاً من هذا أن. «اضحك»، كرّرت وهي تُطبّق على رقبتة بيدٍ وتطعنه في بطنه مرّة تلو المرّة. «اضحك!». ظلت تقولها وتقولها وتقولها إلى أن احمرت يدها حتى المعصم وكادت رائحة احتضار المهرج تنتنّها. لكن شاجويل لم يضحك، والنحيب الذي سمعته بريان كان نحيبها، ولمّا أدركت هذا أفلتت الخنجر مرتعدّة.

عاونها بودريك على وضع ديك الرّشيق في حفرة، ولدى فروغهما كان القمر يرتفع في السماء. فركت بريان التراب من يديها وألقت تنينين ذهبين فوق القبر، فسألها بودريك: «لماذا فعلت هذا يا سيّدي، أيتها الفارس؟».

- «إنها المكافأة التي وعدته بها للعثور على المهرج».

دوى الضحك من ورائهما، فانتزعت بريان سيفها من غمده ودارت على عقبها متوقّعة المزيد من الممثلين السّفّاحين... لكنها لم تر إلا السير هايل هنت جالساً متقاطع السّاقين على قمة السور المتهدّم. صاح الفارس من أعلى: «إذا كانت هناك مواخير في الجحيم فسيشكرك المأفون، وفيما عدا ذلك فإنك تُبددين ذهباً قيماً».

- «إنني أوفي بوعودي. ماذا تفعل هنا؟».

- «اللورد راندل أمرني بأن أتبعك، قال لي أن أعود بسانزا ستارك إلي (بركة العذارى) إذا عثرت عليها بمعجزة ما. لا تخافي، لقد أمرني بالآ أمسك بسوء».

ردّت بريان ساخرة: «كأنك تستطيع».

- «ماذا ستفعلين الآن يا سيّدي؟».

- «سأعطيه».

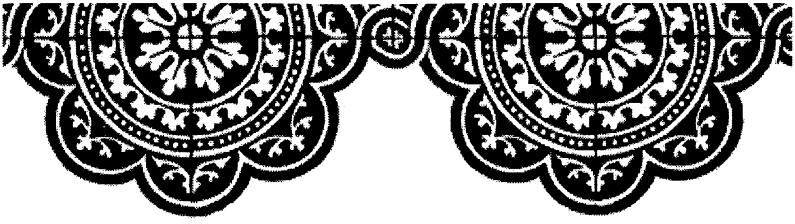
- «قصدت إزاء الفتاة، الليدي سانزا».

فكَّرت بِرِيانِ لحظةٍ، ثمَّ أَجابَت: «كانت ذاهبةً إلى (ريقررن) إذا صدقَ تيميون، وفي مكانٍ ما في الطريق أخذها كلب الصَّيِّد. إذا وجدته...».

- «... سيقتلك».

قالت بعناد: «أو سأقتله. هلاً ساعدتني على تغطية كراب المسكين أيها الفارس؟».

أجابَ السير هايل: «لا فارس حقيقياً يَرُفُض طلباً لهذا الجَمال»، ونزلَ من على السُّور، ومَعاً كَوَّما التُّراب فوق جثَّة ديك الرِّشيق بينما ارتفع القمر أكثر في السَّماء وما فتأت رؤوس الملوك المنسيِّين تتهامس الأسرار تحت الأرض.



## صانعة الملكات

تحت شمس (دورن) الحارقة تُقاس الثروة بالمياه كما تُقاس بالذهب، ولذا توضع الآبار كلها تحت حراسةٍ مشددة. على أن البئر في (شانديستون) جفت قبل مئة عام، ورحل حُرَّاسها إلى مكانٍ أكثر بللاً هاجرين معقلهم المتواضع بأعمدته المحززة وقناطره الثلاثية، وبعدها عادت الرمال تزحف على المكان مستردةً ما لها.

وصلت آريان مارتل مع دراي وسيلفا بينما تميل الشمس إلى المغيب، والغرب لوحة مزدانة بالذهبي والأرجواني والسحاب يتوهج بالقرمزي. بدت الأطلال متوهجةً أيضًا، إذ برقت الأعمدة الساقطة بلونٍ وردي، وزحفت الظلال الحمراء على الأرضيات الحجرية المتشققة، واستحالت الرمال نفسها من الذهبي إلى البُرْتقالي إلى الأرجواني مع خفوت الضوء شيئًا فشيئًا. كان جارين قد سبقهم إلى الوصول بساعة، والفارس المسمى النجم المظلم بيوم. علق دراي بينما يُساعد جارين على سقي الخيول: «المكان جميل هنا». كانوا قد حملوا ماءهم معهم، فعلى الرغم من أن جياذ الصحراء الدورنية سريعة لا تكل، وتستطيع الاستمرار في العدو فراسخ طويلةً بعد أن يُصيب الإعياء عداها من الخيول، فإنها لا تقوى على ذلك دون ماء. «كيف عرفت هذا المكان؟».

أجاب آريان والذكرى ترسم ابتسامةً على شفيتها: «عمي جاء بي هنا مع تابين وساريليا. اصطاد بعض الأفاعي وأرى تابين الطريقة الأسلم لاستحلاب الرُعاف منها. ساريليا قلبت الصُخور ونفضت الرَّمْل عن الصُّور الفُسيفساء وأرادت أن تعرف كلَّ شيءٍ عمَّن عاشوا هنا».



سألتهما سيلفا الرّقطاء: «وماذا فعلتِ أنتِ أيتها الأميرة؟». جلستُ إلى جوار البئر وتظاهرتُ بأن فارساً لصّاً أتى بي هنا لينال مني مناله، رجلاً طويلاً ضلْباً عيناه سوداوان وينحسر شعره عن مقدّمة رأسه. قالت وقد أصابتها الذّكري بالاضطراب: «استغرقتُ في الأحلام، ولمّا غابتِ الشّمس جلستُ مربّعةً ساقي عند قدمي عمّي وناشدته أن يحكي قصّة». - «الأمير أوبرين كان يعرف قصصاً عديدة». جارين أيضاً كان معهم يومها. إنه أخو آريان في الرّضاعة، وطيلة حياتهما والاثنان متلازمان حتى من قبل أن يتعلّما المشي. «أذكرُ أنه حكى عن الأمير جارين الذي سُمّيَت على اسمه».

أضافُ دراى: «جارين العظيم، أعجوبة (الروين)». - «هو ذا، الذي جعل (فاليريا) ترتجف».

قال السير چيرولد: «ارتجفوا ثم قتلوه. إذا قدتُ رُبع مليون رجل إلى حتفهم فهل سيُسَمّونني چيرولد العظيم؟»، وأطلق نخيراً ساخرًا، وأردف: «أظنُّني سأبقي النّجم المظلم، فهو اسمي على الأقل»، واستلَّ سيفه الطّويل وجلس على حافة البئر الجافّة وبدأ يشحذ النّصل بحجر زيتي. راقبته آريان بحذرٍ مفكّرة: نَسبه رفيع كفاية لأن يكون أهلاً لي كزوج. سيُشكِّك أبي في سلامة اختياري، لكن أطفالنا سيكونون أبهياء كسادة الثّنائين. إذا كان هناك رجل أوسم في (دورن) فإنها لا تعرفه. للسير چيرولد دابن أنف معقوف وعظام وجنتين مرتفعة وفكّ قوي، ويُحافظ على وجهه حليقاً لكن شعره الكثيف ينسدل حتى ياقته كنهج من الجليد الفضيّ، ويقسمه من المنتصف خطُّ أسود كالليل. لكن فمه قاسٍ، ولسانه أقسى. بدت عيناه سوداوين وهو جالس محدّداً بنور الشّمس المحتضرة يشحذ فولاده، لكنها نظرت إليهما من زاوية أقرب من قبل وتعلم أنهما أرجوانيتان. أرجوانيتان داكتان، داكتان وغازبتان.

لا بدّ أنه شعر بتحديقها إليه، إذ رفع عينيه عن سيفه ولاقى نظرتها بنظرته وابتسم، وأحسّت آريان بالحرارة تسري في وجهها. لم يكن عليّ أن أجلبه. إذا رمقتي بنظرة كهذه في وجود آريس ستُراق الدّماء على الرّمال. إلّا أنها

تجهل دماء مَنْ، فالعادة جرّت على أن رجال الحرس الملكي أفضل فُرسان (الممالك السَّبْع) على الإطلاق... لكن النَجْم المظلم هو النَجْم المظلم.

على الرَّمال يشتدُّ البرد في ليالي (دورن)، ولذا جمعَ لهم جارين الحطب من فروع الأشجار البيضاء التي ذبلت وماتت منذ مئة سنة، وتولى دراي إشعال النَّار وهو يصفر بينما يقدح الشَّرر بحجر صَوَّان.

ما إن سَبَّ اللهب في الحطب حتى جلسوا حوله ممرّرين قربةً من النَّيِّد الصَّيفي من يد إلي يد... باستثناء النَجْم المظلم الذي يُفَضَّل شرب عصير اللَّيْمون غير المحلّى. كان جارين في مزاج مَرِح وسلاهم بأجدد الحكايات من (بلدة الأخشاب) عند مصبِّ (الدَّم الأخضر)، حيث يأتي أيتام النَّهر للتجارة مع القراقير والأكواج والقوادم الآتية من وراء (البحر الضيّق). إذا صدقَ البحارة فالشرق يغلي بالأعاجيب والأهوال. ثورة عبيد في (أستاپور)، وتنانين في (كارث)، وطاعون أرمدي في (بي تي)، وملك قراصنة جديد ظهر في (جُزر البازيليسق)<sup>(1)</sup> وشنَّ غارةً على (بلدة الأشجار الطويلة)، وفي (كوهور) أثارَ أتباع الرُّهبان الحُمر شغبًا وحاوَلوا إحراق الكيش الأسود. «والجماعة الذَّهبيَّة فسخت عقدها مع (مير) قبيل دخول المايريين الحرب ضد (ليس)». قالت سيلفا مخمَّنة: «اللايسينيون اشتروهم».

عقب دراي: «اللايسينيون الأذكياء، اللايسينيون الأذكياء الجبناء».

لكن آريان تعرف خيرًا عنهم. إذا كانت الجماعة الذَّهبيَّة وراء كويتن... «تحت الذهب الفولاذ الأليم» هتافهم في المعارك. ستحتاج إلى الفولاذ الأليم وأكثر يا أخي إذا كنت تُفكّر في تنحيّتي. آريان محبوبه في (دورن)، أمّا كويتن فلا يعرفه إلا قاتل، ولا جماعة من المرتزقة يُمكنها أن تُغيّر هذا. قام السير جيرولد قائلًا: «أظنُّ أنني سأذهبُ لأتبول».

قال دراي محدّرًا: «انتبه لموطئ قدميك. لقد مرّت فترة طويلة منذ استحلَب الأمير أوبرين الأفاعي في هذه الأنحاء».

ردَّ السير جيرولد: «لقد فُطمتُ على الرُّعاف يا دالت. الأفعى التي تلدغني ستندم»، واختفى تحت قنطرة مكسورة.

---

(1) البازيليسق مخلوق زاحف أسطوري، يتميَّز بالقُدرة على القتل بسُمِّه الرُّعاف، ويُقال إنه ملك الأفاعي. (المترجم).

حين رحل تبادل الآخرون نظرة، وقال جارين برفق: «اعذريني أيتها الأميرة، لكن هذا الرجل لا يروقني».

قال له دراي: «مؤسف. أعتقد أنه شبه واقع في غرامك». ردت آريان مذكرةً إياهم: «إننا محتاجون إليه. ربما نحتاج إلى سيفه، ومؤكّد أننا سنحتاج إلى قلعته».

عقبت سيلفا الرقطاء: «(الصومعة العالية) ليست القلعة الوحيدة في (دورن)، ثم إن معك فُرساناً آخرين يحبونك للغاية. دراي فارس». أيدها قائلاً: «نعم، وأملكُ حصاناً رائعاً وسيفاً ممتازاً، ولا يفوقني شجاعةً... إلا كثيرون في الحقيقة».

قال جارين: «عدّة مئات على الأرجح أيها الفارس». تركتهم آريان لمزاحهم. دراي وسيلفا الرقطاء أعزّ أصدقائها علاوةً على تابين ابنة عمّها، وجارين يُعابثها منذ كان كلاهما يرضع من ثديي أمّه، لكنها في هذه اللحظة تحديداً ليست في مزاج مزاح. كانت الشمس قد غابت وامتلاّت السماء بالنجوم. كثيرة جداً. أسندت ظهرها إلى عمودٍ محرزّ وتساءلت إن كان أخوها يتطلع إلى النجوم نفسها الليلة أينما كان. هل ترى النجم الأبيض يا كوينتن؟ هذا نجم نايميريا المتقد، والكوكبة البيضاء كالحليب وراءه سُفنها العشرة آلاف. لقد بارزت الرجال جميعاً في الألق، وكذا سأكون أنا. لن تسلبني حقّ ميلادي!

كان كوينتن حديث السنّ حين أُرسِلَ إلى (بيرونود)، صغيراً للغاية حسب تعبير أمّهما. ليس من تقاليد النورفوشيين أن يُرسِلوا أطفالهم إلى غيرهم ليُرَبّوهم، والليدي ميلاريو لم تغفر للأمير دوران قطّ إبعاده ابنتها عنها. في مرّة سمعت آريان أباهاً مصادفةً يقول: «الأمر لا يروقني أكثر منك، لكن هناك دين دم، وكوينتن العملة الوحيدة التي سيقبلها اللورد أورموند».

صرخت أمّها: «عملة؟! إنه ابنك! أيّ صنّفٍ من الآباء يُسدّد ديونه بلحمه ودمه؟».

أجاب دوران مارتل: «صنف الأمراء». ما زال الأمير دوران يتظاهر بأن أخاها مع اللورد بيرونود، لكن أم جارين رآته في (بلدة الأخشاب) متنكراً في هيئة تاجر. لأحد رفاقه عين كسول،

تمامًا مثل كليتوس يرونوود ابن اللورد آندرز الشَّهوانِي، وفي صحبتها مایستر أيضًا، مایستر ضلیع في اللغات. أخي ليس بالذكاء الذي يخاله. كان رجل ذكي ليُعَادِر من (البلدة القديمة)، حتى إذا كان ذلك يعني رحلةً أطول في البحر. في (البلدة القديمة) كانت فُرصة أن يتعرّفه أحد ضعيفًا. لآريان أصدقاء وسط أيتام (بلدة الأخشاب)، وقد شعر بعضهم بالفضول إزاء سفر أمير وابن لورد تحت اسمين مستعارين وسعيهما إلى عبور (البحر الضيق). في ليلة تسلل أحدهم من نافذةٍ وعالج قفل صندوق كويتن المتين، ووجد لفائف الرُّقوق في الدَّاخل.

كانت آريان لتدفع ثمنًا باهظًا كي تعلم أن هذه الرحلة السريّة عبر (البحر الضيق) من صنع أخيها كويتن وحده... لكن الوثائق التي يحملها مختومة بشمس (دورن) وحربتها. لم يجرؤ ابن عمّ جارين على كسر الأختام ليقرأ محتوياتها، ولكن...

- «سموّ الأميرة»، قال السير چيرولد داين إذ وقف وراءها، نصفه في ضوء النجوم ونصفه في الظلال.  
سألته آريان بخبث: «كيف كان تبؤلك؟».

قال داين: «الرّمال في غاية الامتنان»، ووضع قدمه على رأس تمثالٍ ربما كان لـ(العذراء) قبل أن تطمس الرّمال ملامحه، وأردف: «خطر لي وأنا أتبول أن خطّتك هذه قد لا تُثمر ما تُريدينه».  
- «وما الذي أريده أيها الفارس؟».

- «إطلاق سراح أفاعي الرّمال، الانتقام لأوبرين وإليا. أعرفُ تلك الأغنيّة. تُريدين تدوُق دماء الأسد».  
هذا، وحقّي في الميلاد. أريدُ (صنسيپر) ومقعد أبي، أريدُ (دورن). «أريدُ العدل».

- «أسميه كما تشائين. تتويج ابنة لانستر لفتة فارغة. إنها لن تجلس على العرش الحديدي أبدًا، ولن تنالي الحرب التي تُريدينها. الأسد لا يُستفز بسهولة».

- «الأسد مات. من يدري أيّ السُّبلين المتبقّيين نُفضّل اللبؤة؟».  
قال السير چيرولد: «السُّبل الذي في عرينها»، وامتشق سيفه ليبرق في

ضوء النجوم بحلّة الأكاذيب، وتابع: «هكذا تبدئين حربًا، ليس بتاج من ذهب وإنما بنصل من فولاذ».

لستُ قاتلة أطفال. «أغمد هذا الشّيء. مارسلا تحت حمايتي، والسير آريس لن يسمح بأن يمسّ أميرته الغالية أذى، وأنت تعلم هذا».

- «لا يا سيّدتي. ما أعلمه أن آل داين يُقتلون آل أوكهارت منذ آلاف السنين».

ردّت وقد أذهلتها غطرسته: «يبدو لي أن آل أوكهارت كانوا يُقتلون آل داين طيلة الفترة نفسها».

دسّ النجم المظلم سيفه في غمده قائلاً: «كلنا لنا تقاليدنا العائليّة. القمر يطلع، وأرى رجلك القدوة يقترب».

بصره ثاقب حقاً. راكب الجواد الحربي الرّمادي الطويل هو السير آريس بالفعل، يخفق معطفه وراء ظهره في منظر بهي بينما ينطلق على الرّمال، وقد ركبت الأميرة مارسلا وراءه متدثّرة بمعطف مزوّد بقلنسوة تُخفي خصلاتها الذهبيّة.

ساعدتها السير آريس على النزول، وجثا دراوي على رُكبة واحدة أمامها قائلاً: «جلالة الملكة».

وقالت سيلقًا الرّقطاء إذ جثت إلى جواره: «مولاتي».

وقال جارين راعماً على كلتا رُكبتيه: «أنا رجلك يا مليكتي».

أمسكت مارسلا ذراع السير آريس حائرة، وسألته بنبرة وجلة: «لماذا يدعونني بجلالة الملكة؟ سير آريس، ما هذا المكان ومن هؤلاء؟».

ألم يُخبرها بشيء؟ تقدّمت آريان في دوامة من الحرير، وابتسمت لتُطمئن الطفلة قائلة: «إنهم أصدقاؤني الأوفياء المخلصون يا جلالة الملكة... ويرغبون في أن يُصبحوا أصدقاؤك أيضًا».

قالت مارسلا: «الأميرة آريان»، واحتضنتها متسائلة: «لماذا يدعونني بالملكة؟ هل حدث شيء لتومن؟».

أجابتها آريان: «لقد تورّط مع أناسٍ أشرارٍ يا جلالة الملكة، وأخشى أنهم تأمروا معه على سرقة عرشك».

قالت الفتاة وقد تضاعفت حيرتها: «عرشي؟ تعنين العرش الحديدي؟ لكنه لم يسرقه. تومن...».

- «... أصغر منك قطعاً، أليس كذلك؟».

- «أنا أكبره بعام».

قالت آريان: «ومعنى هذا أن العرش الحديدي حقك. أخوك مجرد صبي صغير ويجب ألا تلوميه. مستشاروه هم السيئون... أما أنت فلنك أصدقاء. هلاً منحيتني شرف تقديمهم؟»، وأمسكت يد الطفلة قائلة: «جلالة الملكة، أقدم لك السير أندراي دالت وريث (غابة الليمون)».

- «أصدقائي يُسمّونني دراوي، وسيكون شرفاً عظيماً لي أن تدعوني صاحبة الجلالة بالاسم نفسه».

على الرغم من وجه دراوي الصريح وابتسامته العفوية رمقته مارسلا بحذر قائلة: «حتى أعرفك عليّ أن أدعوك بالفارس».

- «أنا رجل صاحبة الجلالة أيّاً كان الاسم الذي تُفضّله».

تنحنحت سيلفا إلى أن قالت آريان: «اسمحي لي بأن أقدم لليدي سيلفا سانتاجاريا مولاتي، سيلفا الرّقطاء صديقتي الأعز».

سألت مارسلا: «لماذا يُطلقون عليك هذا اللقب؟».

أجابتها سيلفا: «بسبب نمشي يا جلالة الملكة، مع أنهم يتظاهرون جميعاً بأن السبب أنني وريثة (الغابة الرّقطاء)».

حان دور جارين ببنيتها الرّشيقة وبشرته السّمراء وأنفه الطويل وحليّة من اليشب في إحدى أذنيه، وقالت آريان: «هذا جارين اليتيم المرح. أمّه كانت مُرضعتي».

قالت مارسلا: «أسفةٌ لأنها ماتت».

ردّ جارين: «لم تمّت يا ملكتنا الجميلة»، وابتسم كاشفاً عن السنّ الذهبية التي ابتاعتها له آريان بدلاً من التي كسرتها، وأضاف: «سيّدتني تعني أنني من أيتام (الدم الأخضر)».

ستجد مارسلا وقتاً يكفي لأن تتعلّم تاريخ الأيتام في أثناء رحلتها في النّهر، وهكذا قادّت آريان ملكتها المقبلة إلى العضو الأخير في مجموعتها الصّغيرة، وقالت: «أخيراً - ولكن أولاً في الشّجاعة - أقدم لك السير چيرولد داين فارس (ستار فول)».

جثا السير چيرولد على ركبته، ولمع ضوء النّجوم في عينيه الدّاكتنين

إذ رمق الفتاة ببرود، وقالت مارسلًا: «كان هناك آرثر داين، كان فارسًا في الحرس الملكي في عهد الملك المجنون إيرس».

- «كان سيف الصُّباح. لقد مات».

- «وأنت سيف الصُّباح الآن؟».

- «لا، يدعونني بالنَّجم المظلم. إنني ابن اللَّيل».

سحبت آريان الطُّفلة قائلَةً: «لا بُدَّ أنكِ جائعة. معنا تمر وجُبنة وزيتون وعصير ليمون محلَّى، لكن لا يجدر بك أن تأكلي أو تشربي كثيرًا. بعد راحة قصيرة علينا أن نتحرَّك. هنا على الرُّمال الأفضل دائمًا أن نتحرَّك ليلاً قبل أن تطلع الشَّمس في السَّماء، رفقًا بالخيل».

أضافت سيلثا الرِّقطاء: «وبالركابين. هلمِّي يا صاحبة الجلالة، دفني نفسك. من دواعي شرفي أن تسمح لي بتقديم الطَّعام لك».

وبينما قادت سيلثا الأميرة إلى النَّار وجدت آريان السير چيرولد وراءها يقول متذمِّرًا: «تاريخ عائلي يعود عشرة آلاف عام إلى فجر الزَّمان، فلم لا يذكُر النَّاس من آل داين كلَّهم إلَّا ابن عمومي؟».

علق السير آريس أوكهارت: «كان فارسًا عظيمًا».

ردَّ النَّجم المظلم: «كان سيفه عظيمًا».

قال السير آريس: «وقلبه أيضًا»، وأخذ آريان من ذراعها قائلًا: «سموِّ

الأميرة، اسمحي لي بلحظة على انفراد».

- «تعال». قادت السير آريس وتوغَّلت به أكثر بين الأطلال. تحت معطفه

يرتدي الفارس سُترَةً من قُماش الذهب مطرَّزة بورقات السَّنديان الثلاث رمز عائلتها، وعلى رأسه خوذة فولاذية خفيفة تعلوها ريشة محزَّزة ومربوط عليها وشاح أصفر على الطُّريقة الدورنيَّة. كان يُمكن أن يحسبه النَّاس فارسًا تقليديًا لولا معطفه المفصَّل من الحرير الأبيض النَّاصع، شاحب كنور القمر وخفيف كالنَّسيم. معطف فارس في الحرس الملكي دون أدنى شك. الأحقق النَّبيل. سألته: «ما الذي تعرفه الطُّفلة؟».

- «القليل. قبل أن نُغادر (كينجز لاندنج) ذكَّرها خالها بأني حاميتها وقال لها إن أيَّ أوامر أمليها عليها الغرض منها الحفاظ على سلامتها. هي أيضًا سمعتهم في الشُّوارع يهتفون مطالبين بالثَّار، وتعرف أن هذه ليست لعبة».

الفتاة شجاعة وحكمتها تفوق سنّها. لقد فعلت كلّ ما طلبته منها ولم تُلقِ سؤالاً واحداً»، وأمسك الفارس ذراعها وتلقّت حوله، ثم خفض صوته قائلاً: «هناك أخبار أخرى يجب أن تعرفيها. تايوين لانستر مات». ردّدت مصدومة: «مات؟».

- «قتله العفريت. الملكة تولّت الوصاية على العرش».

- «حقاً؟». امرأة على العرش الحديدي؟ تفكّرت آريان في الأمر لحظة ثم قرّرت أنه في صالحها. إذا أُلّف لوردات (الممالك السبع) حُكم الملكة سرسي فسيكون ركوعهم للملكة مارسلا أسهل كثيرًا. ثم إن اللورد تايوين كان خصمًا خطرًا، وفي غيابة أعداء (دورن) أضعف كثيرًا. أولاد لانستر يقتلون أولاد لانستر، رائع. «وماذا جرى للقرم؟».

قال السير آريس: «هرب. سرسي عرضت اللوردية على من يأتيها برأسه أيًا كان».

في ساحةٍ داخلية مفروشة بالبلاط وتكاد الرمال المنجرفة تدفنها دفع الفارس ظهر الأميرة إلى عمودٍ ليقبّلها ووضع يده على ثديها. قبلها بشيق طال، وكان ليرفع تنورتها لولا أن آريان تملّصت منه ضاحكة، وقالت: «أرى أن صناعة الملكات تُثريك أيها الفارس، لكن لا وقت لهذا الآن. لاحقًا، أعدك»، ومسّت وجنته متسائلة: «هل قابلتكم مشكلة؟».

- «تريستان فقط. أراد أن يجلس إلى جوار فراش مارسلا ويلعب معها السايقاس».

- «قلت لك إنه أصيبَ بداء البقع الحمراء وهو في الرابعة. المرء يُصاب به مرّة فقط في العمر. كان عليك أن تُذيع أن مارسلا مصابة بالداء الأرمد ليتعد عنها تمامًا».

- «الصّبي ربما، ولكن ليس مايستر أبليك».

- «كاليوت. هل حاول أن يراها؟».

- «ليس بعد أن وصفتُ له البقع الحمراء على وجهها. قال إن لا شيء في الإمكان حتى يجري المرض مجراه، وأعطاني جرّة من المرهم لتهدئة الحكّة».

لا أحد دون العاشرة يموت من البقع الحمراء أبدًا، لكن من شأن الداء



أن يكون مميّناً للكبار، والمياستر كالبيوت لم يُصَبَّ به في صغره كما علّمت آريان حين أصابها الداء نفسه في الثامنة. «عظيم. وماذا عن الوصيفة؟ أهي مقنعة؟».

- «من بعيد. العفريت انتقاها لهذا السبب من بين فتيات كثيرات كريمات المحتد. مارسلا ساعدتها على تجعيد شعرها ورسمت البقع على وجهها بنفسها. إنهما قريبتان من بعيد. (لانسپورت) تعجُّ بال لاني وآل لانيت وآل لانتل والفروع الأدنى من عائلة لانستر، ورنصفهم له الشعر الأصفر نفسه. الفتاة ترتدي معطف نوم مارسلا ووجهها ملطّخ بمرهم المياستر... كانت لتخدعني أنا نفسي في إضاعة خافته. الأصعب كان عثوري على رجل يأخذ مكاني. دايك الأقرب إلى طولي لكنه أسمن من اللازم، فألبست رولدرٍ درعي وقلت له أن يخفض مقدّمة خوذته. إنه أقصر مني بثلاث بوصات، لكن ربما لا يلحظ أحد الفرق إذا لم أكن هناك لأقف إلى جواره. سيلزم مسكن مارسلا على كلِّ حال».

- «لا نحتاج إلّا إلى أيام قليلة فقط، وعندئذ ستكون الأميرة قد ابتعدت عن تناول أبي».

سحبها إليه ومرّغ أنفه في رقبتها متسائلاً: «أين؟ حان الوقت لأن تُخبريني ببقية خطّتك، أليس كذلك؟».

دفعته ضاحكةً، وقالت: «لا، حان وقت الرُّكوب».

كان القمر قد توجَّج كوكبة (عذراء القمر) عندما خرجوا من أطلال (شانديستون) المغبرة الجافة متجهين جنوباً وغرباً. قادتهم آريان والسير أريس وبينهما مارسلا على متن فرسٍ رشيق، وعلى مقربة تبعهم جارين مع سيلثا الرقطاء، بينما ركب الفارسان الدورنيان في المؤخرة. نحن سبعة. أدركت آريان هذا وهم راكبون، ولم تكن قد فكّرت فيه من قبل، إلّا أنه بدا لها بشيرٍ خيرٍ لقضيتهم. سبعة راكبين في طريقهم إلى المنجد. ذات يوم سيُخلدنا جميعاً المغنون. أرادَ دراي مجموعةً أكبر، لكن ذلك كان ليلفت أنبائها غير مرغوب، كما أن كلَّ رجلٍ إضافي يُضاعف خطر الخيانة. أبي علّمني هذا القدر على الأقل. حتى في وقت تمتّعه بالشباب والقوة كان دوران مارتل رجلاً حذرًا يجنح كثيراً إلى الصّمت والسريّة. أنّ أو أن يتخلّى عن الأعباء

التي تُثقل كاهله، لكنني لئن أسمح بإهانةٍ لشرفه أو لشخصه. سَتُعيده إلى حدائقه المائيّة ليعيش ما تبقى له من عُمرٍ محاطًا بالأطفال الصّاحكين وروائح اللّيمون والبرّتقال. نعم، وليُصاحبه كويتن. حالما أتوجُّ مارسلا وأطلقُ سراح أفاعي الرّمال ستحتشد (دورن) أجمعها تحت رايتي. ربما يُعلن آل يرونود تأييدهم كويتن، لكنهم لا يُشكّلون تهديدًا بمفردهم، وإذا منحوا تومن وآل لانستر ولاههم فستجعل النّجم المظلم يستأصلهم من جذورهم.

قالت مارسلا بعد عدّة ساعاتٍ من الرّكوب: «أنا متعبّة. أما زال المكان بعيدًا؟ أين نحن ذاهبون؟».

أجابها السير آريس مطمئنًا: «الأميرة آريان تأخذ جلالتك إلى مكانٍ تكونين آمنةً فيه».

قالت آريان: «إنها رحلة طويلة، لكنها ستُصبح أسهل ما إن نَبْلُغ (الدّم الأخضر). سيُقابلنا بعض قوم جارين هناك، أيتام النّهر. إنهم يعيشون على القوارب ويسوقونها في (الدّم الأخضر) وروافده، يصطادون السمك ويقطفون الفواكه ويقومون بالأعمال الصّروريّة».

صاح جارين بمرح: «نعم، ونُعني ونلعب ونرقص على الماء، ونعرف الكثير من فنون العلاج. أمّي أفضل قابلة في (وستروس)، وأبي يستطيع شفاء الثّاليل».

سألت الفتاة: «كيف تكونون أيتامًا ولكم أمّهات وآباء؟».

فسّرت آريان قائلةً: «إنهم الروينار، وأمّهم كانت نهر (الروين)».

قالت مارسلا التي لم تفهم: «حسبتكم أنتم الروينار، أنتم الدورنيون أعني».

- «نحن كذلك جزئيًا يا جلالة الملكة. إن دماء نايميريا في عروقي، وكذا دماء مورس مارتل، اللورد الدورني الذي تزوّجته. يوم زفافهما أضرمّت نايميريا النّار في سُفنها كي يفهم قومها أن لا سبيل للعودة. سرّ أغلبهم لرؤية اللّهب لأن رحلتهم كانت طويلةً شنيعةً قبل وصولهم إلى (دورن)، وفقدوا كثيرين منهم بسبب العواصف والأمراض والنّخاسين. على أن بعضهم حزن، أولئك الذين لم يحبّوا هذه الأرض الحمراء الجفافة أو ألقتها السّبعة، فتمسّكوا بعاداتهم القديمة وبنوا قوارب من أبدان السّفن المحروقة وأصبحوا أيتام

(الدَّم الأَخْضَر). الأُم في أَغَانِيهِمْ لَيْسَتْ (الأُم) إلهْتَنَا، وَإِنَّمَا (الأُم الروين) التي غَدَّتْهُم مِيَاهُهَا مِنْذُ فَجَرِ الزَّمَانِ».

قال السير آريس: «سمعتُ أن الروينار لهم إله سُلْحَفَاة». أجابه جارين: «رجل النَّهْرِ العَجُوزُ إله أدنى. هو أيضًا وُلِدَ من النَّهْرِ الأُم، وقاتلَ ملك السَّرَّاطِينِ ليظفر بالهيمنة على كلِّ ما يحيى تحت المياه الجارية». غمغمتَ مارسلا: «أوه».

قال دراوي بأكثر نبراته مرحًا: «بلغني أنك خضتِ معارك ضروسًا أيضًا يا جلالة الملكة. يُقال إنك لا تُرِين أميرنا الشُّجاع تيرستان رحمةً على طاولة السايثاس».

قالت مارسلا: «إنه يرضُّ قطعه بالطريقة نفسها دائمًا، الجبال كلها في المقدمة والأفيال في الممرات، فأرسلُ تِنِّيْتِي لتأكل أفياله». سألتها دراوي: «هل تلعب وصيفتك السايثاس أيضًا؟». - «روزاموند؟ لا. حاولتُ أن أعلمها لكنها قالت إن القواعد صعبة للغاية».

سألتها الليدي سيلفا: «أهي من عائلة لانستر أيضًا؟». - «لانستر من (لانسپورت) لا (كاسترلي روك). شعرها لونه كشعري، لكنه مفروود بدلًا من مجعد. روزاموند لا تُشبهني حقًا، لكن حين ترتدي ثيابي يظنُّها من لا يعرفوننا أنا».

- «هل فعلتما هذا من قبل إذن؟». - «أوه، نعم. لقد تبادلنا الأماكن على متن (مغوار البحر) في الطَّريق إلى (برافوس). السَّيِّئَةُ إِجْلَاتَيْنِ صَبَغَتْ شَعْرِي بالبني وقالت إنها لُعبة، لكن الغرض كان حمايتي في حال استيلاء عمِّي ستانيس على السَّفينَة».

كان واضحًا أن الفتاة تزداد إرهابًا، فدعتهم آريان إلى التوقف. سقوا الخيول ثانيةً واستراحوا قليلًا وأكلوا الجُبنة والفواكه، واقتسمتَ مارسلا بُرْتقالةً مع سيلفا الرَّقْطَاءِ، بينما أكلَ جارين الزيتون وصبَّقَ النَّوى على دراوي. كانت آريان تأمل أن يبلغوا النَّهْرَ قبل مطلع الشَّمْسِ، لكنهم بدؤوا رحلتهم بعد الوقت المزمع بفترة طويلة، ولذا كانوا ما زالوا على متون خيولهم حين اصطبغتَ سماء الشرق بالأحمر. لحق النَّجم المظلم بها قائلاً: «أيتها الأميرة،

يَحْسُنُ أَنْ تُسْرِعَ مَا لَمْ تَكُونِي تَتَوَيْنِ قَتْلَ الْفَتَاةِ حَقًّا. لَيْسَتْ مَعَنَا خِيَامٌ، وَالرَّمَالُ قَاسِيَةٌ بِالنَّهَارِ».

قالت له: «أعرفُ الرَّمَالِ مِثْلَكَ تَمَامًا أَيُّهَا الْفَارِسُ»، وَمَعَ ذَلِكَ نَفَذَتْ اقْتِرَاحَهُ، وَهُوَ مَا سَقَى عَلَى دَوَابِّهِمْ، لَكِنْ خَسَارَةٌ سَتَّةٌ أَحْصَنَةٌ خَيْرٌ مِنْ خَسَارَةِ أَمِيرَةٍ وَاحِدَةٍ.

سَرَعَانَ مَا بَدَأَتْ الرِّيحُ تَهَبُّ مِنَ الْغَرْبِ سَاخِنَةً جَافَةً وَمَحْمَلَةً بِحُبِّيَّاتِ الرَّمْلِ. سَحَبَتْ آرِيَانَ عَلَى وَجْهِهَا لِثَامًا مِنَ الْحَرِيرِ الْبَرَّاقِ، مِنْ أَعْلَى أَخْضَرَ بَاهِتٍ وَمِنْ أَسْفَلٍ أَصْفَرَ، وَكَلَا اللَّوْنَيْنِ مَنْدَمَجٌ فِي الْآخَرِ، وَقَدْ أَضَافَتْ لِأَلْوَانِ خَضِرَاءٍ صَغِيرَةٍ مَزِيدًا إِلَى وَزْنِهِ وَخَشْخَشَتْ بِنَعْوَمَةٍ بَيْنَمَا تَرَكِبُ.

قَالَ السَّيْرُ آرِيَسٌ وَهِيَ تُثَبَّتُ لِثَامَهَا بِصُدْغِي خَوْذَتِهَا النُّحَاسِيَّةِ: «أَعْرِفُ لِمَ تُلْتَمُّ أَمِيرَتِي وَجْهَهَا. إِذَا لَمْ تَفْعَلْ فَسَيَفُوقُ جَمَالَهَا الشَّمْسُ سَطْوَعًا».

ضَحِكَتْ رَغْمًا عِنْدَهَا، وَقَالَتْ: «لَا، أَمِيرَتُكَ تُلْتَمُّ وَجْهَهَا لِتَقِي عَيْنَيْهَا مِنْ الْوَهْجِ وَفِيهَا مِنَ الرَّمَالِ. حَرِيٌّ بِكَ أَنْ تَفْعَلَ الْمِثْلَ أَيُّهَا الْفَارِسُ». تَسَاءَلَتْ مِنْذُ مَتَى يُنْفَخُ فَارِسُهَا الْأَبْيَضُ مَجَامَلَتِهِ السَّمَجَةِ هَذِهِ. السَّيْرُ آرِيَسٌ صُحْبَةٌ سَارَّةٌ فِي الْفِرَاشِ، لَكِنَّهُ وَخَفَةٌ الظِّلِّ غَرِيْبَانِ.

غَطَّى رِفَاقَهَا الدُّورْنِيُونَ وَجُوهَهُمْ مِثْلَهَا، وَسَاعَدَتْ سَيْلًا الرِّقَطَاءِ الْأَمِيرَةَ الصَّغِيرَةَ عَلَى وَقَايَةِ وَجْهِهَا مِنَ الشَّمْسِ، إِلَّا أَنَّ السَّيْرَ آرِيَسَ ظَلَّ عَنِيدًا، وَلَمْ يَمْضِ وَقْتُ طَوِيلٍ قَبْلَ أَنْ يَسِيلَ الْعَرَقُ عَلَى وَجْهِهِ وَتَتَوَرَّدَ وَجْتَاهُ بِلَوْنٍ وَرْدِيٍّ. فَتَرَةً أَطْوَلَ قَلِيلًا وَسَيْنَشَوِيٍّ فِي هَذِهِ الْمَلَابِسِ الثَّقِيلَةِ. لَنْ يَكُونَ الْأَوَّلُ، فِيهِ الْقُرُونُ الْمَنْصَرْمَةُ دَخَلَ أَكْثَرَ مِنْ جَيْشٍ (دُورِن) مِنْ (مَمَرِ الْأَمِيرِ) تَحْتَ الرِّايَاتِ الْخَفَاقَةِ، فَقَطَّ لِيذْوِي كُلِّ مِنْهُمُ وَتَشْوِيهِ الرَّمَالِ الدُّورْنِيَّةِ السَّاخِنَةَ. فِي كِتَابِهِ الْمَتْبَاهِي (غَزْوُ دُورِن) كَتَبَ التَّنِينُ الصَّغِيرُ قَائِلًا: «رَمَزٌ عَائِلَةٌ مَارَتَلُ يَتَكَوَّنُ مِنَ شَمْسٍ وَحَرْبَةٍ، وَهُمَا سَلَاحَا الدُّورْنِيِّينَ الْمَفْضَلَانِ، لَكِنْ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ الشَّمْسُ مَمِيئَةٌ أَكْثَرُ».

لِحُسْنِ الْحِظِّ أَنَّهُمْ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى التَّوَعُّلِ فِي الرَّمَالِ وَإِنَّمَا إِلَى قِطْعِ مَسَاحَةٍ مَحْدُودَةٍ مِنَ الْأَرْضِ الْجَافَةِ لَا أَكْثَرَ، وَلَمَّا لَمَحَتْ آرِيَانَ صَقْرًا يَدُورُ بَعِيدًا أَعْلَاهُمْ تَحْتَ سَمَاءٍ بِلَا سَحَابٍ عَلِمَتْ أَنَّ الْأَسْوَأَ صَارَ وَرَاءَهُمْ بِالْفِعْلِ، وَسَرَعَانَ مَا صَادَفُوا شَجْرَةً. صَحِيحٌ أَنَّهَا مَلْتَوِيَةٌ كَثِيرَةُ الْعُقَدِ وَأَشْوَاكُهَا تُعَادِلُ

أوراقها - ككل الأشجار التي تنتمي إلى النوع المسمّى شحاذ الرّمال - لكن وجودها يعني أنهم ليسوا بعيدين الآن عن الماء.

- «كدنا نصل يا جلالة الملكة»، قال جارين لمارسلا ببشاشة عندما لمح مزيدًا من شحاذي الرّمال أمامهم، دغلاً منها ينمو حول قاع جدولٍ جاف. كانت الشمس تهوي عليهم بضرباتها كمطرقة نارية، لكن هذا لا يهّم ما دامت رحلتهم قُرب نهايتها. توقفوا لسقي الخيول مرّةً أخرى ونهلوا من قُرْبهم وبلّوا لثمتهم، ثم عادوا يركبون توطئةً للمرحلة الأخيرة، وخلال نصف فرسخ كانوا يطئون العُشب الشيطاني ويمرّون ببساتين الزيتون، ووراء خطّ من التلال الحجرية أصبح العُشب أكثر اخضياً ونضارةً، وثمة بساتين ليمون ترويهها شبكة من القنوات القديمة. كان جارين أول من لمح النهر يلتمع بالأخضر، فأطلق صيحةً وانطلق سابقاً بإيهم.

ذات مرّةً عبرت آريان مارتل نهر (الماندر) حين ذهبت مع ثلاثة من أفاعي الرّمال لزيارة أم تايين، ومقارنةً بذلك المجرى المائي العظيم يكاد (الدم الأخضر) لا يستحق أن يُسمّى نهرًا، وعلى الرغم من ذلك يبقى شريان الحياة في (دورن). يستمدّ النهر اسمه من لون مياهه الرّائدة الأخضر الدّاكن، لكن مع دنوّهم بدا أن نور الشمس يصبغ تلك المياه بالذهبي. لم تر آريان منظرًا أجمل من قبل قطّ، وقالت لنفسها: المفترض أن يكون الجزء التالي بطيئًا وبسيطًا، نتحرّك في (الدم الأخضر) ومنه إلى نهر (فايث)، أطول مسافةٍ يستطيع القارب أن يقطعها. سيمنحها هذا وقتًا يكفي لإعداد مارسلا لما سيحدث. وراء (فايث) تنتظرهم الرّمال العميقة، وسيحتاجون إلى عون (حجر الرّمل) و(هضبة الجحيم) ليعبروها، لكنها لا تشكّ في استعدادهما للمساعدة. لقد تربّى الأفعوان الأحمر في (حجر الرّمل)، وإلاريا ساند خليلة الأمير أوبرين ابنة اللورد أولر الطبيعيّة، وأربع من أفاعي الرّمال حفيداته. سأتوجّ مارسلا في (هضبة الجحيم) وأرفع رياتي هناك.

وجدوا القارب على بُعد نصف فرسخ في اتجاه المصب، متوارياً تحت الغصون المتدلّية من صفصافةٍ خضراء ضخمة. القوارب التي تُدفع بالعصي واطئة السقف وعريضة من المنتصف وغطسها لا يُذكر، وقد استخفّ بها التّنين الصّغير باعتبارها «أكوأخا مبنية على أطواف»، ولو أن ذلك ليس عادلاً

حقًا. جميع تلك القوارب باستثناء التي يملكها أفقر اليتامى محلّي بنقوش  
والوانٍ أحاذة، وقاربهم هذا مطليّ بدرجات الأخضر، وله ذراع دفة خشبيّة  
منحوتة على شكل عروس بحر، ومن حواجزه تطلّ وجوه أسماك، وعلى  
سطحه تصطفُ العصيّ والحبال وبرطمانات زيت الزّيتون، ومن مقدّمته  
ومؤخّرتة تتأرجح مصابيح حديدية. غير أن آريان لم ترَ أيًا من الأيتام،  
وتساءلت: أين الطّاقم؟

أوقفَ جارين حصانه تحت الصّفصافة، ونادى بينما وثبَ من فوق  
السّرج: «استيقظوا أيها الكسالى. ملكتكم هنا وتريد ترحيبها الملكي. هلمّوا،  
أخرُجوا. سنغنيّ ونشرب النّبذ المحلّي. فمي جاهز ل...».

وانفتحَ باب القارب بعُنف، وإلى ضوء الشّمس خرج آريو هوتا حاملًا  
فأسه الطويلة.

توقّف جارين بحدّة، وشعرت آريان كأن بلطة أصابها في بطنها. لم يكن  
يُفترَض أن تكون هذه النّهاية، لم يكن يُفترَض أن يحدث هذا. ولما سمعت  
دراي يقول: «آخر وجه كنتُ أملُ أن أراه»، علمت أن عليها أن تتصرّف،  
وصاحت وهي تثب فوق حصانها من جديد: «ابتعدوا! سير آريس، احم  
الأميرة...».

دقّ هوتا سطح القارب بكعب فأسه الطويلة، ومن وراء الحواجز المنمّقة  
نهضت دسّة من الحُرّاس المسلّحين بالحِراب والنشّابيّات، وظهرَ المزيد  
منهم فوق القمّرة، ونادى قائدهم: «استسلمي يا أميرتي، وإلا فعلينا أن نقتل  
الجميع باستثناءك والطفلة بأمر أبيك».

طلت الأميرة مارسلا على متن فرسها بلا حراك، وتراجعَ جارين بتؤدّة عن  
القارب رافعًا يديه، وحلّ دراي حزام سيفه، وصاحَ مخاطبًا آريان إذ ارتطمَ  
السيف بالأرض: «الاستسلام يبدو التّصرّف الأسلم».

- «لا!»، صاحَ السير آريس أو كهارت ووضعَ حصانه بين آريان والنشّابيّات  
وسيفه يلتمع فضيًّا في يده، وكان قد خلعَ ثُرسه ودسّ ذراعه في الأحزمة. «لن  
تأخذوها وفي صدري أنفاس تتردّد».

لم تجد آريان وقتًا إلا لتقول له دون كلام: أيها الأحمق المتهور، ماذا  
تحسب نفسك فاعلاً؟

ورنّت ضحكة النجم المظلم إذ قال: «أنت أعمى أم غبي يا أوكهارت؟  
إنهم كثيرون للغاية. اترك سيفك».

واستحّته دراي قائلاً: «افعل كما يقول أيها الفارس».

أرادت آريان أن تُناديه وتقول: لقد وقعنا في الأسر أيها الفارس. موتك  
لن يُحرّرنا. إذا كنت تحبُّ أميرتك فاستسلم، لكن حين حاولت أن تتكلّم  
احتبست الكلمات في حلّقها.

رمقها السير آريس أوكهارت بنظرة اشتياقٍ أخيرة، ثم ضرب حصانه  
بمهمزيه الذهبين وانقضّ.

انطلق صوب القارب مباشرةً ومعطفه الأبيض يخفق وراءه، ولم تر آريان  
مارتل في حياتها كلّها شيئاً بهذه الشجاعة أو بهذه الحماسة. صرخت: «لاااا!!!»،  
لكنها عثرت على صوتها متأخراً جداً. انطلق سهم نُشائية ثم آخر، وهدر هوتا  
بأمر. من هذه المسافة القصيرة فكان درع الفارس الأبيض من ورق، فاخرق  
السهم الأول تُرسه البلوطي الثقيل مثبتاً إياه إلى كتفه، وكشط الثاني فوده، في  
حين أصابت حربة مقذوفة حصانه في الخاصرة، وعلى الرغم من هذا واصل  
الحصان الانقضاض وترنح إذ ارتطم بالمعبر الخشبي. كانت فتاة ما تصيح،  
فتاة صغيرة حمقاء تصيح: «لا، لا، أرجوكم، لم يكن يُفترض أن يحدث هذا»،  
وسمعت آريان مارسلا تصرخ أيضاً بصوتٍ رفيعٍ حاد من جرّاء الهلع.

ضرب سيف السير آريس الطويل ذات اليمين وذات الشمال، وسقط اثنان  
من حاملبي الحراب. رفع حصانه قائمته الأماميتين ورفس أحد رماة النشائية  
في وجهه بينما يُحاول إعادة تلقيمها، لكن سهام النشائيات الأخرى انطلقت  
لتنغرس في جسم الجواد الحربي الكبير بعنفٍ بالغ أسقطه على سطح القارب.  
بوسيلةٍ ما وثب آريس أوكهارت مفلتاً، بل واستطاع الحفاظ على سيفه في يده  
كذلك، وبصعوبةٍ اعتدل راعاً على ركبتيه إلى جوار حصانه المحتضر...  
... ووجد آريو هوتا واقفاً فوقه.

رفع الفارس الأبيض سيفه ولكن ببطءٍ شديد، وبترت فأس هوتا الطويلة  
ذراعه تحت الكتف مباشرةً ودارت نائرة الدماء، ثم عادت تُومض بضربةٍ  
رهيبية أطارت رأس السير آريس وطوّحت به في الهواء ليحطّ وسط أعواد  
البوص ويتلع (الدّم الأخضر) الأحمر بصوتٍ خافت.

لا تَذْكُرُ آريانَ أنها ترَجَّلتَ عن حِصانها. ربما سقطت، لكن ذلك أيضًا لا تَذْكُرُه. فقط وجدتَ نفسها على يديها وقدميها فوق الرِّمال، ترتجف وتتحبب وتقوى عِشاءها، ولم تستطع أن تقول لنفسها إلا: لا، لا، لم يكن يُفترض أن يتأذى أحد، كلُّ شيء كان مخطئًا، كنتُ حذرةً للغاية. سمعتَ آريو هوتا يجأر: «وراءه. إياكم أن يهرب. وراءه!». كانت مارسلا على الأرض تُولول وترتعد، وجهها الشَّاحب في يديها والدماء تسيل من بين أصابعها. لم تفهم آريان. كان بعض الرِّجال يهرع ممتطيًا الخيول وبعضهم يُحيط بها وبرفاقها، لكن لا شيء بدا لها مفهوميًا. لقد وقعت في حُلْم، في كابوس أحمر شنيع. لا يمكن أن يكون هذا حقيقيًا. سأصحو قريبًا وأضحكُ مما أصابني ليلاً من فزع.

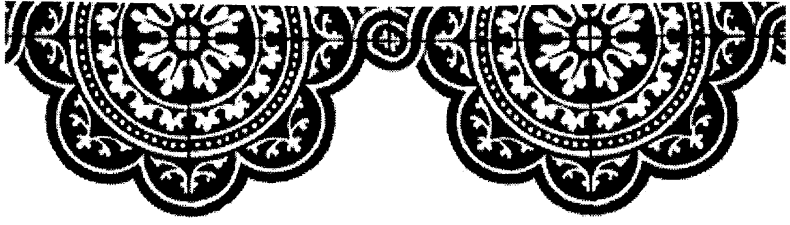
حين قيّدوا يديها وراء ظهرها لم تُحاول المقاومة، ثم سحبها أحد الحرس بحدّة لتقف فرأت أنه يرتدي ألوان أبيها، وانحنى آخر وانتزع من حذائها سكينها الذي كان هديّةً من ابنة عمّها الليدي نيم. التقطه آريو هوتا من الرِّجل، وأعلنَ ودماء آريس أو كهارت تُلَطِّخُ وجنتيه وجهته: «الأمير قال إن عليّ أن أعيدك إلى (صنسبير). آسفٌ يا أميرتي الصَّغيرة».

رفعت آريان وجهًا خطَّطته الدُّموع، وسألت قائد الحرس: «كيف عرف؟»

لقد توخيتُ الحذر الشَّديد. كيف أمكنه أن يعرف؟».

هزَّ هوتا كتفيه مجيبًا: «أحدهم وشي، أحدهم يشي دومًا».





## آريا

كَلَّ لَيْلَةٍ قَبْلَ النَّوْمِ تُمَّتِمَ بِصَلَاتِهَا لَوْ سَادَتْهَا: «السير جريجور، دانسن، راف المعسول، السير إلين، السير مرين، الملكة سرسي». كانت لتهمس بأسماء آل فراي سادة (المعبر) أيضًا لو أنها تعرفها. ذات يوم سأعرفُ، وعندها سأقتلهم جميعًا. لا همسة أكثر خفوتًا من أن تُسَمَّعَ فِي (دار الأبيض والأسود)، ولذا سألها الرَّجُلُ الطَّيِّبُ فِي مَرَّةٍ: «ما تلك الأسماء التي تهمسين بها ليلاً أيتها الصَّغِيرَةُ؟».

قالت: «لستُ أهمسُ بأيِّ أسماء».

- «كاذبة. كلُّ البَشَرِ يكذبون وهم خائفون. بعضهم يكذب كثيرًا وبعضهم قليلًا، وبعضهم عنده كذبة واحدة كبيرة يَرَدُّدونها طويلاً إلى أن يكادوا يُصَدِّقونها... ولو أن جزءًا صغيرًا منهم يعرف دائمًا أنها لا تزال كذبةً، وهو ما يلوح على وجوههم. حدِّثيني عن تلك الأسماء».

مضغت شفتها قائلة: «الأسماء لا تهم».

رَدَّ الرَّجُلُ الطَّيِّبُ بإصرار: «بل تهم». أخبريني أيتها الصَّغِيرَةُ».

سمعت لسان حاله يقول: أخبريني وإلا طردناك، فقالت: «إنهم أناس أكرههم، أريدهم أن يموتوا».

- «نسمع صلواتٍ كثيرةً كهذه في هذا المكان».

قالت آريا: «أعرف». سبق أن أجابَ چاكنَ هاجار ثلاثًا من صلواتها. ما كان عليَّ إلا أن أهمس...

واصل الرَّجُلُ الطَّيِّبُ: «ألذا أتيت إلينا؟ لتتعلمي فنوننا كي تقتلي من تكرهين؟».

لم تدرِ آريا بِمَ تُجيب، فقالت: «ربما».

- «إذن فقد أتيتِ إلى المكان الخطأ. ليس لك أن تُقرّري مَنْ يعيش ومن يموت. الهدية تنتمي إليه هو ذي الوجوه العديدة، وما نحن إلا خُدامه المقسمون على تنفيذ إرادته».

- «أوه». تطلّعت آريا إلى التّمائيل الواقفة عند الجُدران والشّموع الّوامضة عند أقدامها، وسألّت: «أيُّ إليه هو؟».

جاوبها الكاهن المتّشح بالأبيض والأسود: «إنه هُم جميعًا».

لم يُخبرها الرّجل باسمه قطّ، وكذا اللّقيطة، الفتاة الصّغيرة ذات العينين الكبيرتين والوجه الضّاوي التي تُذكّرُها بصغيرةٍ أخرى اسمها بنت عرس. مثل آريا تعيش اللّقيطة تحت المعبد مع ثلاثة من المُعاونين وخدامين وطاهيةٍ اسمها أوما. تحبُّ أوما الكلام فيما تعمل، غير أن آريا لا تفهم كلمة تتفوه بها، أمّا الآخرون فلا أسماء لهم، أو أنهم محجّمون عن الإفصاح بها. أحد الخادمين عجوز للغاية وظّهره محنيّ كالقوس، والثّاني متورّد الوجه وينمو الشّعر من أذنيه، وقد حسبتُهما آريا أبكّمين إلى أن سمعتُهما يُصليّان. المُعاونون أصغر؛ أكبرهم في سنّ أبيها والاثان الآخراّن لا يُمكن أن يكونا أكبر من سانزا التي كانت أختها، ويرتدي ثلاثهم الأبيض والأسود أيضًا، لكن أرديتهم بلا قلنسوة، وسوداء على اليسار وبيضاء على اليمين، في حين يرتدي الرّجل الطيّب واللّقيطة العكس. أعطيت آريا ملابس الخدم؛ سترّة قصيرة من الصّوف غير المصبوغ وسراويل فضفاضة وثيابًا داخلية من الكتّان، بالإضافة إلى خفّين من القماش لقدميها.

وحده الرّجل الطيّب يعرف اللّغة العامية، وكلّ يوم يسألها: «مَنْ أنتِ؟»، فتُجيب: «لا أحد». تقولها تلك التي كانت آريا سليلّة عائلة ستارك، آريا المُداسة، آريا وجه الحصان، والتي كانت أيضًا آريا وبنت عرس والكتكوت وملحة، وكانت نان السّاقية، فأرّارماديًا، نعجة، شبح (هارنهال)... لكن ليس حقًا، ليس في أعماق أعماقها. هناك هي آريا ابنة (ويتترفل)، وليدة اللورد إدارد ستارك والليدي كاتلين، التي كان لها في الماضي إخوة يُسمّون روب وبران وريكون، وأخت اسمها سانزا، وذئبة رهيبه اسمها نايميريا، وأخ غير

شقيق اسمه چون سنو. هناك في الدّاخل هي شخص ما... لكن تلك ليست الإجابة التي يرغب فيها.

دون لغةٍ مشتركة لا تجد آريا وسيلةً للكلام مع الآخرين، لكنها تُصغي إليهم وتُكرّر الكلمات التي تسمعها لنفسها بينما تُمارس عملها. مع أن أصغر المُعاونين أعمى فإنه المسؤول عن الشُّموع، فيطوف في المعبد بحُفنين لئلين محاطًا بغمغمة النِّساء المسنّات اللاتي يأتين بصفةٍ يوميةٍ للصلاة، وحتى بلا بصرٍ يعرف دائماً أيُّ الشُّموع انطفأ، وهو ما علّله الرّجل الطيّب قائلاً: «الرّائحة تُرشده، والهواء أكثر دفئًا حيث تشتعل الشُّموع»، وقال لآريا أن تُغلق عينها وتُجرب بنفسها.

في الفجر يُصلون راعين حول البركة السوداء الرّاكدة قبل أن يُفطروا، وفي بعض الأيام يقود الرّجل الطيّب الصلاة وفي بعضها تقودها اللقيطة. لا تعرف آريا إلاّ كلماتٍ معدودة من البرافوسية، تلك التي لها المعاني نفسها بالثاليرية الفُصحى، ولذا تتوجّه بصلاتها الخاصّة إلى الإله عديد الوجوه. «السير جريجور، دانسن، راف المعسول، السير إلين، السير مرين، الملكة سرسي». تُصلي في صمت، وإذا كان الإله عديد الوجوه إلهاً حقاً فسيسمعها. يأتي المتعبّدون (دار الأبيض والأسود) كلّ يوم. معظمهم يأتي وحده ويجلس وحده، فيشعلون الشُّموع عند مذبح أو آخر ويُصلون إلى جوار البركة وأحياناً يكون، ويشرب بعضهم من الكوب الأسود ويخلد إلى النّوم، لكن عدداً أكبر لا يشرب. ليست هناك شعائر أو ترانيم أو أناشيد ثناءٍ تسرُّ الآلهة، ولا يمتلئ المعبد أبداً، لكن بين الفينة والفينة يطلب أحد المتعبّدين أن يرى كاهناً، فيأخذه الرّجل الطيّب أو اللقيطة إلى المعتكف في الأسفل، لكن ذلك لا يحدث كثيراً.

ثلاثون إلهاً مختلفاً يقفون عند الجدران محاطين بالأضواء الخافتة. رأت آريا أن المرأة الباكية هي المفضّلة عند النِّساء المسنّات، بينما يُفضّل الأثرياء أسد الليل والفُقراء عابر السبيل المقلّنس، ويُضيء الجنود الشُّموع للطفل السّاحب باكالون، والبحّارة للعذراء شاحبة القمر وملك شعب البحار. للإله الغريب مقامه هنا أيضاً، ولو أن المتعبّدين عنده نُذرة، وأكثر الوقت تقف

لم تدرِ آريا بِمَ تُجيب، فقالت: «ربما».

- «إذن فقد أتيتِ إلى المكان الخطأ. ليس لك أن تُقرّري مَن يعيش ومن يموت. الهدية تنتمي إليه هو ذي الوجوه العديدة، وما نحن إلا خُدامه المقسمون على تنفيذ إرادته».

- «أوه». تطلّعت آريا إلى التّمائيل الواقفة عند الجُدران والشّموع الواضمة عند أقدامها، وسألّت: «أيُّ إليه هو؟».

جاوبها الكاهن المتّشح بالأبيض والأسود: «إنه هُم جميعًا».

لم يُخبرها الرّجل باسمه قطّ، وكذا اللّقيطة، الفتاة الصّغيرة ذات العينين الكبيرتين والوجه الضّاوي التي تُذكّرُها بصغيرةٍ أخرى اسمها بنت عرس. مثل آريا تعيش اللّقيطة تحت المعبد مع ثلاثة من المُعاونين وخدامين وطاهيةٍ اسمها أوما. تحبُّ أوما الكلام فيما تعمل، غير أن آريا لا تفهم كلمة تتفوه بها، أمّا الآخرون فلا أسماء لهم، أو أنهم محجّمون عن الإفصاح بها. أحد الخادمين عجوز للغاية وظّهره محنيّ كالقوس، والثّاني متورّد الوجه وينمو الشّعر من أذنيه، وقد حسبتُهما آريا أبكّمين إلى أن سمعتُهما يُصليّان. المُعاونون أصغر؛ أكبرهم في سنّ أبيها والاثنان الآخران لا يُمكن أن يكونا أكبر من سانزا التي كانت أختها، ويرتدي ثلاثهم الأبيض والأسود أيضًا، لكن أريدتهم بلا قلنسوة، وسوداء على اليسار وبيضاء على اليمين، في حين يرتدي الرّجل الطيّب واللّقيطة العكس. أُعطيت آريا ملابس الخدم؛ سترّة قصيرة من الصّوف غير المصبوغ وسراويل فضفاضة وثيابًا داخلية من الكتّان، بالإضافة إلى خفّين من القماش لقدميها.

وحده الرّجل الطيّب يعرف اللّغة العامية، وكلّ يوم يسألها: «مَن أنتِ؟»، فتُجيب: «لا أحد». تقولها تلك التي كانت آريا سليلّة عائلة ستارك، آريا المُداسة، آريا وجه الحصان، والتي كانت أيضًا آري وبنت عرس والكتكوت وملحة، وكانت نان السّاقية، فأرّاماديًا، نعجة، شبح (هارنهال)... لكن ليس حقًا، ليس في أعماق أعماقها. هناك هي آريا ابنة (ويترفل)، وليدة اللورد إدارد ستارك والليدي كاتلين، التي كان لها في الماضي إخوة يُسمّون روب وبران وريكون، وأخت اسمها سانزا، وذئبة رهيبه اسمها نايميريا، وأخ غير

شرح لها الرَّجُل الطَّيِّبُ أَنَّ المِياه المَسُوسَ (1) الَّتِي تُحِيطُ بِ(بِرافوس) تَعَجُّ بِأَسْمَاكِ وَأَصْدافٍ مِنْ جَمِيعِ الأنواعِ، وَثُمَّ نَهَرَ بَنِي بَطِيءٍ يَصُبُّ فِي الهَوْرِ مِنَ الجَنُوبِ وَيَمْضِي مَتَعَرِّجًا فِي مَسَاحَةٍ مَديدَةٍ مِنَ البوصِ وَالبِرْكِ المَدِّيَّةِ وَالسُّهولِ الطَّيْنِيَّةِ، وَلِذا فَهناكَ وَفِرَّةٌ وَفِرَّةٌ دائِمًا مِنَ المَحارِ وَأَمَّ الخُلُولِ وَبَلَحِ البَحْرِ وَسَمَكِ الكِراكيِ وَالصَّفادِغِ وَالسَّلاحِفِ وَسِراطينِ الوَحْلِ وَالسَّراطينِ الرِّقْطاءِ وَالسَّراطينِ المَتسلِّقَةِ وَثِعايِنِ المِياهِ الحِمرِاءِ وَالسَّوداءِ وَالمَخْطَطَةِ وَأَسْمَاكِ السُّلُقِ وَمَحارِ اللُّؤلُؤِ، وَكُلُّ هَذِهِ الأَصْنافِ يَتَكَرَّرُ ظُهُورُهُ عَلى المائِدَةِ الخَشِيبِيَّةِ المَنْقُوشَةِ الَّتِي يَتَنَاولُ عَليها خِدمُ الإِلهِ عَديدُ الوِجوهِ وَجِباثِهم. فِي بَعْضِ اللَّياليِ تُتَبَّلُ أَوْما السَّمَكِ بِمِلْحِ البَحْرِ وَحَبِّ الفِلفلِ المَكْسَّرِ أَوْ تَطهَوْ ثِعايِنِ المِياهِ بِالثُومِ المَفروومِ، وَكُلُّ فِترَةٍ طَويِلَةٍ تُضِيفُ الطَّاهِيَةَ قَليلاً مِنَ الزَّعْفرانِ أَيْضًا. كان هُوتِ بِيايِ لِحَبِّ هَذَا.

العِشاءُ وَقَها المَفْضَلُ مِنَ اليَومِ، فَقَدِ مَضَى وَقَتٌ طَويِلٌ مَنذِ خَلَدَتِ آريا إِلى النُّومِ كَلِّ لَيلَةٍ بِبَطْنِ مَمْتَلِئٍ. فِي بَعْضِ اللَّياليِ يَسْمَحُ لَها الرَّجُلُ الطَّيِّبُ بِأَنَّ تُلقِي عَليه أَسْئَلَةً، فَسَأَلَتْهُ فِي مَرَّةٍ لِمَذا يَبْدُو النَّاسُ الَّذينَ يَأْتونُ المَعْبَدِ هادِئِينَ فِي سَلامٍ دائِمًا. فِي وَطْناها يَخافُ النَّاسُ المَوتِ، وَتَذُكَّرُ كِيفَ بِكى المُرَاقِ ذُو البُثورِ حَينَ طَعَنَتْهُ فِي بَطْناها، وَكِيفَ تَوَسَّلَ السِّيرِ آمُوري لُورِكِ حَينَ ألقاهُ الكِيشَ فِي جُوبِ الدُّبِّ، وَتَذُكَّرُ القَريَّةُ عِندَ (عَينِ الأِلهَةِ) وَصَريخِ القَرويِّينَ وَعَويلِهمُ وَنَحِيبِهمُ ما إِذْ يَبْدَأُ المُدْغِغُ فِي السُّؤالِ عَنِ الذَّهَبِ.

أجابها الرَّجُلُ الطَّيِّبُ: «المَوتُ لَيسَ أَسْوأَ شَئٍ فِي الدُّنيا. إِنَّهُ هَدِيَّةُ الإِلهِ إِليْنا، نَهايةٌ لِلحَاجَةِ وَالأَلَمِ. يَومٌ نَوكِدُ يُرِسلُ الإِلهُ عَديدَ الوِجوهِ إِلى كُلِّ مَنا مَلاكَ ظَلَمَةٍ يَمْضِي إِلى جِوارِنا فِي الحَياةِ، وَحَينَ تَصِيرُ خَطاياِنا وَمَعانِياتِنا أَثْقالًا مَن أَنَّ نَسْتَطِيعُ حَمَلِها يَأخِذُنا المَلاكَ مِنَ يَدِنا وَيَقودُنا إِلى أَراضِي اللَّيْلِ حَينَ تَلْتَمِعُ النُّجُومُ بِلا نَهايةٍ. مَن يَأْتونُ لِلشُّربِ مِنَ الكُوبِ الأَسودِ يَحِثُّونَ عَنِ مَلائِكَتِهمُ، وَإِذا كانوا خائِفينَ تُهدِّئُ الشُّمُوعُ رُوعَهمُ. عَندما تَسْمِئُ شِموعُنا فَفِيمَ تَجْعَلُكَ تُفَكِّرِينَ يا صَغِيرَتِي؟».

أرادت أن تقول: (وينترفل). أشمُّ الثلجِ وَالدُّخانِ وَإِبرِ الصَّنوبرِ، أَشمُّ

(1) المِياه المَسُوسِ هِيَ المِياهُ الأَمْلَحُ مِنَ المِياهِ العَذْبَةِ وَالأَعْذَبُ مِنَ المِياهِ المَالِحَةِ. (المترجم).

الاسطبلات، أشمُّ هودور يضحك وچون وروب يتبارزان في السَّاحة وسانزا تُعني عن ليدي جميلة حمقاء ما، أشمُّ السَّراديب حيث يجلس الملوك الحجريون، أشمُّ الخبز الطَّازج، أشمُّ أيكة الآلهة، أشمُّ ذنبتِي، أشمُّ فروها كأنها لم تزل إلى جوارِي، غير أنها ردَّت لترى ما سيقوله: «لا أشمُّ شيئاً».

- «كاذبة، لكن لك أن تحتفظي بأسرارِك إذا شئتِ يا آريا يا سليلة عائلة ستارك». لا يدعوها بهذا الاسم إلا عندما تُثير استياءه. «تعرفين أنك تستطيعين مغادرة هذا المكان. إنك لستِ منا بعدُ. يُمكنك العودة إلى وطنك متى أردتِ».

- «قلت لي إنني إذا غادرتُ فلا يُمكنني العودة».

- «بالضَّبَط».

أحزنتها الكلمة. اعتادَ سيريو أن يقولها أيضًا، كان يقولها طوال الوقت. سيريو فورل علَّمها أشغال الإبرة ومات من أجلها. «لا أريدُ أن أرحل».

- «ابقي إذن... لكن تذكري أن (دار الأبيض والأسود) ليست بيتاً للأيتام. كلُّ البَشَر واجبهُم الخدمة تحت هذا السَّقْف. فالار دوهايرس كما نقولها هنا. ابقي إذا شئتِ، لكن اعلمي أننا سنتطلَّب طاعتك في جميع الأحيان وفي كلِّ الأشياء. إذا كنتِ لا تستطيعين التزام الطاعة فعليك أن ترحلي».

- «أستطيعُ التزام الطاعة».

- «سنرى».

كلَّفوها بواجباتٍ أخرى بخلاف مساعدة أوما، فتكنس آريا أرضيات المعبد وتُقَدِّم الوجبات وتصبُّ الشَّراب وتفرز أكوام ثياب الموتى وتُفْرِغ صُرر نقودهم وتُحصي العُمَلات الغريبة. كلُّ صباح تسير إلى جوار الرَّجل الطيِّب بينما يدور في أنحاء المعبد بحثًا عمَّن ماتوا، فتقول لنفسها متذكِّرة سيريو: بصمت الظلال. تحمل مصباحًا بمصاريح حديدية سميكة، وعند كلِّ فجرة تُوارب مصراعًا لترى إن كان هناك أحدهم ميتًا فيها.

ليس العثور على الموتى عسيرًا أبدًا. إنهم يأتون (دار الأبيض والأسود) ويُصلُّون ساعة أو يومًا أو عامًا، ثم يشربون الماء الدَّاكن الحُلُو من البركة، ويتمدِّدون على فراش من حجر وراء إله أو آخر، ويُغلقون أعينهم وينامون ولا يستيقظون بعدها أبدًا. قال لها الرَّجل الطيِّب: «هدية الإله عديد الوجوه

تتخذ عديد الصُور، لكنها رفيقة دومًا هنا». حين يجدان جثةً يُردّد صلاةً ويتأكد من أن الرُوح فاضت، وتجلب آريا الخادمين المكلفين بحمل الموتى إلى الأقبية، وهناك يُجَرِّد المُعاونون الجُثث من الثياب ويُعَسِّلونها، وتوضَع الثياب والنُقود والمقتنيات الأخرى في سلَّةٍ للفرز، ثم تُؤخَذ الأجساد الميتة الباردة إلى المعتكف في الأسفل حيث الدُخول متاح للكهنة وخدمهم، أمّا ما يحدث هناك فليس مسموحًا لآريا بأن تعرفه. في مرّةٍ بينما تتناول عشاءها استحوذَ عليها شكُّ رهيب، ووضعت سكينها وحدقت بريّةٍ إلى شريحةٍ من اللّحم الأبيض الشّاحب، فرأى الرّجل الطيّب الرّعب على وجهها، وقال لها: «إنه لحم خنزير أيتها الصّغيرة، لحم خنزير فقط».

سريرها من الحجر ويُدكُّها بـ(هارنهال) والسّرير الذي نامت عليه هناك وقت أن كانت تُنظّف السّلام لويز، وحشيتته مليئة بالخرق بدلًا من القش، وهو ما جعلها أكثر تكتُّلًا من تلك التي اعتادت النّوم عليها في (هارنهال)، لكنها أقلُّ وخزًا أيضًا. مسموحٌ لها بالعدد الذي تُريده من الأغطية الصّوف السّميكة، منها الأحمر والأخضر ومرّبع النّقش، كما أن حُجيرتها لها وحدها، وهناك تحتفظ بكنوزها؛ الشّوكة الفضيّة والقبعة العريضة والقفّاز الذي بلا أصابع، وكلّها أشياء أهداها إليها بحّارة (ابنة المارد)، بالإضافة إلى خنجرها وحذاءها وحزامها وحصيلتها الصّغيرة من النّقود والملابس التي كانت ترتديها... و(الإبرة).

على الرغم من أن واجباتها تترك لها قليلًا من الوقت لأشغال الإبرة فإنها تتدرب متى استطاعت وتُنازل ظلّها على ضوء شمعةٍ زرقاء. ذات يوم مرّت اللّقيطة مصادفةً وزأت آريا في مران المبارزة، فلم تقل الفتاة شيئًا ولكن في اليوم التّالي ساق الرّجل الطيّب آريا إلى حُجيرتها، وقال لها مشيرًا إلى كنوزها: «عليك أن تتخلّصي من كل هذه الأشياء».

قالت آريا مذعورةً: «إنها ملكي».

- «ومن أنتِ؟».

- «لا أحد».

التقط شوكتها الفضة، وقال: «هذه ملك آريا سليمة عائلة ستارك، كلُّ هذا

ملكها. لا مكان لهذه الأشياء هنا، ولا مكان لها أيضًا. إن اسمها اسم رفيع للغاية، ولا مجال هنا للترُّفُّع. إننا خدَمُ».

مجروحةً قالت: «أنا أخدمُ». لقد أحبَّبت هذه الشُّوكَة الفُضَّة.

- «بل تلعبين دور الخادمة، لكنكِ ما زلتِ ابنة لورد في قلبكِ. لقد حملتِ أسماءً أخرى، لكنكِ وضعتِها على نفسكِ بالاستخفافِ نفسه كما لو أنكِ تضعين فُستَانًا، وتحتها ظلَّتِ آريا موجودةً دائمًا».

- «لا أرتدي الفساتين! لا يُمكنك أن تُقَاتِلِ بينما ترتدي فُستَانًا سخيفًا!».  
سألها: «ولِمَ تُريدين أن تُقَاتِلِي؟ هل أنتِ مُبارز براثو يتبختر في الأزقة متعطشًا للدَّماء؟»، وتنهَّد متابعًا: «قبل أن تشربي من الكوب البارد عليكِ أن تهبي كيانكِ كلَّه له هو ذي الوجوه العديدة؛ جسديكِ، روحكِ، نفسكِ. إذا كنتِ لا تستطيعين أن تدفعي نفسكِ إلى فعل ذلك فيجب أن تُغادِري هذا المكان».

- «العُملَة الحديد...».

- «... دفعتِ بها ثمن رحلتكِ إلى هنا، ومن هنا عليكِ أن تدفعي لتسلكي طريقكِ، والتَّكَلْفَة باهظة».

- «لا أملكُ ذهبًا».

- «ما نُقدِّمه لا يُشترى بالذهب. التَّكَلْفَة أنتِ بأكملكِ. البَشَر يسلكون مختلف الطُّرُق في وادي الدُمُوع والآلام هذا، وطريقنا الأصعب، قلائل مخلوقون للمشي فيه. إنه يتطلَّب قوَّة نادرةً للجسد والرُّوح، وقلبًا صلبًا وطيدًا».

هناك فجوة في الموضع الذي يُفترض أن يحتلُّه قلبي، ولا مكان آخر أذهبُ إليه. «إنني قويَّة، قويَّةٌ مثلكِ، إنني صُلبَة».

قال كأنه سمع أفكارها: «تعتقدين أن هذا هو المكان الوحيد لكِ، لكنكِ مخطئة. ستجدين خدمةً أقلَّ مشقَّةً في منزل أحد التُّجَّار، أم أنكِ تُفضِّلين أن تكوني محظيَّةً يتغنُّون بجمالها؟ ما عليكِ إلا أن تقولي وسنُرسلكِ إلى (اللؤلؤة السُوداء) أو (ابنة الغسق). ستنامين على بتلات الورد وترتدين تنانير حريَّةً تحف حين تمسين، وسيدفع السَّادة العظام ثرواتٍ طائلةً ويُفقرون أنفسهم من أجل دم بكارتكِ. أو إذا كنتِ راغبةً في الزَّواج والأطفال فأخبريني وسنجد لكِ زوجًا، صبيًّا حريفًا ما أو عجوزًا غنيًّا أو رَحَّال بحار، أيًّا كان ما تُريدين».



لا تُريد آريا شيئاً من ذلك، ولذا هزّت رأسها بصمت.  
 - «هل تحلمين بـ(وستروس) إذن أيتها الصّغيرة؟ (سيّدة البريق)  
 سفينة لوكو بريستين سترحل غدًا إلى (بلدة النّوارس) و(كينجز لاندنج)  
 و(تايروش). هل نجد لك مكانًا عليها؟»  
 - «لقد جئتُ لتوّي من (وستروس)!». أحيانًا يبدو كأن ألف عام مرّت منذ  
 فرّت من (كينجز لاندنج)، وأحيانًا كأن هذا حدثُ البارحة فحسب، لكنها  
 تعلم أنها لا تستطيع العودة. «سأذهبُ إذا كنت لا تُريدني، لكنني لن أذهب  
 إلى هناك».

قال الرّجل الطيّب: «ما أريده لا يهّم. ربما قادك الإله عديد الوجوه إلى هنا  
 لتكوني أذاته، لكن حين أنظرُ إليك أرى طفلة... والأدهى أنك فتاة. كثيرون  
 خدموا الإله عديد الوجوه على مرّ القرون، لكن أقلّ القليل من خدمه كن  
 نساء. النّساء يأتين بالحياة إلى الدّنيا، ونحن نجلب هديّة الموت. لا أحد  
 يستطيع أن يفعل هذا وذاك».

يُحاول أن يُخيفني لأرحل كما فعل من قبل بالدودة. «لا أبالي بهذا».  
 - «عليك أن تُبالي. ابقِي وسياخذ الإله عديد الوجوه أذنك وأنفك  
 ولسانك، سيأخذ عينيك الرّماديتين الحزيبتين اللتين رأيتا الكثير، سيأخذ يديك  
 وقدميك وساقيك وعورتك، سيأخذ أمالك وأحلامك وحبّك وكرهيتك. من  
 ينخرطون في خدمته عليهم التخلّي عن كلّ ما يجعلهم همّ. هل تستطيعين أن  
 تفعلي ذلك؟»، وأمسك الرّجل الطيّب ذقنها بأصابعه وتطلع إلى عينيها سابراً  
 أغوارهما لدرجة جعلتها ترتجف، وأردف: «لا، لا أظنّ أنك تستطيعين».

ضربت آريا يده مزيحةً إياها، وقالت: «أستطيعُ إذا أردت».

- «هذا ما تقوله آريا سليلة عاتلة ستارك، آكلة دود القبور».

- «أستطيعُ التخلّي عن أيّ شيءٍ أريده!».

أشار إلى كنوزها قائلاً: «ابدئي بهذه إذن».

ليلتها بعد العشاء عادت آريا إليّ حُجّيرتها وخلعت ثيابها وهمست  
 بأسمائها، لكن النّوم أبى أن يأتيها، وظلت تتقلب على الحشيشة المليئة بالخرق  
 وهي تمضغ شفيتها شاعرةً بالفجوة في داخلها حيث كان قلبها.  
 في جوف اللّيل قامت ثانيةً وارتدت الثّياب التي كانت عليها في الطّريق

من (وستروس)، وتمنطقت بحزام سيفها معلّقة (الإبرة) على أحد وركيها وخنجرها على الثاني. بقبعتها العريضة على رأسها وقفازا عديم الأصابع المدسوس في حزامها وشوكتها الفضية في يدها تحركت صاعدة السّلام بخفة مفكّرة: لا مكان هنا لأريا سليلة عائلة ستارك. مكان آريا في (وينترفل)، لكن (وينترفل) ضاعت. عندما تسقط الثلوج وتهبُّ الرِّيح البيضاء ينفق الذئب الوحيد بينما ينجو القطيع. غير أنها بلا قطع. لقد قتلوا قطيعها، قتله السير إلين والسير مرين والملكة، ولما حاولت أن تُكوّن واحدًا جديدًا فرّ أفراده جميعًا؛ هوت باي وجندري ويورن ولومي أخضر اليد، وحتى هاروين الذي كان رجل أبيها.

خرجت من الباب إلى الليل.

إنها المرّة الأولى التي تخرُج فيها منذ دخلت المعبد. كانت السماء غائمة والأرض يُغطّيها الضباب كثائرٍ رمادي متهدّك، وإلى يمينها سمعت تجذيفًا من إحدى القنوات، ففكّرت: (برافوس)، المدينة السريّة. يبدو لها الاسم لائقًا للغاية. انسلت نازلة السّلام المنحدرة إلى الرّصيف المسقوف بينما تدور دوامات الضباب حول قدميها بكثافةٍ حالت دون أن ترى الماء، وإن سمعته يرتطم بنعومة بالركائز الحجرية، ورأت من بعيد ضوءًا يتوهج في الغيوم، فخطر لها أنها النّار الليلية في معبد الرهبان الحمر.

توقفت على حافة الماء وفي يدها الشوكة المصنوعة من الفضة الخالصة. ليست شوكتي، لقد أهداها إلى ملحة. ألقتها إلى أسفل وسمعت صوت تناثر المياه الخافت إذ غاصت فيها. بعدها ألقت القبعة العريضة والقفاز، فهما أيضًا ملك لملحة، ثم إنها أفرغت محتويات جرابها في كفها؛ خمسة أيائل فضية وتسع نجوم نحاسية وبعض البنسات وأنصاف البنسات والجراوت. نثرتها جميعًا في الماء، ثم حان دور حداثها الذي أحدث الصّوت الأعلى، وبعده الخنجر الذي أخذته من القوّاس الذي توّسل من كلب الصّيد الرّحمة، ثم ألقت حزام سيفها في القناة، ومعطفها وسترتها وسراويلها وثيابها الداخليّة. ألقت كل شيء باستثناء إبرتها.

وقفت في أقصى الرّصيف شاحبةً مقشّرةً الجلد ترتجف في الضباب، في يدها إبرتها كأنها تهمس لها وتقول: اطعنيهم بالطرف المدبّب، وتقول:

لا تُخبري سانزا! على النَّصل علامة ميكن. إنه مجرد سيف. إذا احتاجت إلى سيفٍ فهناك مئة تحت المعبد، ثم إن (الإبرة) أصغر من أن يكون سيفاً حقيقياً، بالكاد أكثر من لعبة. لقد كانت فتاةً صغيرةً حمقاء حين صنعه چون لها. «إنه مجرد سيف»، قالتها بصوت عالٍ هذه المرة...  
... لكنه ليس كذلك.

إبرتها روب وبران وريكون، أمها وأبوها، وحتى سانزا. إبرتها جدران (وينترفل) الرمادية وضحك أهلها. إبرتها ثلوج الصيف وقصص العجوز نان وشجرة القلوب بأوراقها الحمراء ووجهها المخيف ورائحة التربة الدافئة في الصوبة الزجاجية وصوت رياح الشمال إذ ترجُّ مصاريع عُرفتها. إبرتها ابتسامه چون سنو. قالت لنفسها متذكرةً: اعتاد أن ينفش شعري ويدعوني بـ«أختي الصغيرة»، وفجأة كانت العبرات تُغرق عينيها.

بوليثر سرقَ منها السيف عندما أسرها رجال الجبل، ثم إذا به هناك حين دخلت الخان على تقاطع الطرق مع كلب الصيد. الآلهة أرادتني أن أحمله. ليست الآلهة السعة ولا الإله عديد الوجوه، بل آلهة أبيها، آلهة الشمال القديمة. فليأخذ الإله عديد الوجوه البقية، لكن لا يمكنه أن يأخذ هذا.

صعدت السلالم عارية كيوم مولدها وقد أطبقت على إبرتها، وفي منتصف الطريق إلى أعلى اهتزَّ حجر تحت قدمها، فركعت آريا وحفرت حول حوافه بأصابعها. لم يتحرك في البداية، لكنها تابرت مكسرة الملائم المتفتت بأظفارها، إلى أن تحرك الحجر أخيراً، فأنت ومدت يديها معاً تسحبها، وانفتح شقُّ أمامها.

قالت لـ(الإبرة): «ستكون آمنًا هنا. لا أحد يعرف مكانك غيري»، ودست السيف والغمد وراء الدرجة ثم أعادت الحجر إلى موضعه ليبدو كسائر الأحجار الأخرى من جديد، وبينما واصلت طريقها إلى أعلى عدت الدرجات لتعلم أين تجد السيف ثانية. ذات يومٍ قد تحتاج إليه. همست لنفسها: «ذات يوم».

لم تُخبر الرجل الطيب بما فعلته، لكنه علم، وفي الليلة التالية أتاها في حُججرتها بعد العشاء، وقال: «تعالى واجلسى معي أيتها الصغيرة. عندي حكاية أودُّ أن أحكيها لك».

سألته بحذر: «حكاية ماذا؟».

- «حكاية بداياتنا. إذا كنت تُريدين أن تكوني منا فالأفضل أن تعرفي مَنْ نحن وكيف جئنا إلى الوجود. ربما يتهاَمَس النَّاسُ عن رجال (برافوس) عديمي الوجه، لكننا أقدم من المدينة السريّة. قبل أن يرتفع (المارد) وقبل أن يُميط أوثيرو اللثام عن المدينة وقبل تأسيسها كنا نحن. لقد أينعنا في (برافوس) وسط هذا الضباب الشّمالي، لكن جذورنا تعود إلى (فاليريا) وعبيدها البائسين الذين كدحوا في المناجم العميقة تحت (الأربع عشرة شُعلة) التي كانت تُضيء ليالي المعقل الحُر قديمًا. معظم المناجم مظلم بارد ومحفور في الحجر الميت، لكن (الأربع عشرة شُعلة) كانت جبالاً حيّة عروقتها من صخر مصهور وقلوبها من نار، وهكذا كانت مناجم (فاليريا) ساخنة دوماً، وتزايدت سخونتها أكثر فأكثر كلما حُفِر المزيد من الأنفاق في الأعماق. كان العبيد يكِدُون في أتون، الصُّخور حولهم أسخن من أن يلمسوها، والهواء يعقب برائحة الكبريت ويسفع رئاتهم مع كل نفس يَدْخُل صدورهم، وتُحرق الأرض باطن أقدامهم وتُقَرِّحها حتى مع انتعالهم أكثر الصنادل سماكة. أحياناً عندما يخترقون جداراً بحثاً عن الذهب كانوا يجدون بدلاً منه بُخاراً أو مياهًا تغلي أو صخوراً مصهورة، وبعض الأنفاق كان واطئاً للغاية ولا يستطيع العبيد الوقوف فيه معتدلين، فكانوا يزحفون أو ينحنون. وكانت هناك ديدان في تلك الظلمة الحمراء أيضًا».

سألته مقطبةً جبينها: «ديدان الأرض؟».

- «ديدان النَّار. يقول بعضهم إنها من جنس التّنانين، فتلك الدّيدان تنفث النَّار أيضًا، ولكن بدلاً من التّحليق في السّماء تنخر الحجارة والتّربة. إذا صدّقنا الحكايات القديمة فديدان النَّار كانت تعيش في (الأربع عشرة شُعلة) من قبل مجيء التّنانين. أصغرّها ليس أكبر من ذراعك النَّاحلة هذه، لكنها تنمو إلى أحجام رهيبية ولا تحبُّ البشَر على الإطلاق».

- «هل قتلت العبيد؟».

- «كثيراً ما كان يُعثر على الجُثث المحروقة والمسوّدة في الأنفاق التي تشققت جدرانها أو امتلأت بالفتحات، وعلى الرغم من ذلك تواصل حفر الأنفاق في أعماقٍ أبلغ وأبلغ. كان العبيد يهلكون بالعشرات لكن أسيادهم

لم يُبالوا. بالنسبة إليهم كان الذهب الأحمر والأصفر والفضة أثمن من أنفس العبيد، والعبيد كانوا رخيصين في المعقل الحُر القديم. في الحروب كان القاليريون يأسرونهم بالآلاف، وفي أوقات السَّلام كانوا يجعلونهم يتوالَّدون، ولو أن أسوأهم فقط كان يُرسل ليموت في الظلِّمة الحمراء». - «ألم يثر العبيد ويُقاتلوا؟».

- «بعضهم. كانت التمرُّدات شائعة في المناجم، لكن قليلاً منها حقَّق شيئاً. سادة التَّنانين في المعقل الحُر القديم كانوا أقوياء في الشَّعوذة، وكان من هم أدنى منهم يتحدونهم معرِّضين أنفسهم للخطر. أول رجلٍ عديم الوجه كان من هؤلاء».

اندفعت آريا تسأل قبل أن تتوقَّف لتفكِّر: «مَن كان؟».

أجابها: «لا أحد. بعضهم يقول إنه كان عبداً، ويصرُّ غيرهم على أنه كان ابناً لأحد الأسياد مولوداً من سُلالةٍ نبيلة، بل وهناك من يقول إنه كان مُسرفاً أسفَق على من يعملون تحت إمرته، لكن الحقيقة أن لا أحد يعلم. أيّاً كان فقد اعتاد أن يتحرَّك بين الرِّقيق ويسمع صلواتهم. كان أناس من مئة أمةٍ مختلفة يُعانون في المناجم، كلٌّ منهم يدعو ربَّه بلُغته، لكن جميعهم كان يُصَلِّي طالباً الشَّيء نفسه. كانوا يَطْلُبون الخلاص ونهاية الألم، شيء صغير بسيط، لكن آلهتهم لم تُجِب واستمرَّ عذابهم. تساءل الرَّجل: هل آلهتهم كلها صمَّاء؟ إلى أن أتته الإجابة ذات ليلةٍ في الظلِّمة الحمراء. لكلِّ الآلهة أدواتها، رجال ونساء يخدمونها ويُساعدون على تنفيذ إرادتها على الأرض. لم يكن العبيد يتضرَّعون إلى مئة إلهٍ مختلف كما بدا، وإنما إلى إلهٍ واحد له مئة وجهٍ مختلف... والرَّجل كان أداة هذا الإله. في الليلة ذاتها اختارَ أكثر العبيد تعاسةً، الذي كان يُصَلِّي بحرارةٍ أشد من غيره ناشداً الخلاص، وعتقه من عبوديَّته. ليلتها أُعطيَت الهدية الأولى».

تراجعت آريا قائلةً وقد بدا لها الكلام خاطئاً: «قتل العبد؟! كان المفترَض أن يقتل الأسياد!».

- «لاحقاً أعطاهم الهدية أيضاً... لكن تلك حكاية ليومٍ آخر، حكاية الأفضل أن تطلَّع عليها من هي لا أحد»، وحنى الرَّجل الطيِّب رأسه إلى الجانب سائلاً: «ومَن أنتِ أيتها الصَّغيرة؟».

- «لا أحد».

- «كاذبة».

- «وما أدراك؟ أهو السُّحر؟».

قال: «ليس ضروريًا أن يكون الإنسان ساحرًا ليعرف الصِّدق من الكذب إذا كانت له عينان. عليك فقط أن تتعلّمي قراءة الوجوه. انظري إلى العينين، إلى الفم، والعضلات هنا في رُكن الفك، وهنا حيث يلتحم العنق بالكتفين»، ومسّها بإصبعين بخفّةٍ متابعًا: «بعض الكذّابين تطرف أعينهم، وبعضهم يُحمِلق، وبعضهم يُشِيع بوجهه، وبعضهم يلحق شفّيته، وكثيرون يُعطون أفواههم قبل أن ينطقوا كذبًا كأنهم يُحاولون إخفاء خداعهم. ثمة علامات أخرى أقل وضوحًا، لكنها موجودة دائمًا. قد تتشابه ابتسامة زائفة وأخرى صادقة، لكنهما مختلفتان كما الغسق والفجر. هل يُمكنك تمييز الغسق من الفجر؟».

أومأت آريا برأسها إيجابًا، مع أنها ليست واثقة باستطاعتها هذا حقًا.

- «إذن فيمكنك أن تتعلّمي رؤية الأكاذيب... وبمجرد أن تتعلّمي فلن

يأمن منك سر».

- «علّمني». ستُصبح لا أحد ما دامَ هذا ما يتطلّبه الأمر. إذا كانت لا أحد

فلن تكون في داخلها فجوة.

- «هي ستُعلّمك»، قال الرّجل الطيّب إذ ظهرت اللّقيطة خارج بابها. «بدايةً

بلغة (برافوس). ما فائدتك إذا كنت لا تتكلّمينها أو تفهمينها؟ وستُعلّمينها

أنت لُغتك، وبهذا ستُعلّم كلتاكما معًا من الأخرى. هل ستفعلين هذا؟».

أجابت: «نعم»، ومنذ تلك اللّحظة باتت مبتدئةً في (دار الأبيض والأسود).

أخذوا منها ملابس الخدم وأعطوها بدلًا منها رداءً من الأبيض والأسود شديد

النُّعومة كالذّثار الأحمر القديم الذي كانت تتغطّى به في (وينترفل)، وتحتته

ارتدت ثيابًا داخليةً من الكتّان الأبيض الناعم وسترةً تحتيةً سوداء تدلّت على

جسدها متجاوزةً رُكبتها.

منذ ذلك الحين تقضي واللّقيطة أوقاتهما معًا في لمس الأشياء والإشارة

إليها، وكلّ منها تُحاول تعليم الأخرى بضع كلماتٍ من لُغتها. بدأت بكلماتٍ

بسيطة ككوب وشمعة وحذاء، ثم كلماتٍ أصعب، ثم جُمَلٍ كاملة. في

الماضي اعتادَ سيريو فورل أن يجعلها تقف على ساقٍ واحدة حتى ترتعد،

وبَعدها أرسلها تُطارِد القِطط، وِرَقَصَت آريا رِقصة المِياه على فروع الأشجار وفي يدها سيف من خشب. كلُّ هذه الأشياء كان صعبًا، لكن هذا أصعب. حتى الخياطة كانت أمتع من اللُّغات، قالت لنفسها في ليلةٍ بعد أن نسيَت نصف الكلمات التي ظنَّت أنها تعلَّمتها وأسَاءت نطق النصف الآخر لدرجةٍ أضحكت اللَّقيطة منها. عباراتي معوجةٌ كما كانت غُرزي. لو لم تكن الفتاة صغيرةً مهزولةً لهشَّمت آريا وجهها السَّخيف، لكنها راحت تَمضغ شفتها بدلًا من ذلك. أغبى من أن أتعلَّم وأغبى من أن أستسلم. تعلَّمت اللَّقيطة اللغة العامية أسرع، وذات ليلة التفتت إليها وسألتها: «مَنْ أنت؟».

أجابتها آريا بالبرافوسية: «لا أحد».

- «كاذبة. يجب أن تكذبي مفضَّل».

ضحكت آريا قائلةً: «مفضَّل؟ تعنين أفضل يا حمقاء».

- «أفضل يا حمقاء. سأريك».

في اليوم التالي بدأت لعبة الأكاذيب التي تتبادل فيها كلتاها إلقاء الأسئلة على الأخرى. أحيانًا تجيبان صدقًا وأحيانًا تكذبان، وعلى السَّائلة أن تُحاول التفريق بين هذا وذاك. بدا أن اللَّقيطة تعرف دائمًا، أمَّا آريا فعليها أن تُحَمِّن، وأكثر الوقت يكون تخمينها خاطئًا.

في مرَّةٍ سألتها اللَّقيطة باللُّغة العامية: «كم عامًا عندك؟»، فجاوبت آريا: «عشرة»، ورفعت عشرة أصابع. ظنَّها أنها لا تزال في العاشرة، ولو أن التَّيقن عويص، كما أن البرافوسيين يعدُّون الأيام بشكلٍ مختلفٍ عن الوستروسيين. ربما حلَّ يوم ميلادها وانقضى بالفعل.

أومأت اللَّقيطة برأسها وردَّت آريا بالإيماءة، وبأفضل ما تعرف من البرافوسية سألت: «كم عامًا عندك؟».

أرتها اللَّقيطة عشرة أصابع، ثم عشرةٍ أخرى، ثم عشرةٍ أخرى، ثم ستة. ظلَّ وجهها بهدوء المِياه الرَّاكدة، وفكَّرت آريا: لا يُمكن أن تكون في السادسة والثلاثين، إنها بنت صغيرة. قالت لها: «أنتِ كاذبة»، فهزَّت اللَّقيطة رأسها نفيًا وأرتها ثانيةً: 10 و10 و10 و6، وقالت مقابل 36 بالبرافوسية وجعلت آريا تُردِّدها.

أخبرت الرجل الطيب بما ادّعته اللقيطة في اليوم التالي، فقال الكاهن مقهقها: «لم تكذب. من تُسمّيها اللقيطة امرأة بالغة قضت حياتها في خدمة الإله عديد الوجوه. لقد سلّمته كيائها كلّ وكل ما كان يُمكن أن تكونه وكل ما في داخلها من حيوات».

عصّت آريا شفتها، وسألته: «هل سأصبح مثلها؟».

- «لا، ما لم تُريدي ذلك. السُموم هي ما جعلها تبدو كما ترينها».

السُموم. الآن تفهم. كلّ ليلة بعد الصلاة تُفرغ اللقيطة إبريقًا حجريًا في

مياه البركة السوداء.

ليست اللقيطة والرجل الطيب خادمي الإله عديد الوجوه الوحيدين، فمن حين إلى آخر يزور غيرهما (دار الأبيض والأسود). الرجل البدين له عينان سوداوان شرستان وأنف معقوف وفم عريض مليء بالأسنان المصفرة، وصاحب الوجه الصّارم لا يتسم أبدًا وعيناه شاحبتان وشفثاه ممتلئتان داكتتان، والوسيم يتغيّر لون لحيته كلّما رآته ويتغيّر شكل أنفه أيضًا، لكنه يتحلّى دومًا بالوسامة. هؤلاء الثلاثة أكثر من يأتون، لكن هنالك آخرين، مثل ضيق العينين واللورد الصّغير والرجل المهزول. في مرّة جاء البدين وضيق العينين معًا، فأرسلت أوما آريا تصبُّ لهما الشراب، وكان الرجل الطيب قد قال لها: «عندما لا تصبّين عليك أن تقفي ثابتة كأنك منحوتة من الحجر. هل يُمكنك هذا؟».

- «نعم». قبل أن تتعلّمي الحركة يجب أن تتعلّمي الثبات. سيريو فورل أوصاها بهذا منذ زمن طويل في (كينجز لاندنج)، ولقد تعلّمت. في (هارنهال) عملت آريا ساقية عند رروس بولتون، الرجل الذي يُمكنه أن يسلّحك إذا سكبت نيذه.

قال الرجل الطيب: «عظيم. والأفضل أن تكوني عمية صمّاء أيضًا. ربما تسمعين أشياء، لكن عليك أن تتركيها تدخّل من أذن وتخرج من الثانية. لا تُنصتي». سمعت آريا الكثير والكثير ليلتها، لكن معظمه تقريبًا كان بلغة (برافوس)، وبالكَاد فهمت كلمة من عشر. قالت لنفسها: بثبات الحجر، لكنها وجدت مقاومة التثاؤب صعبة، وقبل نهاية الليل كان ذهنها قد شرد بعيدًا، وإذ وقفت هناك حاملة الإبريق حلمت بأنها ذئبة تركّض حرّة في غابة يُبئرها القمر وفي أعقابها قطع عظيم يعوي.



في الصُّبْحِ التَّالِي سَأَلَتِ الرَّجُلَ الطَّيِّبَ: «هَلِ الرَّجَالُ الْآخَرُونَ كَهَنَةٌ كُلُّهُمْ؟ أَتَلِكُ وَجُوهَهُمُ الْحَقِيقِيَّةُ؟».

- «مَاذَا تَحْسِبِينَ أَيَّتَهَا الصَّغِيرَةَ؟».

قَالَتْ لِنَفْسِهَا: لَا، وَقَالَتْ لَهُ: «هَلِ چَاكْنِ هَاچَارِ كَاهِنِ أَيْضًا؟ هَلِ تَعْرِفُ إِنْ كَانَ چَاكْنِ سَيَعُودُ إِلَى (بِرَاثُوسِ)؟».

بِرَاءَةٌ سَأَلَهَا: «مَنْ؟».

- «چَاكْنِ هَاچَارِ! لَقَدْ أَعْطَانِي الْعُمَلَةَ الْحَدِيدَ».

- «لَا أَعْرِفُ أَحَدًا بِهَذَا الْاسْمِ أَيَّتَهَا الصَّغِيرَةَ».

- «سَأَلْتَهُ كَيْفَ يُبَدِّلُ مَلَامِحَهُ وَقَالَ إِنْ هَذَا لَيْسَ أَصْعَبُ مِنْ انْتِحَالِ اسْمٍ جَدِيدٍ إِذَا عَرَفْتُ الْوَسِيلَةَ».

- «حَقًّا؟».

- «هَلِ سَتُرِينِي كَيْفَ أُبَدِّلُ مَلَامِحِي؟».

قَالَ: «إِذَا أَرَدْتِ»، وَأَمْسَكَ ذِقْنَهَا بِأَصَابِعِهِ وَدَوَّرَ رَأْسَهَا مَرْدَفًا: «انْفُخِي وَجَنَّتِيكَ وَأَخْرِجِي لِسَانِكَ».

وَنَفَخَتْ أَرِيًا وَجَنَّتِيهَا وَأَخْرَجَتْ لِسَانَهَا.

- «هَا قَدْ تَبَدَّلْتَ مَلَامِحِكَ».

- «لَمْ أَعْنِ هَذَا. چَاكْنِ اسْتَعْدَمَ السَّحْرَ».

- «كُلُّ السَّحْرِ يَأْتِي بِتَكْلِفَتِهِ أَيَّتَهَا الصَّغِيرَةَ، وَلَا بُدَّ مِنْ سِنِينَ مِنَ الصَّلَاةِ وَالتَّضْحِيحَةِ وَالدَّرَاسَةِ لِاتِّقَانِ التَّمْوِيهِ».

رَدَّدَتْ مَصْدُومَةً: «سِنِينَ؟!».

- «لَوْ كَانَ ذَلِكَ سَهْلًا لَفَعَلَهُ الْبَشَرُ كُلُّهُمْ. يَجِبُ أَنْ تَمْشِي قَبْلَ أَنْ تَجْرِي».

لَمْ تَسْتَعْمِلْ تَعْوِيذَةً بَيْنَمَا تَصْلُحُ حَيْلَ الْمُمَثِّلِينَ؟».

- «لَا أَعْرِفُ أَيَّ حَيْلٍ مُمَثِّلِينَ كَذَلِكَ».

- «تَمَرَّنِي عَلَى التَّلَاعُبِ بِقِسْمَاتِكَ. تَحْتَ جِلْدِكَ عَضَلَاتٌ، فَتَعَلَّمِي كَيْفَ تَسْتَعْمِلُهَا. هَذَا وَجْهِكَ، وَجَنَّتَاكَ، شَفَتَاكَ، أُذُنَاكَ. يَجِبُ الْأَلْيَابِغَتِكَ الْإِبْتِسَامَ

وَالْعَبُوسَ بِالظُّهُورِ عَلَى وَجْهِكَ دُونَ إِرَادَتِكَ. الْوَاجِبُ أَنْ تَكُونَ الْإِبْتِسَامَةَ خَادِمَةً لَكَ وَتَأْتِي فَقَطْ حِينَ تَسْتَدْعِينَهَا. تَعَلَّمِي أَنْ تَحْكَمِي فِي وَجْهِكَ».

- «أَرِنِي كَيْفَ».

قال: «انفُخي وجنتيك»، ففعلت. «ارفعي حاجبيك. لا، أعلى»، ففعلت هذا أيضًا. «عظيم. انظري كم من الوقت تستطيعين إبقاءهما هكذا. لن يستمرَّ هذا طويلًا، لكنَّ جرَّبي ثانية غدًا. ستجدين مرأة مايريَّة في الأقيبة. تمرَّني أمامها ساعة كل يوم. العينان والمنخران والوجتان والأذنان والشفتان، تعلَّمي التَّحكُّم فيها جميعًا»، وعادَ يضمُّ أصابعه على ذقنها ويسألها: «من أنتِ؟».

- «لا أحد».

- «كذبة، كذبة محزنة أيتها الصَّغيرة».

وجدت المرأة المايريَّة في اليوم التَّالي، وتعوَّدت الجلوس أمامها تتلاعب بقسماتها كلَّ صباح وكل مساءً وعلى جانبيها شمعتين. تحكَّمي في وجهكِ وستستطيعين الكذب.

بعدها بفترة قصيرة أمرها الرَّجل الطَّيب بمساعدة المُعاونين على تجهيز الجُثث، فلم تجد في عملها هذا صعوبةً تُداني تنظيف السَّلالم لوزير. أحيانًا إذا كانت الجثة كبيرة أو سمينَّة يشقُّ عليها ثقلها، لكن أكثر الموتى عظام قديمة جافَّة تحت جلودٍ متفُصَّنة، وبينما تُغسلهم أريا تتطلَّع إليهم وتتساءل عمَّا دفعهم إلى البركة السَّوداء. تذكَّرت حكاية روتها العجوز نان عن الأشتية الطَّويلة، وكيف يُعلن من يبلغون من الكبر عتياً أنهم ذاهبون للصَّيد، وسمعت العجوز نان تقول: فتبكي بناتهم ويُشبح أبنائهم بوجههم إلى النَّار، لكن لا أحد يمنعهم أو يسألهم عن الفرائس التي يتنون اقتناصها في الثلوج العميقة بينما تعوي الرِّيح الباردة. تساءلت عمَّا يقوله البرافوسيون العجائز لأبنائهم وبناتهم قبل أن يرحلوا إلى (دار الأبيض والأسود).

دار القمر ودار ثانيةً ولو أن أريا لم تره. ظلَّت تخدم وتُغسل الموتى وتتلاعب بقسماتها في المرأة وتعلَّم البرافوسية وتُحاول أن تتذكَّر أنها لا أحد.

ثم أرسل الرَّجل الطَّيب يستدعيها ذات يوم، وقال لها: «لهجتكِ شنيعة، لكنكِ تعرفين كلماتٍ تكفي لجعل النَّاس يفهمون ما تُريدينه إلى حدِّ ما. حان الوقت لأن تتركينا فترةً. الطَّريقة الوحيدة التي ستُجيدين بها لُغتنا حقًا أن تتكلَّميها من الغسق إلى الفجر. يجب أن تُغادري».

سألته: «متى؟ إلى أين؟».

- «الآن. وراء هذه الجُدران ستجدين جُزر (برافوس) المثة في بحرها. لقد تعلّمتِ مرادفات بلح البحر وأمّ الخلول والمحار، أليس كذلك؟».

أجابَت: «نعم»، وردّدها بأفضل برافوسية تقدر عليها. جعلته أفضل برافوسية تقدر عليها يتسم، وقال: «لا بأس. على الأرصفة قبل (البلدة الغارقة) ستجدين تاجر أسماكٍ اسمه بروسكو، رجل صالح يُعاني تعبًا في ظهره. إنه في حاجةٍ إلى فتاةٍ تدفع عربته وتبيع أمّ الخلول والمحار وبلح البحر للبحّارة. ستكونين هذه الفتاة، مفهوم؟».

- «نعم».

- «ولمّا يسألك بروسكو فمَنْ أنتِ؟».

- «لا أحد».

- «لا، لن يصلح ذلك خارج هذه الدّار».

قالت بعد تردّد: «يُمكنني أن أكون ملحة من (الملاحات)».

«ملحة معروفة لترنيسيو تيريس ورجال (ابنة المارد). إنك موسومة بالطريقة التي تتكلّمين بها، ولذا يجب أن تكوني فتاةً من (وستروس)... لكن فتاة مختلفة على ما أظن».

عصّت شفيتها متسائلة: «أيمكنني أن أكون كات؟».

فكّر لحظةً، ثم قال: «كات، نعم. (برافوس) تعجُّ بالقِطط، ولن يلحظ أحد قطّةً إضافيّةً. أنتِ كات، يتيمة من...».

- «(كينجز لاندنج)». لقد زارت (الميناء الأبيض) مع أبيها مرّتين، لكن معرفتها بـ(كينجز لاندنج) أفضل.

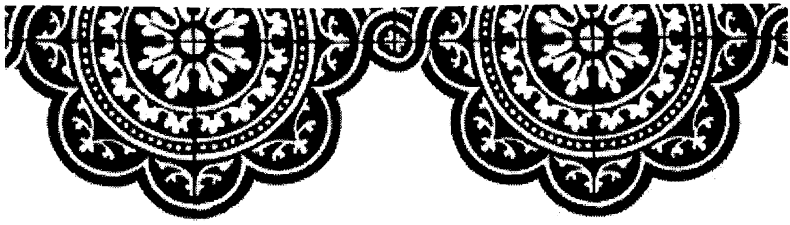
- «بالضبط. أبوك كان مُشرف ملاحين على متن قادس، ولمّا ماتت أمك أخذك معه إلى البحر، ثم مات بدوره ولم يجد ربّانه حاجةً إليك، فأنزلك من السفينة في (برافوس). وماذا كان اسم السفينة؟».

أجابَت من فورها: «(نايميريا)».

ليلتها تركت (دار الأبيض والأسود)، على وركها الأيمن سكين حديدي طويل يُخفيه معطفها المرقّع الباهت كما ينبغي لمعطفٍ ترتديه فتاة يتيمة أن يكون. كان حذاؤها ضيقًا على أصابع قدميها وسُترتها خفيفةً لدرجة أن الرّيح

تخلّلتها مباشرة... لكن (برافوس). تمتدُّ أمامها، وهواء الليل يعبق بروائح  
الدُّخان والملح والأسماك، والقنوات ملتوية والأزقة أكثر التواء. رمقها  
النَّاس بفضولٍ وهي تمرُّ ونادها الأطفال المتسولون بكلماتٍ لم تفهمها، ولم  
يمضِ وقت طويل قبل أن تتوه في المدينة تمامًا.

قطعت جسرًا حجريًا تحمله أربع قناطر، ومن منتصفه رأَت صواري السُّفن  
الرَّاسية في (ميناء راجمان)، وبينما تمشي ترنمت: «السير جريجور، دانسن،  
راف المعسول، السير إلين، السير مرين، الملكة سرسي». بدأ المطر يسقط،  
ورفعت آريا وجهها لتغسله القطرات شاعرةً بسعادةٍ بالغة تجعلها ترغب في  
الرَّقص، وأضافت: «فالار مورجوليس، فالار مورجوليس، فالار مورجوليس».



## إليني

تدقق ضوء الشمس المشرقة من النوافذ لتعتدل إليني جالسة في فراشها وتمطى، وسمعتها جرتشل تتحرك فنهضت في الحال تُحضِر لها معطفها، إذ كان المسكن قد بردَ خلال الليل. وما إن يستبد بنا الشتاء سيكون الطقس أسوأ هنا. الشتاء سيجعل هذا المكان باردًا كمقبرة. ارتدت إليني المعطف وربطته حول خصرها قائلة: «النَّار تكاد تنطفئ. ضعي المزيد من الحطب إذا سمحتِ». قالت العجوز: «كما ترغب سيديتي».

مسكنها في (بُرج العذراء) أوسع وأفخم من عُرفة النوم الصَّغيرة التي وُضِعَتْ فيها حين كانت الليدي لايسا حيَّة، ولها الآن عُرفة تبديل ملابس ومِرْحاض خاصَّان بها، بالإضافة إلى شُرْفَةٍ من الحجر الأبيض المنحوت تطل على (الوادي). بينما تولَّت جرتشل إذكاء النَّار قطعَت إليني العُرفة حافية القدمين وخرجت إلى الشُّرفة. كانت الأحجار باردةً تحت قدميها والريِّح تعوي بشراسةٍ كما تفعل هنا دائمًا، لكن المنظر جعلها تنسى كلَّ هذا بُرْهَةً. يقع (بُرج العذراء) في أقصى شرق أبراج (العُش) الرِّفِيعَة السَّبعة، جاعلاً (الوادي) كله يمتدُّ أمامها بغاباته ونهوره وحقوله المبهمة في ضوء الصَّبَاح، وقد سقطت أشعة الشمس على الجبال جاعلةً إياها تبدو كأنها من الذهب الخالص.

يا للجمال. من فوقها تلوح قَمَّة (رُمح العملاق) الملتحفة بالثلوج. يُقَرِّم الجبل الهائل بصخوره وجليده القلعة القابعة على منكبه، بينما تتدلَّى كتل من الجليد بطول عشرين قدمًا على شفا الجُرف الذي تنهمر عليه (دموع أليسا) في الصَّيف، وفوق السُّلال المتجمِّد يُخلِّق صقر بجناحين أزرقين مبسوطين عن آخِرهما في سماء الصَّبَاح. يا ليتني أملكُ جناحين أيضًا.

أرأحت يديها على الحاجز الحجري وجعلت نفسها تُلقِي نظرةً من فوق الحافة، فرأت تحتها بسُمَّة قدم القلعة الفرعية (سماء) والدَّرجات الحجرية المنحوتة في جسم الجبل، الطَّرِيق الملتف الذي يمرُّ بـ(ثلج) و(حجر) نازلًا إلى أرض الوادي، ورأت أيضًا أبراج وحصون (بوابات القمر) صغيرة كُعب الأطفال، وقد بدأ رجال لوردات البيان حول أسوارها يتحرَّكون خارجين من خيامهم كمنمل يزحف من كشييه. لو كانوا نملًا حقًا لدهسناهم وسحقناهم.

قبل يومين انضمَّ اللورد هنتر اليافع وجنوده إلى الآخرين. كان نستور رويس قد أغلق (بوابات القمر) أمامهم، لكن في حاميته أقل من ثلاثمئة رجل، في حين جلب كل من لوردات البيان الستة ألف رجل. تعرف إليني أسماءهم كما تعرف اسمها: بنيدار بلمور سيّد (الأغرودة)، وسايموند تمپلتون فارس (النجوم التسع)، وهورتون ردفورت سيّد (ردفورت)، وآينا واينود سيّدة (السنديانة الحديدية)، وجيلوود هنتر سيّد (بهو القوس الطويل) الذي يُلقبه القاصي والداني باللورد هنتر اليافع، بالإضافة إلى يون رويس، أقواهم جميعًا، يون البرونزي المهيّب سيّد (رونستون)، ابن عمومة نستور وزعيم الفرع الأعلى من عائلة رويس. اجتمع ستتهم في (رونستون) بعد سقطة الليدي لايسا، وهناك تعاهدوا معًا وتعهدوا أن يُدافعوا عن اللورد روبرت و(الوادي) وبعضهم بعضًا. لم يذكُر بيانهم اللورد الحافظ، وإن ورد فيه كلام عن «سوء الحكم» الذي يجب أن يوضع له حدٌّ و«الأصدقاء الزائفين والمستشارين الأشرار» أيضًا.

هبَّت الرِّيح الباردة ضاربةً ساقِها، فدخلت لتختار فُستانًا تتناول إفطارها فيه. كان بيتر قد أعطاها ملابس زوجته الرَّاحلة، ثروة من الحرير والسَّاتان والمخمل والفراء أفخر من أيِّ شيءٍ حلّمت به، وإن كان السَّواد الأعظم منها كبير المقاس عليها للغاية، إذ امتلأ جسد الليدي لايسا كثيرًا خلال سلسلة الحمل والإملاص والإجهاض الطويلة التي مرّت بها. على أن بعضًا من الفساتين القديمة كان مفضّلًا للشَّابة لايسا تلي سليله (ريقررن)، وثمة فساتين أخرى استطاعت جرتشل تعديلها لتُناسب مقاس إليني، التي تكاد ساقاها في سنِّ الثالثة عشرة تَبُلُغان طول ساقِي خالتها لما كانت في العشرين.

هذا الصَّباح لفتَ نظرها فُستان مبرقش بأحمر وأزرق عائلة تلي ومبطن

بفرو السّناجب، وساعدتها جرتشل على دسّ ذراعها في الكُمّين الواسعين وعقدت الأربطة على ظهرها، ثمّ مشطت شعرها وثبّته بالدّبابيس. ليلة البارحة قبل ذهابها إلى النّوم صبغته إليني بلونٍ داكنٍ ثائنيةً، وكانت الصّبغة التي أعطتها خالتها إياها قد بدّلت لون شعرها الكستنائي الغني بلون شعر إليني البني المحروق، لكن نادرًا ما يطول الوقت قبل أن يُعاود الأحمر الزّحف على جذوره من جديد. وماذا أفعل حين تنفد الصّبغة؟ لقد جُلّبت من (تايروش) وراء (البحر الضيّق).

في طريقها إلى أسفل لتناول الفطور عادت الدّهشة تُصيب إليني من سكون (العُش)، التي لا توجد قلعة أكثر هدوءًا منها في (الممالك السّبع) كلّها. الخدم هنا قليلون ومسنّون ويتكلّمون بأصواتٍ خفيفة كي لا يُزعجوا اللورد الصّغير، وليست هناك خيول على الجبل أو كلاب صيدٍ تنبح وتزّمجر أو فرسان يتمرّنون في السّاحة، وحتى وقع أقدام الحُرّاس يبدو مكتومًا وهم يقطعون الأروقة الحجريّة السّاحبة. تسمع إليني الرّيح تننّ وتتنهدّ حول البُرج، لكن هذا كلّ شيء. في بداية مجيئها إلى (العُش) كانت تسمع خريير (دموع أليسا) أيضًا، إلّا أنّ السّلال تجمّد، وقالت جرتشل إنه سيبقى صامتًا حتى الرّبيع.

وجدت اللورد روبرت وحده في (قاعة الصّباح)، يدفع ملعقةً خشبيّةً بفطورٍ في وعاءٍ كبير من الثريد والعسل، وحين رآها قال متبرّمًا: «أردت أن أكل البيض، أردتُ ثلاث بيضاتٍ مسلوقة ولحمًا مقدّدًا».

ليس عندهم بيض أو لحم مقدّد. حاليًا تحوي صوامع الغلال في (العُش) من الشوفان والذرة والشّعير ما يكفي لإطعامهم عامًا، لكنهم يعتمدون على الفتاة النّعّلة المسّمّاة ميا ستون في إحضار الأغذية الطّازجة من الوادي بالأسفل، والآن مع عسكرة لوردات البيان عند سفح الجبل فلا سبيل لميا للمرور. كان اللورد بلمور -أول من وصل إلى (بوّابات القمر) من السّنة- قد أرسل غُدافًا إلى الإصبع الصّغير قائلًا في رسالته إن لا مزيد من الطّعام سيصعد إلى (العُش) ما لم يُرسل إليه اللورد روبرت. إنه ليس حصارًا بعد، لكنه أقرب شيءٍ إليه.

وعدت إليني اللورد الصّغير قائلةً: «يُمكنك أن تأكل كلّ ما تُريده من بيض حين تأتي ميا. ستجلب بيضًا وزُبدةً وشمّامًا وكلّ الأصناف الشّهية».

قال الصَّبي دون أن يبدو عليه الرِّضا: «أردتُ بيضًا اليوم!». ردَّت: «ليس هناك بيض يا عُصفوري الجميل، تعلم هذا. أرجوك، كُلْ ثريدك، إنه لذيذ للغاية»، وأكلتُ ملعقةً منه.

عادَ روبرت يدفع الملعقة في الوعاء لكنه لم يرفعها إلى فمه، وأخيرًا قال: «لستُ جائعًا. أريدُ العودة إلى الفراش. لم أنم ليلة أمس. سمعتُ غناءً! المايستر كولمون سقاني نبيذ النَّوم لكنني ظللتُ أسمعهُ». وضعتُ إليني ملعقتها قائلةً: «لو كان هناك غناء لسمعتهُ أيضًا. لقد رأيتُ حُلماً سيئًا لا أكثر».

قال وقد اغرورقت عيناه بالدموع: «لا، لم يكن حُلماً. ماريليون كان يُغني ثانيةً. أبوك يقول إنه مات لكنه لم يمُت».

- «بل مات». أرعبها أن تسمعه يتكلَّم هكذا. سيِّء كفايةً أنه ضئيل سقيم. ماذا لو كان مجنوناً أيضًا؟ «إنه ميت يا عُصفوري الجميل. ماريليون أحبَّ السيِّدة والدتك كثيرًا ولم يستطع الحياة بعد ما فعله بها، فخطأ إلى السَّماء». لم ترَ إليني الجحَّة كما لم يرها روبرت، لكنها لا تشكُّ في حقيقة موت المغني. «لقد مات، حقًا».

- «لكنني أسمعهُ كلَّ ليلة، حتى حين أغلق النَّوافذ وأضعُ وسادةً على رأسي. كان على أبيك أن يقطع لسانه. قلتُ له أن يقطعه لكنه رفض». كان في حاجةٍ إلى لسانٍ ليعترف. ناشدته إليني قائلةً: «كُن صبيًّا مهذبًا وكُلْ ثريدك. أرجوك، لأجل خاطري».

صاحَ روبرت: «لا أريدُ الثريد»، وطوَّحَ بملعقته عبر القاعة لترتطم بمعلقةٍ وترتدَّ عنها تاركةً لطحخةً من الثريد على قمرٍ من الحرير الأبيض. «اللورد يُريد بيضًا!».

قال صوت بيتر من ورائهما: «اللورد سيأكل الثريد ويكون شاكراً». التفتتُ إليني ورأته في المدخل المقنطر وإلى جواره المايستر كولمون، الذي قال: «عليك أن تُصغي إلى حضرة اللورد الحافظ يا سيِّدي. اللوردات حملة رايتهن يصعدون الجبل ليُقدِّموا لك فروض الولاء، وستحتاج إلى كامل قوتك». فركَ روبرت عينه اليُسرى بمفصل إصبعه، وقال: «اصرفوهم. لا أريدُهم. إذا أتوا سأجعلهم يطيرون».



قال پيتر: «إنك تُغريني بأن أفعل ذلك للغاية يا سيدي، لكنني أخشى أنني وعدتهم بالأمان، وعلى كلِّ حالٍ فات أوان أن يعودوا أدراجهم. لا بدُّ أنهم بلغوا (حجر) بالفعل».

ولولت إليني: «لماذا لا يدعوننا وشأننا؟ إننا لم نمسِّهم بسوءٍ قطُّ. ماذا يُريدون منا؟».

أجاب پيتر مبتسمًا: «اللورد روبرت فقط، هو (الوادي). سيكونون ثمانية. اللورد نستور يقودهم إلى هنا، ولين كوربراي معهم. السير لين ليس بالرجل الذي يعزف عن الحضور إذا كانت إراقة الدماء وشيكة».

لم يُفْلِح كلامه في تهدئة مخاوفها. لقد قتل لين كوربراي رجالًا في النزال بعدد من قتل في المعارك، وتعلم أنه ظفرَ بفروسيتته في أثناء ثورة روبرت، إذ قاتل أولاً ضد اللورد چون آر ن على أبواب (بلدة النوارس)، ولاحقًا تحت رايته في معركة (الثالوث)، حيث قتل الأمير ليوين الدورني الذي كان فارسًا أبيض في الحرس الملكي. قال پيتر إن الأمير ليوين كان مشخنًا بالجراح بالفعل حين جرفه تيار المعركة إلى رقصته الأخيرة مع سيف السير لين المسمَّى (سيِّدة البؤس)، لكنه أضاف: «إلا أن تلك ليست نُقطة تُريدن إثارتها مع كوربراي، فمن يفعلون سرعان ما ينالون فرصة سؤال مارتل نفسه عن الحقيقة في دركات الجحيم». إذا كان نصف ما سمعته من حرس اللورد روبرت صحيحًا فلين كوربراي أخطر من ستَّة لوردات البيان مجتمعين. سألت پيتر: «لماذا سيأتي؟ حسب آل كوربراي يُؤيِّدونك».

- «لايونل كوربراي ميال جدًا إلى حُكمي، لكن أخاه يسلك سبيله الخاص. في معركة (الثالوث)، عندما سقط أبوهما جريحًا كان لين هو من التقط (سيِّدة البؤس) وقتل الرجل الذي أصابه، وبينما حمل لايونل الأب العجوز إلى المايسترات في المؤخرة قاد لين هجمة ضد الدورنيين الذين يُهدِّدون ميسرة روبرت وحطم صفوفهم وفتك بليوين مارتل، ولذا أسبغ اللورد كوربراي السيف على ابنه الأصغر لدى موته. لايونل نال أراضي أبيه ولقبه وقلعته وماله كله، ومع ذلك ما زال يشعُر بأنه سلب حق ميلاده. أمَّا السير لين... إنه يحبُّ لايونل بقدر ما يحبُّني. لقد أراد يد لايسا لنفسه».

قال روبرت بعناد: «لا أحبُّ السير لين ولا أريده هنا. اجعله يعود. لم أقل إنه يستطيع المجيء، ليس هنا. أمِّي قالت إن (العُش) منيعة».

قال بيتر: «أمك ماتت يا سيدي، وحتى يوم ميلادك السادس عشر أنا حاكم (العُش)»، والتفت إلى الخادمة محنيّة الظهر التي تحوم قُرب سلالم المطبخ، وخاطبها قائلاً: «ميلا، أحضري ملعقةً أخرى لحضرة اللورد. إنه يُريد أن يأكل ثريده».

- «لا أريده! أريدُ أن يطير الثريد!». هذه المرّة طَوّح بالوعاء بما فيه من ثريد وعسل، ليتفاده بيتر بايلش برشاقة وسُرعة لا يتمتّع بهما المايستر كولمون، فأصابه الوعاء الخشبي في صدره مباشرةً وتفجّرت محتوياته إلى أعلى على وجهه وكتفيه. ولولَ الرّجل على نحوٍ لا يليق بمايستر على الإطلاق، في حين التفتت إليني تُهدئ اللورد الصّغير، ولكن متأخراً جداً. لقد أصابته النوبة بالفعل، وطارَ إبريق من الحليب إذ ضربته يده، ولمّا حاول أن ينهض أوقع كرسيه إلى الوراء وسقط فوقه، وأصابت ساقه إليني في بطنها بقوةً أفرغت الهواء من صدرها، وسمعت بيتر يقول بامتعاض: «أوه، بحقّ الآلهة».

لوّث كُتل الثريد وجه المايستر كولمون وشعره إذ ركع فوق عهدته متممًا بكلماتٍ مهدّئة، وزحفت واحدة منها على خدّه الأيسر كدمعةٍ بنيّةٍ رماديّةٍ ثقيلة. فكّرت إليني محاولةً أن تكون متفائلةً: ليست النوبة سيّئةً كالمرّة السّابقة. لدى انتهاء الرّجفة كان حارسان في معطفين بزُرقة السّماء وقميصين معدنيّين فضيّين قد أتيا على إثر استدعاء بيتر، وقال لهما اللورد الحافظ: «خُذاه إلى الفراش ليعلّق له العلق»، فحمل أطولهما قامه الصّبي بين ذراعيه، وقالت إليني لنفسها: أستطيعُ أن أحمله بنفسِي. إنه ليس أثقل من ذمية.

مكث كولمون لحظةً قبل أن يتبعهما، وقال: «سيدي، ربما الأفضل أن تُوجّل هذه المفاوّضات إلى يومٍ آخر. لقد ساءت نوبات حضرة اللورد منذ موت الليدي لايسا، صارت أكثر تكرارًا وأكثر عنفًا. إنني أعلّقُ له العلق متى أجزؤ، وأمزجُ له نبيذ النّوم وحليب الخشخاش لمساعدته على النّوم، ولكن...».

قاطعته بيتر: «إنه ينام اثنتي عشرة ساعةً في اليوم، واحتاجُ إليه مستيقظًا بين الحين والآخر».

مرَّ المايستر أصابعه في شعره مسقطاً كتلاً من الثريد على الأرض، وقال: «الليدي لايسا اعتادت إرضاع حضرة اللورد متى اهتاج. المايستر إيبروز يقول بأن لبن الأم فيه الكثير من الخصائص الصحيّة».

- «أهذه مشورتك أيها المايستر؟ أن نجد مرُضعةً لسيدّ (العُش) وحماتي (الوادي)؟ متى نطمه إذن؟ يوم زفافه؟ هكذا ينتقل مباشرةً من حلمتي مُرضعته إلى حلمتي زوجته»، وجعلت ضحكة اللورد بيتر رأيهُ في هذا جلياً قبل أن يُضيف: «لا، لا أظنُّ. أقترحُ أن تجد وسيلةً أخرى. الصّبي مولع بالحلويات، أليس كذلك؟».

- «الحلويات؟».

- «الحلويات. الكعك والفطير، المرَبّي والهلام، أقراص العسل. ربما رشةً من حُلُو الكرى في حليبه، هل جرّبت هذا؟ رشةً صغيرة لتهدئته وإيقاف تلك الرّجفة اللّعيّنة».

ردّد كولمون: «رشة؟»، وتحركت تفاعحة حلّقه إلى أعلى وأسفل إذ ازدرد ريقه، ثم قال: «رشةً واحدة صغيرة... ربما، ربما. ليس الكثير، وليس في أوقاتٍ متقاربة، نعم، يُمكنني أن أجرب...».

قال اللورد بيتر: «رشةً قبل أن تأتي به للقاء اللوردات».

قال المايستر: «كما تأمر يا سيّدي»، وأسرع مغادراً وسلسلته ترنُّ بخفوتٍ مع كلِّ خطوة.

سألّت إليني بعد خروجه: «هل تُريد وعاءً من الثريد لإفطارك يا أبي؟».

رمقها بعيني الإصبع الصّغير قائلاً: «أكره الثريد. أفضلُّ أن أفطر على قُبلة».

الابنة الحقيقيّة لا تأبى على أيها قُبلةً، وهكذا ذهبت إليه إليني وقبلته، مجردة قُبلةً سريعة جافةً على الخدِّ تراجعت بعدها بالسرعة نفسها.

قال الإصبع الصّغير مبتسماً بفمه ولكن ليس بعينيه: «يا لك من... مطيعة. حسن، إن عندي واجباتٍ أخرى لك بهذه المناسبة. قولي للطّاهي أن يُببّل النّبذ الأحمر بالعسل والزّيب. سيكون ضيوفنا بردانين ظمّانين بعد طول الصّعود. ستستقبلينهم لدى وصولهم وتقدّمين لهم النّبذ والخبز والجُبنة. ما نوع الجُبنة المتبقيّ عندنا؟».

- «البيضاء اللاذعة والزّرقاء العفنة».

- «البيضاء، والأفضل أن تُبدلي ثيابك أيضًا».

نظرت إليني إلى فُستانها بأزرقة الدّاكن وأحمره القاني الغني، لوئي ريفررن)، وقالت: «أهو...».

- «إنه تلي أكثر من اللازم! لن يسرّ لوردات البيان منظر ابنتي النَّغلة تتهادى مرتديّة ثياب زوجتي الميتة. انتقي شيئًا آخر. هل عليّ أن أذكرك بأن تتجنّبي الأزرق السّماوي والقشدي؟».

- «لا». الأزرق السّماوي والقشدي لونا عائلة آرن. «قلت إنهم ثمانية... هل يون البرونزي أحدهم؟».

- «الوحيد الذي يهّم».

قالت مذكرة إياه: «يون البرونزي يعرفني. لقد نزل ضيفًا في (وينترفل) حين ذهب ابنه شمالًا للالتحاق بحرس الليل». كم كانت متيمّة بالسير وإيمار. ما زالت تذكّره بعض الشّيء، لكن ذلك كان منذ عمّر كامل، عندما كانت فتاة صغيرة حمقاء. «ولم تكن تلك المرّة الوحيدة. اللورد رويس رأى... رأى سانزا ستارك ثانية في (كينجز لاندنج) في أثناء دورة مباريات اليد».

وضع پيتر إصبعا تحت ذقنها قائلاً: «لا أشك في أن رويس رأى هذا الوجه الجميل، لكنه كان وجهًا واحدًا وسط ألف. ثمّة أشياء يهتمُّ بها الرّجل الذي يُقاتل في دورة مباريات أكثر من طفلة ما في الزّحام. وفي (وينترفل) كانت سانزا فتاة صغيرة كستنائية الشعر، أمّا ابنتي فطويلة جميلة وشعرها بنيّ. الناس يرون ما يريدون أن يروه يا إليني»، وطبع قلبه على أنفها مضيّفًا: «قولي لمادي أن تُشعل نارًا في العُرفة السّمسية. سأستقبل لوردات البيان هناك».

- «ليس في (القاعة العالية)؟».

- «لا. حاشا للآلهة أن يروني قُرب مقعد آل آرن العالي. قد يحسبونني أنتوي الجلوس عليه. المولود بفلقتي مؤخّرة وضيعتين مثلي يجب ألا يطمح إلى الجلوس عليّ وسائد وثيرة كتلك أبدًا».

- «العُرفة السّمسية». كان عليها أن تتوقّف عند هذا الحدّ، لكن الكلام تدفّق منها رغماً عنها: «إذا أعطيتهم روبرت...».

- «... و(الوادي)؟».

- «(الوادي) في أيديهم بالفعل».

- «أوه، أكثره، هذا صحيح، ولكن ليس كلّه. إنني محبوب في (بلدة النّوّارس)، وعندني بعض الأصدقاء الأعيان كذلك. جرافتون، ليندرلي، لا يونل كوربراي... ولو أنهم ليسوا أندادًا للوردات البيان بالفعل. وأين تُريدنا أن نذهب يا إليني؟ نعود إلى معقلي العظيم في (الأصابع)؟». كانت قد فكّرت في هذا من قبل، فأجابّت: «چوفري منحك (هارنهال). إنك سيّدها الشرعي».

- «اسمًا. لقد احتجتُ إلى مقرّ عظيم لأنزّوج لايسا، وآل لانستر ما كانوا ليمنحوني (كاسترلي روك)». - «نعم، لكن القلعة لك».

- «آه، ويا لها من قلعة. قاعات فسيحة وأبراج متهدّمة وأشباح وتيّارات هواء عنيفة، تدفّتها عسيرة وإقامة حامية فيها مستحيلة... وهناك المسألة الصّغيرة الخاصّة باللّعنة».

- «اللّعنات لا توجد إلّا في الأغاني والقصص فقط». بدا أنه وجدَ ردها طريقًا إذ قال: «هل ألف أحد أغنيّة عن موت جريجور كليجاين بحريّة مسمومة؟ أو عن المرتزق من قبله الذي قطع السير جريجور أطرافه مفصلاً مفصلاً؟ ذلك المرتزق أخذ القلعة من السير آموري لورك الذي تلقّاها من اللورد تايوين. أحدهما قتله دُبٌّ والثاني قتله قزمك. سمعتُ أن الليدي ونت ماتت أيضًا. آل لوثستون، آل سترونج، آل هاروواي... (هارنهال) أودت بكلّ من مسّها».

- «أعطِ اللورد فراي إياها إذن». ضحك بيتر، وقال: «ربما أفعل، أو الأفضل أن أعطي عزيزتنا سرسي إياها، ولو أنه لا يجدر بي أن أتكلّم عنها بقسوة لأنها أرسلت إليّ بضع معلّقات رائعة. أليس هذا لطفًا منها؟». جعلها ذكر اسم الملكة تتسمّر وتقول: «سرسي ليست لطيفة. إنها تخيفني. إذا علمت مكاني...».

- «... فربما أضطرُّ إلى إزاحتها من اللّعبة في وقتٍ أقرب مما خطّطت، هذا إذا لم تُزح نفسها أولًا»، وداعبها بيتر بابتسامةٍ متابعًا: «في لّعبة العروش حتى أكثر البيادق تواضعًا يُمكن أن تكون له إرادته الخاصّة، وأحيانًا يرفض

بعض البيادق أن يتحرك كما خطَّطت له. احفظي هذا عن ظهر قلب يا إني.  
إنه درس ما زال على سرسي لانستر أن تتعلَّمه. والآن أليست عليك واجبات  
تؤدِّينها؟».

عليها واجبات بالفعل. أشرفت أولاً على تبديل النِّبيذ، ووجدت قالباً  
مناسباً من الجُبنة البيضاء اللادعة، وأمرت الطَّاهي بخبز خُبز يكفي عشرين  
فرداً تحسُّباً لأن يجلب لوردات البيان رجالاً أكثر من المتوقع. حالما يأكلون  
عشنا وملحنا سيصبحون ضيوفنا ولن يُمكنهم إيذاءنا. آل فراي ضربوا  
بجميع قوانين الضِّيفاء عرض الحائط عندما اغتالوا السيِّدة والدتها وأخاها  
في (التَّوأمين)، لكنها لا تُصدِّق أن رجلاً نبيلًا كاللورد يون رويس بإمكانه أن  
ينحدر إلى اقرار فعل وضيع كهذا.

بعد ذلك ذهبت إلى العُرْفَة الشَّمسيَّة. الأرضيَّة هناك مغطَّاة ببساط مايري،  
وليس هناك داع إلى فرشها بالحصائر. طلبت إني من اثنين من الخدم أن  
ينصبا الطَّاولَة ويجلبا ثمانية من المقاعد الثَّقيلة المصنوعة من السَّنديان  
والجلد. في حال إقامة مادية كانت لتضع واحداً عند رأس الطَّاولَة وواحداً عند  
قدمها وثلاثة على كلِّ جانب، لكن هذه ليست مادية، ولذا جعلت الخادمين  
يرصَّان ستَّة مقاعد على أحد الجانبين ومقعدين على الجانب الآخر. لا بُدَّ  
أن لوردات البيان بلغوا (ثلج) الآن بالفعل. الصُّعود يستغرق أكثر اليوم حتى  
على ظهور البغال، وعلى الأقدام يستغرق عدَّة أيام.

ربما ينهكم اللوردات في الحديث حتى ساعة متأخرة من الليل  
وسيحْتَاجون إلي شموع جديدة، ولذا بعد أن أشعلت مادي النَّار أرسلتها  
إني لتجلب الشموع المَعطَّرة التي أهداها اللورد واكسلي إلى الليدي لايسا  
حين سعى إلى الفوز بيدها، ثم إنها عادت إلى المطبخ لتتأكد من أن النِّبيذ  
والخبز جاهزان. بدا كل شيء على ما يُرام، وما زال أمامها وقت لتستحمَّ  
وتغسل شعرها وتبُدِّل ثيابها.

ثمَّة فُستان من الحرير الأرجواني توقَّفت عنده لحظةً، وآخر من المخمل  
الأزرق الداكن مشرَّط بالفُصي من شأنه أن يُوقظ كلَّ ما في عينيها من ألوان،  
لكنها في النَّهاية تذكَّرت أن إني رغم كلِّ شيء نغلة ويجب ألا تتجرَّأ وترتدي  
شيئاً يفوق مقامها. هكذا انتقت فُستاناً من صوف الحِملان لونه بني داكن

وتفصيلته بسيطة، على صدره وكُمّيه وحاشيته أوراق شجر ونباتات معترشة مطرزة بخيطٍ ذهبي. اختارته لأنه متواضع وملائم، وإن كان ليس أفخم كثيرًا من فُستانٍ ترتديه خادمة. كان بيتر قد أعطاها جميع حُلِيّ الليدي لايسا أيضًا، فجربت عدة قلادات لكنها بدت مبهرجة كلها، وفي آخر الأمر اختارت شريطًا بسيطًا من المخمل بلون الذهب الخريفي، ولمّا جلبت لها جرتشل مرآة لايسا المفضّضة بدا اللون مثاليًا مع شعر إيني البني القاتم. لن يتعرّفني اللورد رويس أبدًا. إنني بالكاد أتعرّف نفسي.

شاعرةً بجرأة تُداني جرأة بيتر بايلش، رسمت إيني ستون ابتسامتها على شفيتها ونزلت تستقبل الضيوف.

(العُش) القلعة الوحيدة في (الممالك السبع) التي يقع مدخلها الرئيس تحت الزنازين. على جانب الجبل ترتفع السلالم الحجرية المنحدرة متجاوزةً القلعتين الفرعيتين (حجر) و(ثلج)، لكنها تنتهي عند شقيقتهما (سما)، أمّا الأقدام الستمئة المتبقية من رحلة الصعود فعمودية تُجبر الزائرين على التّرجل عن بغالهم والاختيار، فإمّا أن يركبوا السلّة الخشبية المتأرجحة التي تُستخدم لرفع المؤن، وإمّا أن يتسلّقوا مدخنةً صخريةً مستخدمين دعاماتٍ منحوتة في الصّخر.

اختار اللورد ردفورت والليدي واينوود -أكبر لوردات البيان سنًا- أن تسحبهم الرّافعة إلى أعلى، وبعدها أنزلت السلّة ثانيةً للورد بلمور السمين، في حين تسلق اللوردات الآخرون المدخنة. استقبلتهم إيني في (قاعة الهلال) إلى جوار مستوقد نار، حيث رحّبت بهم باسم اللورد روبرت وقدمت لهم الخبز والجُبنة ونيبداً متبلًا ساخنًا في كؤوس فضيَّة.

كان بيتر قد أعطاها لفافةً من رموز النبالة تدرسها لتتعرّفهم من رموزهم إن لم يكن من وجوههم. القلعة الحمراء لردفورت بالطبع، وهو رجل قصير القامة له لحية شائبة مشدّبة وعينان وديعتان. الليدي أنيا المرأة الوحيدة بين لوردات البيان، وقد ارتدت معطفًا أخضر داكنًا عليه العجلة المكسورة رمز عائلة واينوود مطرزةً بالكهرمان الأسود. الأجراس الفضيّة الستة على المعطف الأرجواني هي رمز بلمور ذي البطن الكبير والكتفين المستديرتين واللّحية الحمراء الضاربة إلى الرمادي، لحية شنيعة نابته من ذقنه المترهل.

على العكس منه لحية سايموند تيمبلتون سوداء مدببة تمامًا، وقد جعل الأنف المعقوف والعينان الزرقاوان الباردتان كالثلج فارس (النجوم التسع) يبدو كطائر كاسرٍ أنيق، خصوصًا مع سُترته القصيرة بنجماتها السوداء التسع المرسومة على صليب ذهبي مائل. حيرها معطف اللورد هنتر اليافع المصنوع من فرو القاقوم إلى أن لمحت الدبوس الذي يُثبته متخذًا شكل خمسة سهام فضية منشورة كالمروحة. قدّرت إليني أن سنّه أقرب إلى الخمسين من الأربعين. كان أبوه قد حكم في (بهو القوس الطويل) فترة تقرب من ستين عامًا، فقط ليموت على نحوٍ مباغت للغاية، حتى إن بعضهم قال هامسًا إن اللورد الجديد استعجل الحصول على إرثه. لهنتر وجنتان وأف بلون التفاح الأحمر، وهو ما يشي بولع معين بالعب، ولذا حرصت على إعادة ملء كأسه ما إن يُفرغها.

أصغر رجل في المجموعة على صدره ثلاثة غُدفان كلٌّ منها يقبض على قلبٍ أحمر دامٍ ببرائه، ويبلغ شعره البني كتفيه بينما تتجعد خصلة نافرة منه على جبهته. بنظرة حذرة إلى فمه القاسي وعينه الضّجرتين قالت إليني لنفسها: السير لين كوربراي.

آخِرم ابنا عائلة رويس، اللورد نستور ويون البرونزي. يُعادِل سيّد (رونستون) كلب الصّيد طولاً، وعلى الرغم من شيب شعره وتجاعيد وجهه فلم يزل اللورد يون يبدو قادرًا على كسر رجالٍ أصغر منه سنًا كغُصينات الشجر بهاتين اليدين الضّخمتين الخشتتين. أعادَ وجهه الصّارم المتغصّن إلى سانزا جميع ذكرياتها عنه في (وينترفل)، وتذكّرت جالسًا إلى المائدة يتكلّم بهدوءٍ مع أمّها، وسمعت صوته الجهوري يتردّد على الأسوار إذ عادَ من الصّيد بظبيٍّ وراءه على حصانه، ورأته في السّاحة وفي يده سيف تدريبٍ يهوي به على أبيها بلا كلل حتى أسقطه ثم يلتفت ليهزم السير رودريك أيضًا. سيتعرّفني، وكيف لا؟ خطّر لها أن تُلقى نفسها عند قدميه وتتوسّل حمايته، لكنها أحجمت قائلةً لنفسها: إنه لم يُقاتل من أجل روب، فلم يُقاتل من أجلي؟ الحرب انتهت و(وينترفل) سقطت. سألته بخفر: «لورد رويس، هل تشرب كأسًا من النبيذ تُدفعك من البرد؟».

ليون البرونزي عينان رماديتان كصخر الأردواز، شبه متواريتين تحت



أكثف حاجبين رأتهما على الإطلاق، وقد انعقدا حين نظرَ إليها من أعلى متسائلًا: «هل أعرفكِ يا فتاة؟».

أحسَّت إليني كأنها ابتلعت لسانها، لكن اللورد نستور أنقذها برده على ابن عمومته بلهجته الفظة: «إليني ابنة اللورد الحافظ الطَّبِيعِيَّة».

قال لين كوربراي بابتسامةٍ خبيثة: «يبدو أن إصبع الإصبع الصَّغير الصَّغير كان مشغولًا»، فضحك بلمور وأحسَّت إليني بوجنتيها تتخضبان بالحمرة.

سألتهما الليدي واينود: «كم سنُّكِ أيتها الصَّغيرة؟».

- «أربع... أربع عشرة سنة يا سيِّدتي». للحظةٍ نسيتُ سنَّ إليني المفترضة. «ولستُ صغيرةً. إنني فتاة مزهرة».

قال اللورد هنتر اليافع وقد أخفى شاربه الكَثُ فمه تمامًا: «لكن أحدًا لم يقطف زهرتكِ كما أمل».

قال لين كوربراي كأنها ليست موجودةً: «ليس بعدُ، لكني أرى أنها ناضجة جاهزة للقطاف قريبًا».

- «أهذا ما يعدُّ كياسةً في (بيت القلوب)؟». لأنيا واينود شعر يزحف عليه الشَّيب وتجاعيد حول عينيها وجلد رخو تحت ذقنها، لكن لا مجال لإخطاء طابع النُّبل فيها. «الفتاة صغيرة وطبيَّة النَّسب وعانت ما يكفي من أهوال. احفظ لسانك أيها الفارس».

ردَّ كوربراي: «لساني يخضُّني وحدي، وعلى حضرة الليدي أن تحرص على حفظ لسانها هي. إنني لم أعتد التَّعامل مع التَّوبيخ بلطفٍ قطُّ، كما سيؤكِّد لك عدد كبير من الموتى».

التفتت الليدي واينود عنه، وقالت: «الأفضل أن تأخذينا إلى أبيك يا إليني. كلُّما عَجَلْنَا بالفروغ من هذا كان أفضل».

- «حضرة اللورد الحافظ ينتظركم في العُرْفَة السَّمْسِيَّة. أرجو أن تتفصَّلوا وتبعوني». من (قاعة الهلال) قادتهم صاعدة السَّلام الرُّخام العالية التي تتجاوز الأقبية والزَّنازين وتمرُّ تحت ثلاث فتحات دفاع تظاهر لوردات البيان بأنهم لا يرونها، وسرعان ما بدأ بلمور ينفخ ككبير الحَدَّاد، واصطبغ وجهه ردفورت بالرَّمادي كشره. رفع الحُرَّاس على قَمَّة السَّلام الشَّبْكة الحديديَّة لدى وصولهم، وقالت إليني للضيوف: «تفصَّلوا من هنا أيها السَّادة»، وقادتهم

عبر الرُّواق المقنطرَ مرورًا بدستةٍ من المعلّقات البديعة، وكان السير لوثور برون واقفًا خارج العُرفة الشَّمسية، ففتح لهم الباب ثم تبعهم إلى الدّاخل. كان بيتر جالسًا إلى الطّاولَة وقُرب يده كأس نبيذ، يقرأ رَقًا أبيض مجعدًا، وإذ دخل لوردات البيان رفع عينيه قائلاً: «مرحبًا بكم أيها السّادة، وبك أيضًا يا سيّدي. أعرفُ أن الصُّعود كان متعبًا. تفضّلوا بالجلوس. إليني يا حلوتي، المزيد من النّبيذ لضيوفنا النّبال».

- «كما تقول يا أبي». سرّها أن ترى الشُّموع مضاءةً وتشمّ في هواء العُرفة رائحة جوز الطّيب وغيره من التّوابل النّفيسة. ذهبت تُحضّر الإبريق فيما ربّب الزّائرون أنفسهم جنبًا إلى جنب على المقاعد... كلهم باستثناء نستور رويس الذي تردّد قبل أن يدور حول الطّاولَة ليأخذ المقعد الشّاعر إلى جوار اللورد بيتر، ولين كوربراي الذي وقفَ إلى جوار المستوقّد، لتلتمع الياقوتة ذات شكل القلب في قبعة سيفه بالأحمر إذ دفأ يديه فوق النّار. رأته إليني يتسم للسير لوثور برون، ففكرت: السير لين وسيم للغاية بالنّسبة إلى رجلٍ أكبر سنًا، لكن ابتسامته لا تُعجبني.

استهل بيتر الكلام قائلاً: «كنتُ أقرأ بيانكم المهمّ هذا. مدهش. المايستر الذي كتبه أيّا كان يتمتّع بفصاحةٍ بالغة. ليتكم فقط دعوتوني لأوقعه أيضًا». باغتهم قوله، وردّ بلمور: «أنت؟ تُوقّع؟».

- «أستطيعُ الكتابة بالرّيشة كأبيّ أحد، ولا إنسان يحبُّ اللورد روبرت أكثر مني. وبالنّسبة إلى هؤلاء الأصدقاء الزّائفين والمستشارين الأشرار فهيا بنا نستأصلهم مهما كلّف الأمر. إنني معكم قلبًا وقلابًا أيها السّادة. أروني أين أوقّع أرجوكم».

بينما تصبُّ إليني النّبيذ سمعت لين كوربراي يُفهقه، في حين بدا الآخرون حائرين، إلى أن فرقع يون رويس البرونزي مفاصل أصابعه، وقال: «لم نأت من أجل توقيعك، ولا ننوي أن نتراسق معك الكلام أيها الإصبع الصّغير».

- «مؤسف. إنني أحبُّ الكلام المتراسق»، وأزاح بيتر الرّق قائلاً: «كما ترغبون، لتكلّم بلا موازبة. ماذا تُريدون مني أيها السّادة والسّيّدة؟».

تّبّت سايموند تمپلتون نظرته الزّرقاء الباردة على اللورد الحافظ مجيبًا: «لا تُريد منك شيئًا، تُريدك أن ترحل».

تساءلَ بيتر متظاهراً بالدّهشة: «أرحلُ؟ إلى أين؟». قال اللورد هنتر اليافع: «التَّاجُ نَصَبُكَ سَيِّدًا على (هارنهال). المفترَض أن يكتفي أيُّ رجل بهذا».

وأضافَ اللُّورد هورتون ردفورت العجوز: «أراضي النَّهر في حاجةٍ إلى حاكم. (ريثرزن) محاصرة، وآل براكن وآل بلاكوود في حرب مفتوحة، والخارجون عن القانون يجولون على جانبي (الثالث) بحرِّيَّة مطلقَّة، يسرقون ويقتلون كما يشاؤون. الجُثث غير المدفونة تفترش أرض الرِّيف أينما ذهبَ المرء».

أجابَ بيتر: «تجعل الأمر يبدو جذابًا للغاية يا لورد ردفورت، لكن الحقيقة أن عليَّ واجباتٍ ملحَّة هنا. ويجب وضع اللورد روبرت في الاعتبار أيضًا. هل تُريدونني أن أجزَّ طفلاً سقيمًا معي في غمار تلك الفوضى؟».

أعلنَ رون رويس: «حضرة اللورد سيبقى في (الوادي). إنني أنوي أن أخذه معي إلى (رونستون) وأرَّيه لكي يصير فارسًا كان چون آرن ليفخر به». سألَ بيتر متأملاً: «ولم (رونستون)؟ لمَ ليس (السَّنديانة الحديدية) أو قلعة (ردفورت) أو (بهو القوس الطَّويل)؟».

قال اللورد بلمور بحزم: «أيُّ مكانٍ من هذه يصلح، وفي الوقت المناسب سيزور حضرة اللورد كلا منها». بنبرة تشي بالشكَّ قال بيتر: «حقاً؟».

تنهَّدت الليدي واينود، وقالت: «لورد بيتر، إذا كنت ترمي إلى إحداث الواقعة بيننا فوفر على نفسك الجهد. إننا نتكلم بصوت واحد، و(رونستون) تُناسبنا جميعاً. اللورد يون ربَّى ثلاثة أبناءٍ صالحين، وليس هناك من هو أنسب منه لتربية حضرة اللورد الصَّغير، ثم إن المايستر هليويج أكبر سنًا وأكثر خبرةً بكثير من مايسترك كولمون وأقدر على علاج ضعف اللورد روبرت. في (رونستون) سيتعلَّم الصَّبي فنون الحرب من سام ستون القوي، ولا أحد يأمل أن يكون معلِّم سلاحه رجلاً أفضل، وسيُرشده السِّتون لوكوس في أمور الرُّوح. وفي (رونستون) سيجد أيضًا صبيَّةً آخريْن من سنِّه، رفاقاً أنسب له من المسنَّات والمرتزقة الذين يُحيطون به الآن».

داعبَ بيتر بايلش لحيته بأصابعه قائلاً: «حضرة اللورد في حاجةٍ إلى

رفاق، لا أخالفكم في هذا، لكن إيني ليست مسنة. اللورد روبرت مغرم بابنتي وسيسرُه أن يُخبركم بهذا بنفسه. وبهذه المناسبة، حدث أن طلبتُ من اللورد جرافتون واللورد ليندرلي أن يُرسل كل منهما إليّ ابناً يكون ربيبي. كلاهما له ابن في سن روبرت».

قال لين كوربراي ضاحكاً: «جروان ابنا كليين خانعين».

- «يجب أن يكون هناك فتى أكبر في رفقة روبرت أيضاً، مُرافق شاب واعد مثلاً، شخص يُعجب به ويُحاول أن يحتذي مثاله»، والتفت بيتر إلى الليدي واينوود مخاطباً إياها: «إن عندك فتى كهذا في (السنديانة الحديدية) يا سيديتي. ربما توافقين على أن تُرسلني إليّ هارولد هاردينج». ردت آنيا واينوود وقد وجدت قوله طريفاً: «لورد بيتر، أنت أجزاً لَصُّ التفتيته على الإطلاق».

- «لست أرغبُ في سرقة الفتى، لكن ينبغي أن يكون هو واللورد روبرت صديقين».

مال يون رويس البرونزي إلى الأمام قائلاً: «ملائم تماماً أن يُصادق اللورد روبرت الفتى هاري، وسيفعل... في (رونستون) تحت رعايتي، باعتباره ربيبي ومُرافقني».

وقال اللورد بلمور: «أعطينا الصبي ولك أن ترحل من (العش) دون أن يعترض طريقك أحد إلى مقرِّك اللائق في (هارنهال)».

رمقه بيتر بنظرة تأنيب خفيف، وقال: «هل تُلَمِّح إلى أن أذى سيمسني في حال عدم حدوث ذلك يا سيدي؟ لا أستطيع التفكير في سبب. زوجتي الرَّاحلة ارتأت أن هذا مقرِّي اللائق».

قالت الليدي واينوود: «لورد بايلش، لايسا تلي كانت زوجة جون آرَن وأُم ابنه، وحكمت هنا باعتبارها الوصية عليه، أمّا أنت... لنكن صُرحاء، أنت لست من آل آرَن واللورد روبرت ليس من دمك. بأيِّ حقِّ تُحاول أن تحكُمنا؟».

- «لايسا سمّنتي اللورد الحافظ على ما أذكر».

قال اللورد هنتر اليافع: «لايسا تلي لم تكن ابنة (الوادي) حقاً، ولم يكن لها الحقُّ في إدارة شؤوننا».

- «واللورد روبرت؟ هل سيزعمُ حضرة اللورد أيضًا أن الليدي لايسا لم يكن لها الحقُّ في إدارة شؤون ابنها؟».

ظَلَّ نستور رويس صامتًا طوال الوقت، لكنه رفع صوته الآن قائلاً: «لقد أملتُ أن أتزوج الليدي لايسا من قبل عن نفسي، كما كان يأمل أبو اللورد هنتر وابن الليدي آنيا، وكوربراي برح جانباها بالكاد طيلة نصف عام. لو اختارت أياً منا لما جادل أحد هنا في حقه في أن يكون اللورد الحافظ... لكنها اختارت اللورد الإصبع الصَّغير وعهدت إليه برعاية ولدها».

قال يون البرونزي عابسًا في وجه وليّ (بوابات القمر): «إنه ولد چون آرنا أيضًا يا ابن العم، ومكانه في (الوادي)».

تظاهر بيتر بالدّهشة قائلاً: «(العُش) جزء من (الوادي) تمامًا كـ(رونستون)، ما لم يكن أحدهم قد نقلها».

ردَّ اللورد بلمور مغضبًا: «امزح كما تُريد أيها الإصبع الصَّغير. الصَّبي سيأتي معنا».

- «أكرهُ أن أخيب أملككم يا لورد بلمور، لكن ابن زوجتي سيقى هنا معي. إنه ليس طفلًا قويًا كما تعلمون جميعًا، والرَّحلة سنُنهكه لأقصى درجة. بصفتي زوج أمّه واللورد الحافظ لا أستطيعُ أن أسمح بذلك».

تنحنح سايموند تمپلتون، وقال: «كلُّ منا معه ألف رجل عند سفح الجبل أيها الإصبع الصَّغير».

- «مكان رائع لهم».

- «ويمكننا استدعاء المزيد إذا دعت الحاجة».

سأله بيتر دون أن يلوح في نبرته أدنى خوف: «هل تُهددني بالحرب أيها الفارس؟».

قال يون البرونزي: «سنأخذ اللورد روبرت».

بدأ أنهم بلغوا طريقًا مسدودًا، إلى أن التفت لين كوربراي عن النَّار قائلاً: «كلُّ هذا الكلام يُصيني بالغيثان. الإصبع الصَّغير سيُقنعكم بخلع ثيابكم الدَّاخليَّة إذا أصغيتم له كفاية. الطَّريقة الوحيدة للتَّعامل مع أمثاله الفولاذ، واستلَّ سيفه الطَّويل».

بسطَ بيتر يديه قائلاً: «لستُ أحملُ سيفًا أيها الفارس».

تموّج ضوء الشُّموع على الفولاذ الرّمادي كالدُّخان، الدّاكن لدرجة ذكّرت  
سانزا بسيف أبيها العظيم (جليد)، ورَدَّ كوربراي: «مشكلة سهلة العلاج.  
رجلك أكل الثُّقّاح يحمل سيفًا. قلّ له أن يُعطيك إياه أو اسحب هذا الخنجر».   
رأت لوثور برون يمدّ يده إلى سيفه، لكن قبل أن يتقارَعَ النّصلان نهَضَ  
يون رويس البرونزي قائلاً بحقنق: «صع سيفك في غمده أيها الفارس! أنت  
كوربراي أم فراي؟ نحن ضيوف هنا».

وزمّت الليدي واينوود شفيتها قائلة: «هذا لا يليق».

ورَدّد اللورد هنتر اليافع: «أغمد سيفك يا كوربراي. إنك تُخزينا جميعًا  
بتصرّفك هذا».

وقال اللورد ردفورت موبّخًا بنبرةٍ ألطف: «هلمّ يا لين، لن يُفيدك هذا  
إطلاقًا. ضِع (سيّدة البؤس) في غمدها».

رَدّد السير لين بعناد: «سيّدتي ظمأى. كلّمّا خرجت ترُقّص رغبت في قطرةٍ  
من الأحمر».

وضع يون البرونزي نفسه في طريق كوربراي مباشرةً قائلاً: «فلتظلّ  
سيّدتك ظمأى».

أطلق لين كوربراي نخيرًا ساخرًا، وقال: «لوردات البيان. كان حريًّا بكم أن  
تسمّوا أنفسكم المسنّات السّت»، وعادَ يدسّ السّيف القائم في غمده وتركهم  
مارًا بلوثور برون كأنه ليس موجودًا، وسمعت إليني وقع خطواته يخفت.

تبادلّت آنيا واينوود وهورتون ردفورت نظرةً، وأفرغ هنتر كأسه في جوفه  
ورفعها لتُملاً من جديد، بينما قال السير سايموند: «لورد بايلش، أرجو أن  
تغفر لنا هذا الابتدال».

قال الإصبع الصّغير بنبرةٍ زحفَ عليها البرود: «حقًا؟ لقد أتيتم به هنا أيها  
السّادة».

قال يون البرونزي: «لم تكن نيتنا قَطُّ أن...».

- «أنتم أتيتم به هنا! سيكون من حقّي تمامًا أن أستدعي حُرسي وألقي  
القبض عليكم جميعًا».

هَبَّ هنتر واقفًا بعُنفٍ كادَ يُسقط الإبريق من يد إليني، وقال: «لقد وعدتنا  
بالأمان!».

رَدَّ پيتر بنبرة غاضبة لم تسمعها في صوته من قبل إطلاقاً: «نعم. فلتمتنوا لتحلي بالشرف أكثر من بعض الناس. لقد قرأت بيانكم وسمعت مطالبكم، والآن اسمعوا مطالبي. أبعِدوا جيوشكم عن هذا الجبل، عودوا إلى دياركم واتركوا ابني في سلام. كان هناك سوء حُكم بالفعل ولن أنكر هذا، لكنه كان من صنع لايسا لا صُنعي. امنحوني عامًا واحدًا فقط، وبمساعدة اللورد نستور أعدكم بأن لا أحد منكم سيجد سببًا للشكوى».

قال بلمور: «هذا ما تقوله، لكن كيف نثق بك؟».

- «هل تجرؤ على القول بأنني لست أهلاً للثقة؟ لست أنا من جرّد فولاذه في أثناء التفاوض. لقد كتبتم عن الدفاع عن اللورد روبرت بينما تأبون عليه الطعام. يجب أن ينتهي هذا. إنني لست مُحاربًا لكني سأقاتلكم إذا لم ترفعوا هذا الحصار. هناك لوردات غيركم في (الوادي)، وستُرسِل (كينجز لاندنج) رجالًا أيضًا. إذا كانت الحرب ما تريدون فقولوا وستراق الدماء في (الوادي)».

رأت إليني زهور الشكّ تتفتح في أعين لوردات البيان، وقال اللورد ردفورت بتردد: «عام ليس وقتًا طويلًا. ربما... إذا أعطيتنا ضمانات...». أيدته الليدي واينوود قائلة: «لا أحد منا يريد الحرب. الخريف يُشارف نهايته ولا بُد أن نُهيئ أنفسنا للشتاء».

تنحَنح بلمور، وقال: «في نهاية هذا العام...».

- «... إذا لم أصحح الأوضاع في (الوادي) فسأتنحى عن منصب اللورد الحافظ بإرادتي».

عقب نستور رويس: «أظنُّ هذا عادلاً وأكثر».

وقال تمپلتون بإصرار: «يجب ألا يكون هناك قصاص أو كلام عن الخيانة أو التمرد. عليك أن تُقسِم على هذا أيضًا».

قال پيتر: «يُسعدني أن أفعل. إنني أرغب في الأصدقاء لا الأعداء. سأعفو عنكم جميعًا، كتابةً إذا أردتم، حتى لين كوربراي. أخوه رجل صالح، ولا داعي إلى تكليل عائلة نبيلة بالعار».

الفتت الليدي واينوود إلى رفاقها لوردات البيان قائلة: «هل نطرح الأمر

للمشاورة أيها السادة؟».

قال يون البرونزي: «لا داعي. واضح أنه فاز»، وتفرّس في بيتر بايلش بعينه الرّماديتين مردفًا: «لا يروقني هذا، لكن يبدو أن لك العام الذي تطلّبه. خيرٌ لك أن تُحسّن استغلاله يا سيّدي، فليس من السّهل خداعنا جميعًا»، وفتح الباب بقوةٍ عاتية كادت تخلعه من مفصلاته.

لاحقًا أقيم ما هو أشبه بالمأدبة، وإن اضطرَّ بيتر إلى الاعتذار إليهم بسبب الطّعام المتواضع، وجيء بروبرت في سُترةٍ من القشدي والأزرق ولعب دور اللورد الصّغير بتهديب شديد، في حين تغيب يون البرونزي إذ رحل بالفعل من (العش) لبدأ رحلة النزول الطويلة التي سبقه إليها السير لين كوربراي، وظلّ الباقيون معهم حتى الصّباح.

ليلتها بينما تمددت إليني في الفراش مصغيةً إلى عواء الرّيح في الخارج فكرّت: لقد سحرهم. لا تدري من أين أتى الارتباب الذي انتابها، لكن بمجرد أن جالّ بيالها حرّمها النّوم، وراحت تتقلّب وهو ينهشها كما ينهش الكلب عظمةً، وأخيرًا نهضت وارتدت ثيابها تاركةً جرتشل لأحلامها.

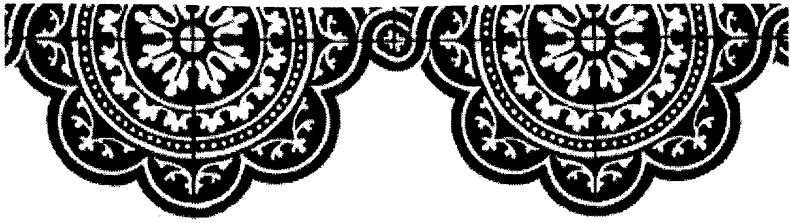
كان بيتر لا يزال مستيقظًا يخطّ رسالةً، ولمّا دخلت عليه سألتها: «إليني يا حلوتي، ماذا تفعلين هنا في هذه السّاعة المتأخّرة؟» - «يجب أن أعرف. ما الذي سيحدث خلال عام؟».

وضع ريشته مجيبًا: «ردفورت وواينوود عجوزان، وربما يموت أحدهما أو كلاهما. جيلوود هنتر سيغتاله إخوته، غالبًا هارلان الشّاب الذي ربّب موت اللورد إيون. كما أقول دائمًا، إذا سرقت فاسرقي أيلاً. بلمور فاسد ويُمكن شراؤه. تمپلتون سأصادقه. أمّا يون رويس البرونزي فأخشى أنه سيظل معاديًا، لكن ما دام وحده فلن يُشكّل تهديدًا يُذكر». - «والسير لين كوربراي؟».

تراقص ضوء الشّموع في عينيه إذ أجاب: «السير لين سيقى عدوّي اللّود، وسيتكلم عني بسخريةٍ وازدراء مع كل من يلتقي ويشارك بسيفه في كلّ مؤامرةٍ سرّيةٍ للإطاحة بي».

هنا استحالت ريبتها إلى يقين، فقالت: «وكيف ستكافئه على خدمته؟». أطلق الإصبع الصّغير ضحكةً عاليةً، وقال: «بالذهب والغلمان والوعود بالطّبع. السير لين رجل بسيط الذّوق يا حلوتي، لا يحبّ إلاّ الذهب والغلمان والقتل».





## سرسي

بشفتين ممطوتتين استياءً قال لها الملك: «أريدُ أن أجلس على العرش الحديدي. كنتِ تدعينِ جوفِ يجلس عليه دائماً».

- «جوفري كان في الثانية عشرة».

- «لكنني الملك! العرش ينتمي إليّ!».

سألته سرسي: «مَنْ أخبرك بهذا؟»، وأخذت نفساً عميقاً كي تعقد دوركاس أربطة فُستانها بمزيد من الإحكام. إنها فتاة كبيرة الحجم وأقوى كثيراً من سينل، وإن كانت أكثر خرقاً أيضاً.

احمرَّ وجه تومن، وقال: «لا أحد أخبرني».

- «لا أحد؟ أبهذا تدعو السيِّدة زوجتك؟». رائحة مارچري تايرل فائحة من هذا العصيان مفعمةً أنف الملكة. «إذا كذبت عليّ فلن تترك لي خياراً إلا استدعاء پايت ليضرب حتى ينزف». پايت هو كبش فداء<sup>(1)</sup> تومن كما كان لجوفري من قبله. «أهذا ما تُريده؟».

أجاب الملك بتجهُّم: «لا».

- «مَنْ أخبرك إذن؟».

جر جرّ قدميه على الأرض قائلاً: «الليدي مارچري». الصَّبِي أعقل من أن يدعوها بالملكة في حضور أمّه.

- «هذا أفضل. تومن، إن على عاتقي أموراً جسيمةً عليّ أن أتخذ قراراً

---

(1) كبش الفداء كان صبيّاً يتلقَّى العقاب جَلدًا أو ضربًا بدلاً من صغار العائلات الملكية في أوروبا في الفترة بين نهاية العصور الوسطى وبداية الثورة الصناعيّة. (المترجم).

فيها، أمورًا أنت أصغر كثيرًا جدًّا من أن تفهمها، ولستُ في حاجةٍ إلى صبيٍّ سخيفٍ يتملِّم على العرش ورائي ويُسْتَتَّ انتباهي بالأسئلة الطفولية. أظنُّ أن مارچري ترى أن عليك حضور اجتماعات مجلسي أيضًا، أليس كذلك؟» - «بلى، تقول إن عليَّ أن أتعلَّم أن أكون ملكًا».

قالت له سرسي: «عندما تكبر يُمكنك أن تحضر كلَّ ما تُريد من اجتماعات. أعدك بأنها سرعان ما ستُصيِّبك بالملل. روبرت كان ينعس في تلك الجلسات». حين كان يُجسِّم نفسه عناء الحضور من الأصل. «كان يُفضِّل الصَّيد والقنص تاركًا الشؤون المملَّة للورد آرَن العجوز. هل تذكُّره؟» - «لقد ماتَ بألم في البطن».

- «صحيح، الرَّجُل المسكين. ما دُمت تواقًا إلى التَّعلُّم فربما عليك أن تتعلَّم أسماء جميع ملوك (وستروس) والأيدي الذين خدموهم. يُمكنك أن تتلوها عليَّ غدًّا».

رَدَّ صاغرًا: «حاضر يا أمَّاه».

- «هذا صبيُّ المهدَّب». الحُكم لها، ولا تنوي سرسي أن تتخلَّى عنه قبل أن يبلغَ تومن سنَّ الرُّشد. أنا انتظرتُ، وهو أيضًا يستطيع الانتظار. نصف حياتي قضيتها انتظارًا. لقد لعبت دور الابنة المطيعة والعروس الخجلى والزَّوجة المطواعة، وتحملتُ تلمُّس روبرت جسدها وهو سكران وغيره چايمي وسخرية رنلي وضحكات فُارس المكبوتة وصرير أسنان ستانيس اللا نهائي، ونافستِ چون آرَن وند ستارك وأخاها القزم القاتل الخائن البغيض، وطيلة كلِّ ذلك الوقت ظلَّت تعدُّ نفسها بأن أوانها سيأتي. إذا كانت مارچري تايرل تبغي حرمانني ساعتني في الشَّمس فعلى الحقيرة أن تُعيد النَّظر.

وعلى الرغم من ذلك فما زالت هذه بدايةً سيئةً ليومها الذي لم يتحسَّن بعدها كثيرًا. أمضتِ سرسي بقيةَ الصَّباح مع اللورد جايلز ودفاتره، تُصغي إليه يسعلُ عن النُّجوم والأياتل والتَّنانين، وبعده وصلَ اللورد ووترز ليُخبرها بأن دُرموناتِها الثلاث الأولى تُشارفُ الاكتمال ويطلبُ مزيدًا من الذهب لإنهائها بالفخامة التي تستحقها، فسَرَّ الملكة أن تُلبِّي طلبه. لاحقًا توتَّب فتى القمر أمامها فيما تناوكتِ وجبة منتصفِ النَّهار مع أعضاءٍ من روابط التُّجَّار وأنصتتِ إلى شكواهم من العصافير الذين يتسكعون في الشوارع وينامون

في الميادين. ربما أحتاجُ إلى استخدام ذوي المعاطف الذهبية في طرده هؤلاء العسافير من المدينة. كانت تُفكّر في هذا عندما دخلَ عليها پايسل.

مؤخراً صارَ المايستر الأكبر كثير الاعتراض بصورة مبالغ فيها في اجتماعات المجلس، وفي أثناء الجلسة الأخيرة اشتكى بشدة من الرجال الذين اختارهم أوران ووترز لقيادة دريموناتها الجديدة. يُريد ووترز أن يُعطي السفن لرجال أكثر شباباً، في حين يحث پايسل على اللجوء إلى ذوي الخبرة، ويصرُّ على أن القيادة ينبغي أن تكون للربابنة الذين نجوا من حريق (النهر الأسود)، واصفاً إياهم بأنهم «رجال محنكون أثبتوا ولاءهم»، أمّا سرسي فقالت إنهم مسنون وانحازت إلى اللورد ووترز قائلة: «الشيء الوحيد الذي أثبتته هؤلاء الربابنة أنهم يُجيدون السباحة. لا يجدرُ بأبّ أن تعيش بعد موت أطفالها ولا يجدرُ برُبانٍ أن يعيش بعد غرق سفينته».

تلقى پايسل تبكيته على مضض، وإن بدا أقلّ مشاكسة اليوم، بل ونجح في رسم ابتسامة راجفة على شفته كذلك إذ خاطبها معلناً: «أخبار سارة يا جلالة الملكة. وإيمان ماندرلي نفذ ما أمرت به وقطع رأس فارس البصل رجل اللورد ستانيس».

- «أهذا أكيد؟».

- «لقد علّق رأس الرجل ويده على أسوار (الميناء الأبيض). اللورد وإيمان صرّح بهذا وآل فراي يؤكّدونه. لقد رأوا الرأس هناك وفي فمه بصلة، وأيضاً رأوا اليدين اللتين تُميّز إحداهما أصابعها المقصّرة».

قالت سرسي: «عظيم. أرسل طائراً إلى ماندرلي وبلّغه بأن ابنه سيُعاد إليه في الحال ما دام قد برهن على إخلاصه». قريباً ستعود (الميناء الأبيض) إلى سلام الملك، ورووس بولتون وابنه النّعل يُضيقان الخناق على (خندق كایلن) من الجنوب والشمال، وبمجرد استيلائهما على القلعة ستنضمُّ قوّاتهما لطرد الحديديين من (مرّبع تورين) و(ربوة الغابة) أيضاً، ومن شأن هذا أن يُكسبهما ولاء حملة راية ند ستارك المتبقين حين يأتي وقت الزحف ضد اللورد ستانيس.

في تلك الأثناء أقام مايس تايرل في الجنوب مدينةً من الخيام خارج (ستورمز إند)، وثمة دسنة من المجانيق تضرب أسوار القلعة العملاقة

بالحجارة، ولكن بلا تأثير يُذكر حتى الآن. قالت الملكة لنفسها متألمة: اللورد تايرل المُحارب. المفترض أن يكون رمزه رجلاً سميناً جالساً على مؤخرته. بعد الظهر وصل المبعوث البرافوسي الكالغ للقائه معها، والذي أرجأته سرسي أسبوعين وكانت لُرجته عاماً آخر لولا أن اللورد جايلز قال إنه لم يُعد قادراً على التّعامل مع الرّجل... وإن كانت الملكة قد بدأت تتساءل إن كان جايلز قادراً على أيّ شيءٍ غير السُّعال.

قال البرافوسي إن اسمه نوهو ديميتيس. اسم مزعج لرجل مزعج. صوته أيضاً مزعج، وقد تملّمت سرسي في جلستها بينما تكلم وتكلم، متسائلة كم عليها أن تتحمّل غطرسته، ومن ورائها يرتفع العرش الحديدي وتلقي نصاله وبروزاته ظلالاً ملتويةً على الأرض. وحده الملك أو يده يستطيع الجلوس على العرش نفسه، ولذا جلست سرسي عند قاعدته على مقعدٍ من الخشب المذهّب تكوّمت عليه الوسائد القرمزية.

حين توقّف البرافوسي ليلتقط أنفاسه اغتنمت الفرصة قائلة: «هذه مسألة تليق أكثر باللورد الخازن».

بدا أن الإجابة لم تسرّ النبيل نوهو إذ قال: «لقد تكلمتُ مع اللورد جايلز ستّ مرّات، فلا يفعل إلّا السُّعال في وجهي والتّحجّج يا جلالة الملكة، لكن الذّهب ما زال غير حاضر».

قالت سرسي مقترحةً بعدوبة: «تكلمّ معه مرّةً سابعةً. الرّقم 7 مقدّس عند آلهتنا».

- «أرى أن المزاح يسرّ صاحبة الجلالة».

- «حين أمزح أبتسم. هل تراني مبتسمة؟ هل تسمع ضحكاً؟ أو كدّ لك أن النَّاس يضحكون عندما أمزح».

- «الملك روبرت...».

قاطعتّه بحدّة: «... مات. (المصرف الحديدي) سينال ذهبه عندما يُخمد هذا التّمرد».

جرؤ الرّجل على أن يعبس في وجهها بكلّ عجرفةٍ قائلاً: «جلالة الملكة». قالت سرسي التي تحمّلت ما يكفيها تماماً اليوم: «هذا اللّقاء انتهى. سير مرين، اصحب النبيل نوهو ديميتيس إلى الباب. سير أوزموند، يُمكنك أن

تصحبني إلى مسكني». سيصل ضيفاها قريباً، وعليها أن تستحم وتبدل ثيابها، ولو أن العشاء المنتظر يعد بأن يكون مضجراً كذلك. حُكم مملكة واحدة صعب بما فيه الكفاية، ناهيك بسبع ممالك.

لحقَّ بها السير أوزموند كِتلبلاك على الدَّرَج، طويلاً رشيقياً في ثياب الحرس الملكي البيضاء، وحين تأكّدت سرسي من وجودهما وحدهما تأبّطت ذراعه متسائلة: «كيف حال أخيك الصَّغير يا تُرى؟».

لاحَ الارتباك على السير أوزموند إذ قال: «آه... بخير، غير أن...». تركت الملكة لمحّة من الغضب تشوب نبرتها وهي تردُّ: «غير أن؟ عليّ أن أعترف بأن صبري على أوزني العزيز بدأ ينفد. حان الوقت لأن يلج تلك المَهْرة الصَّغيرة. لقد عَيّنته حارساً شخصياً لتومن كي يقضي وقتاً كلَّ يوم في صُحبة مارچري. المفترض أن يكون قد اقتطفَ الوردة بالفعل. هل الملكة الصَّغيرة معميّة عن سحره؟».

- «سحره يعمل بكفاءة. إنه كِتلبلاك، أليس كذلك؟ أرجو ألا تؤاخذيني»، ومرّر السير أوزموند أصابعه في شعره الأسود الدُّهني مضيئاً: «إنها هي المشكلة».

- «وما السَّبب؟». بدأت الشُّكوك تُساور الملكة في السير أوزني. ربما هناك رجل آخر يروق مارچري أكثر. أوران ووترز بشعره الفضيّ، أو رجل كبير قوي البنية كالسير تالاد. «هل تُفضّل الفتاة أحداً آخر؟ هل يُزعجها وجه أخيك؟».

- «إنها تحبُّ وجهه. قال لي إنها تحسّست ندوبه منذ يومين وسألته عن المرأة التي أصابته بها. لم يقل أوزني قطُّ إنها امرأة، لكنها عرفت. ربما أخبرها أحد. يقول إنها تلمسه دائماً عندما يتكلّمان، تُعدّل دُبوس معطفه وتُسوي شعره وما إلى ذلك، وفي مرّة في تدريب الرّماية جعلته يُربها كيف تحمل القوس الطويل، فطوّقها بذراعيه. أوزني يحكي لها نكاتاً بذّيّة فتضحك وتردُّ بنكاتٍ أكثر بذاءةً. لا، إنها راغبة فيه، هذا واضح، ولكن...».

استحثّته سرسي قائلةً: «ولكن؟».

- «إنه لا ينفرد بها أبداً. الملك معهما أغلب الوقت، وإن لم يكن هو فهناك غيره. اثنتان من رفيقاتها تمانان معها في فراشها، اثنتان مختلفتان كلَّ ليلة،

واثنان أخريان تجلبان لها الإفطار وتُساعدانها على ارتداء ثيابها. إنها تُصَلِّي مع سِبْتِتها وتقرأ مع بنت عمومها إلينور وتُعْنِي مع بنت عمومها آلا وتخط مع بنت عمومها مِجَا، وحين لا تذهب للصَّيد بالصَّقور مع چانا فوسواي وميري كرين تلعب (تعال إلى قلعتي) مع ابنة بولوار الصَّغيرة، ولا تذهب لركوب الخيل أبدًا دون أن تأخذ حاشيةً من أربعة أو خمسة رفاق ودستة على الأقل من الحُرَّاس، وهناك رجال حولها دومًا، حتى في (قفص العذراوات).  
- «رجال. مَنْ هُمْ؟ أخبرني؟». هذا أفضل من لا شيء وينطوي على احتمالات.

هَزَّ السير أوزموند كتفيه مجيبًا: «مغنون. إنها مغرمة بالمغنين والحواة وأمثالهم، وثمة فُرسان يأتون للتَّحديق ولها إلى بنات عمومها. السير تالاد أسوأهم كما يقول أوزني. الأبله الكبير لا يدري إن كان يُريد إلينور أم آلا، لكنه يعرف أنه يُريدها للغاية. التَّوَّامن ردواين يأتیان لزيارتها أيضًا. سلوبر يجلب زهورًا وفواكه، وهورور تعلَّم العزف على العود. حسب كلام أوزني فخلق القِطْط يُصِدِّر أَلحَانًا أفضل. رجل (جُزر الصَّيف) حاضر دائمًا أيضًا».  
قالت سرسي: «چالابار شو؟»، وأطلقت نخير سخرية مردفة: «يتوسَّل منها الدَّهب والرَّجال لاسترداد وطنه على الأرجح». تحت جواهره وريشه ليس شو أكثر من شحاذٍ ينحدر من أصل عريق. كان بمقدور روبرت أن يضع نهايةً لإلحاحه بـ«لا» واحدة حازمة، إلَّا أن فكرة غزو (جُزر الصَّيف) استهوت زوجها الجلف السَّكَّير. لا ريب أنه كان يحلِّم بالنِّساء بنِّيات البشرة العاريات تحت المعاطف الرِّيش وحلماتهن السَّوداء كالفحم، ولذا بدلًا من «لا» اعتاد روبرت أن يقول لشو: «العام المقبل»، مع أن ذلك العام المقبل لم يقبل قطُّ.  
رَدَّ السير أوزموند: «لا أدري إن كان يتوسَّل أم لا يا جلاله الملكة. أوزني يقول إنه يُعلِّمهم لغة الصَّيف. ليس أوزني، بل الملك... المُهرة وبنات عمومها».

قالت الملكة بجفاف: «الحصان الذي يتكلَّم لغة الصَّيف يُحدث انطباعًا قويًا. قل لأخيك أن يُحافظ على حدَّة مهمزئه. قريبًا سأجد وسيلةً له ليمتطي المُهرة، لك أن تثق بهذا».

- «سأخبره يا جلالة الملكة. إنه متشوق إلى تلك الركوبة، لا تحسبي العكس. تلك الماهرة حسناء حقًا».

إنه متشوق إليّ أنا أيها الأحمق. لا يريد من مارچري إلّا اللوردية التي بين ساقيهما. على الرغم من ولعها بأوزموند فإنه يبدو بطيء الفهم كروبرت أحيانًا. أمل أن يكون سيفه أسرع من بديهته، فربما يأتي يوم يحتاج فيه تو من إليه. كانا يمرّان في ظلّ أنقاض (بُرج اليد) حين تعالَى صوت التهلِيل ليغمرهما. عبر السّاحة كان مرّافق ما قد سدّد ضربةً إلى الطّاووس مدورًا ذراعاه العرضيّة، وقد قادت الهتاف مارچري تايرل ودجاجاتها. فكّرت سرسي: جعجة صاحبة لطحن لا يُذكر. كان المرء ليحسب الصّبي فاز في دورة مباريات، ثم أذهلها أن ترى أن من على متن الجواد الحربي هو تو من مدرّعًا بالصفائح المعدنية المذهّبة.

لم تجد الملكة خيارًا إلّا أن ترسم ابتسامَةً على شفّتها وتذهب لتري ابنها، وبلغته بينما ساعده فارس الزهور على النزول من فوق حصانه. كان الصّبي متقطّع الأنفاس من فرط الإثارة، ويسأل الجميع: «هل رأيتم؟ فعلتها كما قال السير لوراس تمامًا. هل رأيت يا سير أوزني؟».

أجاب أوزني كتبلاك: «رأيت. منظر جميل».

أضاف السير درموت: «تجيد الركوب أفضل مني يا مولاي».

- «كسرت الرّمح أيضًا. هل سمعته يا سير لوراس؟».

- «كأنه هزيم الرّعد». كانت وردة من الذهب واليشب تُثبّت معطف السير

لوراس الأبيض عند الكتف، والريّح تُموّج خُصلاته البنيّة بأناقة. «لقد ركبت بمنتهى البراعة، لكن مرّة واحدة لا تكفي. عليك أن تُكرّرها غدًا. يجب أن تركب كلّ يوم إلى أن تُصبح كلّ ضربة تُوجّها ثابتة مستقيمة ويصير الرّمح جزءًا من جسّدك مثله مثل ذراعك».

- «أريد هذا».

قالت له مارچري: «كنت مجيدًا»، وجثت على رُكبها ولثمت الملك على

وجته ووضعت ذراعها على كتفه قائلةً للوراس: «أظن أن زوجي الباسل سيسقطك عن حصانك خلال سنوات قليلة»، وأيدتها بنات عمومها الثلاث، وبدأت ابنة بولوار المأفونة تتوتّب مترنّمة: «تو من سيكون البطل، البطل، البطل!».

قالت سرسي: «حين يُصبح رجلاً بالغاً».

ذُكِرَتْ ابتساماتهم كورداتٍ قَبْلَها الصَّقِيع، وكانت السَّيِّئَةُ ذات الوجه  
المجدور أول من يركع، وتبعها الآخرون باستثناء الملكة وأخيها.  
لم يبدُ على تومن أنه لاحظ البرودة المفاجئة في الهواء، واندفع يقول  
بسعادة: «هل رأيتني يا أمِّي؟ لقد كسرتُ رُمحي على الترس ولم يضرّني  
كيس الرَّمْل!».

- «شاهدتك عبر السَّاحَة. أحسنت البلاء للغاية يا تومن. لا أتوقَّع منك ما  
هو أقل. إن النِّزال في دمك، وذات يوم ستسود المضامير مثل أبيك».  
منحت مارچري تايرل الملكة ابتسامَةً ظاهِرها الخجل قائلة: «لا أحد  
سيصمّد أمامه. لكنني لم أعرف أن الملك روبرت كان صاحب إنجازاتٍ في  
النِّزال. أخبرينا من فضلك يا جلالة الملكة، ما المباريات التي فازَ فيها؟ من  
الفرسان العظام الذين أسقطهم من فوق خيولهم؟ أعرفُ أن الملك يحبُّ أن  
يُحيط علماً بانتصارات أبيه».

زحفَ الأحمر على عنق سرسي. لقد أوقعتها الفتاة في مصيدة. الحقيقة أن  
روبرت باراثيون لم يكن يُبالي بالنِّزال في المضامير، وخلال المباريات كان  
يُفضّل الالتحامات الجماعية كثيراً، حيث يُمكنه أن يطيح في الرِّجال ضرباً  
بفأسٍ ثلثة أو مطرقة حتى يُدميهم. حين تكلمت كانت تُفكّر في چايمي.  
ليس من ديدني أن أنسى نفسي. هكذا قالت مرغمة: «روبرت فازَ في مباراة  
(الثالوث)، أسقط الأمير ريجار وسمّاني ملكة الحُبِّ والجَمال. يُدهِشني أنك  
لا تعرفين هذه القصة يا زوجة ابني»، ولم تمنح مارچري فُرصةً للردِّ إذ قالت:  
«سير أوزموند، ساعد ابني على خلع درعه إذا سمحت. سير لوراس، امشِ  
معني، أريدُ أن أتكلّم معك».

لم يجد فارس الزُّهور ما يفعله إلّا أن يمشي في أعقابها كالجرو، وانتظرت  
سرسی حتى أصبحت على الدَّرجات الملتفة لتقول: «تُرى من صاحب هذه  
الفكرة؟».

أجاب مضطرباً: «أختي. السير تالاد والسير درموت والسير پورتيفر كانوا  
يتمرنون على الطَّاووس، واقترحت الملكة أن يأخذ صاحب الجلالة دوراً».  
يدعوها بهذا اللقب ليضايقني. «وماذا فعلت أنت؟».



- «ساعدتُ جلالته على ارتداءِ درعه وأريته كيف يُسدِّد الرُّمح».  
- «ذلك الحصان كان كبيراً عليه للغاية. ماذا لو سقط؟ ماذا لو ضربَ كيس الرَّمْل رأسه؟».

- «الكدمات والشِّفاه الدَّامية جزء من تكوين الفارس».  
قالت: «بدأتُ أفهمُ لماذا أصبحَ أخوك معاقاً»، فسرها مرأى قولها يمسح الابتسامة عن وجهه الوسيم، وتابعت: «ربما أخفقَ أخي في شرح واجباتك لك أيها الفارس. أنت هنا لحماية ابني من أعدائه، أمَّا تدريبه على الفروسية فمسؤولية قيِّم السِّلَاح».

قال السير لوراس وفي نبرته لمحة لوم: «ليس في (القلعة الحمراء) قيِّم سلاح منذ مقتل أرون سانتاجار. جلالته يكاد يبلغ التاسعة، وتوافق إلى التعلُّم في سنِّه هذه يُفترض أن يكون مُرافقاً، وعلى أحدهم أن يُعلِّمه».  
أحدهم سيعلِّمه، لكنه لن يكون أنت. سألته بعدوية: «أخبرني، من الذي كنت مُرافقه؟ اللورد رنلي، أليس كذلك؟».  
- «كان لي هذا الشرف».

- «نعم هذا ما حسبه». رأت سرسي الأواصر القويَّة التي تنعقد بين المُرافقين والفُرسان الذين يخدمونهم، ولا تُريد أن تنشأ علاقة مشابهة بين تومن ولوراس تايرل، ففارس الزهور ليس بالرجل الذي يحذو أيُّ صبيِّ حذوه. «لقد قصرتُ في هذا. في خضمِّ حُكم البلاد وخوض الحرب والحزن على أبي فاتتني المسألة الملحَّة الخاصَّة بتعيين قيِّم سلاحٍ جديد. سأصلحُ هذا الخطأ في الحال».

أزاح السير لوراس خُصلةً بنيةً سقطت على جبهته قائلاً: «لن تجد صاحبة الجلالة رجلاً أمهر مني في القتال بالسيف والرُّمح».  
يا لتواضعك. «تومن مولاك لا مُرافكك. ستقاتل في سبيله وتموت في سبيله إذا لزم الأمر، وليس أكثر من هذا».

تركته على الجسر المتحرِّك الممتد فوق الخندق الجاف والخوازيق البارزة من قاعه ودخلت (حصن ميجور) وحدها، وبينما صعَدت السِّلالم إلى مسكنها سألت نفسها: أين أجدُ قيِّماً للسِّلَاح؟ بعد أن رفضت السير لوراس لا تستطيع أن تلجأ إلى فارسٍ آخر في الحرس الملكي، إذ سيكون ذلك بمثابة

ملح على الجرح، ولا شك أنه سيُشير حفيظة (هايجاردن). السير تالاد؟ السير درموت؟ لا بُدَّ من أحد. تو من أصبح مولعًا بحارسه الشَّخصي الجديد، لكن أوزني أثبت أنه أقلُّ مهارةً مما أملت في مسألة العذراء مارچري، كما أنها تُفكِّر في منصبٍ آخر لأخيه أوزفريد. مؤسفٌ أن كلب الصَّيد أصابه السُّعار. لطالما خاف تو من صوت ساندور كليجاين الأَجش ووجهه المحروق، ولكنها سخرية كليجاين بمثابة التُّريق المثالي لشهامة لوراس تايرل المداهنة.

أرون سانتاجار كان دورنيًا. يُمكنني أن أبعث برسالةٍ إلى (دورن). بين (صنسيبير) و(هايجاردن) قرون من الدَّم. نعم، قد يصلُح رجل دورني لمتطلباتي تمامًا. لا بُدَّ من وجود مُقاتلين بارعين في (دورن). دخلتُ عُرفتها الشَّمسية لتجد اللورد كايرن جالسًا يقرأ على مقعدٍ مجاور للنَّافذة، ولمَّا رآها قال: «بعد إذن جلالة الملكة، معي تقارير». قالت سرسي: «المزيد من المؤامرات والخيانة؟ كان يومي طويلًا ومتعبًا، فأخبرني سريعًا».

ابتسم بتعاطفٍ قائلاً: «كما تشائين. ثمَّة كلام عن عرض أركون<sup>(1)</sup> (تايروش) على (ليس) شروط هدنةٍ لإنهاء حرب التُّجارة الحاليَّة بينهما. كان أشيع أن (مير) على وشك دخول الحرب في صَفِّ (تايروش)، لكن من دون الجماعة الذهبيَّة لم يرَ المايريُّون أنهم يستطيعون...». - «ما يراه المايريُّون لا يهمني». دائمًا يُحارب بعض المُدن الحرَّة بعضًا، وخياناتهم وتحالفاتهم اللانهائيَّة تعني القليل جدًّا لـ(وستروس). «هل لديك أخبار أكثر أهميَّة؟».

- «ثورة العبيد في (أستاפור) امتدَّت إلى (ميرين) على ما يبدو، وبخَّارة دسِّت من السفن يتكلَّمون عن التَّنانيين...».

- «الهاربيات، في (ميرين) هاربيات». إنها تذكُر هذه المعلومة من مكانٍ ما. (ميرين) واقعة في أقصى الأرض، شرقًا وراء (فاليريا). «فليثُر العبيد. لماذا أعبأ؟ لا عبيد عندنا في (وستروس). أهذا كل ما لديك؟».

---

(1) الأركون كلمة يونانيَّة قديمة تعني حرفيًّا «الحاكم»، وإن كانت قد استُخدمت مع عددٍ مختلف من أصحاب المناصب الرِّسميَّة وكبار التُّجار في روما القديمة والإمبراطوريَّة البيزنطيَّة، كما استخدمها العرب للإشارة إلى العظيم من الدَّهقان الفُرس. (المترجم).

- «ثُمَّ أَخْبَارَ مِنْ (دورن) قَدْ تَجَدَّهَا صَاحِبَةُ الْجَلَالَةِ أَكْثَرَ إِثَارَةً لِّلْاهْتِمَامِ.  
الأمير دوران سجنَ السير ديمون ساند، النُّغْلَ الَّذِي كَانَ مُرَافِقًا لِلْأَفْعَوَانِ  
الأحمر».

- «أذْكَرُهُ». كَانَ السَّيْرُ دِيمُونُ مِنَ الْفُرْسَانِ الَّذِينَ رَافَقُوا الْأَمِيرَ أُوبِرِينَ إِلَى  
(كينجز لاندنج). «مَاذَا فَعَلَ؟».

- «طَالِبٌ بِإِطْلَاقِ سِرَاحِ بَنَاتِ الْأَمِيرِ أُوبِرِينَ».  
- «أَحْمَقٌ».

تابع كايبرن: «هناك أيضًا ابنة فارس (الغابة الرَّقطاء) التي خُطِبَتْ عَلَيَّ  
نَحْوِ غَيْرِ مَتَوَقِّعٍ لِلوَرْدِ إِسْتَرْمُونَتِ، حَسَبِ إِفَادَةِ أَصْدِقَائِنَا فِي (دورن). فِي  
الليِّلةِ نَفْسَهَا أَرْسَلَتْ إِلَى (الحجر الأخضر)، وَيُقَالُ إِنَّهَا وَإِسْتَرْمُونَتِ تَزَوَّجَا  
بِالْفَعْلِ».

قالت سرسي مداعبةً خُصَلَةً مِنْ شَعْرَهَا: «نُغْلٌ فِي بَطْنِهَا يَشْرَحُ السَّبَبَ. كَمْ  
سِنَّ الْعُرُوسِ الْخَجَلِي؟».

- «ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً يَا جَلَالَةَ الْمَلِكَةِ، بَيْنَمَا إِسْتَرْمُونَتِ...».

- «... فِي السَّبْعِينَ عَلَيَّ الْأَقْلَ، أَعْيَ هَذَا». آلُ إِسْتَرْمُونَتِ أَصْهَارُهَا مِنْ  
خِلَالَ رُوبَرْتِ، الَّذِي تَزَوَّجَ أَبُوهَ وَاحِدَةً مِنْهُمْ فِي خُطْوَةٍ لَا يُمَكِّنُ تَفْسِيرَهَا إِلَّا  
بِنُوبَةِ شَهْوَةٍ أَوْ جَنُونٍ. لَدَى زَوَاجِ سَرَسِيِّ بِالْمَلِكِ كَانَتْ أُمُّ رُوبَرْتِ قَدْ رَحَلَتْ  
مِنْذَ زَمَنِ طَوِيلٍ، وَإِنْ حَضَرَ كِلَا أُخُوَيْهَا زَفَافَهُمَا وَبَقِيَ نِصْفُ عَامٍ فِي الْمَدِينَةِ،  
وَبَعْدَهَا أَصَرَ رُوبَرْتُ عَلَيَّ رَدِّ الْجَمِيلِ بِزِيَارَةِ (إِسْتَرْمُونَتِ)، الْجَزِيرَةَ الْجَبَلِيَّةَ  
الصَّغِيرَةَ الْوَاقِعَةَ عِنْدَ (رَأْسِ الْغَضَبِ)، وَكَانَ الْأَسْبُوعَانِ الْكَثِيْبَانِ الرَّطْبَانِ  
اللَّذَانِ أَمَضَّتَهُمَا سَرَسِيُّ فِي (الحجر الأخضر) -مَقَرِ عَائِلَةِ إِسْتَرْمُونَتِ-  
الْأَطْوَلِ فِي شَبَابِهَا عَلَيَّ الْإِطْلَاقِ. بِمَجْرَدِ النَّظَرِ سَمَّى چَايْمِي الْقَلْعَةَ «الْخِرَاءِ  
الأخضر»، وَسَرَعَانَ مَا حَدَّثَتْ سَرَسِيَّ حَذُوهَ، وَفِيمَا عَدَا ذَلِكَ قَضَّتْ وَقْتَهَا فِي  
مَشَاهِدَةِ زَوْجِهَا الْمَلُوكِيِّ يَصِيدُ وَيَقْنَصُ وَيَشْرَبُ مَعَ خَالِيهِ وَيُبْرِحُ عَدَدًا كَبِيرًا  
مِنْ أَبْنَاءِ الْخُؤُولَةِ ضَرْبًا فِي سَاحَةِ (الْخِرَاءِ الْأَخْضَرِ).

كانت هناك ابنة خالٍ ما أيضًا، أرملة قصيرة مكتنزة ذات نهدين كبيرين  
كَبِطِّيخَتَيْنِ مَاتَ زَوْجُهَا وَأَبُوهَا عِنْدَ (ستورمز إند) فِي أَثْنَاءِ الْحِصَارِ، وَعِنَهَا  
قَالَ رُوبَرْتُ لِسَرَسِيِّ: «أَبُوهَا عَامَلْنِي بِطَبِيبَةٍ، وَكُنَّا نَلْعَبُ مَعًا فِي صِغَرِنَا». لَمْ

يستغرق وقتًا طويلًا قبل أن يبدأ اللَّعب معها من جديد، وبمجرد أن تُغلق سرسي عينيها تعود الملك أن يتسلَّل ليُواسي الأرملة الوحيدة المسكينة. في ليلةٍ جعلتْ چايمي يتبعه ليُوَكِّد شكوكها، ولَمَّا عادَ أخوها سألها إن كانت تُريده أن يَقتُل روبرت، فأجابَتْ: «لا، أريدُ أن أركبَ له قرنين». تحبُّ سرسي أن تعتقد أن تلك هي اللَّيلة التي حبلتَ فيها بچوفري.

قالت لكايبرن: «إلدون إسترمونت تزوج فتاةً تصغره بخمسين عامًا، فلم أكثرُ لهذا؟».

هزَّ كتفيه قائلاً: «لا أقولُ إنكِ يجب أن تكثرثي... لكن ديمون ساند وابنة سانتاجار تلك قريبان من آريان ابنة الأمير دوران، أو أن هذا ما يُشيعه الدورنيون. ربما لا يعني الأمر شيئًا، لكن خطرَ لي أن على جلاتك أن تعرفي».

قالت وقد بدأ صبرها ينفد: «والآن أعرف. هل لديك المزيد؟».

ردَّ: «شيء واحد آخر، مسألة تافهة»، وابتسم لها معتذرًا وأخبرها عن عرض دُمى لاقى إقبالًا كبيرًا من عامَّة المدينة في الفترة الأخيرة، عرض تحكُّم فيه مملكة الحيوان الأسود المتكبِّرة. «مع تواصل هذه الحكاية المحرَّضة على الخيانة تُصبح الأسود الدُمى أكثر طمعًا وخيلاءً، إلى أن تبدأ في افتراسي رعاياها، وحين يعترض الوعل النِّيل تفرسه الأسود أيضًا وتزأر بأن هذا حقها باعتبارها أقوى الحيوانات».

سألته سرسي باستمتاع: «أهذه هي النَّهاية؟». إذا نظر المرء إلى الحكاية من الزاوية السَّليمة فربما يراها كدرسي مفيد.

- «لا يا جلالة الملكة. في النَّهاية يخرُج تينن من بيضة ويلتهم الأسود كلَّها».

هكذا تنقل النَّهاية عرض الدُمى من خيانة الإهانة البسيطة إلى الخيانة البيِّنة. قالت سرسي: «أغبياء حمقى. لا يُخاطر برأسه من أجل تينن خشبي إلا مختل»، وتفكرت لحظةً ثم أردفت: «أرسل بعض هامسيك إلى تلك العروض واجعلهم يُعابنون الحاضرين. إذا كان أيُّهم من الأناس البارزين فأريدُ أن أعرف أسماءهم».

- «وماذا سيحدث لهم إذا سمحت لي بالسُّؤال؟».

- «الأثرياء منهم سيُعرَّمون. يكفي نصف ثرواتهم لتلقيهم درسًا قاسيًا وإعادة ملء خزائنا دون خراب بيوتهم. الأفقر من أن يدفعا ثمنًا لهم عين لمشاهدتهم الخيانة، والإعدام بالفأس لمحرّكي الدمي».

- «إنهم أربعة. ربما تسمح لي صاحبة الجلالة باثنين منهم لأجل أغراضِي. امرأة بالذات ستكون...».

قاطعتها الملكة محتدةً: «لقد أعطيتك سينل».

- «للأسف الفتاة المسكينة... منهكة تمامًا».

لا يروق سرسي التفكير في هذا. لقد ذهبت الفتاة معها دون أن يُخالِجها أدنى شك، متصورةً أنها ستُقدِّم الطَّعام وتصبُّ الشَّراب، وحتى حين طَوَّق كايرون معصمها بالسُّلسلة لم يبدُ عليها الفهم. ما زالت الذكرى تُصيب الملكة بالغثيان. كانت الزَّنازين قارسة البرودة، وحتى المشاعل كانت ترتجف، وذلك الشَّيء الكريه كان يصرُخ في الظلام... «حسن، يُمكنك أن تأخذ امرأةً. خذ اثنتين إذا أردت. لكني أريد الأسماء أولاً».

قال كايرون قبل أن ينسحب: «كما تأمرين».

مالت الشَّمس إلى المغيب في الخارج. كانت قد دوركاس قد جهَّزت لها حمامًا، وبينما غاصت الملكة مسرورةً في الماء الدافئ مفكرةً في ما ستقوله لضيفيها على العشاء اقتحمَ چايمي الباب وأمرَ چوسلين ودوركاس بالخروج. بدا أخوها مفتقرًا إلى الأناقة والنظافة وقد فاحت منه رائحة الخيول إذ دخلَ ومعه تومن، وقال لها: «أختي الجميلة، الملك يطلب كلمةً معك».

كانت حُصل سرسي الذهبية طافيةً في مياه الاستحمام والبُخار يُفعمُ العُرفة، وأحسَّت بقطرة من العرق تسيل على وجنتها وهي تقول بنبرةٍ شديدة الخطورة من فرط نعومتها: «تومن، ما الأمر الآن؟».

يعرف الصَّبي هذه النَّبرة، ولذا انكمشَ على نفسه متراجعًا، في حين قال چايمي: «جلالته يُريد جواده الأبيض غدًا من أجل درس النَّزال».

اعتدلت جالسةً في الحوض، وردَّت: «لن يكون هناك نزال».

مطَّ تومن شفته السفلى قائلًا: «بل سيكون. يجب أن أركب كلَّ يوم».

أعلنت الملكة: «وستفعل بمجرد أن نُعيِّن قيم سلاحٍ لائقًا يُشرف على

تدريبك».

- «لا أريدُ قِيَمَ سلاحٍ لائقًا، أريدُ السيرَ لوراس».  
- «إنك ترفع شأنَ ذلك الصَّبي كثيرًا. أعرفُ أن زوجتك الصَّغيرة ملأت  
رأسك بكلامٍ سخيفٍ عن براعته الفائقة، لكن أوزموند كِتلبلاك فارس أفضل  
من لوراس ثلاث مرَّات».

علّق چایمی ضاحكًا: «ليس أوزموند كِتلبلاك الذي أعرفه».  
كانت لتتخفقه لحظتها. ربما عليّ أن أمر السير لوراس بأن يدع السير  
أوزموند يُسقطه عن حصانه. قد يُفلح هذا في وضع حدٍّ لافتتان تومن به.  
قصِّص ريش الطَّاووس وكلِّ البطل بالعار وفي الحال ينحطُّ مقامهما.  
قالت: «سأرسل لأطلب رجلًا دورنيًا يُدْرَبك. الدورنيون أفضلُ المُنازلين في  
البلاد».

قال تومن: «لا، ليسوا كذلك، وعلى كلِّ حالٍ لا أريدُ رجلًا دورنيًا سخيفًا،  
بل أريدُ السير لوراس. هذا أمر!».

عادَ چایمی يضحك، ففكرت الملكة: لا يسأعني على الإطلاق. هل  
يحسب هذا طريفًا؟ ضربت الماءَ غاضبةً، وقالت: «هل عليّ أن أرسل في  
استدعاءٍ بايت؟ إنني لا أمتثل لأوامرك، أنا أمك».

ردَّ تومن: «نعم، لكنني الملك. مارچري تقول إن عليّ الجميع طاعة ما  
يقوله الملك. أريدُ أن يُجَهَّز جوادي الأبيض غدًا كي يُعلِّمني السير لوراس  
النَّزال. أريدُ هُريرةً أيضًا، ولا أريدُ أن أكل الشَّمندر».

كان چایمی لا يزال يضحك، لكن الملكة تجاهلته قائلةً: «تومن، تعال  
هنا»، ولمَّا لم يتحرَّك الصَّبي تنهَّدت وقالت له: «أأنت خائف؟ يجب ألا يُبدي  
الملك خوفًا». هكذا دنا ابنها من الحوض مطرِّقًا عينيه، فمدت يدها تُملِّس  
على شعره الدَّهبي، وقالت: «ملك أم لا، أنت صبيٌّ صغير، والحُكم لي حتى  
تَبْلُغ سنَّ الرُّشد. سوف تتعلَّم النَّزال، أعدك بهذا، لكن ليس من لوراس.  
فُرسان الحرس الملكي عليهم واجبات أهمُّ من اللُّعب مع طفل. سلَّ حضرة  
القائد. أليس كذلك أيها الفارس؟».

أجابَ چایمی بابتسامةٍ رقيقة: «واجبات مهمَّة للغاية. الدَّوران حول  
أسوار المدينة على سبيل المثال».

قال تومن وقد بدا على وشك البُكاء: «هل لي بهُريرة إذن؟».

أجابَت الملكة: «ربما، ما دمتُ لن أسمع المزيد من الهُراء عن التّزال. هل تعدني بهذا؟».

جر جرّ قدميه قائلاً: «نعم».

- «عظيم. والآن اذهب. ضيفاي سيصلان قريباً».

هرعَ تومن مغادراً، لكن قبل أن يخرُج التفتَ وقال: «حين أصبحَ الملك وحدي سأحرّمُ أكل الشّمندر!».

أغلَقَ أخوها الباب بجدعة يده، ولمّا انفردَ بسرسي سأَلها: «كنتُ أسألُ نفسي يا صاحبةِ الجلالة، أنتِ سكرانة أم حمقاء فقط؟».

ضربتَ الماء مرّةً أخرى نائرةً إياه على قدميه، وقالت: «صن لسانك وإلاً...».

- «... وإلاً ماذا؟ سترسليني لفحص الأسوار ثانية؟»، وجلسَ چايمي واضعاً ساقاً على ساقٍ مردفاً: «أسوارك اللّعيّنة سليمة. لقد زحفتُ على كل بوصةٍ منها وألقيتُ نظرةً على السّبع بوابات. مِفصلات (البوابة الحديدية) صدئة، ويجب استبدال (بوابة الملك) و(بوابة الطّمي) بعد أن هشّمهما ستانيس بمدكّاته. الأسوار قويّةٌ كما كانت دوماً... لكن هل نسيتُ صاحبةِ الجلالة أن أصدقاءنا من (هايجاردن) داخل الأسوار لا خارجها؟».

- «لا أنسى شيئاً»، ردّت عليه مفكّرةً في عمليّةٍ ذهبيّةٍ معيّنة على أحد وجهيها يد وعلى الوجه الآخر رأس ملكٍ منسيٍّ ما. كيف تحصّل سجّان بئس حقير على عمليّة كهذه وخبّأها تحت وعاء فضلاته؟ كيف وصلَ رجل كروجن إلى ذهبٍ قديمٍ من (هايجاردن)؟

- «هذه أول مرّةٍ أسمعُ بتعيين قيّم سلاحٍ جديد. ستحتاجين إلى بحثٍ طويلٍ دقيقٍ عن مُنازلٍ أفضلٍ من لوراس تايرل. السير لوراس...».

بترتَ عبارته شاعرةً بماءِ حمّامها يفتُر: «أعرفُ السير لوراس ولا أريده قُرب ابني. الأفضل أن تُدكّره بواجباته».

- «إنه يعرف واجباته، وليس هناك من يحمل الرّمح أفضل...».

- «أنت كنت أفضل قبل أن تفقد يدك، والسير باريستان في شبابه، وآرثر داين كان أفضل، والأمير ريجار كان ندّاً له. كفى ثرثرةً عن قوّة الزّهرة. إنه مجرد صبي». لقد ملّت معارضةِ چايمي. لا أحد كان يُعارض السيّد والدها.

حين يتكلّم تايوين لانستر كان النَّاس يُطيعون، وحين تتكلّم سرسي يُعطون أنفسهم حرّيّة إعطائها المشورة ومناقضتها، بل ورفض أوامرهما. كلُّ هذا لأنني امرأة، لأنني لا أستطيع قتالهم بالسيف. لقد احترمواروبرت أكثر مما يحترموني، وروبرت كان سكيراً أبه. لن تسمح بهذا، خصوصاً من چايمي. يجب أن أحلّص نفسي منه، وعاجلاً. في سالف الأيام كانت تحلم بأن يحكّما (الممالك السبع) جنباً إلى جنب، لكن چايمي أضحى عائناً أكثر منه عوناً. نهضت سرسي من الحوض لتسيل المياه على ساقها وتقطّر من شعرها، وقالت: «عندما أريد نصيحتك سأطلبها. اتركني أيها الفارس. عليّ أن أرثدي ملابسي».

قال چايمي: «ضيفاك على العشاء، أعرف. وأيُّ مؤامرة هذه تحديداً؟ إنها كثيرة للغاية وفاتني بعضها»، وسقطت نظره على قطرات الماء المتثلثة على الشعر الذهبي بين ساقها.

ما زال راغباً فيّ. «هل تشتاق إلى ما فقدته يا أخي؟».

رفع عينيه قائلاً: «أنا أيضاً أحبُّك يا أختي الجميلة، لكنك حمقاء، حمقاء ذهبية جميلة».

أوجعتها كلماته، وفكرت: وصفتني بكلماتٍ أطف في (الحجر الأخضر) ليلة زرعت چو فري في داخلي. قالت له: «اخرج»، وأدارت له ظهرها وسمعته يُغادر متلمّساً الباب بجذعته بارتباك.

بينما تأكّدت چوسلين من أن كلَّ شيء جاهز للعشاء، ساعدت دوركاس الملكة علي ارتداء فستانها الجديد، المفصّل على شكل خطوطٍ من الساتان الأخضر اللامع بالتبادل مع خطوطٍ من القטיפه السوداء، بالإضافة إلى شرائط الزينة المايريّة السوداء الدقيقة فوق الصدر. شرائط الزينة المايريّة مكلفة، لكن من الضروري أن تبدو الملكة في أبهى صورها طوال الوقت، كما أن غسالاتها الحقيرات تسببن في انكماش عددٍ كبير من فساتينها القديمة فلم تعد تُناسبها. كانت لتجلدهن لاستهتارهن لولا أن تاينا حثتها على الرّأفة، وقالت لها: «سيحبُّك العوام أكثر إذا كنتٍ رحيمة»، وهكذا أمرت سرسي بخصم قيمة الفساتين من أجور الغسالات، وهو الحلُّ الأكثر أناقة بكثير. وضعت دوركاس مرآة فضيَّة في يدها، ففكرت الملكة مبتسمةً لانعكاسها:



جميل جداً. من السَّار أن تخلع ثياب الحِداد، فالأسود يجعلها تبدو شاحبةً للغاية. مؤسفٌ أنني لن أتناول عشايتي مع الليدي ميريويدر. كان يومها طويلاً، ودائماً تُبهجها تاينا بخفةٍ دمهها. لم تكن لسرسي صديقة تستمتع بصُحبتها لهذه الدَّرجة منذ ميلارا هيندرسون، وميلارا اتَّضح أنها متأمرة جشعة في دماغها أفكار تتجاوز مقامها. لا يجدرُّ بي أن أفكرَّ فيها بسوء. لقد غرقت وماتت، وعلمتني ألا أتق بأحد غير چايمي أبداً.

حين انضمت إليهما في الغرفة الشمسية كان ضيفاها قد قطعاً شوطاً لا بأس به في شرب الهيوكراس بالفعل، وعندما لاحظت سرسي الإبريق نصف الفارغ قالت لنفسها: الليدي فاليس لا تبدو كسمكة فحسب، بل تشرب كواحدة أيضاً. صاحت مقبلةً المرأة على وجتها: «فاليس العزيزة والسير بالمان الشجاع، لقد فجعتني أن أسمع بما جرى لأملك الغالية. كيف حال الليدي تاندا؟».

بدأت الليدي فاليس كأنها على وشك الإجهاش بالبكاء إذ أجابت: «لطف من جلالتك أن تسألني. المايستر فرنكن يقول إن السقطة حطمت ورك أمي. لقد فعلت ما يستطيع، والآن نصلّي، ولكن...».

صلوا كما تشاؤون، لكنها ستموت لا محالة قبل أن يدور القمر. النساء المسنات كتاندا ستوكوورث لا يتعافين من ورك مكسور. «سأضيف صلواتي إلى صلواتكم. اللورد كايرن أخبرني بأن تاندا سقطت من فوق حصانها».

ردّ السير بالمان بيرش: «حزام سرجها انفتق وهي راكبة. كان على عامل الاسطبل أن يرى أنه تالف. لقد عوقب».

قالت الملكة: «أمل أن العقاب كان شديداً»، وجلست مشيرةً لضيفيها بالجلوس بدورهما، واستطردت: «هل تشربين كأساً أخرى من الهيوكراس يا فاليس؟ أذكر أنك لطالما كنت مولعةً به».

- «لطف بالغ منك أن تتذكّري يا جلالة الملكة».

وكيف أنسى؟ چايمي قال إنها أعجوبة أنك لا تتبولينه. «كيف كانت رحلتكما؟».

أجابت فاليس بتأفف: «غير مريحة. المطر ظلّ يسقط معظم اليوم. فكّرنا أن نقضي الليل في (روزبي)، لكن ريبب اللورد جايلز الشاب رفض تضييفنا»،

وتنشقت متابعَةً: «لك أن تثقي بأنه بمجرد موت جايلز سيفر ذلك المأفون وضيع الميلاد بذهبه كله، بل وربما يُحاول الاستيلاء على أراضيه ولورديته، مع أن الحق أن تنتقل (روزبي) إلينا بعد موت جايلز. السيِّدة أمي حالة زوجته الثانية، وابنة حُولةِ ثالثة لجايلز نفسه».

تساءلت سرسي في أعماقها: هل رمزكم حمل يا سيِّدتي أم قرد طمّاع؟ قالت: «اللورد جايلز يُهدّد بالموت منذ عرفته، لكنه لا يزال معنا وأمل أن يظلّ كذلك سنواتٍ طويلة»، وابتسمت ببشاشةٍ مردفةً: «لا شك أنه سيظلّ يسأل بعد أن نذهب جميعاً إلى قبورنا».

قال السير بالمان: «غالبًا سيحدّث هذا. على أن ريبب روزبي لم يكن الوحيد الذي أزعجنا يا جلالة الملكة. لقد قابلنا عددًا من الهمجيين على الطريق أيضًا، مخلوقاتٍ قدرة بشعة الهيئة تحمل التُّروس الجلد والفؤوس، بعضها على صدره نجوم مخيطة، نجوم سباعية مقدّسة، لكن منظر هؤلاء الرّجال أوحى بالشرّ رغم ذلك».

أضافت فاليس: «أنا واثقة بأنهم كانوا مقلّمين أيضًا».

قالت سرسي: «يسمّون أنفسهم العصافير. إنهم وباء يجتاح البلاد. على السِّبتون الأعلى الجديد أن يتعامل معهم بمجرد تنويجه، وإذا لم يفعل فسأتعامل معهم بنفسِي».

سألته فاليس: «هل اختيرَ صاحب القداسة بعد؟».

أجابَت الملكة مقرّرةً: «لا. كان السِّبتون أوليدور على شفا الاختيار إلى أن تبعه بعض هؤلاء العصافير إلى ماخورٍ وجروه عاريًا إلى الشارع. يبدو أن لوشن الخيار المرجّح الآن، ولو أن أصدقاءنا على التلّ الآخر يقولون إن بضعة أصواتٍ ما زالت تنقُصه ليبلغ العدد المطلوب».

قالت الليدي فاليس بمنتهى الخشوع: «عسى (العجوز) أن تُرشد المداولات بمصباح الحكمة الذهبي».

اعتدل السير بالمان في مقعده قائلاً: «جلالة الملكة، هذه مسألة محرّجة، ولكن... خشية أن تنمو المشاعر السيئة بيننا، يجب أن تعرفي أن زوجتي الكريمة وأمها لم يكن لهما دور على الإطلاق في تسمية الوليد النغل. لوليس

مخلوقة بسيطة، وزوجها يميل إلى المزاح الأسود. قلتُ له أن يختار اسمًا أليق للصبي، فضحك».

رَشَفَتِ الْمَلِكَةَ مِنْ نَبِيذِهَا وَأَمَعَنَتِ النَّظَرَ إِلَيْهِ. فِي الْمَاضِي كَانَ السَّيْرُ بِالْمَانِ مُنَازِلًا بَارِزًا، وَأَحَدُ أَوْسَمِ الْفُرْسَانِ فِي (الْمَمَالِكِ السَّيِّعِ) كَذَلِكَ، وَلَثُنَ مَا زَالَ فَوْقَ شَفْتَيْهِ شَارِبٌ فَاحِرٌ فَإِنَّ التَّقَدُّمَ فِي الْعُمُرِ لَمْ يَتَرَفَقْ بِهِ، فَانْسَحَبَ شَعْرُهُ الْأَشْقَرُ الْمَتَمَوِّجُ، فِي حِينٍ تَقَدَّمَ بَطْنُهُ بَعْنَادٍ ضَاغَطًا عَلَى سُتْرَتِهِ. قَالَتْ لِنَفْسِهَا: كَأْدَاءُ، يَنْقُصُهُ الْكَثِيرُ، لَكِنْ لَا بَأْسَ بِهِ. «تِيرِيُونُ كَانَ اسْمًا مَلِكِيًّا قَبْلَ مَجِيءِ التَّنَّانِينِ. الْعِفْرِيَتُ لَوَّثَهُ، لَكِنْ رَبَّمَا يَرِدُ الصَّغِيرُ إِلَى الْاسْمِ شَرْفَهُ». هَذَا إِذَا عَاشَ النَّعْلُ. «أَعْرِفُ أَنْ لَا لَوْمَ عَلَيْكُمْ. الْيَلِيدِي تَانِدَا هِيَ الْأَخْتُ الَّتِي لَمْ أَحْظَ بِهَا قَطُّ، وَأَنْتَمَا...»، وَتَهْدَجُ صَوْتَهَا إِذِ اسْتَدْرَكَتْ: «سَامِحَانِي، إِنِّي أَعِيشُ فِي خَوْفٍ».

فَتَحَتِ فَالِيسَ فَاهَا وَأَعْلَقَتَهُ، وَهُوَ مَا جَعَلَهَا تَبْدُو كَسَمَكَةٍ تَحْتَرِفُ الْغَبَاءَ، وَرَدَّدَتْ مَتَسَائِلَةً: «فِي... فِي خَوْفٍ يَا جَلَالَةَ الْمَلِكَةِ؟».

قَالَتْ سَرَسِي: «لَمْ أَنْمِ لَيْلَةً بِأَكْمَلِهَا الْبَتَّةَ مِنْذُ مَوْتِ چَوْفَرِي»، وَأَعَادَتْ مَلْءَ الْكُوَّوسِ بِالْهَيْبِ وَكَرَّاسِ مَوَاصِلَةٍ: «أَيُّهَا الصَّدِيقَانِ... أَنْتَمَا صَدِيقَايَ كَمَا أَمَلُ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ وَصَدِيقَا الْمَلِكِ تَوْمَنْ؟».

أَعْلَنَ السَّيْرُ بِالْمَانِ: «ذَلِكَ الصَّبِيُّ الْجَمِيلُ. جَلَالَةُ الْمَلِكَةِ، كَلِمَاتُ عَائِلَةِ سَتُوكُورْتِ ذَاتَهَا تَقُولُ: نَفْخُرُ بِإِخْلَاصِنَا».

- «لَيْتَ هُنَاكَ الْمَزِيدُ مِنْ أَمْثَالِكَمَا أَيُّهَا الْفَارِسُ الْكَرِيمُ. أَقُولُ لَكُمْ صَدَقًا إِنَّ شُكُوكًا جَادَّةً تُسَاوِرُنِي إِزَاءَ السَّيْرِ بَرُونَ فَارِسِ (النَّهْرِ الْأَسْوَدِ)».

تَبَادَلَ الزَّوْجُ وَالزَّوْجَةُ نَظْرَةً، وَقَالَتْ فَالِيسُ: «ذَلِكَ الرَّجُلُ وَقِحُ يَا جَلَالَةَ الْمَلِكَةِ، فَظٌّ وَسَلِيطُ اللِّسَانِ».

أَضَافَ السَّيْرُ بِالْمَانِ: «لَيْسَ فَارِسًا حَقِيقِيًّا».

ابْتَسَمَتِ سَرَسِي لَهُ وَحَدَهُ قَائِلَةً: «نَعَمْ، وَأَنْتَ فَارِسٌ يَعْرِفُ الْفُرُوسِيَّةَ الْحَقَّةَ. إِنِّي أَذْكَرُ مَشَاهِدَتِكَ تُنَازِلَ فِي... مَا دَوْرَةَ الْمَبَارِيَاتِ الَّتِي قَاتَلْتَ فِيهَا بِكُلِّ عَظْمَةٍ أَيُّهَا الْفَارِسُ؟».

أَجَابَ مَبْتَسِمًا بِتَوَاضُعٍ: «تِلْكَ الَّتِي كَانَتْ فِي (وَادِيِ الْغَسَقِ) مِنْذُ سِتَّةِ أَعْوَامٍ؟ لَا، لَمْ تَكُونِي حَاضِرَةً، وَإِلَّا لَتَوَجَّتِ مَلِكَةً لِلْحُبِّ وَالْجَمَالِ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ».

أكانت دورة المباريات التي أقيمت في (لانسپورت) بعد تمرد جرايچوي؟  
لقد أسقطتُ فيها عدَّة فرسانٍ بارعين...».

ردَّت: «هي بالضَّبط»، ثمَّ تجهمَّ وجهها إذ أردفت: «العِفريت اختفى ليلية موت أبي تاركًا سجانين أميين في بركةٍ من الدَّماء. بعضهم يدَّعي أنه فرَّ عابراً (البحر الضيِّق)، لكني أتساءل. القزم ماكر. ربما لا يزال كامناً على مقربةٍ ويخطُّط للمزيد من الاغتيالات، ربما يُخفيه صديق ما».

ملَّس السير بالمان على شاربه الكَثُّ متسائلاً: «برون؟».

- «لقد كان مخلوق العِفريت دوماً، و(الغريب) وحده يعلم كم رجلاً أرسل إلى الجحيم بأمر تيريون».

قال السير بالمان: «جلالة الملكة، أعتقدُ أنني كنتُ لألاحظ لو أن هناك قزماً متوارياً في أراضينا».

ردَّت سرسي: «أخي صغير الحجم ومخلوق للتَّواري»، وتركت يدها ترتجف مواصلةً: «اسم الطِّفل مسألة صغيرة... لكن الوقاحة التي تمرُّ دون عقاب تستولد الخيانة، ثم إن كايرن أخبرني بأن ذلك الرِّجل برون يجمع المرتزقة حوله».

قالت فاليس: «لقد ضمَّ أربعة فرسان إلى أهل بيته».

أطلق السير بالمان نحيباً ساخراً، وقال: «زوجتي تُطري عليهم بوصفهم بالفُرسان. إنهم مرتزقة متسلِّقون دون ذرَّة واحدة من الفُروسية بين أربعتهم».

قالت سرسي منتحبةً: «كما خشيتُ. برون يحشد رجالاً للقزم، وليُنقذ (السَّبعة) ابني الصَّغير. العِفريت سيقتله كما قتل أخاه. أيها الصِّديقان، إنني أضعُ شرفي في أيديكما... لكن ما قيمة شرف الملكة أمام مخاوف الأم؟».

طمأنها السير بالمان قائلاً: «تكلمي يا صاحبة الجلالة. لن يخرج كلامك من هذه العُرفة أبداً».

مدَّت سرسي يدها عبر المائدة واعتصرت يده قائلةً: «... سأنام مطمئنة البال أكثر إذا سمعتُ أن السير برون أصابته... أصابته حادثة... وهو يصطاد ربما».

فكَّر السير بالمان لحظةً قبل أن يسأل: «حادثة مميتة؟».

لا، أريدُ أن يكسر إصبع قدمه الصَّغير. عضت شفتها كاظمةً غيظها،

وقالت لنفسها: أعدائي في كل مكان وأصدقائي بئله. همست: «أتوسَّل إليك أيها الفارس، لا تجعلني أقولها...».

قال السير بالمان رافعاً إصبعه: «فهمت».

كانت جبة لفت لتفهم أسرع منك. «أنت فارس حقيقي، جواب لدعاء أم خائفة»، وقلته سرسي متابعه: «عجل يفعلها من فضلك. برون حوله رجال قلائل الآن، لكن إذا لم نتصرف فمؤكد أنه سيجمع المزيد»، وقبّلت فاليس، وقالت: «لن أنسى هذا أبداً أيها الصديقان، يا صديقي المخلصان في (ستوكوورث). نفخر بإخلاصنا. لكما كلمتي، سنجد للوليس زوجاً أفضل عند الانتهاء من هذا الأمر». من عائلة كتبلاك ربما. «نحن أولاد لانستر نُسدد ديوننا».

كانت البقية المزيد من الهيوكراس مع الشمندر بالزُبدة والخبز الساخن وسمك الكراكي المغلف بالأعشاب وضلوع الخنازير البرية. باتت سرسي مغرمة للغاية بلحم الخنازير البرية منذ موت روبرت، حتى إنها لم تجد غضاضة في صحبتها الحالية، على الرغم من أن فاليس راحت تتزلف إليها وأخذ بالمان يتفاخر بلا توقف من طبق الحساء إلى طبق الحلويات. كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل قبل أن تُخلص نفسها منهما. أثبت السير بالمان أنه مولع بالشرب حين اقترح تقديم إبريق آخر، فلم تجد الملكة أن من الحصافة أن ترفض، وعندما رحل أخيراً قالت لنفسها: كان يُمكنني أن أستأجر رجلاً عديم الوجه يقتل برون مقابل نصف ما أنفقته على الهيوكراس. في هذه الساعة كان تو من غائباً في نوم عميق، لكن سرسي ألقت نظرة عليه قبل أن تذهب إلى فراشها. أدهشها أن ترى ثلاث هُريات نائمة بسكينة إلى جواره، فسألت السير مرين الواقف خارج غرفة النوم الملكية: «من أين أتت تلك القطط؟».

- «الملكة الصغيرة أعطتها له. كانت ستعطيه واحدة فقط لكنه لم يستطع أن يُحدِّد أيها تروقه أكثر».

أفضل من شق بطن أمها وإخراجها منه على ما أعتقد. محاولات مارچري الرعناء للغواية مفضوحة لدرجة تبعث على الضحك. تو من صغير للغاية على القبك فبدلاً منها تعطيه القطط. على أن سرسي تتمنى لو لم يكن لونها

أسود، فالقِط السَّوداءُ فأل سيِّئ، كما اكتشفت ابنة ريجار الصَّغيرة في هذه القلعة ذاتها. لو لا دُعابة الملك المجنون القاسية مع أبي لكانت ابنتي. لا بُدَّ أن الجنون هو ما قادَ إيرس إلى رفض ابنة اللورد تايوين وأخذ ابنه بدلاً منها، بينما زوَّج ابنه هو بأميرة دورنيَّة واهنة عيناها سوداوان وصدرها مسطَّح.

ما زالت ذكرى الرِّفض تعتمل في نفسها بعد كلِّ هذه السَّنين. ليالي كثيرة تفرَّجت عليَّ الأمير ريجار في القاعة يعزف عليَّ قيثارته ذات الأوتار الفضيَّة بأصابعه الطويلة الأنيقة. هل عرفَ العالم رجلاً أجمل؟ لكنه كان أكثر من مجرد رجل. دماؤه كانت دماء (فاليريا) القديمة، دماء التَّنَّين والآلهة. في صباها وعدّها أبوها بأنها ستزوِّج ريجار. آنذاك لم تكن قد تجاوزت السادسة أو السَّابعة، وبينما يتسم تلك الابتسامة السريَّة التي لم يرها بشريُّ إلا سرسي قال لها: «لا تذكري الأمر لأحدٍ أبداً يا صغيرتي إلى أن يُوافق جلالته عليَّ الخطبة. يجب أن يظللَّ هذا سرِّنا في الوقت الحالي». وظلَّ السُّرُّطيَّ الكتمان، مع أنها في مرَّة رسمت نفسها محلَّقَّة وراء ريجار عليَّ متن تنينٍ وقد لفت ذراعها بإحكام حول صدره، ولمَّا اكتشفَ چايمي الرِّسم قالت له إنهما الملكة أليسين والملك چهيرس.

كانت في العاشرة حين رأت الأمير بشحمه ولحمه أخيراً، في دورة المباريات التي أقامها أبوها ترحيباً بالملك إيرس في الغرب. نُصبت منصات المتفرِّجين عند أسوار (لانسپورت)، وتردَّدت أصدااء هتاف العامَّة عليَّ أسوار (كاسترلي روك) كقصف الرِّعد. دوى تهليلهم لأبي أعلى مرَّتين من تهليلهم للملك، لكنهم هلَّلوا للأمير ريجار أعلى مما هلَّلوا لأبي مرَّتين.

حينئذٍ كان ريجار تارجارين في السَّابعة عشرة وحديث العهد بالفُروسيَّة، وقد ارتدى درعاً سوداء فوق قميصٍ من الحلقات المعدنية الذهبيَّة عندما حَبَّ بحصانه إلى مضمار النَّزال، ورفرت شرائط طويلة من الحرير الأحمر والذهبي والبرتقالي من خوذته كألْسنة اللُّهب. سقط اثنان من أعمامها أمام رُمحه، علاوةً عليَّ دستةٍ من أفضل مُنازلي أبيها، زهور الغرب، وفي الليل اعتادَ الأمير العزف عليَّ قيثارته الفضيَّة لتنهمر دموعها. عندما قدَّمت إليه كادت سرسي تغرق في أعماق عينيه الأرجوانيتين الحزيتين، وتذكر أنها فكَّرت: لقد جُرح، لكنني سأشفي جرحه حين نزوِّج. مقارنةً بريجار بدا

أخوها الجميل چايمي نفسه مجرد صبيٍّ غير، وقالت لنفسها وقد أسكرتها الإثارة: سيصبح الأمير زوجي، وعندما يموت الملك العجوز سأغدو الملكة. أفصحت لها عمتها عن تلك الحقيقة قبل دورة المباريات، وقالت لها الليدي چنا بينما تُسويُّ فستانها: «يجب أن تبدي في غاية الجمال، فخلال المأدبة الأخيرة ستُعلن خطبتك إلى الأمير ريجار».

كم كانت سرسي سعيدة يومها، وإلا لما كانت قد جرّوت قَطُّ على الذّهاب إلى خيمة ماجي الضّفدعة، لكنها لم تفعلها إلا لتبرهن لچاين وميلارا على أن اللبوة لا تخشى شيئاً. كنتُ سأصبحُ ملكةً، ولم تخاف الملكة من عجوزٍ دميمة؟ لا تزال ذكرى النبوءة تجعل جِلدها يقشعرُ بعد العُمر الذي انقضى. چاين فرّت من الخيمة تصرّخُ خوفاً، لكن ميلارا مكثت ومكثت أنا. تركناها تتذوق دمنًا وضحكنا من نبوءاتها السخيفة التي لم يكن أيُّها يُعقل. كانت ستُصبحُ زوجة الأمير ريجار مهما قالت المرأة. لقد وعدّها أبوها، وكلمة تايوين لانستر من ذهب.

ماتت ضحكاتها مع نهاية المباريات. لا أقيمت مأدبة أخيرة ولا ارتفعت الأنخاب احتفالاً بخطبتها إلى الأمير ريجار. لا شيء إلا الصّمت البارد والنظرات الفاترة بين الملك وأبيها. لاحقاً، بعدما رحل إيرس وابنه وجميع فرسانه البواسل إلى (كينجز لاندنج)، ذهبت الفتاة إلى عمتها باكية لا تفهم، فأخبرتها الليدي چنا: «أبوك عرض الزّيجة لكن إيرس رفض أن يسمعه، وقال له: أنت أكفأ خدمي يا تايوين، لكن الرّجل لا يزوّج وريثه بابتة خادمه. جففي دموعك هذه أيتها الصّغيرة. هل رأيت أسداً يبكي من قبل؟ سيجد أبوك لك رجلاً آخر، رجلاً أفضل من ريجار».

لكن عمتها كذبت وخذلها أبوها، تماماً كما يخذلها چايمي الآن. لم يجد أبي رجلاً أفضل، بل أعطاني روبرت، وأينعت لعنة ماجي كزهرة سامّة. لو أنها تزوّجت ريجار كما شاءت الآلهة لما نظر مرّتين إلى الذئبة الصّغيرة. ولكان ملكنا اليوم ولكنك ملكته وأُمّ أو لاده.

لم تغفر سرسي لروبرت قتله قَطُّ. إلا أن الأسود لا تُجيد المغفرة، وهو الدّرس الذي سيتعلّمه السير برون فارس (النّهر الأسود) قريباً.